المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

# العـزلة بين السنة والبدعة

## عرض ونقد في ضوء مذهب أهل السنة والجماعة

رسالة ضمن متطلبات برنامج "الماجستير"
في الشريعة الإسلامية
تخصص "العقيدة"

إعـداد الطالبـة:

مائدة بنت أديب حسين العباسي

إشراف:

د/ لؤلؤة بنت عبد الكريم القويفلي

عضو هيئة التدريس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية.

كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى.

عام ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

# ا لمد الأول


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين


# العـزلة بين السنة والبدعة

## عرض ونقد في ضوء مذهب أهل السنة والجماعة

رسالة ضمن متطلبات برنامج "الماجستير"
في الشريعة الإسلامية
تخصص "العقيدة"

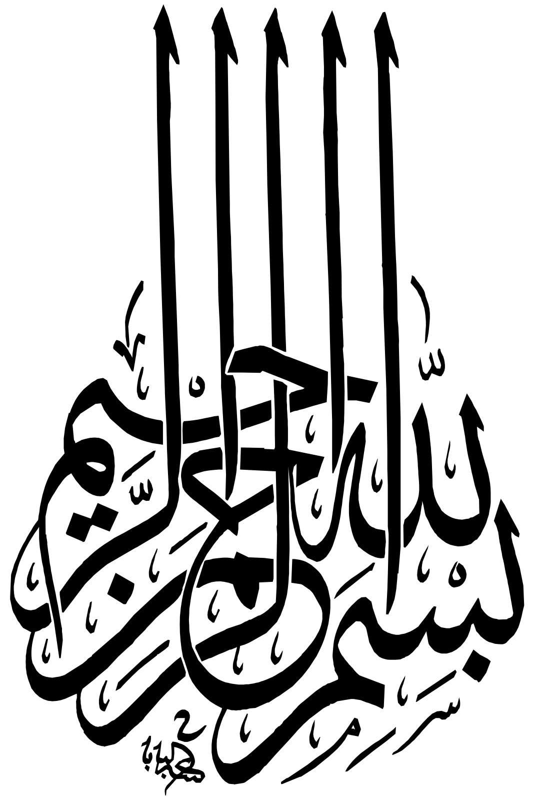

إعـداد الطالبـة:
مائدة بنت أديب حسين العباسي

إشراف:
د/ لؤلؤة بنت عبد الكريم القويفلي
عضو هيئة التدريس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية.
كلية الدعوة وأصول الدين- جامعة أم القرى.



عام ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

## ا لمد الثاني



# ملخص البحث

**اسم الباحثة:** مائدة أديب حسين العباسي.

**عنوان البحث:** العزلة بين السنة والبدعة عرض ونقد في ضوء مذهب أهل السنة والجماعة.

**مكونات البحث:** يشتمل البحث على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس وهي على النحو التالي:

**المقدمة** : وتضمنت سبب اختيار الموضوع،أهداف البحث،أهميته ،ومنهج البحث،والدراسات السابقة.

**الباب الأول** : وفيه أربعة فصول: تضمنت بيان معنى العزلة لغة واصطلاحا،ومفهوم العزلة عند أهل السنة والجماعة وعند الطوائف الأخرى،وأنواع العزلة،والمفاضلة بين العزلة والخلطة،وكيفية العزلـة وفوائـده وآدا ا.

**الباب الثاني:** وفيه فصلان:تضمنت أدلة العزلة في القرآن والسنة ومرادفا ا فيهما،ثم عزلة الشرك والبـدع والمعاصي وأهلها،ثم عزلة أبواب السلطان واعتزال المشاركة في الفتن والحروب.

**الباب الثالث:** وفيه الحديث عن العزلة البدعية عند الطوائف الأخرى وخرجت في ثلاثة فصول: العزلـة عند الصوفية ، ثم الخوارج وأحفادهم ، وأخيرا المعتزلة وأذنا م .

**أهم النتائج:**

- أن العلم الشرعي سبب رئيس للحياة الكريمة في الدنيا والنجاة في الآخرة.
- أن العزلة مطلب شرعي إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع في المعتزل وا تمع المحيط به.
- كل من العزلة والخلطة تكون مطلوبة حسب نوع العبادات واخـتلاف الأحـوال والأوقـات والأشخاص.
- وقت العزلة التامة لم يحن بعد، ولكن يجب تطبيقها مع المشركين وأهل البدع والمعاصـي وفـق ضوابط محددة.
- خير السبل لقمع الفتن الاعتصام بالعزلة قولاً وفعلاً.
- أن الجهل والغلو سببان رئيسان للإنحراف العقدي وظهور الطوائف المخالفة في المنهج والسلوك.

**أهم التوصيات:**

- الحرص على التحصيل العلمي الشرعي المنبثق عن الوحيين مع استمرارية البحث في أغوار الكتاب والسنة واستنباط كنوزهما.
- توعية ا تمع المسلم من خلال تفعيل وسائل الإعلام والمناهج والكتب الدراسية.
- تعميق الشعور لدى الناشئة بخطورة التكفير.
- تربية الناشئة على العفة والطهارة والوسطية في التعامل مع العقل.

# Summarization of the research

Name of the researcher : Maedah Adeeb Hussein Al Abasei
Address of the research : isolation between Sunna & heresy insinuate & critique in the way of the Sunna and the Group

The conclusion of the research : the research includes – introduction & three chapters & epilogue & contents and it includes :

First section :
Includes four chapters : contain the meaning of the isolation language & expression & the meaning of the isolation in the Sunna & the Group and other sect , the kinds of the isolation & the distinguish between the isolation & mixture and how it is happen and its benefits & morals

Second section
Includes two chapters : contain the proof of the isolation in the Koran & Sunna and its meaning inside both , after that the isolation of the polytheism & heresy & disobedience and who do it , then isolation of the of the sultan doors , retirement of participation of the war and the charms

Third section
It contain the heretical isolation for the other sect and its appear in three chapters : the isolation with mysticism after that the dissident and there grandchild then the retired people

The important results

- the legitimate science is the main reason for the good life and to win the hereafter
- the isolation is required legitimate if the condition to be fulfilled in the around society
- Both of the Alienation and sharing it be request by the blessing type and the situations difference, times and persons.
- Time of the times full-Alienation is not yet. But should application it with decoys and with created and guilt family limited precisions.
- Better way for suppression the putsches solidarity by the Alienation " saying and doing ".
- the ignorant & the excess is the two main reasons for division and the appearance of the sect in the method and the behavior

the important recommendations

- the care of learning the legitimate science based on inspiration
- the continues research in the Koran & the Sunna
- Enlighten the society according to the T.V and Methods & the study books
- Keep silent kind of isolation that should concentrate on it in this days
- Educate the youth on the abstinence & cleanness when we are dealing with the mind
- Deep the feeling with the youth by the dangers of the expiation

## المقدمة و تتضمن:

- سبب اختيار موضوع البحث .
- أهداف البحث .
- أهمية البحث .
- المنهج المتبع في البحث .
- الدراسات السابقة .

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعـد :

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبـد الله، وشـر الأمـور محدثا ا، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار نعوذ بالله من النار ومـا قرب إليها من قول وفعل.

إن الأمة الإسلامية أمة قوية، تحصنت بالكتاب والسنة، والتزمت ما منهجا وسـلوكًا وفكرا وتطبيقًا في جميع مجالات الحياة فكانا هما الأسـاس والمنـهج لممارسـة العبـادات والمعاملات مع تحديدها بجملة من الضوابط الشرعية التي تسهم في المحافظة عليهـا داخـل الإطار الشرعي بعيدا عن الوقوع في الشرك أو التلبس ببدعة.

ولما ابتعدت فئام من الناس عن هذا المنهج الرباني متمثلاً في مناهج التلقي المعتبرة ظهـر الإنحراف عن السلوك القويم، واختل التفكير، وأصبح التطبيق قالبا مجوفًا خاليا مـن النيـة الصحيحة أو منكوسا لغايات أخرى لا تمت إلى الإسلام بصلة.

وأصبح من الضروري ومن مستلزمات الأمر الواقع العمل بكل جهد للمحافظـة علـى العقيدة والثبات عليها ،وكان من عوامل الثبات على الدين العزلة عند الفتن وعنـد فسـاد الزمان .

ولقد تضمن القرآن الكريم واستفاضت السنة النبوية في بيان حدود العزلـة وأنواعهـا وآدا ا وفوائدها وكيفيتها ، إضافة إلى ضرورة مباشر ا مع أهل الشرك والمبتدعة والعصـاة وعند أبواب السلطان وعند قيام الفتن والحروب كما حفل التراث الإسلامي بأقوال الأئمـة الأعلام في ذلك.

إلا أن بعض الفرق الضالة تنكبت الطريق، وضلت في مفهوم العزلة، وطبقته تطبيقًا يتنافى مع روح الإسلام وسماحته، متجاهلةً الحكمة التي شرعت من أجلها .

فمارست الصوفية العزلة في صورة خلوات ومجاهدات ، زاعمين أ ا تؤهل لتجلـي الله تعالى ،ومن ثم المكاشفة والمعاينة، ووضعوا القواعد والشروط طـاعنين بـذلك في السـنة متلبسين بالبدعة التي تتراوح بين المكروه والمحرم، وقد تصل بفهمهم المنكـوس واعتقـادهم الباطل إلى الكفر في بعض الخلوات وا اهدات.

وعلى صعيد آخر الطعن بالتكفير الذي يجر إلى القتل والتفجير الذي ظهر في القرن الأول على يد الخوارج فكان منهجهم الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم ،ومعاملتهم معـاملة الكفار في الدار والأحكام، والبراءة منهم وامتحا م ، واستحلال دمائهم.

وتابعهم أحفادهم في العصر الحديث على هذا الفكر التكفيري الإرهـابي الـتفجيري؛ فظهرت جماعات عدة مثل جماعة التكفير والهجرة والتي تزعم كفر ا تمعات الإسـلامية اليوم، وجاهليتها والتعامل معها على هذا الأساس، وأمر قاد م باعتزال هـذه ا تمعـات ،واعتزال مساجدهم ومعاهدهم، كما أمروا بترك الوظائف والهجرة إلى الجبـال مـؤمنين بوجوب الأخـذ بالعزلة شعورا وسلوكًا قدر الطاقة، وجهد الاستطاعة ،واعتقاد فرضـية المفاصلة الكاملة لتحقيق أهدافهم.

أما الأباضية فقد اتبعوا أسلوبا يعـزز استمرار وجودهم، وانتشار دعـو م ؛فأبـاحوا لأفـراد جماعتهم العيش في ظل حكام طغاة من وجهة نظرهم تقية للضرورة في جو مـن السرية الشديدة التي تمكن الجماعة من إعداد نفسها إعدادا ثوريا حتى تسنح الفرصة للثورة، وطبقوا ذلك من خلال ما ابتدعوه بما يعرف عندهم بمسالك الدين وخاصة مسلك الكتمان.

أما أشد الفرق خطرا، وأكثرها طعنا في الكتاب والسنة النبوية من يزعمون حمل لـواء الدفاع عن الدين في الوقت الذي يحملون عليه هجمات شرسة باسم الإسـلام ،وأصـبح مكرهم وتخطيطهم ينفذ في جسد الأمة بل في قلب عقيدة التوحيد .

وهؤلاء هم المعتزلة وأذنا م، حيث تعاني ا تمعات الإسلامية اليوم ألوانا مـن الغـزو الفكري باسم العقلانية والعصرانية والتجديد وما يرادف ذلك من ألفاظ مـدعين العلـم، والنظر إلى القضايا برؤية عصرية، مشككين في الوحيين وحاملين لوائه من الصحابة التابعين.

## سبب اختيار موضوع البحث:

من خلال الاطلاع على مجموعة من الكتب والبحوث والدراسات وبعض كتب الببلوغرافيا والكشافات ومخاطبة الجامعات ومراكز البحوث توصلت إلى عدم وجود موضوع العزلة كدراسة علمية موثقة ،كما لاحظت تقصيرا في جمع الموضوعات المتعلقة به ومقارنة العزلة عند أهل السنة بالعزلة عند الطوائف الأخرى على الرغم من الحاجة لهذا الموضوع في الآونة الأخيرة.

واليوم نحن في القرن الخامس عشر الهجري ونقترب به من آخر الزمان، حيث كثُر الفساد وتتابعت الفتن ، مما يلزم المؤمن أن يتحرى لدينه، ويتسلح بعوامل الثبات عليه، ومن هذه العوامل:القراءة في العزلة، ومعرفة السلوك العملي للفرد حال العزلة، وما يترتب على ذلك انطلاقًا من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ إذا عم الفساد، ورفعت الفتن رأسها.

لذا وقع اختياري على هذا الموضوع لما لمسته من حاجة ماسة إليه، وفي هذا التوقيت بالذات.

## أهداف البحث:

من خلال فصول هذا البحث أحاول الوصول إلى الأهداف التالية:

- التعريف بالعزلة عند أهل السنة والجماعة، وضوابطها التي تتمركز حول محورين وهما : العلم والتبصر بالواقع.
- التعريف بأنواع العزلة وآدا ا وفوائدها وكيفيتها.
- المفاضلة بين العزلة والخلطة والترجيح بين الأدلة.
- استقراء لفظة العزلة في الكتاب والسنة ومرادفا ا والعامل المشترك بينها.
- المواضع التي تستلزم العزلة.
- التعريف بالطوائف التي ضلت في مفهوم العزلة وبيان مواطن العزلة لديها.

ويتضح ذلك في خطة البحث وهي على النحو التالي:

## خطة البحث:

- المقـدمة .

**الباب الأول** : **العزلة عند أهل السنة** ويتضمن أربعة فصول وهي :

**الفصل الأول**: **مفهوم العزلة وضوابطها** ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول - العزلة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني - العزلة عند أهل السنة.

المبحث الثالث - العزلة عند الطوائف الأخرى.

**الفصل الثاني: أنواع العزلة** ،ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول - العزلة الفردية والجماعية.

المبحث الثاني - العزلة التامة والجزئية .

المبحث الثالث - العزلة الاختيارية والإجبارية.

المبحث الرابع - العزلة من منظور الأحكام التكليفية.

**الفصل الثالث:المفاضلة** بين **العزلة والخلطة** ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول - تفضيل العزلة وحجة القائلين ا والرد عليهم.

المبحث الثاني - تفضيل الخلطة وحجة القائلين ا والرد عليهم.

المبحث الثالث- الترجيح بين القولين.

**الفصل الرابع : كيفية العزلة وآدا ا وفوائدها** ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول - كيفية العزلة.

المبحث الثاني - فوائد العزلة.

المبحث الثالث - آداب العزلة.

**الباب الثاني : العزلة** في **القرآن والسنة ومواضعها الواجبة** يتضمن فصلين :

**الفصل الأول** : **العزلة** في **القرآن والسنة** ويتضمن مبحثان هما :

المبحث الأول - أدلة العزلة من القرآن الكريم.

المبحث الثاني - أدلة العزلة من السنة النبوية.

- تم دمجهما لأسباب مذكورة في بداية الفصل بناء على أن الخطة قابلة للتعديل حسب ظروف البحث .

**الفصل الثاني**: **مواضع العزلة الواجبة** ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول - اعتزال الشرك وأهله.

المبحث الثاني - اعتزال البدع والمعاصي.

المبحث الثالث - اعتزال السلطان عند فساده .

المبحث الرابع – اعتزال الفتن والحروب.

**الباب الثالث**: **العزلة عند أهل البدعة** ويتضمن ثلاثة فصول:

**الفصل الأول - العزلة عند الصوفية.**

**الفصل الثاني - العزلة عند الخوارج.**

**الفصل الثالث - العزلة عند المعتزلة.**

**الخاتمة** : وتتضمن أهم النتائج وأبرز التوصيات.

**الفهارس العلمية** .

**ملاحظة:**

الخطة طرأ عليها بعض التعديلات في صالح البحث حيث لم تظهر لي إلا بعد أن تعمقت فيه.

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث في كونه مساهمة علمية لإثراء المكتبة الإسلامية في موضوع العزلة ؛نظرا لقلة الدراسات العلمية فيه وعزوف الباحثين عن طرقه عند المبتدعة ،وأثر العزلة التي يمارسونها على أمن وسلامة المجتمعات الإسلامية مما يجعل لدراستها وبيان انحرافها ونقدها أهمية بالغة لحماية أهل السنة ومجتمعاتهم.

كما يعد مساهمة عملية في وضع النموذج الصحيح لممارسة العزلة ،ومن ثم تطبيقها بشكل عملي منضبط بضوابط الشرع المطهر مع تحديد المكان والزمان والكيفيات المناسبة مع الأخذ بعين الاعتبار النظرة الواقعية للمجتمعات بعيدا عن المثالية المفرطة، ومدينة أفلاطون الفاضلة.

ولولم يكن موضوع العزلة مهم وإمكانية تطبيقه واردة لم يذكر في القرآن والسنة النبوية ولم يهتم العلماء باستنباط ضوابطه ومواضعه وأوقاته.

منهج البحث:

يعد موضوع العزلة موضوعا متفاوت الأبعاد ،يطرق أبواب العقيدة من جهة ويدخل تحت أبواب الدعوة والحديث من جهة أخرى ،مارسه أهل السنة وأهل البدعة على حد سواء وكان لكل منهم فيه ضوابط وأساليب وطرق.

لذا فإن طبيعة البحث ومرونته ومساحته حددت نوع المنهج المستخدم ،فكان المنهج الاستنباطي هو المنهج المناسب لهذا البحث حيث يعمل على استخراج مبادئ وضوابط الشرع المطهر من القرآن الكريم والسنة الشريفة ومن ثم بلور ا وعرضها.

كما تم استخدامه لاستخراج الأساليب التربوية الصحيحة من القرآن والسنة والتي تؤهل المسلم لاستخدامها في معاملته مع الآخرين معاملة صحيحة من جميع النواحي.كما تم استخدام المنهج الوصفي الذي يصف ما هو كائن ويفسره،ويعمل على تحديد العلاقات بين الوقائع والممارسات الشائعة والاتجاهات الأخرى عند الجماعات إلى جانب المقارنة مع الوصف.[1] وذلك لوصف الطريقة المثلى للعزلة عند أهل السنة والجماعة منضبطة بضوابط الشرع وإعطاء أمثلة لذلك.

كما تم استخدامه في وصف الخلوات الصوفية،والمفاصلة الكاملة والشعورية عند الخوارج، والعزلة الفكرية عند المعتزلة وأذنا ا من العصرانيين والعقلانيين في العصر الحديث.

وقد تم العمل في البحث على النحو التالي:

- الاستشهاد بالآيات القرآنية وعزوها إلى مواضعها من السور ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث ؛ فإن وردت في الصحيحين اكتفيت بذلك،وإلا ذكرت تخريجه من كتب السنن والمسانيد بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث والمكرر منه مع بيان حال الحديث من حيث الصحة والضعف من الكتب

---

١- ينظر: مناهج البحث في التربية وعلم النفس،جابر عبد الحميد جابر،وأحمد خير كاظم، ط٢، ١٩٧٨م،دار النهضة العربية- القاهرة ص(١٢٦)

الخاصة بذلك.

- كتابة الأحاديث النبوية بخط مغاير لتمييزه عن غيره من الأقوال.

- ترجمة بعض الأعلام من أهل السنة والصوفية والخوارج والاعتزال ،وتجاوزت أصحاب الكتب الستة والأئمة الأربعة ونحوهم كأحمد بن حنبل لأ م في غنى عن التعريف.
- التعقيب على التراجم بذكر المصادر واكتفيت في معظمها بمصدرين وبعضها لم أقف إلا على مصدر واحد فأثبته.
- التعريف ببعض الأماكن وعقبت بالمصدر.
- التعريف ببعض الأديان والفرق المخالفة لمنهج أهل السنة وعقبت بالمصدر.
- التعريف ببعض الألفاظ الغريبة والمختلفة وتقرير أقر ا للصواب من المصادر في كتب اللغة وعقبت بالمصدر.
- ضبط ما أشكل من بعض العبارات والألفاظ.
- تأسيت منهج النبي الكريم ﷺ في استخدام الرسم الشجري في بعض المواضع وذلك لجمع عدة جزئيات في عدة صفحات في صفحة واحدة للتيسير على القاريء في متابعتها وملاحظة علاقتها ببعضها.
- كتابة بيانات المصدر أو المرجع كاملة عند وروده أول مرة،ثم اكتفي باسم الكتاب والمؤلف ورقم الجزء والصفحة.
- استخدمت لفظ " ينظر" للإشارة إلى العبارات المنقولة بالمعنى.
- وضعت عناصر في بداية كل فصل من فصول الباب الثالث لبيان محتوياته مجملة لأن خطة البحث خلت من مباحث لكل فصل منها.
- ذكرت خلاصة في اية كل فصل عدا الفصل الرابع من الباب الأول ،والفصل الثاني من الباب الثاني فقد ذكرت الخلاصة في اية كل مبحث نظرا للاختلاف النوعي بين تلك المباحث.
- معظم المباحث في الفصل الواحد متقاربة في الطول،إلا أن بعض المباحث في الباب الثاني قد تطول وتقصر حسب مقتضى الحال وحدود المبحث ومتعلقاته والفائدة المرجوة ؛حيث أطلت في المبحث الأول في الباب الثاني"عزلة الشرك وأهله"بينما كان المبحث الرابع" اعتزال السلطان عند فساده"من نفس الباب قصيرا بالنسبة له.

- إعداد فهارس علمية على النحو التالي:

- فهرس الآيات. - فهرس الأحاديث.
- فهرس الأعلام. - فهرس الفرق.
- فهرس الأماكن. - فهرس المصطلحات.
- فهرس الألفاظ الغامضة. - فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

## الدراسات السابقة:

من خلال البحث في المكتبات ومراكز البحوث المعتمدة في المملكة العربيـة السـعودية ومخاطبتها رسميا اتضح أنه لا يوجد دراسات سابقة في هذا الموضوع.

ولم أجد من أمهات الكتب في هذا الموضوع إلا كتابي :

- "العزلة" للحافظ أبي سـليمان أحمـد محمـد بـن إبـراهيم الخطـابي البسـتي (٣١٧-٣٨٨)هـ.
- "العزلة والانفراد" لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي (ابن أبي الدنيا).

ومن كتب المعاصرين:

- كتاب "العزلة- الفكرة والتطبيق" للدكتور/ محمد بن سعد وهو عبارة عـن دراسـة اجتماعية نفسية.
- كتاب "العزلة والخلطة" ضمن سلسلة الغرباء للدكتور /سلمان العودة.وهو دراسـة حديثية .

وأثناء البحث وجدت في بعض الكتب مصدر باسم "العزلة" لابن الوزير، إلا أني لم أقف عليه على الرغم من بحثي عنه في المملكة العربية السعودية والدول ا اورة.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]

# الباب الأول

# العزلة عند أهل السنة

ويتضمن أربعة فصول وهي :

الفصل الأول - مفهوم العزلة وضوابطها .

الفصل الثاني - أنـــــواع العزلة .

الفصل الثالث - المفاضلة بين العزلة والخلطة .

الفصل الرابع - كيفية العزلة وآدابها وفوائدها .

# الفصل الأول

## مفهوم العزلة وضوابطها

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول - العزلة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني - العزلة عند أهل السنة.

المبحث الثالث - العزلة عند الطوائف الأخرى.

# المبحث الأول: تعريف العزلة في اللغة والاصطلاح

## أولاً: العزلة في اللغة:

لفظة العزلة أصل صحيح جاءت دالة على معان عدة منها :

**١- الابتعاد والانصراف والتنحي جانبا :**

جاء في كتاب مقاييس اللغة : ( عزل الإنسان الشيء يعزله إذا نحاه في جانب وهو بمعزل وفي معزل عن أصحابه أي في ناحية عنهم.والعزلة الاعتزال)[١]

وقال ابن منظور : عزل الشيء يعزله عزلا وعزله فاعتزل وانعزل وتعزل نحـاه جانبـا فتنحى،وتعازل القوم انعزل بعضهم عن بعض ، واعتزلت القوم أي فارقتـهم وتنحيـت عنهـم ،وقوم من القدرية يلقبون المعتزلة ؛ زعموا أ م اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم يعنـون أهل السنة والجماعة والخوارج.[٢]

وفي كتاب العين: (عزلت الوالي صرفته عن ولايته).[٣]

يؤيد ذلك تفسير العلمـاء لألفاظ القرآن الكريم حيث يقول الراغب الأصفهاني-رحمه الله- :

(الاعتزال : تجنب الشيء عمالة كانت أو براءة أو غيرهما بالبدن كان ذلك أو بالقلب)[٤]

ومنه قوله ﷻ : ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء:٢١٢].أي (ممنوعـون بعد أن كانوا يمكنون).[٥]

---

١- مقاييس اللغة لابن فارس ،باب العين والزاي ، تحقيق: عبد السلام محمد هـارون،ط٢،١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، دار الجيل – بيروت/ لبنان (٣٠٧/٤).

٢- ينظر: لسان العرب،لابن منظور،ط١، دار صادر – بيروت (١١/ ٤٤٠) ومابعدها.

٣- كتاب العين ،الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٨ مجلدات، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبـراهيم السـامرائي، دار ومكتبة الهلال (٣٥٤/١).

٤- المفردات في غريب القرآن،للراغب الأصفهاني، ،ضبط ومراجعة:محمد خليل عيتاني،ط٢، ١٤٢٠هـ ـ١٩٩٩م، دار المعرفة- لبنان ص (٣٣٧).

٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن،محمد بن جرير الطبري،١٤٠٥هـ ـ١٩٨٤،دار الفكر – بيروت،(١٩/ ١١٨ ).

وقال السعدي-رحمه الله-في تفسيرالآية :( قد أُبعدوا عنه وأعدت لهم الرجوم الحفظة ).[1]

كما جاء في تفسير ابن كثير للعزلة في قوله ﷻ:﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٨]: ( أي وأجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم).[2]

وفي قوله ﷻ: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ ﴾ [هود:٤٢]

قال السعدي : (أي وكان ابنه في معزل عنهم حين ركبوا أي مبتعدا).[3]

**٢- وتأتي العزلة بمعنى الانفراد والانزواء والمزايلة والانقطاع.**

قال ابن منظور:والعزلة الانعزال نفسه ،يقال العزلة عبادة وكنت بمعزل عن كذا وكـذا أي كنت بموضع عزلة منه .والمعزال الذي يـ ل ناحية في السفر ينـزل وحده.[4]

وفي القاموس المحيط :والأعزل الرمل المنفرد المنقطع،وسحاب لامطر فيه ومن لاسـلاح معه[5]

قال ابن جرير الطبري-رحمه الله-في تفسير قوله ﷻ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٩] ( فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ماكانوا يعبدون من دون الله من الأوثـان آنسنا وحشته من فراقهم وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم).[6]

وقال ابن كثير-رحمه الله- في تفسـير قولـه ﷻ : ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الكهف:١٦]

---

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ،تحقيق:عبد الـرحمن اللويحـق، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م،مؤسسة الرسالة- بيروت ص (٥٩٨).

٢- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ،١٤٠١هـ، دار الفكر – بيروت(١٢٥/٣).

٣- تيسير الكريم الرحمن،عبد الرحمن السعدي،ص (٣٨٢).

٤- ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤٤٠/١١وما بعدها ).

٥- ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي ،مؤسسة الرسالة – بيروت(١٣٣٣/١).

٦- جامع البيان ،لابن جرير الطبري (٩٣/١٦).

(أي وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم ).(١)

وقال السعدي-رحمه الله- في قولـه ﷻ: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾. [مريم:٤٨] (ويعتزل الشر وأهله ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه من أشـق شيء على النفس لأمور كثيرة معروفة ومنها انفراده عمن يتعزز م ويتكثر).(٢)

وماجاء من تعريفات للعزلة بعد ذلك فهي مقتبسة ممن سبقهم.(٣)

**ثانيا:العزلة في الاصطلاح :**

قال الجرجاني :(العزلة هي الخروج من مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع).(٤)

وعرفها القاضي عياض(٥) بأ ا: (الانفراد والانقباض عن الناس).(٦)

وفي الألفاظ المؤتلفة: (جانبهم وزايلهم وفارقهم وبان منهم وانفتل عنهم).(٧)

---

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٦/٣).

٢- تيسير الكريم الرحمن،عبد الرحمن السعدي ص (٤٩٥).

٣- في محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني لم يأت بجديد بل جمع ماورد في كتب سابقيه( ص ٥٩٨،٥٩٩ عزل) مكتبة لبنان ١٩٨٧ م طبعة جديدة .

وقد اقتصر صاحب دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي على عبارات وجيزة في بيان معنى العزلـة وهـي عزل الشيء يعزله عزلا نحاه عنه يقال (عزله فعزل) أي نحاه فتنحى ( اعتزل الشيء ) تنحى عنه ( العزلة ) عدم السلاح و(الأعزل )من لا سلاح له (العزلة) الاعتزال.

ثم ذكر المعتزلة وفصل أقوال الإمام ابن حزم الظاهري في كتابه الفصل وأسهب في ذلـك (مـج ٦ ص ٤٢٣ ، ٤٣٣ دار المعرفة- بيروت/ لبنان، ط ٣، ١٩٧١ م ).

٤- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبيـاري.ط١، ١٤٠٥، دار الكتـاب العـربي – بيروت(١٩٤/١).

٥- هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ولد سنة ٤٧٦هـ وتوفي سنة ٥٤٤هـ عالم المغرب ولي قضـاء سبته ثم قضاء غرناطة له مؤلفات شهيرة منها "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" و"شرح صحيح مسـلم" و"الامـام" وغيرها وفي أخباره كتب منها : " أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض ".

ينظر : سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١٢/٢٠) ، والأعلام للزركلي (٩٩/٥).

٦- مشارق الأنوار على صحاح الآثار،للقاضي عياض ،المكتبة العتيقة ودار التراث،(٨٠/٢) (ع ز ل).

٧- الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، محمد الطائي الجياني، ، تحقيق : د. محمد حسن عـواد ط١ ،١٤١١هـ ـ،دار الجيل – بيروت(١٨٣/١) باب العزلة .

**الخلطة :** وسأقتصر في بيان الخلطة على أ ا مضادة للعزلة وذلك بـبيان معناهـا بإيجـاز. يقال: ( الخلـط الخاء واللام والطاء أصل واحـد تقول خلـطت الشـيء بغـيره فاختلط).[١]

وتأتي الخلطة على معان عدة في اللغة العربية ، منها العشرة والشركة والتلبيس والإفساد والمراد في موضوع العزلة معنيين هما :

**١ - العشرة والمداخلة والممازجة :**

قال ابن منظور:خلط الشيء بالشيء يخلطه خلطًا ، وخلطه فاختلط مزجه ، واختلطـا وخالط الشيء مخالط وخلاطًا مازجه ، والخلطة بالكسر العشرة، والأخلاط الجماعـة مـن الناس.[٢]

وقال ابـن فـارس:( ورجـل مخلّـط أي حسـن المداخلـة للأمـور وخلافـه المزيل.والخليط:ا اور).[٣]

**٢- وتأتي بمعنى الشركة :**

قال ابن منظور : الخُلطة بالضم الشركة ومنـه قولـه ﷻ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .[ص:٢٤]

فالخلطاء ههنا الشركاء الذين لا يتميز ملك كل واحد من ملك صـاحبه إلا بالقسـمة.[٤]
وجاء في القاموس المحيط : ( والخليط الشريك و المشارك في حقـوق الملـك كالشـرب والطريق)[٥]ونحو ذلك.

---

١- مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٨/٢).
٢- ينظر: لسان العرب،لابن منظور (٢٩١/٧ومابعدها ).
٣- ينظر :مقاييس اللغة ،لابن فارس ( ٢٠٩،٢٠٨/٢).
٤- ينظر: لسان العرب،لابن منظور (٢٩٣،٢٩٢،٢٩١/٧).
٥- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي (٨٥٩/١).

## المبحث الثـــاني: العــزلة عنــد أهل السنة .

من أبـرز مميزات منهج أهل السنة والجماعة وحدة المصدر في التلقي والاستدلال ؛ فلا يتلقون أمور دينهم إلا من كتـاب الله ومشكاة النبوة ؛ ومن ثم فـإن الاستنباط لمسألة ما أو حكمها قائم على الجمع بين النصوص الشرعية الواردة في هـذه المسألة و ( الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه والحديث يفسر بعضه بعضا ).[1]

وكذلك الاستئناس بأقـوال السلف الصالح والخروج بنتائج متفق عليهـا عنـدهم وكأ م على قلب رجل واحـد مهما اختلفت العصور وتباعدت الأمصـار.

وفي ذلك يقول الأصبهاني[2] في اتفـاق السلف على مسائل الاعتقاد مؤكدا على منهج التأصيل والثبات عليه: ( وجد م في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحـد ، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها،قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا تـرى فيهم اختلافـًا، ولا تفرقـًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جـاء عن قلب واحد ، وجرى على لسان واحد ).[3]

بناء على ذلك فمفهوم العزلة عند أهل السنة والجماعة داخل في هذا الإطار، ومنـهج المسلم فيها مستنبط من النصوص الشرعية بعد الجمع والاستقراء ، ذلك أن العـزلة بوصفها مفهوما يتعلق بالمباحث العقدية المتصلة بحياة الفرد المسلم في حالات خاصـة ووفق ضوابط معينة أشار إليها الشارع الحكيم في الكتاب والسنة يحتاج إلى تحديد دقيـق يوضح حقيقـة

---

١- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي أبو بكر ، تحقيق: د. محمود الطحـان ،١٤٠٣هـ ـ ،مكتبة المعـارف – الرياض(٢١٢/٢)رقم (١٦٤٠) من كلام الإمام أحمد بن حنبل.

٢- هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد القرشي التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، فاضل في معرفة العربية، ومعرفة الرجال، صاحب ذاكرة قوية، حافظ للحديث، صنف كتبا كثيرة منها: الترغيب والترهيب، الجامع في التفسير، ولـد سنة ٤٥٧هـ ، وتوفي سنة: ٥٣٥هـ .

ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨٠،٨٤/٢٠)، والأعلام للزركلي(٣٢٣،٣٢٢/١).

٣- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة،أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيـق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي،ط١٤١٩،٢هـ - ١٩٩٩م، دار الراية – السعودية(٢٣٩/٢).

المقصود ا وفق الضوابط والقواعد الشرعية مما يستلزم مراعاة الدقـة في ذلـك ؛ لـئلا تنصرف الأذهـان إلى معنى غيـر مقصود فتقع في المحظور وتتلبس بفعل المخالفين، ويصبح الأمـر المطلوب وفق ضوابطه ممنوعا في حال عدمها.

وللعزلة عند أهل السنة والجماعة مجموعة من الضوابط التي يتحتم على المسلم معرفتـها ومن ثم تطبيقها، وأهم هذه الضوابط هو العلم لأنه أساس العمل وقوامه، وقد بوب البخاري في صحيحه باب العلم قبل القول والعمل[1].

وأراد بذلك ( أن العلم شـرط في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به فهو متقـدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل )[2]

وتضافرت النصوص الشرعية على تقديم العلم فقد استنبط ابن القيم من سورة العصر في قولـه تعـالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ ( أربـع مراتب والـتي باسـتكمالها يحصـل للشخص غايـة كماله.

أحدها: معـرفة الحق من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهم الذين عرفوا الحـق وصدقوا بـه.

الثانية: عمله بـه.

الثالثة: تعليمه من لا يحسنه.

الرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

وهـذا اية الكمال فـإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكملاً لغيره وكماله

---

١- ينظر: الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،تحقيق:د. مصطفى ديب البغا،ط٣، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت،(٣٧/١).

٢- فتح الباري لابن حجر العسقلاني، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي وآخر، بدون طبعة، ١٣٧٩هـ ـ ، دار المعرفـة، بيروت(١٦٠/١).

بإصلاح قوتيه العلمية والعملية فصلاح القوة العلمية بالإيمان،وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل) (١)

فدل ذلك على أن الإيمان هو العلم، ( ولا يكون الإيمان بدون العلم فهو فرع عنه لايتم إلا به).(٢)

وهذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: ( قد يعطف على الإيمان بعض شعبه العالية أو بعض أنواعه الرفيعة كاليقين والعلم ).(٣)

فإذا تقرر أن العلم فرع من الإيمان وأعلى شعبه وهو الأساس النظري للعمل لقوله ﷻ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾[محمد:١٩].فكل عمل يقوم به المسلم له أساس من علم من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ( والقول والعمل لا يكون صحيحا مقبولاً حتى يكون موافقًا للشرع ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله موافقًا للشرع إلا بالعلم).(٤)

وإذا نظرنا إلى العزلة بميزان المراتب الأربع الواردة في قوله ﷻ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾.وجدنا :

---

١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية،تعليق: علي حسن الحلبي، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية(١/ ٢٣٨،٢٣٩)وينظر: ثلاثة الأصول، عقيدة الفرقة الناجية، للإمام محمد بن عبد الوهاب،ط١، تحقيق: ناصر بن عبد الله الطريم ، سعود بن محمد البشر ، عبد الكريم بن محمد اللاحم، مطابع الرياض – الرياض(١٨٥/١).

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص (٩٣٤).

٣- مجموع الفتاوى، أحمد عبدالحليم بن تيمية الحراني،جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم ، مكتبة المعارف، الرباط (٧ / ٦٤٨).

٤- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين، جمع: فهد السليمان، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، دار الثريا- المملكة العربية السعودية(٢٢/٦).

- أن العلم هو قول الربيع بن خثَيم[1]: (تفقه ثم اعتزل)[2]

- والعمل المبني على العـلم الشرعي الصحيح الموافق لما كانت عليه الجماعة الأولى النبيﷺ وصحابته هو قـول النبي ﷺ (خذ بما تعرف ودع ما تنكر) .[3]

- والقدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مستلزمات الدعوة، والقدرة عليه ذو علاقة طردية مع المخالطة .

- وقـول النبي ﷺ (المسلم إذا كان مخالطاً الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم )[4]هو الصبر .

والعزلة عبارة عن عمل يقوم به العبد أو يضطر إلى القيام به في ظروف خاصة، وبما أن كل عمل يتوقف على علم شرعي يتحقق به كمال الإيمان ؛ إذًا لابد للعبد الذي يريد الاعتـزال أن يفقه أمـرين :

١- العلم بالضوابط الشرعية للعزلة.

٢- التبصر بالواقع (النظرة الواقعية ) للمجتمع.

ويندرج تحت هذين الأمـرين عدة نقاط تظهر في المخطط التالي إجمالاً يتبعه التفصيل بإذن الله.

---

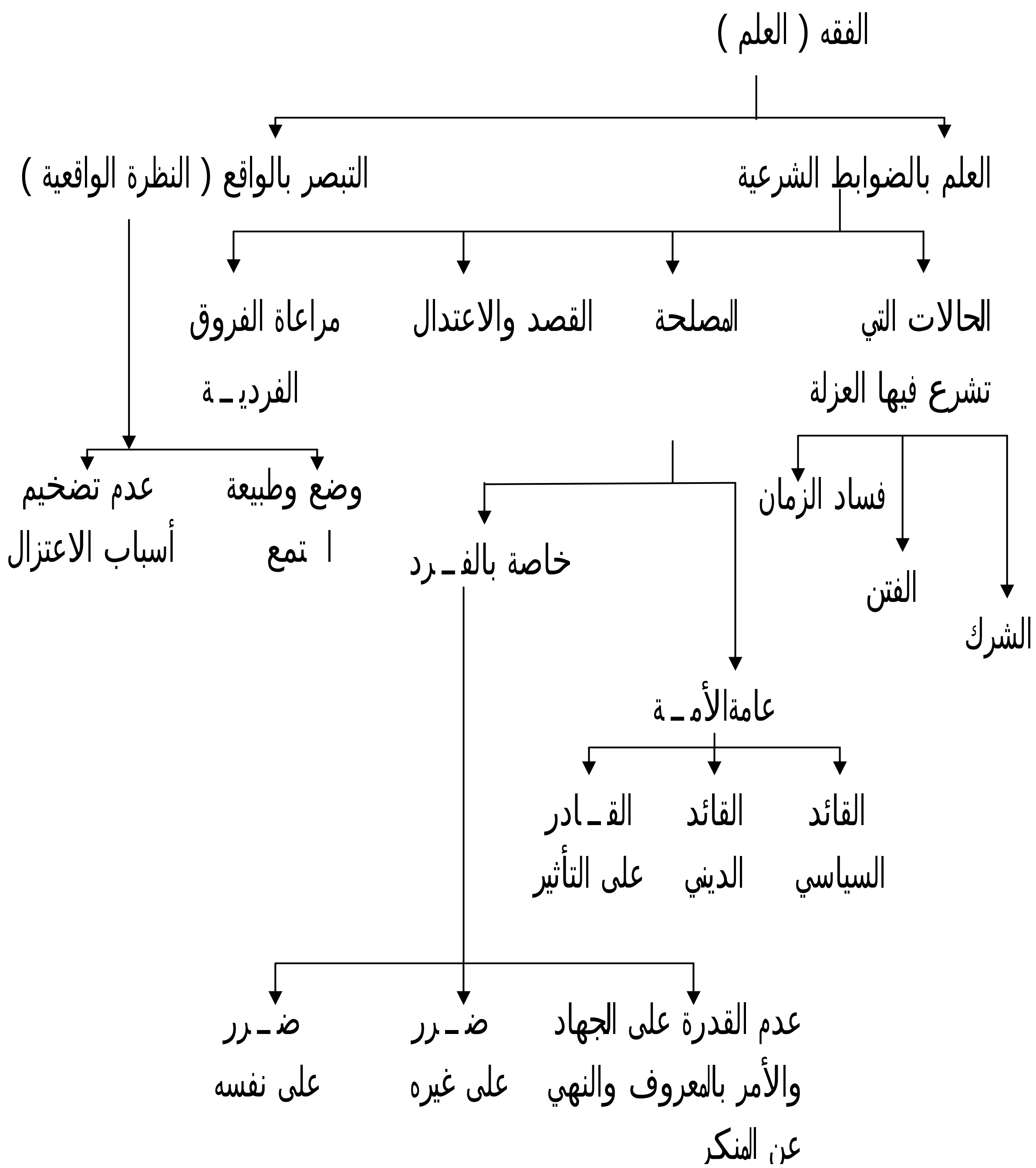
١- هو الربيع بن خثيم بن عائذ ،أبو يزيد الثوري الكوفي،مخضرم من الثانية قال له عبد الله بن مسعود:لو رآك رسول الله لأحبك، وكان ثقة زاهدا مخبتا ورعا قانتا ربانيا حجة ،مات سنة(٦٣هـ).

ينظر: صفة الصفوة لأبي الفرج(٥٩/٣)،الكاشف للذهبي(٣٩١/١)تقريب التهذيب لابن حجر(٢٠٦/١).

٢- العزلة أبو سليمان الخطابي، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار ابن كثير دمشق - بيروت(٨٨).

٣- أخرجه أبو داود في سننه (١٢٤/٤)كتاب الملاحم،باب:الأمر والنهي ،رقم(٤٣٤٣)وقال الألباني في صـحيح أبي داود :حسن صحيح برقم: (٤٣٤٣) وكذا في صحيح الترغيب برقم(٢٧٤٤).

٤- أخرجه الترمذي في سننه(٦٦٢/٤)كتاب:صفة القيامـة بـاب:٥٥بـرقم (٢٥٠٧)،وابـن ماجـه في سـننه (٣٣٨/٢)كتاب الفتن،باب:الصبر على الـبلاء بـرقم(٤٠٣٢)وأحمـد في مسـنده(٤٣/٣)،والبخـاري في الأدب المفرد(٣٨٨/١)باب:الذي يصبر على أذى الناس برقم(٣٨٨)،والبيهقي في سـننه(٨٩/١٠)كتـاب:آداب القاضـي، باب: فضل المؤمن القوي. قال الألباني في صحيح الترمذي :صحيح برقم: (٢٥٠٧).



الفقه ( العلم )
العلم بالضوابط الشرعية
التبصر بالواقع ( النظرة الواقعية )
الحالات التي تشرع فيها العزلة
المصلحة
القصد والاعتدال
مراعاة الفروق الفردية
فساد الزمان
الفتن
الشرك
خاصة بالفرد
عامة الأمة
القائد السياسي
القائد الديني
القادر على التأثير
عدم القدرة على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
ضرر على غيره
ضرر على نفسه
وضع وطبيعة ا تمع
عدم تضخيم أسباب الاعتزال

## الأمر الأول : العلم بالضوابط الشرعية :

ويندرج تحتها عدة أمور تتلخص في معرفة الظرف الزماني والمكاني والأحوال والأشخاص وقد سبق بيانها في المخطط السابق وتفصيله كما يلي :

**أولا - الحالات التي تشرع فيها العزلة** : وهي إما مطلقة باعتزال الشرك وأهله، أو مقيدة في مجتمع المسلمين في حالتي الفتن وفساد الزمان.

### أ- الشرك وأهله :

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية يجد أن العزلة لم تأت مطلقة إلا في حالة واحدة ؛ وهي اعتزال الشرك وأهله وهنا تكون بمعنى البراءة منهم كما جاء في دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام (مبتدئًا بأقرب الناس إليه فإن لم يكن هناك تجاوب مع هذه الدعوة فالاعتزال لهذا الباطل وأصحابه)[1] وقد قص الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام قوله لقومه: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.[ مريم :٤٨].

وليس هذا فحسب بل إن الله امتدحه في منهجه تجاه المشركين وأمرنا بالاقتداء به في ذلك فقال عز وجل ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾. [الممتحنة :٤].

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-:( فلا تصلح الموالاة إلا بالمعاداة كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين أنه قال لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الشعراء] فلم تصلح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة فإن ولاية الله لا تصح إلا بالبراءة من كل

---

١- الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، ط٩، ١٣٢٠هـ دار طيبة، المملكة العربية السعودية ص(١٤٦).

معبـود سواه ).[1]

وقد تواترت الأخبار في القرآن الكريم عن الخليل ثم جاءت الأوامـر للنبي الكريم محمد ﷺ بالإتباع قـال ﷻ : ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾.[النحل ١٢٣]وسيأتي مزيد تفصيل في هذه المسألة بإذن الله.[2]

أما في المجتمع الإسلامي وهو المقصود في هذا البحث فلم تـأت العزلة إلا مقيدة حسب أحوال معينة وظروف خاصة ، وكأنها فترات تأمل لتشخيص العالم الخارجي وتقويم الذات في ظل متغيرات جديدة يعيد فيها المرء حساباته ونظرتـه لقضايا جديدة مطروحـة علـى الساحة جبرا أو اختيارا في حياة الفرد أو الجماعة.

## ب- الـفـتن :

تعد الفتن من الحالات التي تستوجب الاعتزال والتنحي جانبا وتوخي الحذر من الدخول في سراديبها المظلمة ؛ لاختلاط الحق فيها بالباطل وإفساد الدين وهلكة الأفراد لـذا فـإن ( العزلة عند الفتنة سنة الأنبياء، وسيرة الحكماء الألباء والأولياء ).[3]

وقد وردت أحاديث وإشارات نبوية إلى فتن مفرقـة للأمـة تقتضي الحذر منها والبعد عنها[4]ومن الأحاديث الدالة على مشروعية الاعتزال عند الفتن على سبيل المثال لا الحصر:

- عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ( يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ) .[5]

---

١- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ابن قـيم الجوزية)، دار الكتب العلمية - بيروت(١٣٨/١).

٢- الباب الثاني الفصل الثاني ،المبحث الأول(اعتزال الشرك) ص(١٩٣).

٣- العزلة، أبو سليمان الخطابي ص (٦٣).

٤- ينظر: النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، ط٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، دار المعرفة - بيروت،(٤٩/١).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٣٨٢/٥) كتاب: الرقاق،باب: العزلة راحة من خـلاط السـوء بـرقم(٦١٣٠) (١٣١٧/٣)كتاب: المناقب،باب علامات النبوة في الإسلام،برقم(٣٤٠٥).

وقـد بوب الإمام البخاري لهذا الحديث في موضعين من صحيحه فقال:( بـاب مـن الدين الفرارمن الفتن)و( باب العـزلة راحـة من خلاط السوء) مما يدل على اهتمام أئمـة المسلمين وعلمائهم بموضوع العزلة وخاصة حال الفتن ، فيرجح ابن حجر-رحمه الله- العزلة في الفتن العامـة تحرزا من الوقوع في المحذور وخشية من عذاب عام شامل فيقول في شرحه للحديث ( فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبـًا من الوقوع في المحذور وقد تقـع العقوبـة بأصحاب الفتنة فتعم من ليس من أهلها كما قـال ﷻ ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾.[ الأنفال :٢٥])[١] وتابعه العيني في تعليقه علـى الحديث فقال:(وفيه اعتزال الناس عند ظهور الفتن والهرب عنهم).[٢]

- وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان يقول : (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله : إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن "قلت : وما دخنه ؟ فقال : قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر "قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟قال : "نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها "قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا "، قلت :فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم "، قلت : فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة قال : " فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) .[٣]

---

١- فتح البـاري ،لابن حجر(٤٧/١٣).

٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري،بدر الدين محمود بـن أحمـد العـيني، دار إحيـاء التـراث العـربي – بيروت(٨٣/٢٣).

٣- أخرجـه البخـاري(١٣١٩/٣)كتـاب: المناقب،بـاب:علامـات النبـوة في الإسـلام بـرقم(٣٦٠٥ ) ،وفي(٢٥٩٥/٦)كتاب:الفتن ، باب:كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟برقم(٦٦٧٣) ،ومسلم في صـحيحه(١٤٧٥/٣) كتاب:الإمارة ،باب:وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن برقم(٤٧٦١).

والمراد من اعتزال الناس زمن الفرقة ماذكره الحافظ ابن حجر-رحمه الله- في الفتح عن الطبري أنه قال:( متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابًا فلا يتبع أحد في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر )[1] ومتى وجد جماعة مستقيمة على الحق لزمه الانضمام إليها وتكثير سوادها والتعاون معها على الحق لأنها والحال ماذكر هي جماعة المسلمين بالنسبة إلى ذلك الرجل وذلك المكان).[2]

- عن أبي بكرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : ( إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من الساعي إليها ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض قال يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء ) .[3]

وقد أدرج ابن كثير هذه الأحاديث تحت عنوان:( إشارة من الرسول ﷺ إلى أن فتنة مهلكة ستحدث وأن النجاة منها في البعد عنها وتجنب طريقها...وإشارة من الرسول ﷺ إلى ضروب من الفتن ستكون وأن النجاة منها في اعتزال المجتمع ).[4]

فهذه إشارات تمثل المنهجية المتبعة عند وقوع الفتن وأسلوب النجاة منها مما يكشف عن الظاهرة المادية للعلم الشرعي الذي علمنا إياه ﷺ .فكانت المنارة التي استرشد بها جماعة من الصحابة في منهجهم لاعتزال الفتنة زمن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ والتي ينبغي على كل مسلم أن يتفطن لها.

وقد وردت عدة أحاديث لم تصرح بلفظ الفتنة إلا أن العلماء أدخلوها في مصنفاتهم

---

١- فتح الباري ،لابن حجر (٣٧/١٣).

٢- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش ،ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، مكتبة العبيكان، الرياض(٩٦،٩٥/٣).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢١٢/٤)كتاب: الفتن،باب نزول الفتن كمواقع القطر برقم(٢٨٨٧).

٤- النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (٥٧،٥٦).

تحت عنوان كتاب الفتن مثل: ابن كثير[1]، عبد الرزاق، [2] وابن ماجـه. [3]

وقد ذكر النووي أن الجمهور الذين قالوا بتفضيل الاختلاط على الاعتزال أجابوا علـى الحديث ( . . . ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره ) . [4] بأنه محمـول علـى الاعتزال من الفتن والحروب) [5].

**ج – فسـاد الزمـان:**

جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قـال:( بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء ) [6] وورد في الحـديث ( لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله) [7].

وقد أدرج ابن كثير هذا الحديث تحت عنـوان ( الإذن باعتزال الناس عند اشتداد الفتن وتحكم الأهواء)[8]

والحديث يفسر بعضه بعضا فإن الساعة لها علامات، ومؤشرات تدل عليهـا، ومنـها غربـة الاسلام وأهله كما أشار ﷺ بقوله:( فطوبى للغرباء ) .

---

١- النهاية في الفتن والملاحم (٥٦)ومابعدها.

٢- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق الصـنعاني، تحقيق: الأعظمـي، ط٢، ١٤٠٣هـ ـ، المكتب الإسـلامي- بـيروت (١١/ ٣٤٩).

٣- سنن ابن ماجه، لأبي محمد القزويني، حكم وتعليق : محمد الألباني ، ط١، مكتبة المعارف ، الرياض، ص(٦٥٧).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٨١/٥)كتاب:الرقاق، باب:العزلة راحة من خـلاط السـوء بـرقم(٦١٢٩)، وكذا جاء في(١٠٢٦/٣)كتاب:الجهاد والسير، باب:أفضل الناس مـؤمن يجاهـد بنفسـه وماله بـرقم(٢٦٣٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه(١٥٠٣/٣)كتاب:الإمارة، باب:فضل الجهاد والرباط برقم(١٥٠٣/٣).

٥- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، ط٢، ١٣٩٢هـ ـ، دار إحيـاء التراث العربي- بيروت (٣٤/١٣).

٦- أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٠/١)كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وإنه يأرز بين المسجدين برقم(١٤٥).

٧- أخرجه مسلم في صحيحه (١٣١/١) كتاب: الإيمان باب: ذهاب الإيمان آخرالزمان برقم( ١٤٨).

٨- النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، (٢٩/١).

وفي رواية ابن مسعود يقرن النبي ﷺ بين غربة أهل السنة وفساد الناس والذي يعقبه قيام الساعة فقال: (فطوبى للغرباء، قيل: من هم يارسول الله ؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس )[1] وذلك إنما يكون في آخر الزمان عند اشتداد الفتن واستحكام الأهواء.

يؤكد ذلك تعليق ابن حجر على حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ:(يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج ) .[2] حيث يقول: ( والمراد في الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم فلا يبقى إلا الجهل الصرف ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم لأنهم يكونون حينئذ مغمورين في أولئك )[3] مما يدل على استحكام غربة أهل السنة واستحكام الخصال الذميمة فيمن خالفهم كما جاء في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عند سؤالهم رسول الله ﷺ من الغرباء قال: (أناس صالحون في أناس سوء كثير،من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم ) .[4] وفي هذا دلالة على تلاشي دور الحسبة في هذا الزمان فأهله لا يأمرون بمعروف ولاينتهون عن منكر والشاهد من قول رسول الله ﷺ :(يتقارب الزمان) .

والمراد:( تقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله).[5]

---

١- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٣/٤)برقم (١٦٣٧٢)وفي سنده :إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة،قال في التهذيب:صدوق،كُف فساء حفظه (٨٤/١).قال الألباني في السلسلة الصحيحة(١٢٧٣):إسناده صحيح رجاله ثقات برقم(١٢٧٢٧٩).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٩٠/٦) كتاب: الفتن ، باب:ظهور الفتن برقم(٦٦٥٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٥٧/٤)في كتاب: العلم ، باب:رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن برقم(١٥٧).وجاء بألفاظ أخرى منها "يتقارب الزمان وينقص العمل، ويبقى الشح، وتكثر الفتن ويكثر الهرج".

٣- فتح الباري ، لابن حجر (١٦/١٣).

٤- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧٧/٢) برقم (٦٦٥٠)وكرره في (٢٢٢/٢) برقم(٧٠٧٢ ) وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٤/٩) (٨٩٨٦ )بلفظ (قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم)قال أحمد شاكر(١٣٦/١٠): إسناده صحيح برقم(١٣٩٥٠٠).

٥- فتح الباري ، لابن حجر (١٦/١٣).

(وإنما يتساوون إذا كانوا جهالاً وكأنه يريد غلبة الجهل وكثرته بحيث يفقد العلم بفقـد العلماء ).[1] مصداقـًا لقوله ﷺ : (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إنه إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ) .[2]

فهذه صورة جلية تمع فُقد فيه العلم والعلماء ، وظهر الفسق وأهـله ؛ فتكون النتيجة الحتمية لذلك هي انتفاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما انتفى لعدة عوامل منها :

١- فقد القائمين به من أهل العلم لقوله ﷺ (يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة ) .[3]

و(حثـالة الشعير رذالتـه ومالا خـير فيه منـه ، فكما لا يؤكل ما يبقـى في حثالة الشعير كذلك لايصحب من يبقى في الناس في آخر الزمان).[4]

ويوضح ﷺ المقصود بحثـالة الناس فيقول: (كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي ،يغربل الناس فيه غربلة ،وتبقى حثالة من الناس ،قد مرجت عهودهم وأماناتهم ،فاختلفوا ،وكانوا هكذا !) وشبك بين أصابعه- قالوا :كيف بنا يارسول الله !إذا كان ذلك؟ قال: (تأخذون بما تعرفون،وتدعون ماتنكرون،وتقبلون على خاصتكم،وتذرون أمر عوامكم ) .[5]

---

١- فتح الباري ، لابن حجر (١٦/١٣).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٥٠/١) كتاب: العلم ، باب:هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم برقم(١٠٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه(٢٠٥٨/٤) كتاب: العلم ، باب: رفع العلم وقبضه أوظهور الجهل والفتن في آخر الزمان برقم:(٢٦٧٣).

٣- أخرجه البخاري (٢٣٦٤/٥) في كتاب: الرقاق ، باب: ذهاب الصالحين،برقم (٦٠٧٠ ).

٤- العـزلة للخطابي ص (١٨٢).

٥- أخرجه أبو داود في سننه (١٢٣/٤) كتاب: الملاحم،بـاب:الأمـر والنـهي،رقم (٤٣٤٢)،وابـن ماجـه في سننه(١٣٠٧/٢) كتاب: الفتن،باب:التثبـت في الفتن،رقـم (٣٩٥٧) وقـال الألبـاني في السلسـلة الصـحيحة ص(٢٠٥):صحيح.

أما سبب عـدم المصاحبـة فيذكره ابن حجر فيقول معلقًا على الحديث: ( وفيـه أنـه يجوز انقراض أهل الخير في آخر الزمان حتى لايبقى إلا أهل الشر ، واستدل به علـى جواز خلو الأرض من عالم حتى لايبقى إلا أهل الجهل صرفًا ).[1]

٢- عدم تحقق الهدف الذي شرع من أجله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حال وجود بعض من أهل العلم.

٣- توقع الضرر على المستوى العام أو الخاص بما يتنافى مع قاعدة درء المفسدة مقـدم على جلب المصلحة.

٤- وجود تيـار مضاد وقوي يشكله أهل ذلك الزمان من خـلال غلبة الفسق وأهله واتصافهم بصفات وردت في عدة أحاديث لرسول الله ﷺ.

ومن الأحاديث الدالة على مشروعية الاعتزال عند فساد الناس وفساد زمانهم مما اتصفوا به من صفات رذيلة منكرة في الاسلام ما يـلي :

- أن رسول الله ﷺ قال: ( تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه ).[2]

- وعن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال أية آية قلت: قوله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾قال: أما والله لقد سألت خبيرا، سألت عنها رسول الله ﷺ فقـال: (بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر ،حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا ، وهوى متبعًا ، ودنيًا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه،ورأيت أمرا لايدان لك به ، فعليك خويصة نفسك، ودع أمر العوام ، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن على مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون

---

١- فتح الباري (١١٤/١١).
٢- سبق تخريجه ص (٢٧).

بمثل عمله) .[1]

وهذا البيان منه ﷺ تتضح بعض ملامح العزلة المشروعة في وصف الزمان وأهله وصفًا دقيقًا يعطي التوقيت المناسب للاعتزال ، وإن كان تحديده بزمن معين أمر تختلف فيه الأنظار ويرجع في ذلك لأهل العلم وليس للعوام وبذلك نخلص إلى مشروعية العزلة في آخر الزمان عند فساد الناس .

## ثانيا – المصلحة :

( لقد كان الرسول ﷺ أعظم من أوتي الحكمة وعمل بما تقتضيه فكان يواجه غربته وغربة الإسلام بالعمل والموقف المناسب وينتقل من مرحلة إلى أخرى بحسب المصلحة ... وكان يوجه صحبه ﷺ لما تقتضيه المصلحة من الدعوة إلى السكوت ومن الاعتزال أو المخالطة ، ومن السرية أو العلنية ، وكان يلتزم الصبر والكف في حال ويقوم بالجهاد والقتال في حال ، ويدافع عن الإيمان وأهله في حال ، ويهاجم الأعداء في عقر دورهم في حال ، وهذه هي الحكمة وهذا هو مقتضى الشرع الذي يراعي جلب المصلحة وتحصيلها ودفع المفسدة وتقليلها )[2].

وفي معرض حديث الخطابي عن عزلة الأبدان يعول على المصلحة ويجعلها المحور في الاعتزال أو المخالطة فيقول: ( وأما عزلة الأبدان ومفارقة الجماعة التي هي العوام فإن من حكمها أن تكون تابعة للحاجة وجارية مع المصلحة ؛ وذلك أن عظم الفائدة في اجتماع الناس في المدن وتجاورهم في الأمصار إنما هو أن يتضافروا فيتعاونوا على المصالح ويتوازروا فيها إذا كانت مصالحهم لا تكمل إلا به،ومعايشهم لا تزكو إلا عليه.

---

١- أخرجه أبو داود في سننه(١٢٣/٤)كتاب:الملاحم،باب: الأمروالنهي برقم(٤٣٤٠)،والترمذي في سننه (٢٥٧/٥)كتاب التفسير ،باب: ومن سورة المائدة برقم(٣٠٥٨)،وابن ماجه (٤٠١٤)كتاب: الفتن، باب: قوله تعالى "يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم" واللفظ له، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وللحديث شواهد تقويه، ينظر: مجمع الزوائد (٢٨٢/٧).وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ولبعض فقراته شواهد ينظر:(٢٣٤٤/٣)برقم(٩١٣٢٧).

٢- العزلة والخلطة، سلمان العودة ، ط١، ١٤٢٤هـ ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ص (١٤).

وللإنسان أن يتأمل حال نفسه فينظر ...إن كانت أحواله تقتضيه المقام بين ظهراني العامة لما يلزمه من إصلاح المهنة التي لا غنية له به عنها ولا يجد بدا من الاستعانة بهم فيها، ولاوجه لمفارقتهم في الدار ومباعدتهم في السكن والجوار ؛ فإنه إذا فعل ذلك تضرر بوحدته ، وأضر بمن وراءه من أهله وأسرته.

وإن كانت نفسه بكلها مستقلة ، وحاله في ذاته وذويه متماسكة فالاختيار له في هذا الزمان اعتزال الناس ومفارقة عوامهم ؛ فإن السلامة في مجانبتهم والراحة في التباعد منهم)[1].

ويلاحظ أن الخطابي يركز في عزلة الأبدان على مصلحة الفرد في الأمور الدنيوية ؛ من إصلاح شئونه والقيام على أهله ، مع تأكيده قبل ذلك على فائدة الخلطة بين أفراد المجتمع بالتعاون على المصالح التي تزكو بالتآزر ، مما يؤكد على أهمية المصلحة في هذا الموضوع.

والتأكيد على المخالطة للتعاون في المصالح الدنيوية وتعطيل هذه المصالح بالعزلة فيه إشارة إلى أن الأولى هو مفارقة الناس واعتزالهم لتحصيل المصلحة الدينية والآثار المترتبة على ذلك، ولولا وجود مصالح دنيوية وواجبات دينية لكانت العزلة أولى.

لذا كان للأئمة في قضية العزلة والخلطة آراء كثيرة تدور حول المصلحة المرتبطة بالجانب الديني واتخاذ العزلة وسيلة وقائية لتحقيق سلامة الدين وصيانته والحذر من الوقوع في المعاصي ، ولهم أقوال حول حديث رسول الله: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن)[2]

ومن هذه الأقوال:

- يقول ابن حجر ( والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه وقد اختلف السلف في أصل العزلة: فقال الجمهور: الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وعبادة

---

١- العزلة للخطابي ، ص (٥٨).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(١٥/١)كتاب الإيمان،باب: من الدين الفرار من الفتن برقم(١٩)،و(٢٥٩٧/٦) كتاب: الفتن، باب: التعرب في الفتنة برقم(٦٦٧٧).

وغير ذلك.وقال قوم: العزلة أولى لتحقيق السلامة بشرط معرفه ما يتعين)[1].

والاختـلاف بين العلماء مبناه على تحقيق المصالح الدينية ، سـواء كـان في جانـب العـزلة أم الخلطة، ودرء المفسدة باختيار أكثرهما نفعا للفرد المسلم بحسب حاله فـ( مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا -أي العـزلة والخلطة- وما هو الأصلح له في كـل حال فهذا يحتاج إلى نظر خاص ).[2]

و( المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية فإن أشـكل الأمـر فالعـزلة أولى ).[3]

ولو لم تكن العزلة مرتبطة بالجانب الديني لما اهتم ا العلماء وأفردوا لها أبوابا في كتبهم في محاولة لوضع القيود المناسبة والمنضبطة بضوابط الشرع.

بناء على ذلك فإن على العبد المسلم أن يراعي أمرين:

١- أن يخالط غيره بقدر ما يحقق المصلحة المرجوة من الخلطة ويقتصر على الأهم من الأمور بما يؤكد على انتمائه إلى جماعة المسلمين.

٢- أن يكون على بصيرة بمكانته الاجتماعية وتأثير اعتـزاله على نفسه وغيره على المـدى البعيد والقريب ومن هنا يمكن وضع ضوابط المصلحة كو ا:

أ- عامـة بالأمـة　　　　　　ب- خاصـة بالفـرد

## أ - مصلحة عامة الأمة :

ترتبط حياة الأمة بكبرائها لقول رسول الله ﷺ (البركة مع أكابركم)[4] وأكـابر

---

١- فتح الباري ، لابن حجر (٤٣،٤٢/١٣).

٢- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢٦/١٠).

٣- فتح الباري ، لابن حجر (٤٣/١٣).

٤- أخرجه الحاكم في مستدركه(١٣١/١)وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ،والمنذري في الترغيب والترهيب(٦٤/١) وقال:رواه الطبراني في الأوسط(١٦/٩)والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. وهو من حديث ابن عباس.

القوم هم قادتها سواء على المستوى السياسي أم الديني،أو الشعبي،تتعلق بهم الآمال وتقترن بقراراتهم حياة الشعوب،وعلى عاتقهم تقع مسؤولية الأمة ومصالحها، ومما ينافي مصلحة الأمة اعتزال روادها وقادتها وهم على النحو التالي:

١. **ولي الأمر (القائد السياسي):** وهو رئيس الدولة والقائم على شئونها ، الحاكم في ضوء قواعد شرعية محددة لا يتجاوزها، فالعلاقة بينه وبين المحكومين تدورحول مصلحة الجماعة فهو فرد منهم ولكنه أثقلهم حملاً وأعظمهم مسئولية.

لذا ( ليس من حق القائد أن يعتزل لما يترتب على اعتزاله من الإضرار بمصالح الأمة ضررا بالغا ومخلاً يظهر في طريقة معالجتها وتصريفها ويؤخر في وقت إنجازها ويكون سببا في تعطيل المصالح العامة ، وإعطاء فرصة للمغرضين ليحققوا أهدافهم ،كما أن عزلة القائد السياسي مؤشر يدل على عدم أهليته)[١]وانتفاء شروط الولاية فيه .

٢. **العالم الديني (القائد الديني):** ( وهو الفقيه الذي يحتاجه الناس في بيان الأحكام الشرعية التي تتعلق بشئون حياتهم الخاصة والعامة، ومازال قادرا على التوجيه والبيان فهذا لا مسوغ لطلبه الاعتزال أو رغبته فيه، فإن الناس إذا فقدوه، أو وجدوا في الوصول إليه مشقة وعنتا لجؤوا إلى أنصاف المتعلمين والجهلة من أدعياء العلم والمعرفة ومحبي الظهور فأفتوهم بعلم ناقص يزيد من حيرة السائل ويبعده عن التعاليم الشرعية الصحيحة فتضيع بذلك السنن أو معظمها )[٢] لقولهﷺ : ( إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس،ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إنه إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ).[٣]

٣. **( القوي القادر على التأثير** بطريقة أو بأخرى على غيره من الأفراد والجماعات يسعى بهم وبينهم بالخير والعون لبعضهم بعضا ، ويصلح بين المتخاصمين ، ويفصل بين

---

١- ينظر: العزلة: الفكرة والتطبيق، محمد بن سعد ، ١٤١٧هـ ،بدون بيانات الطباعة والنشر، ص(١٢٢،١٢٣) بتصرف.

٢- المرجع السابق نفسه ص(١٢٥).

٣- سبق تخريجه ص(٢٧).

الظالم والمظلوم ، فهذا عزلته تضر بالضعفة خاصة الذين يلجؤون إليه عند حاجتهم).[1] لذا قال رسول الله ﷺ (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير) .[2]

( وتحرم العزلة ممن يحتاجه الناس في شأن من شئون حياتهم الضرورية كالفقيه، والطبيب، والصانع الماهر من شتى المهن. ففي عزلة هؤلاء وأمثالهم ما يلحق الضرر بكثير من أفراد المجتمع ).[3]

**ب - مصلحة خاصة بالفرد:**

عدم القدرة على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر | ضرر على غيره | ضرر على نفسه

**١. عدم القدرة على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :**

الإسلام دين يسر وسهولة لا يكلف أفراده إلا مايستطيعون قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[البقرة:٢٨٦] لأنه جعل لكل فرد قدرات ومؤهلات تمكنه من القيام بالعمل الذي خلق له.

ومن فقد القدرة على الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معفو عنه لئلا يترتب على إقحامه فيه مفسدة أعظم مما أُريد به من إصلاح، وهذا ما أشار إليه حديث رسول الله ﷺ (ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره ) .[4]

يقول ابن حجر: ( هو محمول على من لا يقدر على الجهاد فيستحب في حقه العزلة

---

١- العزلة الفكرة والتطبيق،محمد بن سعد ص(١٢٥).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه(٢٠٥٢/٤)كتاب:القدر،باب:في الأمر بالقوة وترك العجز والإستعانة بالله وتفويض المقادير لله برقم(٢٦٦٤).

٣- العزلة الفكرة والتطبيق ، محمد بن سعد ص (١٣٨).

٤- سبق تخريجه ص (٢٥).

ليسلم ويسلم غيره منه)[1].

وأكد على هـذا المعنى في حديث:( ورجل في غنيمة ، في رأس شعفة من هذه الشعف ، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلا في خير )[2]. وقال: ( فإن أُخـذ على عمومه دل على فضيلة العزلة لمن لا يتأتى له الجهـاد في سبيل الله إلا أن يكون قُيد بزمان وقوع الفتن والله أعلم ).[3]

وأما الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه ( لو لم يكن في العـزلة إلا السلامة مـن الغيبة ومن رؤية المنكر الذي لا يقدر على إزالته لكان ذلك خيرا كثيرا ).[4]

وهذا يدل على أن عدم القدرة على إزالة المنكر ذو علاقة طردية مع العـزلة ، فكلمـا ضعفت القدرة على إزالة المنكر أو تغييره كان الأولى هو الاعتزال .

وبذلك يكون مراعاة التوازن بين مصلحة الفرد والجماعة في إطار من التشريع الإسلامي هي المحور الرئيس حال العزلة أو الخلطة ، فنجد أن الإمام النووي تابع بين بابي اسـتحباب العـزلة عند فساد الناس وبـاب فضل الاختلاط بالناس ووضـع لكل منهما ضـوابط وإن كانت مختصرة فهي دالـة على المطلوب ووضع عنوانا للباب بقوله:( فضل الاختـلاط بالناس وحضور جمعهم وجماعتهم، ومشاهد الخير ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضـهم وحضور جنائزهم ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم وغير ذلك من مصالحهم، لمن قـدر على الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر وقمع نفسه عـن الإيـذاء وصـبر علـى الأذى ويستشهد بقوله ﷻ ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾.[المائدة:٢])[5]

---

١- فتح الباري لابن حجر (٤٦٢/١١).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح(٤٣/١٣) باب التعرب في الفتنة،ومسلم في صحيحه (١٥٠٣/٣) كتاب: الإمارة ،باب:فضل الجهاد والرباط رقم(١٢٧،١٢٦،١٢٥).

٣- فتح الباري لابن حجر (٤٧/١٣).

٤- المصدر السابق نفسه (٣٣١/١١)

٥- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، أبو زكريا يحيى بن شرف النـووي، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م،دار الفكر–بيروت(١٣٢/١).

(وقد اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضًا وفيما بينهم وبين ربهم ، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين: واجب بينه وبين الله وواجب بينه وبين الخلق.

فأما مابينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة ؛ فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاونا على مرضاة الله وطاعته ،... وأما حاله فيما بينه وبين الله تعالى؛ فهو إيثار طاعته وتجنب معصيته وهو قوله ﷻ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة:١٨٩]).(١)

**٢.** في **حال وقوع الضرر على غيره :**

الأحاديث في مدح العزلة والحث عليهاوما شابهها تحمل على وجهين:

**أحدهما:** أن يكون خاصًا بزمن الفتن.

**والثاني:** ( أن يكون هذا في حق أفراد لا يستطيعون الجهاد، ولا الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر، ولو خالطوا الناس لتضرروا بالمخالطة وأضروا بغيرهم، إذ من الناس من لا يستطيع منع أذاه وشره عن الآخرين إلا باعتزالهم، فإذا خالطهم وجد المثيرات التي تحركه إلى الشر والإضرار بالنفس وبالناس.

وذلك كمن يرى المنكرات - مثلاً- فيهيج وينفعل، ويغير بطريقة غير مشروعة؛ بل فيها اعتداء وتسرع ربما يؤدي إلى مضاعفة المنكر، وربما يكون سببا في إغلاق باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وربما يترتب عليه أذى للمؤمنين).(٢)

ولابد للمرء أن يكون عالمًا بحاله صادقًا في نيته بأن(يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ، ولا يقصد سلامته من شر الخلق ).(٣)

---

١- بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين،سليم الهلالي ، ط٦، ١٤٢٢هـ دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية(٦٥٥/١،٦٥٦) بتصرف.

٢- العزلة والخلطة،سلمان العودة ص (٣٤).

٣- الرسالة القشيرية في علم التصوف ، أبي القاسم عبد الكريم القشيري، ط٣، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، دار الخير- بيروت/ دمشق ص(١٠٢).

**٣. في حال وقوع الضرر على نفسه:**

تكمن فوائد ومضار العزلة في مقدار سلامة المرء وتخلصه من الآثام والشرور والمعاصي؛ من غيبة ونميمة ورياء ودواعيها ومن سكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه ( بملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل ).[1]

ويمكن إيجاز الضرر الواقع على الفرد من المخالطة في ثلاث نقاط هي:

**أ- الوقوع في الآثام والمعاصي:**

يقول الفضيل بن عياض[2]: ( من خالط الناس لم يسلم من أحد اثنين ؛ إما أن يخوض معهم إذا خاضوا في الباطل ، أو يسكت إن رأى منكرا فيأثم ).[3]

و( لو لم يكن في العزلة أكثر من أنك لا تجد أعوانا على الغيبة لكفى... فإنه ما من أحد جالس الناس في هذا الزمان وعاشرهم إلا قلت سلامته من الغيبة).[4]

وقال بعضهم: ( معاشرة الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار، فمن اعتزل الناس وانقطع عن مجالستهم فقد أحسن في هذا الباب الدفاع عن نفسه، واستظهر بالاحتياط في طلب السلامة لها ).[5]

**ب - شدة حساسية الفرد من رؤية المنكرات.**

( فمن الناس من يكون شديد الحساسية ضد المنكرات، فإذا رآها تأثر تأثرا شديدا، وتعكر مزاجه، وتكدرت حياته، فلم يهنأ بعيش ولا بعبادة، وتفاقم لديه الشعور بالغربة ، دون أن يصنع شيئًا لضعفه وعجزه .

---

١- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة – بيروت(٢٤٢/٢).

٢- الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر الإمام القدوة الثبت أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني المجاور بحرم الله ،ارتحل في طلب العلم وسكن مكة،كوفي ثقة صدوق ولم يكن بحافظ، ، نبيلاً فاضلاً عابدا ورعا كثير الحديث.انتقل إلى مكة ونزلها إلى أن مات بها في أول سنة(١٨٧هـ).

ينظر:حلية الأولياء لأبي نعيم (٨٤/٨)،سير أعلام النبلاء للذهبي(٤٢١/٨)،تقريب التهذيب للذهبي(٤٤٨/١).

٣- العزلة للخطابي ص (١٠٢).

٤- المصدر السابق نفسه ص (١٠١).

٥- المصدر السابق نفسه ص (١١٣).

**جـ - الضعف والميل إلى المعاصي والمنكرات حال ملامستها ومقاربتها.**

فمن الناس من يعرف من نفسه الضعف والميل إلى الفواحش ، فإذا جاورها وخالط أهلـها ورآها في غدوته ورواحه أَنِست نفسه، وشعر بالاسترواح إليها، وهو يسـتطيع أن يحمـل نفسه على اعتزال هذه البيئات ؛حفاظًا لما هو أهم مما سيفقده حال الاعتزال).[١]

## ثالثـًا- القصد والاعتدال :

القصد هو الاعتدال في السلوك، والتوازن في الفكر، والتوسط في كل الأمور بين طـرفي الإفـراط والتفريط.[٢]

وخير الأمور الوسط لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فالوسطية من مميزات هذه الأمـة، وفعل نبيها الكريم ﷺ فقد (كان النبي ﷺ يوجز في الصلاة ويكملها )[٣] وفي حديث آخر (وكانت خطبته قصداً وصلاته قصداً )[٤].

وفيما يتعلق بالعزلة فإن :( الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة،والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فإن خير الأمور أوساطها)[٥]

وعلق على هـذا القول أبوحامـد الغزالي[٦] قائـلاً: ( فلذلك يجب الاعتـدال في

---

١- العزلة والخلطة ، سلمان العودة (٣٥،٣٤)بتصرف يسير .

٢- ينظر: هذه أخلاقنا، محمود الخزندار ، ط٧، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار طيبة، الرياض، ص(٣٩١).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٤٩/١)كتاب الأذان، باب: من شكا إمامه إذا طول...الحديث برقم (٦٧٤).

٤- أخرجه النسائي في السنن الكبرى(٥٥٠/١) باب:القراءة في الخطبة برقم(١٧٨٩)،و ابن ماجه في سننه(٣٥١/١)، كتاب الإقامة ، باب: مـا جـاء في الخطبـة يـوم الجمعـة ،بـرقم(١١٠٦) قـال الألبـاني في صـحيح ابـن ماجه(٩١٥):(صحيح)برقم( ٤١٥٧٥).

٥- العـزلة للخطابي(٢٣٨).

٦- هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي فقيه فيلسوف متصوف، برع في علوم كثيرة وله مصنفات منتشرة في فنـون متعددة فكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه ، منها:إحياء علوم الدين،والمستصفى مال آخر عمـره إلى سمـاع الحديث والتحفظ للصحيحين مات سنة(٥٠٥هـ)

ينظر: البداية والنهاية لابن كثير(١٧٣/١٢) ، الأعلام للزركلي(٢٢/٧).

المخـالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال ).[١]

وهذا الاعتدال في العزلة يوضحه الخطابي بقوله:( إنما نريد بالعزلة ترك فضول الصحبة، ونبذ الزيادة منها ،وحط العلاوة التي لا حاجة بك إليها .

فإن من جرى في صحبة الناس والاستكثار من معرفتهم على ما يدعو إليه شغف النفوس وإلف العادات وترك الاقتصاد فيها والاقتصار الذي تدعوه الحاجة إليه ،كـان جـديرا ألا يحمد غبه[٢]وأن يستوخم عاقبته وكان سبيله في ذلك سبيل من يتناول الطعام في غـير أوان جوعه ويأخذ منه فوق قدر حاجته فإن ذلك لايلبثه أن يقع في أمراض مدنفـة [٣]وأسـقام متلفة )[٤]

وخلاصة القول والضابط في المسألة هو(الاقتصاد في مخالطة الناس على ما لابد منه).[٥]

## رابعا - مراعاة الفـروق الفردية :

الناس معادن تتقارب وتتباين في الطبائع والسجايا والأخلاق، وحال العزلة والخلطة قبولاً وردا حسب حال الناس ، فمن الناس من تكون الخلطة خيرا له، ومنهم العكس.

وجاءت النصوص الشرعية ببيان هذا الاختلاف والتباين، وأنـه من سنن الله في الكون لحكم أرادها ﷻ فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى خلق آدم ﵇ من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأسـود والأبيض والسهل والحزن بين ذلك الخبيث والطيب). [٦]

---

١- إحيـاء علوم الدين، الغزالي (٢٤٢/٢).

٢- معنى غبه: غبي الأمر خفي فلم أعرفه وفي حديث الصـوم (فـإن غُـبي علـيكم) أي خفـي.ينظـر:لسـان العرب(١١٤/١٥).

٣- معنى مدنفة: الدنف المرض اللازم المخامر وهو مرض الدنو من الموت. ينظر: لسان العرب(١٠٧/٩)، المغـرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي(٢٩٦/١).

٤- العـزلة للخطابي (٥٨،٥٩).

٥- العزلة والخلطة ، سلمان العودة ص (٤٠).

٦- أخرجه أبو داود في سننه(٢٢٢/٤)كتاب:الديات،باب:في القدر برقم (٤٦٩٣)،والترمذي(٢٠٤/٥) كتاب:=

و(قـد بين النبي ﷺ في هذا القول أن الناس أصناف وطبقات، وأنهم إلى تفـاوت في الطباع والأخلاق فمنهم الخير الفاضل الذي ينتفع بصحبته ،ومنهم الرديء الناقص الـذي يتضرر بقـربه وعشرته كما أن الأرض مختلفة الأجزاء والترب... وإذا كانوا كذلك فالحزم إذًا الإمساك عنهم والتوقف عن مداخلتهم إلى أن تكشف المحنة عـن أسـرارهم وبـواطن أمـرهم فيكون عند ذلك إقـدام على خبرة أو إحجام عن بصيرة )[1].

وينقل ابن حجر كلام أهل العلم في مراعاة الفروق الفردية وتباين الأحوال واخـتلاف الأزمنة فبعد ذكره كلام النووي في التفاضل بين الخلطة والعزلة قال:(وقال غيره: يختلـف باختلاف الأشخاص فمنهم من يتحتم عليه أحـد الأمرين، ومنهم من يترجح وليس الكلام فيه بل إذا تساويـا فيختلف باختلاف الأحوال فـإن تعارضـا اختلـف بـاختلاف الأوقـات:

- فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له القدرة على إزالة المنكر فيجب عليه إما عينـا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان.

- وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- وممن يستوي من يأمن على نفسه ولكنه يتحقق أنـه لا يطاع وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة.

- فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبا من الوقوع في المحذور ). [2]

ويستنتج من أقوال العلماء أن لكل فرد ظروفه التي تخصه ولا يشاركه فيها أحد، مرتبطة بالمصلحة والقدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر فيقـول أبوحامـد الغـزالي: ( وإنما هو إخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها ، ولا يجوز أن يحكم بها على غيره

---

= تفسير القرآن عن رسول الله ،باب:ومن سورة البقرة برقم (٢٩٥٥)وقال حديث حسن صحيح،وأحمد في مسند أبي موسى الأشعري (٤/٤٠٠،٤٠٦) وصححه الألباني في صحيح الجـامع بـرقم(١٧٥٩)،وابـن عـربي في عارضـة الأحوذي(٧٤/٦)رقم(١٤٦٢٦).

١- العـزلة للخطابي ص(١٥٦،١٥٧).

٢- فتـح البـاري،لابن حجر (٤٣/١٣).

المخالف له في الحال) (1).

## الأمر الثاني : التبصر بالواقع وعدم تضخيم أسباب الاعتزال :

المجتمع الإسلامي مجتمع متفرد في شريعته وسياسته وأسسه وسماته ومقوماته وقيمه وأعرافه،مجتمع أحكمت صياغته على شريعة الإسلام الخالدة التي جعلها الله كاملة فقال في محكم التنزيل : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣]ولهذه الشريعة وأحكامها من الثبات والقوة ما يجعلها خالدة إلى يوم القيامة.

وفي ظل هذه الشريعة قام المجتمع المسلم ،ولم تكن هذه الشريعة مجرد استجابة للحاجات البشرية المطلوبة كما هو شأن القوانين الوضعية وإنما هي منهاج لهداية البشرية كلها، فكان المجتمع المثالي المنشود.

إلا أن المجتمع المسلم قد تعرض منذ القرن الأول للهجرة النبوية لفتن وحوادث انقسم بعدها إلى فرق وطوائف بشكل تدريجي فظهرت فرقتا الخوارج والشيعة واستمر الانقسام وظهور الفرق إلى أن تحقق قول رسول الله ﷺ :(افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، و تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) (2)

وكان السبب الرئيس لهذه الانقسامات الجهل بتعاليم الدين الإسلامي والغلو(3)؛ أما الجهل فإن( الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم واستباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة فقالوا نفي لهم بعهدهم وتركوا قتال المشركين واشتغلوا بقتال المسلمين وهذا كله من آثار

---

١- إحياء علوم الدين، الغزالي (٢٤٢/٢).

٢- أخرجه أبو داود في سننه(١٩٧/٤) كتاب السنة،باب:شرح السنة،برقم (٤٥٩٦)،والترمذي في سننه(٢٥/٥)كتاب الإيمان :باب ماجاء في افتراق الأمة برقم(٢٦٤٢)،وابن ماجه في سننه(١٣٢١/٢)كتاب الفتن،باب افتراق الأمم رقم(٣٩٩١)،وأحمد في مسنده(٣٣٢/٢)،والحاكم في مستدركه (١٢٨/١)وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي ،وابن حبان في صحيحه(١٢٥/١٥) ذكر الإخبار عن فرق البدع وأهلها في هذه الأمة رقم(٦٧٣١).

٣- معنى الغلو:أصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء،وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا جاوز حده وفي التنزيل(لا تغلوا في دينكم)وفي الحديث (إياكم و الغلو في الدين) أي التشدد فيه ومجاوزة الحد.ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس(٣٨٧/٤)،لسان العرب لابن منظور(١٣٢/١٥).

عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم ولم يتمسكوا بحبل وثيق من العلم وكفى أن رأسهم رد على رسول الله ﷺ أمره ونسبه الى الجور نسأل الله السلامة).[1]

وأما الغلو فقد قال النبي ﷺ : (إياكم والغلو في الدين)[2]

فغالت الشيعة في ادعاء حب علي وآل البيت، كما غالت الخوارج في عداوته وتكفير كل حاكم، فكان منهجهم ( الغلو الذي ى الله عنه وحذّر منه النبي ﷺ فكفروا من ارتكب كبيرة ، وبعضهم يكفّر بالصغائر).[3]

وهذا ما حمل الخوارج على الضلال والخروج عن جادة الطريق الصحيح ولهذا يقول النبي ﷺ : (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) [4].

وقد اعتزلوا في حروراء[5] واستباحوا دماء المسلمين معتقدين كفرهم فاتخذوا من العزلة سلوكًا يحققون من خلاله أهدافهم دون النظر إلى ضوابط العزلة وزما ا وملابسا ا.

قال ابن القيم لما ذكر شيئاً من مكائد الشيطان: (كما قال بعض السلف: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان؛ إما إلى تفريط وتقصير وإما إلى مجاوزة وغلو ولا يبالي بأيهما ظفر ، وقد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين وادي التقصير ووادي

---

١- فتح الباري لابن حجر(٣٠١/١٢).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه مع الفتح كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة،باب ما يكره من التعمق والتنازع،قال الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٧٣):صحيح، رقم(٣٩٩٨١).

٣- الدرر السنية في الأجوبة النجدية،مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا،جمع:عبد الرحمن بن محمد قاسم،ط٦، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م،دار النشر:بدون.الشيخ عبدالله أبابطين،(٣٦١/١).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٢١/٣)كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٤)، ورقم(٦٥٣٥)رقم (٧١٢٣)،ومسلم في صحيحه(٧٤٤/٢)كتاب: الزكاة، باب :ذكر الخوارج وصفا م، رقم(١٠٦٤).

٥- حروراء هي: قرية بظاهر الكوفة وقيل موضع على ميلين منها نزل ا الخوارج وينسبون إليها لأنه كان أول اجتماعهم ا وتحكيمهم حين خالفوا عليا. ينظر: معجم البلدان ياقوت الحموي(٢٤٥/٢) لسان العرب لابن منظور(١٨٥/٤).

ا اوزة والتعدي، والقليل منهم جدا الثابت على الصراط الذي كان عليه رسـول الله ﷺ وأصحابه.

وعد -رحمه الله- كثيراً من هذا النوع -إلى أن قال- وقصر بقوم حتى قالوا إيمان أفسق الناس وأظلمهم كإيمان جبريل وميكائيل فضلاً عن أبي بكر وعمر وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا من الإسلام بالكبيرة الواحدة)[1].

وا تمعات الإسلامية في العصر الحاضر لم تعد تلك الأمة الواحدة المتماسكة المتعاضدة؛ وذلك بسبب بعدها عن تطبيق أحكام الشريعة وتفريطها في مقومات الأمة القوية من سلامة العقيدة وتأثير آراء واعتقادات بعض الفرق الضالة، ومن ثم أصبحت دولا شتى ، متباعـدة متباينة غلبت على بعضها النـزعات الوطنية وتعددت المذاهب الدينية والأحزاب السياسية؛ بحيث طغى هذا كله على مفهوم العقيدة الصحيحة والأخـوة الإسـلامية الجامعـة،فظهر التطاحن الحزبي والتشاحن الطبقي والصراع الفكري والتناحر السياسي والتبـاغض الـديني وغير ذلك من ألوان الصراع.

وهنا شعر البعض بغربتهم في بلد الإسلام ووقعوا في الغلو واغتروا بأقوال الحاقدين على بلاد الإسلام الرامين إلى زعزعة أمنها( وهذا سبب هام من أسباب وقوع الفتن ، ومن أسـباب الضلال ، وهو الالتفاف حول أنصاف المتعلمين ، وترك العلماء الذين لهم ستون وسـبعون وثمانون سنة في العلم والتعلم عن مشايخهم وفى قراء م للكتب والتعليم وفهمـه للمنـهج الصحيح ، فمن يلتف حولهم ويأخذ بأقوالهم فإنه - بإذن الله – سينجو.

أما الذي يبتعد عنهم ويجتهد ويعتمد على معرفته بأحاديث قليلة ، أو علـى نصـيحة بعض من يجهل كثيرا من العلم فهذا -والعياذ بالله- يضل)[2].

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال :(البركة مع أكابركم) [3]ويشرح المنـاوي الحديث

---

١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله(ابن القيم)،تحقيق: محمـد حامـد الفقي،ط٢،١٣٩٥هـ ـ١٩٧٥م، دار المعرفة- بيروت(١١٦/١،١١٧).

٢- الخوارج والفكر المتجدد،محاضرة للشيخ عبد المحسن بن ناصر العبيكان،اعتنى ا: جابر بن عالي المري،مكتبة ابـن القيم – الكويت ص (٣٨).

٣- سبق تخريجه ص(٣١).

فيقول:أي (ا ربين للأمور المحافظين على تكثير الأجور فجالسوهم لتقتدوا برأيهم و تدوا ديهم)[1].

واستمع إلى قوله تعـالى:﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء:٨٣]

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-في تفسير هذه الآية:( هذا تأديـب مـن الله لعباده ، عن فعلهم هذا ، غير اللائق وأنه ينبغي لهم ، إذا جاءهم أمر من الأمـور المهمـة ، والمصالح العامة ، مما يتعلق بالأمن ، وسرور المؤمنين ، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم ، أن يتثبتوا،ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر،بل يردونه إلى الرسول،وإلى أولي الأمر منهم،أهل الرأي،والعلم،والنصح،والعقل،والرزانة،الذين يعرفون الأمور،ويعرفون المصالح وضدها ).[2]

لذا يجب على المرء ألا يقنط من رحمة الله تعالى ويحسن الظن به سبحانه ثم الثقـة في القائمين على الدعوة وألا يتنطع ويغالي في نظرته للأمور فذلك يدعو إلى تضخيم أسـباب العزلة مثل:

- اعتقاد كفر ا تمع المسلم والحكم على الحكام بالكفر إذا خالفوا في مسـألة متفـق عليها أو الحكم على المحكومين إذا وافقوهم على ذلك كما فعل جماعـة الـتكفير والهجرة مما يترتب عليه مفارقتهم واعتزالهم واستباحة دمائهم.
- تكفير من لم يكفر هذه ا تمعات فأوجبت هذه الطائفة وأشباهها علـى الآخـرين العزلة التي فرضتها على نفسها وذلك ضرب من الغلو الذي قطع أوصالها وشـتت جماعتها،كما حدث مع فرقة الخوارج قديما.
- اعتزال الفسقة والعصاة واعتقاد كفرهم بناء على مسألة مرتكب الكبيرة.
- الهجرة إلى الصحـاري والقفار بزعم إقـامة مجتمع إسلامي بعيدا عن ا تمع الأم،

---

١- فيض القدير شرح الجامع الصغير ،ط١٣٥٦،١هـ،المكتبة التجارية الكبرى – مصر(٢٢٠/٣).

٢- تيسير الكريم الرحمن،عبد الرحمن السعدي (١١٣/٢).

واختيار هذه الأماكن الخالية من السكان ضرب آخر من الغلو الذي لا تقبله الشريعة الإسلامية السمحة ولا العقل المتزن بميزان الشرع.

- اعتقاد أزمنة خاصة للعزلة لم ترد في الشرع المطهر وذلك كما يعتقده المتصوفة في الأربعينية وغيرها .

ومن الخطأ الصريح أن يحاول المرء تغيير الأوضاع السلبية في المجتمع بشكل سريع ومباشر بحجة البحث عن وضع أفضل ؛وقد عاتب الله نبيه على الاستعجال وحذر منه فقال ﷻ:﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾.[الروم:٦٠]

بل الواجب المحافظة على الوضع الراهن والوقوف عنده لئلا تتردى الأوضاع وتسوء وأحوال العالم الإسلامي اليوم خير شاهد على ذلك ، ومن ثم السعي بالطرق الصحيحة والمشروعة الكفيلة بحفظ الأمن للأفراد والجماعات.

وتقع هذه المهمة على طلبة العلم بمضاعفة الجهد، والواجب على علمائنا أكبر، وكذا على الجهات الشرعية في البلاد الإسلامية، والواجب على طلاب العلم والعلماء في بلادنا خاصة أكثر من غيرهم، وذلك لما خصها الله تعالى من خصائص فهي مأرز الإسلام.

وأخيرا فإن ( دعوى الإصلاح دعوى عريضة، وكل الفرق التي خرجت في الإسلام خرجت بدعوى الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وهذا أمر واجب على الأمة، ولكن يكون حسب ما أمر الله ورسوله، وتعمل فيه قواعد الشرع المطهر)[1].

---

١- جذور الغلو، عبد الرحمن بن محمد بن علي الهرفي،مراجعة: صالح بن فوزان الفوزان، تقديم:صالح بن عبد الله الدرويش،ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م،دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية.

## المبحث الثالث: العزلة عند الطوائف الأخرى

يقول الإمام ابن الجوزي-رحمه الله-:( كم فوتت العزلة علما يصلح به الدين ، وكم أوقعت في بلية هلك بها الدين ).[1]

وهذا القول ينطبق على الطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في التلقي والاستدلال ،ومن تنكب المنهج السلفي القويم في قواعده وضوابطه وتطبيقاته.

والآيات الكريمة والأحاديث النبوية والآثار التي تعرضت لموضوع العزلة نصت على ضوابطها التي قام العلماء باستنباطها وتحديدها بدقة ،وفي إطار هذه الضوابط تكون العزلة مشروعة كما سبق ذكره[2]، متفاوتة بين الوجوب والاستحباب والجواز حسب حال الشخص ومكانته الاجتماعية[3]، فإذا اختلفت هذه الضوابط أو انتفى بعضا منها أصبحت العزلة بدعية مخالفة لما كان عليه السلف الصالح.

وهناك الكثير من الطوائف التي تناولت موضوع العزلة بشكل خاطيء وفسرته تفسيرا موافقًا لأصولهم واعتقاداتهم وأهوائهم وأغراضهم الشخصية، ومن هذه الطوائف الخوارج والشيعة والمعتزلة والصوفية وغيرهم.

والعزلة البدعية تكون بالمفاصلة الكاملة أو المفاصلة الشعورية كما تكون بالاعتزال الفكري المفاصل لمنهج أهل السنة والجماعة كليا أو جزئيا ،وهذه العزلة مبنية على شبهات تتعارض مع نصوص الكتاب والسنة وتقدم عليها بفعل عوامل ومؤثرات داخلية وخارجية مما ينتج عنه الابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي والانصراف إلى مسائل فلسفية أو موروثات وثنية.

ولقد كان للمعتزلة من اسمها النصيب الأوفر فكان اعتزالها اعتزالاً فكريا ؛ حيث سلكت هذه الفرقة منهجا عقليا متطرفًا متلبسا بفلسفات وثنية وأهواء شخصية بعيدة كل البعد عن

---

١- صيد الخاطر،للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي،تحقيق وتعليق:محمد عبد الرحمن عوض، طبعة جديدة منقحة،١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م،دارالكتاب العربي-بيروت ص(١٢٨).

٢- الباب الأول،الفصل الأول،المبحث الثاني ص(٢١).

٣- الباب الأول ،الفصل الثاني،المبحث الرابع ص(٧٥).

أي توجيه كريم من القرآن العظيم أو السنة المطهرة؛ فعزلوا أقوال الأئمة وسائر الأمة في عدة مسائل كان أولها وأبرزها مسألة مرتكب الكبيرة[1](فقدموا عقول الفلاسفة[2] وعزلوا منقول اتباع الرسل ).[3] حيث عزلت المعتزلة وأتباعها من العقلانيين النصـوص الشـرعية عـن الصدارة وكو ا المصدر الأول والأساس في الاستدلال على مسائل الاعتقاد ( وجعلوا العقل وحده أصل علمهم ويفردونه ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له).[4]

وكان من نتائج هذا الخلط السقيم في مصادر التلقي وتقديـم العقل على النقل وتحكيمه في أصول الدين وما يتعلق منها بالأمور الغيبية طريقتهم في التعامل مع النصوص الشـرعية وتفسير القرآن الكريم تفسيرا مخالفًا لمنهج السلف من الأئمة الأعـلام؛ فقـدموا عقـولهم وأصولهم واعتقدوا ما وافـق أهواءهم ثم لووا أعنـاق النصوص وحرفوا الكلم عن مواضعه مذبذبين بين الإنكار والتكذيب، والنفي والتأويل، والتشكيك والتجريح.

وتعد فرقة المعتزلة بأفكارها ومؤلفا ا وفلسفة روادها وخروجها عـن المنـهج القـويم وجرأ ا في ذلك ؛بحجة الدفاع عن الإسلام الأساس الذي بنت عليه المدرسة العقلية الحديثة أركا ا في مشا ة غريبة بينهما فيما يتعلق بالحجج والاعتراضات والأصول والقواعد تصـل إلى درجة المطابقة وسنتناول ذلك بالتفصيل في الباب الثالث بإذن الله تعالى.

أما عزلة الخوارج فهي عزلة كلية جماعية داخل مجتمع الخوارج ومـن شـا هم مـن الجماعات الحديثة ، وقد اعتمد بعضهم العزلة الشعورية نظرا لظروف أمنية وللمحافظة على

---

١- ينظر: مجموع الفتاوى،لابن تيمية ( ٥٢٠/٧،٥١٠)، المعتزلة وأصولهم الخمسة، عواد بن عبـدالله المعتـق،ط٢، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، مكتبة الرشد-الرياض.ص (٥٠).

٢- الفلاسفة هم القائلون بقدم العالم بناء على فكرة أن فاعل العالم علة تامة أزلية والعلة تستلزم معلولهـا،وأول مـن أظهر القول بقدم العالم أرسطو،ولهم أقوال فاسدة في العقل،وقالوا أن الرسل لم تبين العلم والحقائق التي يقـوم عليهـا البرهان في الأمور العملية،وللفلاسفة الإسلاميين أقوال في مسألة أفعال الله.ينظر: درء تعارض العقـل والنقـل لابـن تيمية(١٤٧/١،٣٢١)منهاج السنة لابن تيمية(٣٢٢/٢)(١٦٧/١) والرد على المنطقيين لابن تيمية ص(٢٨٩).

والفلسفة اليونانية:محبة الحكمة ، والفيلسوف هو فيلا وسوفا ؛ وفيلا هو المحب،وسوف:الحكمة؛ أي هو محب الحكمة. ينظر:الملل والنحل للشهرستاني (٥٨/٢).

٣- تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت(٣٢٩/١).

٤- مجموع الفتاوى،لابن تيمية (٣٣٨/٣).

حياتهم ، أو إلى حين إعداد أنفسهم إعدادا قويا لمواجهة القوى الكبريات التي تواجههم وتحاول القضاء عليها على مر العصور ،والخوارج ( هم الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب ﷺ بعد قبوله التحكيم)[1] ولاذوا إلى حروراء ونظموا صفوفهم فيها معتزلين حكام المسلمين وجماعتهم المعتبرة عزلة حسية بدنية تامة مع اعتقاد كفرهم والتبري منهم واستباحة دمائهم (ويرون أن الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقًا واجبا).[2]

وللمتصوفة أحوال خاصة في العزلة ؛فقد طبقت الاعتزال بأساليب ملتوية عرفت بالمجاهدات والرياضات وفي صورة خلوات وبشكل فردي مرهون بغرائب الشروط مدعين أن هذه الأفعال تؤمن الاتصال بالله إتصالاً مباشرا، بل ومشاهدته وتلقي العلم عنه مباشرة دون واسطة،كما أنها تؤدي إلى تفجر ينابيع الحكمة وصلاحية الفرد أن يكون ممرا لواردات علوم الغيب.[3]

وهذه العزلة حسية بدنية تمارس في الأماكن المهجورة مثل الكهوف والغيران والمقابر وفي أزمنة محددة يمارسون فيها ألوانا من البدع والخرافات؛ معتقدين وجود كرامات لصاحب القبر طلبا لقضاء حوائجهم وجلب النفع ودفع الضر من دون الله.

ويعتقد الصوفية مشروعية الخلوة وأنها تمارس امتثالاً لأمر الله واقتداء بالرسول ﷺ محتجين بالعديد من الآيات والأحاديث بعد تأويلها تأويلاً محرفًا يتناسب مع غوايتهم وبدعهم،كما يعتقدون بأهمية الخلوة الأربعينية ويزعمون أنها سنة الأنبياء وحدوث الخطاب والتنزل بعدها.

وللخلوة عند الصوفية شروط كثيرة تحمل في مضمونها الكثير من الانحرافات العقدية.

---

١- الملل والنحل،،أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني،تحقيق:محمد عبد القادر الفاضلي،ط١،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م،المكتبة العصرية-بيروت.(٩١/١).

٢- المصدر السابق نفسه ص(٩٢).

٣- ينظر: التصوف والأنوار الرحمانية للكسنزاني في الطريقة القادرية الكسنزانية،عبد الكريم الكسنزاني ،مكتبة مدبولي،القاهرة (١٥٨،١٥٤)، ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة،عبد الله بن محمد القرني،ط٢، ١٤٢٠هـ،دار عالم الفوائد- مكة المكرمة(١١٠،١٠٧)،والغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة،عبد الرحمن بن معلا اللويحق،ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م،مؤسسة الرسالة-لبنان(٤٩٨،٤٩٤).

وخلاصة القول:فهؤلاء ( قوم قد تزهدوا بغير علم فأداهم الجهل إلى أن أبدعوا من تلقاء أنفسهم بدعا، وحسبوا أن الزهد في الدنيا تجنب الأشياء فعلاً والعزلة من أهل الدنيا فضيعوا الحقوق وقطعوا الأرحام وجفوا الخلق واكفهروا في وجوه الأغنياء وفي قلو م مـن شـهوة الغنى أمثال الجبال الشامخات، ولم يعلموا أن أصل الزهد موت الشهوات من القلـب فلمـا اعتزلوها بالجوارح اكتفوا به وحسبوا أ م استكملوا الزهد؛ حتى تأدى م الجهـل إلى أن طعنوا في الأئمة الذين عرفوا بسعة المعاش وكثرة المال حتى عابوا الأنبيـاء وطعنـوا علـى سليمان عليه السلام )[1].

---

١- نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ محمد الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ،١٩٩٢م،دار الجيل – بيروت (٢٤٦/٢).

## خلاصة الفصل الأول:

- أن للفظ العزلة في اللغة العربية عدة معاني تجتمع في المفاصلة والمفارقة والتنحي جانبا.
- أن الخلطة ضد العزلة وتعني العشرة والشركة والمداخلة.
- أن العزلة تستلزم الفقه بأمرين وهما: العلم بالضوابط الشرعية،والتبصر بالواقع.
- أن أهم ضوابط العزلة معرفة حالات مشروعية العزلة،ومراعاة مصلحة الفرد والجماعة والفروق الفردية والقصد والاعتدال.
- أن المخالطة تكون بقدر المصلحة المراد تحقيقها مع الاقتصار على مايؤكد انتماء الفرد لجماعة المسلمين.
- أن يكون الفرد على بصيرة بمكانته الاجتماعية وتأثير اعتزاله على نفسه والآخرين.
- أن العزلة تجب في حق من فقد القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.
- أن الجهل والغلو سببان رئيسان لظهور الفرق المخالفة.
- أن اختلال ضوابط العزلة أو انتفاء بعضا منها يجعل العزلة بدعية مخالفة لمنهج السلف الصالح.

# الفصل الثاني

# أنواع العزلة.

ويتضمن أربعة مباحث :

المبحث الأول – العزلة الفردية والجماعية .

المبحث الثاني – العزلة التامة والجزئية .

المبحث الثالث – العزلة الاختيارية والإجبارية .

المبحث الرابع – العزلة الواجبة والمستحبة

والمباحة والمكروهة والمحرمة .

# المبحث الأول: العزلة الفردية والجماعية.

## العزلة الفردية:

جاء في موسوعة علم النفس والتحليل النفسي أن (العزل أو الانعزال عن الآخرين من نفس النوع،إما جغرافيا ،وإما بسبب عدم الرغبة في التزاوج مع الآخرين ، وإما بسبب الإحساس بالنقص ،أو بالاستعلاء ، أوبالمغايرة).(١)

وفي الكتاب والسنة نماذج عديدة للاعتزال الفردي الذي كان نتيجةً للمغايرة بين موقف ومعتقد المعتزِل والمعتزلين ،وثبات كل من الطرفين على موقفه حقًا كان أو باطلاً بناءً على قناعاته وظروفه وشعوره بالقدرة على الاستمرار والتأثير إيجابيا ، أوالاعتزال كليا أوجزئيا سواء بشخصه أم فكره أوصمته من عدم كلامه أورد السلام عليه ونحو ذلك مما حفل به الكتاب العزيز و السيرة النبوة.

ومن هذه النماذج :

**١. النبي الأمة الخليل إبراهيم عليه السلام:**

اعتصم خليل الله إبراهيم عليه السلام بالعزلة واستظهر بها على قومه عند جفائهم إياه وخلافهم له في عبادة الأصنام ومعاندة الحق؛ فأخبر الله عز وجل عن الموقف الذي اتخذه إبراهيم فقال سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾. [مريم:٤٨] فجاء الاعتزال بمفهوم المفارقة بعد جهد وصبر في الدعوة إلى توحيد الله مؤكدا لأبيه وقومه عزمه على مفارقتهم، وترك معاشرتهم، ونبذ دعوتهم، من دون الله والهجران لهم والانفراد عنهم فليس شيء مثل الإيمان بالله وحده ، وليس شيء مثل الإشراك به باطل.

فكان فعله عليه السلام حلاً يتطلبه الموقف وليس رغبة أو سلوكًا فرديا منه دون تداعيات وظروف لامست عقيدته ودعوته إلى الله ، (ولم تكن عزلته لأبيه وقومه بمعنى الانزواء أو الانطواء على نفسه أو الهرب من مواجهة الموقف معهم ،بل هي احتجاج ورفض لما هم عليه من معتقد فاسد يخالف نص وروح رسالته التي بعث بها من ربه ،ويعارضها فلم

---

١-د.عبدالمنعم الحفني ، ط٤، ١٩٩٤م ، مطبعة أطلس ، مكتبة مدبولي _مصر ص(٤١٠).

يكن عنده من خيار حينئذ سوى مفارقتهم وإعلان مخالفتهم )[1].

فأثابه الله على ذلك بالموهبة الجزيلة وعوضه النصرة بالذرية الطيبة، استـجابة لدعائه في قوله ﷻ ﴿ عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (فأراد ذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلا وولدا يتقوى م حتى لايستوحش بالاعتزال عن قومـه ولهـذا قـال ﷻ ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ [مريم:٤٩] أي آنسنا وحشته بولد)[2] ،فدل ذلك على تفرده في هذه العزلة وكان أمة وحده قـال ﷻ :﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النحل:١٢٠]

## ٢.النبي الكريم يونس عليه السلام :

قال ﷻ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ .يقول ابن كثير:( وذلك أن يونس بن متى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوى وهي قرية من أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى فـأبوا عليه وتمادوا على كفرهم؛ فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ووعـدهم بالعـذاب بعـد ثلاث)[3].

فكان خروجه بناءً على : - عدم استجابة قومه لدعوته .

- أنه لم يكن مأمورا بالبقاء معهم .

فدل ذلك على عزلته إياهم لمخالفتهم له في المعتقد والمنهج وإن كان فردا واحدا.[4]

## ٣.البتول مريم ابنة عمران عليها السلام:

وكان من أمر مريم وعزلتها ما قصه القرآن الكريم في سورة سميت باسمها وعرضت فيها أنواع من العزلة التي ار نت بظروف وملابسات استدعتها ذُكرت في المواضع التالية:

أ- قال ﷻ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ

---

١- العزلة - الفكرة والتطبيق ، محمد بن سعد،ص (٥٢).

٢- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،دار الشعب – القاهرة(١١٣/١١).

٣- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٩٢/٣).

٤- ينظر : العزلة(الفكرة والتطبيق)محمد بن سعد ص(٢٧).

﴿ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾.[مريم:١٦،١٧]

قال القرطبي( الانتباذ الاعتزال والانفراد)(1).

والمراد أ ا تباعدت عن الناس واتخذت حجابا وهو الستر والمانع؛ وإنما كان ذلك الحجاب لتعتزل وتنفرد بعبادة ر ا وتقنت له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى ،ذلك أن مريم-عليها السلام-كانت وقفًا على سدانة المعبد وخدمته والعبادة فيه لنذر نذرته أمها حين دعت ر ا أن يهب لها ولدا وتجعله محررا أي عتيقًا خالصا لله تعالى مفرغًا لعبادته وكان ذلك جائزا في شريعتهم، فتنحت عن الناس ودخلت إلى الجانب الشرقي للمحراب لتخلو للعبادة.(2)

وقال ﷻ: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾.[مريم:٢٢] أي تنحت واعتزلت بالذي حملته وهو عيسى ﷺ إلى مكان بعيد ،وإنما بعدت فرارا من تعيير قومها إياها الولادة بلا زوج فخافت من الفضيحة وتنحت وتباعدت عن الناس مكانا نائيا قصيا عن الناس.(3)

وقال ﷻ ﴿ فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾. [مريم:٢٦]

قال ابن عباس وأنس بن مالك وفي قراءة أبي بن كعب: إني نذرت للرحمن صوما صمتا أي سكوتا عن الكلام ويقال للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام فالتزمت مريم-عليها السلام-ما أُمرت به من ترك الكلام استجابةً لأمر ر ا لتستريح من قولهم وكلامهم وقال بعضهم: أمرها بالكف عن الكلام؛ لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة ، ذلك أ ا جاءت وهي أيم بولد فنذرت ألا تكلمهم في أمره فإنه سيعبر عنها فيكون لهم آية وعبرة.(4)

وعلى ذلك تكون عزلة مريم-عليها السلام-قد اتخذت أشكالاً مختلفة حسب أحوال

---

١- الجامع لأحكام القرآن (٩٠/١١).

٢- ينظر: الجامع لأحكام القرآن ،للقرطبي(٩٠/١١)،(٦٦/٤)،تيسير الكريم الرحمن،عبد الرحمن السعدي(٤٩١).

٣- ينظر: جامع البيان ،لابن جرير الطبري (٦٣/١٦)، الجامع لأحكام القرآن ،للقرطبي(٩٢/١١)،تيسير الكريم الرحمن ،عبد الرحمن السعدي(٤٩٢).

٤- ينظر: جامع البيان ،لابن جرير الطبري(٧٤/١٦ )، الجامع لأحكام القرآن ،للقرطبي(٢٧٢/٢)(١٠١،٩٧/١)، تيسير الكريم الرحمن ،عبد الرحمن السعدي(٤٩٢).

وظروف معينة اقتضتها الحاجة والمصلحة فكانت على النحو التالي :

١. تفرغًا للعبادة وخدمةً للمعبد لقولهﷻ: ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا ﴾.

٢. خوفًا من تعيير قومها لها لقوله ﷻ﴿ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾.

٣. استجابة لأمر ربها وإظهارا لمعجزة عيسى عليه السلام لقوله ﷻ:﴿ فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمًا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيًّا ﴾

**٤.النبي الكريم زكريا عليه السلام:**

ومن اعتصم بالصمت استجابة لأمر الله تعالى وعلامة وآية على رزقه الولد زكريا عليه السلام وذلك في قوله ﷻ :﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيًّا ﴾. [مريم:١٠]

فخرج على قومه من المحراب الذي بشر فيه بالولد فأوحى إليهم أي أشار إشارة خفيفة سريعة أن سبحوا بكرة وعشيا أي موافقة له فيما أُمر به في هذه الأيام الثلاثة[١]، فدل ذلك على أن الصمت من أوجه العزلة.

وقد جاء عن بعض السلف اعتصامهم بالصمت في مواقف أبرزت سلامة عقائدهم وتنزههم عن الخوض فيما يقدح في العقيدة، ومن هؤلاء أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها في حادثة الإفك وشهدت لذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت:(وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري ما علمتِ ما رأيتِ فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا قالت –عائشة-: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع) .[٢]

---

١- ينظر: جامع البيان،لابن جرير الطبري(٥٣/١٦)، الجامع لأحكام القرآن القرطبي(٨٥،٨٤،١١ ).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٩٤٥/٢)كتاب:الشهادات ،باب: تعديل النساء بعضهن بعضا، رقم(٢٥١٨)،ومسلم في صحيحه (٢١٣٦/٤)كتاب: التوبة، باب: في حديث الإفك واللفظ له.

وكانت-رضي الله عنها- تقول:( أما زينب بنت جحش -رضي الله عنها- فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرا ).[1]

وقيل لعلي بن بكار[2]:(ماأصبرك على الوحدة ؟ وقد كان لزم البيت ، فقال:كنت وأنا شاب أصبر على أشد من هذا ؛كنت أجالس الناس ولا أكلمهم).[3]

وكما تكون العزلة في حق المحافظين على دينهم ، المجاهدين في سبيله ، الفارين به،تكون ايضا فيمن عموا عن الطريق المستقيم مثل :

**٥. ابن نوح :**

حيث دعا نوح عليه السلام قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا حتى جاء أمر الله بهلاكهم ، وركب نوح السفينة ومن آمن معه بأمر الله و﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾. [هود:٤٢] ليركب معه خوفًا عليه من الغرق وأن يصيبه ماأصابهم ﴿ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾ [هود:٤٢] مبتعدا فادعى العصمة بالجبل والامتناع به من الماء[4]﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود:٤٣].

(فعزلة ابن نوح جاءت بمعنى لزوم المكان والثبات فيه ،والانقطاع عن مجتمع أبيه ومن آمن معه الذي تمثل في حينه بمن كان في السفينة وما حملت).[5]

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(١٧٨١/٤)كتاب:التفسير،باب:قوله تعالى:(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة)برقم(٤٤٧٩)

٢- هو علي بن بكارالبصري الزاهد ،أبو الحسن المصيصي صاحب إبراهيم بن أدهم ، وكان فارسا مرابطًا مجاهدا كثير الغزوكان عالمًا عاملاً ذا كرامات مشهورة .(ت/٢٠٧) هـ .
ينظر:حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٣١٧/٩)،سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٨٤/٩،٥٨٥).

٣- العزلة للخطابي ص (٨٦) .

٤- ينظر: جامع البيان ،لابن جرير الطبري(٤٥/١٢).

٥- العزلة،(الفكرة والتطبيق)،محمد بن سعد ص (٥٤،٥٥).

**العزلة الجماعية:**

وهذه العزلة (تظهر فيها مشاعر قومية بالتوحد الجماعي بين أعضائها وتعلق أهمية عاطفية واجتماعية كبرى على قيمها وعادا ا ونظمها).[1]

وهذا يدل على أ م فئة كثيرة اجتمعت على رأي ،أو فكرة تخالف ما يناقضـها فقـد تكون العزلة من فرد لفرد ،وقد تكون من جماعة لفرد ، وقد تكون من جماعة لجماعة ؛وقد صرح القرآن الكريم بعزلة :

**١.أصـحاب الكهـف** فقـال ﷻ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف:١٦](وكانوا قوما كرهوا المقام بين ظهراني أهل الباطل ؛ففروا من فتنة الكفر وعبـادة الأوثان ،فصرف الله تعالى عنهم شرهم ،ودفع عنهم بأسهم،ورفع في الصالحين ذكرهم).[2]

**٢.موسى ﵇ وبنو إسرائيل:**

وأمام استبداد فرعون على الأبدان والأقوال؛ فقد تقرر عنده وعند قومه أن قولـه هـو المطاع وأمره نافذ فيهم، ولا خروج لأحد عن قوله وحكمه ،و ذه الحالة تـنحط الأمـم وتضعف عقولها ونفوذها ،وتعجز عن المدافعة عن حقوقهـا ولهـذا قـال تعـالى عنـه: ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ .[الزخرف:٥٤]

و ذا التسلط والاستبداد زعم أن موسى﵇ وأتباعه مفسـدون في الأرض فتوعـدهم بالعقوبة و﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴾.[الأعراف:١٢٧] فـلا خروج لهم عن حكمنا ولا قدرة وهذا ابة الجبروت من فرعون والعتو والقسوة، فأعلنـها موسى ﵇ صريحة في قوله ﷻ﴿ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ﴾.[الدخان:٢١](أي: لكم ثـلاث مراتب أولها الإيمان بي وهو مقصودي منكم فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة فاعتزلوني لاعلي ولا لي فاكفوني شركم )،[3] (فاستعاذ موسى ﵇ بالله من أن يرجمه فرعون وقومه والرجم

---

١- قاموس علم الاجتماع.محمد عاطف غيث،بدون طبعة، ١٩٨٨م، دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية،ص(٢٥٧)

٢- العزلة للخطابي ص(٦٢).

٣- تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي (٧٧٣).

قد يكون قولاً باللسان وفعلاً باليد).[1]

وعندما اشتكى أتباع موسى إليه حالهم كانت وصيته لهم في هذه الحال أن﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[الأعراف:١٢٨]حتى جاء أمر الله لموسى أن يسري ببني إسرائيل ليلاً خروجا من هذا الظلم والاستبداد والتعذيب، وهكذا الداعية إلى الخير إذا اصطدم بتعنت الغاوين وجبروت الظالين وخشي على نفسه وأتباعه الفتنة أن يفارقهم إلى مكان يأمن فيه كما فعل الحبيب المصطفى ﷺ .

## ٣.النبي الخاتم محمد ﷺ وصحابته:

عندما اشتد أذى قريش بالمؤمنين بمكة مع بداية البعثة النبوية أمر النبي ﷺ صحابته بالهجرة إلى الحبشة قائلا:(إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده)[2] فاستجابوا لأمره وهاجروا فرارا بدينهم ، ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد كثروا وعزوا بعد إسلام حمزة وعمر رضي الله عنه وأن مهاجري الحبشة قد أصابوا ا أمنا وقرارا أجمعوا أن يقتلوا النبي ﷺ. فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فأمرهم فأدخلوا رسول الله شعبهم ومنعوه ممن أرادوا قتله[3].

فكانت عزلة جماعية لمحمد ﷺ وأصحابه للمنعة والحماية فاستغلها مشركو قريش لعزلتهم اقتصاديا واجتماعيا، وممارسة هذا الضغط على بني هاشم وبني المطلب للتأثير عليهم سلبا وإجبارهم على تسليم الرسول ﷺ لهم ولكن الله﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ﴾ التوبة:٣٣]

---

١- جامع البيان،لابن جرير الطبري (١٢٠/٢٥).

٢- سنن البيهقي الكبرى (٩/٩)كتاب: السير،باب: الإذن بالهجرةبرقم(١٧٥١٢)قال الألباني في السلسلة الصحيحة(٣١٩٠):إسناده جيد رقم(٦٥٦٩٣).

٣- ينظر: السيرة النبوية،عبد الملك بن هشام أيوب الحميري المعافري،تحقيق:طه عبد الرؤف سعد،ط١، ١٤١١هـ ، دارالجيل- بيروت.(١٩٥/٢).

وهو وليه وكافيه وناصره قال ﷻ : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾.[غافر:٥١]

ومن أبرز صور العزلة التي فرضها الرسول ﷺ على بعض أصحابه وأمر المسلمين بها تجاههم ماذكره الله ﷻ في سورة التوبة من قصة المُخلفين[١]فقال ﷻ: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.[التوبة:١١٨]

والثلاثة كعب بن مالك[٢] وصاحباه وذُكرت هذه القصة في الصحاح والسنن والسير[٣] فيمن تخلف عن غزوة تبوك ، ولما تاب كعب بن مالك وصاحباه أمر رسول الله ﷺ المسلمين بهجرهم حتى ثمانين ليلة ،وإنما فعل ذلك ﷺ استصلاحا وتأديبا لهم وزجرا لغيرهم.

## ٤.الصحابي الجليل كعب بن مالك وصاحباه :

ويقص الصحابي الجليل قصته في حديث طويل منه: (قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ، أيها الثلاثة ، من بين من تخلف عنه .

قال: فاجتنبنا الناس . وقال: وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض .فما هي بالأرض التي

---

١- والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع تخلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم وعذرهم وأنزل في حقهم هذه الآيات. ينظر: عمدة القاري(٤٧/١٨).

٢- كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين بن سلمة الأنصاري الخزرجي العقبي الأحدي ،شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه وأحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليهم ،شهد العقبة وله عدة أحاديث تبلغ الثلاثين اتفقا على ثلاثة منها وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديثين ،روى له الأربعة واختلف على سنة وفاته.
تهذيب الكمال للمزي(١٩٦/٢٤) سير أعلام النبلاء للذهبي(٥٢٣/٢).

٣- زاد المعاد في هدي خير العباد،محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي(ابن قيم الجوزية)،تحقيق:عبد القادر عرفان العشا،١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م،دار الفكر-بيروت. (٤٩٣/٣).

أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة . فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان . وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم . فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد . وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه ، وهو في مجلسه بعد الصلاة . فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام ،أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر . فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي . وإذا التفت نحوه أعرض عني . حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، [1] وهو ابن عمي ،وأحب الناس إلي . فسلمت عليه . فوالله ما رد علي السلام . فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله ، هل تعلمن أني أحب الله ورسوله ؟ قال: فسكت ، فعدت فناشدته، فسكت فعدت فناشدته . فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناي ، وتوليت ، حتى تسورت الجدار .

فبينا أنا أمشي في سوق المدينة ، إذا نبطي من نبط أهل الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة . يقول : من يدل على كعب بن مالك . قال : فطفق الناس يشيرون له إلي . حتى جاءني فدفع إلي كتابا من ملك غسان . وكنت كاتبا فقرأته فإذا فيه : أما بعد . فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك . ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك . قال: فقلت، حين قرأتها :وهذه أيضا من البلاء . فتيامت بها التنور فسجرتها بها . حتى إذا مضت أربعون من الخمسين ، واستلبث الوحي ، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني . فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك . قال: فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال:لا . بل اعتزلها . فلا تقربنها . قال : فأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك . قال : فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر . قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية[2] رسول الله ﷺ فقالت له : يا رسول الله ، إن

---

١- هو الحارث بن ربعي أبو قتادة الأنصاري السلمي ويقال نعمان قال النبي ﷺ : خير فرساننا أبـو قتـادة تـوفي بالكوفة سنة(٥٤هـ).

ينظر: التاريخ الكبير للبخاري(٢٥٨/٢)، ذيب التهذيب لابن حجر(٢٢٤/١٢).

٢- هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف الأنصاري الواقفي شهد بـدرا ومـا بعدها وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم وهو الذي قذف امرأته بشريك ابن السحماء.

ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر(١٥٤٢/٤) الإصابة لابن حجر(٥٤٦/٦).

هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم . فهل تكره أن أخدمه . قال: ولكن لا يقربنك، فقالت : إنه ،والله، ما به حركة إلى شيء . ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا .

قال : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك ؟ فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه . قال : فقلت : لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ . وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبث بذلك عشر ليال فكمل خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج قال فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلي فرسا وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني فنزعت له ثوبيّ فكسوتهما إياه ببشارته .والله، ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما . فانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم . يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة يقولون لتهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد ،فإذا رسول الله جالس في المسجد ،وحوله الناس . فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني . والله ،ماقام رجل من المهاجرين غيره. قال :فكان كعب لا ينساها لطلحة )[1] .

---

١-أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٢٠/٤) كتاب:التوبة،باب:حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه برقم (٢٧٦٩).

## المبحث الثاني: العزلة التامة والجزئية.

**العزلة التامة (الكلية):** ورد ذكر الاعتزال في القرآن الكريم في مواضع عدة فـأخبر ﷻ عن ابراهيم عليه السلام فقال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.[مريم:٤٩]

وقال ﷻ في قصة موسـى:﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ٢٠ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴾.[الدخان:٢١،٢٠]

كما أورد قصة أصحاب الكهف فقال:﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾. [الكهف:١٦]

(وقد اعتزل رسول الله ﷺ قومه قريشا لما جفوه وآذوه ، فدخل الشعب، وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة ، ثم تحول الى المدينة مهاجرا حتى تلاحق بـه أصـحابه وتوافوا ا معه ، فأعلى الله تعالى كلمته،وتولى إعزازه ونصرته ﷺ ).[١]

واستدل المائلون إلى العزلة ذه الآيات والأحداث من سيرة المصطفى ﷺ على العزلـة التامة عن الناس ورد الغزالي على هؤلاء بأن ذلك إنما يكون في حق الكفار(فإنه ﷺ لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار، وأهل الكهف لم يعتزل بعضـهم بعضـاً وهـم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار وإنما النظر في العزلة من المسلمين).[٢]

وهذا هو مايخصنا في هذا المقام فالعزلة التامة في مجتمع أهل الإسـلام تكـون مقيـدة بأشخاص وظروف وأحوال وأزمنة نصت عليها أحاديث رسول الله ﷺ ،وقد سبق ذكرهـا وهذه العزلة تكون (في مكان بعيد عن الناس،بحيث يشتغل المعتزل بغنم يتبع ـا شـعف الجبال،ومواقع القطر،أو إبل يرعاها ، أو أرض يزرعها ويصلحها ، أو غير ذلك مما يحقق له العزلة الكلية التامة عن الناس).[٣]

وذلك في حال الفتن وفساد الزمن ، أو عدم القدرة على جهاد الدعوة لجهله أوضعـفه

---

١- العزلة للخطابي ص(٦٣،٦٢).

٢- إحياء علوم الدين،للغزالي (٢٢٥/٢).

٣- العزلة والخلطة،سلمان العودة ص (٨٦).

أوعدم قدرته على التأثير تأثيراً ايجابياً في محيطه ومجتمعه.

وإنما شرعت هذه العزلة لما تحققه من المصلحة للمعتزل نفسه وللحاجـة الملحـة الـتي يفرضها المجتمع الذي يكون فيه المعتزل.

**هدف المعتزل من هذه العزلة:**

العزلة الكلية أبلغ وأوقع في نفوس الناس لا سيما إذا كان من القادرين علـى التـأثير، فيهدف المعتزل بها أن تكون عزلته بمثابة الدعوة لهم إلى الكف عن القتـال أو الاخـتلاف وطلب السلامة.[1]

وممن اعتزل اعتزالاً كليا من الصحابة ﵃ سعد بن أبي وقاص ؛ يقول الخطـابي (كـان سعد ﵁ ممن اعتزل أيام الفتنة، فلم يكن مع واحد من الفريقين ، فأرادوه على الخروج فأبى وضرب لذلك مثلاً)[2]

قال عامر بن سعد : ( كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر فلما رآه سـعد قال:أعوذ بالله من شر هذا الراكب . فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم. فضرب سعد في صدره فقال: أسكت سمعت رسول الله ﷺ يقـول: (إن الله يحب العبد التقي[3] الغني[4] الخفي[5])[6]

و( اعتزل سعد الفتنة ، فلا حضر الجمل ولا صفـين ولا التحكيم ، ولقد كان أهـلاً للإمامة ،كبير الشأن ﵁).[7]

---

١- ينظر: العزلة والخلطة،سلمان العودة ص (٨٧).

٢- العزلة للخطابي ص (٧٢).

٣- التقي: الممتثل للأوامر المجتنب للنواهي.ينظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين(٦٥١/١).

٤- الغني: غني النفس.ينظر: شرح النووي على مسلم (١٠٠/١٨).

٥- الخفي: الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه،أي الذي لايبغي الشهرة ولا يتعرض للناس من أجلها. ينظر: شرح النووي على مسلم (١٠٠/١٨).

٦- أخرجه مسلم في صحيحه(٢٢٧٧/٤)كتاب: الزهد والرقائق، برقم (٢٩٦٥).

٧- سير أعلام النبلاء ، للذهبي (١٢٢/١).

ومن هؤلاء أيضا محمد بن مسلمة[1] جاء في الأثر عن بعض الصحابة قولهم:(دخلنا على حذيفة فقال: إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتن شيئاً ، قال: فخرجنا فإذا فسطاط مضروب ، فدخلنا فإذا فيه محمد بن مسلمة الأنصاري ، فسألناه عن ذلك ، فقال:ما أريد أن يشتمل على شيء من أمصارهم حتى تنجلي عما انجلت).[2]

وهنالك نوع آخر من العزلة تقتضيها المصلحة والحاجة سواء على مستوى الفرد أم الجماعة وهي **العزلة الجزئية** وتنقسم إلى قسمين وهما:

١- العزلة البدنية(قلبا وقالبا).

٢- العزلة القلبية.

**أما العزلة البدنية** فتكون على صورتين:

**أ- حال الفتن والحروب**:

(بأن يعتزل الفتنة وأهلها ، ولا يدخل فيها أو يشترك في قتالها، أو يشتمل على شيء منها ، وان كان مقيماً بين ظهراني الناس)[3]

وممن تجنب الخوض في الفتنة واعتزل اعتزالاً جزئيا من الصحابة أسامة بن زيد وعبدالله بن عمر وأبي مسعود الأنصاري وأبي موسى الأشعري(وكان ابن عمر من أشد الصحابة حذراًمن الوقوع في الفتن ، وأكثرهم تحذيرا للناس من الدخول فيها،وبقي إلى أيام فتنة الزبير ، فلم يقاتل معه ، ولم يدافع عنه ، إلا أنه كان يشهد الصلاة معه ، فإذا فاتته صلاها مع الحجاج ، وكان يقول: إذا دعونا إلى

---

١- هو محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي أبو عبدالرحمن ، صحابي من الأمراء . شهد بدرا وما بعدها إلا غزوة تبوك ،واستخلفه الرسول ﷺ على المدينة في بعض غزواته ، وولاه عمر على صدقات جهينة ،اعتزل الفتنة في أيام علي فلم يشهد الجمل ولا صفين، (ت: ٤٣ هـ) وقيل(٤٦) هـ بالمدينة بعد عثمان ﷺ بأربعين يوما .
ينظر: التاريخ الكبير للبخاري(١١/١)،سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٦٩/٢).

٢- أخرجه أبو داود في سننه(٢١٦/٤)كتاب:السنة،باب:ما يدل على ترك الكلام في الفتنة رقم(٤٦٦٤)،والحاكم في مستدركه(٤٩٢/٣)برقم(٥٨٣٨)وقال: بإسناد صحيح.

٣- العزلة والخلطة ،سلمان العودة ص(٨٦)

الله أجبناهم ، وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم).[1]

## ب .حال التربية الذاتية والتعبد:

ويقصد ا التربية حيث يخلو المرء بنفسه أحيانا بقصد التعبـد ، أو التـزود مـن العلم،أو محاسبة النفس أو نحو ذلك من الأغراض والمقاصد التربوية.

ولقد هيأ الله محمدا ﷺ للنبوة والرسالة تدريجيا فكانت الرؤيا لئلا يفجـأه الملـك ويأتيه صريح النبوة بغتة؛ فلا يحتملها قوى البشرية ثم العزلة ( فحبب إليه الخـلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالى أولات العدد قبل أن يرجع الى أهله ويتزود ثم يرجع الى خديجة ﵂ فيتزود لمثلها حتى فجئه الحق).[2]

والسبب في هذه الخلوة يتجلى في قول أبو سليمان الخطابي (حببت العزلة إليـه ﷺ لأن فيها سكون القلب وهي معينة على التفكر و ا ينقطع عن مألوفات البشر ويخشع قلبـه )[3] (فربى الله تعالى نبيه ﷺ ذه الخلوات الطويلة المتأملة المتعبدة وهيأه للوحي والنبوة ،مع مـا أكرمه به قبل من نقاء السريرة ، وطهارة الظاهر والباطن ، حتى كان لا يـرى رؤيـا إلا جاءت مثل فلق الصبح).[4]

كما جاء في حديث عائشة أم المؤمنين ﵂ في بدء الوحي أ ا قالت: (أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء) .[5]

---

١- العزلة للخطابي ص(٧٦).

٢- شرح النووي على صحيح مسلم(١٩٨/٢).

٣- عمدة القاري،للعيني(٦١/١)

٤- العزلة والخلطة،سلمان العودة ص(٤٨).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه(٤/١)كتاب:بدء الوحي ،باب:بـدء الـوحي بـرقم(٣)،ومسـلم في صـحيحه (١٣٩/١،١٤٠)كتاب الإيمان،باب:بدء الوحي إلى رسول الله .

والخلوة المؤقتة للعبادة بقيت شرعا لأمة محمد ﷺ وهي الاعتكاف؛ فالمعتكف من عكف قلبه على عبادة ربه وانقطع عن الدنيا وأهلها وهو الخلوة الشرعية لهذه الأمة اقتداء بالنبي ﷺ ،فكان يعتكف ﷺ العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده.[1]

وليست العزلة المشروعة لتربية النفس و تهذيبها مقصورة على سنة الاعتكاف فحسب ، بل كان السلف يحثون السالك على اختلاس أويقات يخلو فيها بنفسه للذكر أو الفكر أو المحاسبة أو غيرها ولهم في ذلك أقوال كثيرة من أشهرها قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (خذوا بحظكم من العزلة).[2]

وقول مسروق[3] -رحمه الله-:( إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها ،فيذكر فيها ذنوبه ، فيستغفر منها).[4]

ويقول أبوسليمان الخطابي:( وفي العزلة أنها معينة لمن أراد نظرا في علم ، أو أثارة لدفين رأي، و استنباطًا لحكمة، لأن شيئًا منها لا يجيء إلا مع خلاء الذرع وفراغ القلب).[5]

**العزلة القلبية:**

وهي حالة وسط بين العزلة والخلطة ، الخلطة بجسده ومدخله ومخرجه ، والعزلة بقلبه

---

١- ينظر: العزلة والخلطة سلمان العودة ص(٤٨) ، حوار في الاعتكاف سالم محمد الجهني، ص(١٢)،ط١، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م،دار المسلم – الرياض.

٢- أخرجه ابن أبي عاصم في الزهد(٤٨/١)،وينظر: مسائل الإمام أحمد وابن راهويه (٥٥٤/٢).

٣- مسروق بن الأجدع الإمام القدوة العلم،أبو عائشة الوادعي الهمداني الكوفي،حدث عن جمع من الصحابة،وعداده في كبار التابعين وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ كان طلابا للعلم مفتيا زاهدا،قال يحيى بن معين:مسروق ثقة لا يسأل عن مثله،وقال العجلي تابعي ثقة كان أحد أصحاب عبد الله الذين يقرئون ويفتون وكان يصلي حتى تتورم قدماه،وقال ابن سعد:كان ثقة له أحاديث صالحة،وقال الشعبي قال ما علمت أطلب منه للعلم كان أعلم بالفتيا من شريح (ت:٦٢)وقيل (٦٣).

ينظر:سير أعلام النبلاء للذهبي(٦٣،٦٩/٤)، الكاشف للذهبي(٢٥٦/٢).

٤- أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(١٤٨/٧)،والدارمي في سننه(١٠٣/١)باب في اجتناب الأهواء،والبيهقي في شعب الإيمان(٤٧٢/١)(٤٤٠/٥).

٥- العزلة ص(١١٧).

وعمله ومشاعره.

( ورب رجل متوسط بينهما فيكون له من القوة ما يصبر ا على مخالطة الناس وأذاهـم فهو معهم في الظاهر ومخالف لهم في الباطن).[1]

وجاء رجل إلى وهب بن منبه[2] فقال: (إن الناس وقعوا فيما فيه وقعوا وقـد حـدثت نفسي ألا أخالطهم فقال:لا تفعل إنه لابد لك من الناس ولابد لهم منك ولك إليهم حوائج ولهم إليك حوائج ولكن كن فيهم أصم سميعا ، أعمى بصيرا ، سكوتا نطوقًا ).[3]

وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة:( اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك وإن كنت بين ظهرانيهم).[4]

ولذلك يقول عبدالله بن مسعود ﷺ: (خالطوا الناس وزايلوهم وصـافحوهم وديـنكم لا تكلمونه).[5]

قال ابن المبارك[6]: (أن تكون مع القوم ، فإذا خاضـوا في ذكر الله فخض معهم ، وإن

---

١- الجامع لأحكام القرآن ،للقرطبي (٣٦٢/١٠).

٢- هو وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار وهو الأسوار الإمام العلامة الأخباري القصصي أبو عبـد الله الأبناوي اليماني مولده في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين ورحل وحج،أخذ عن ابن عبـاس وأبي هريـرة إن صـح وغيرهما،روايته للمسند قليلة وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات ومن صحائف أهل الكتاب قال العجلي:تابعي ثقة كان على قضاء صنعاء وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة.

ينظر:سير أعلام النبلاء للذهبي(٥٤٤،٥٥٧/٤)،تقريب التهذيب لابن حجر(٥٨٥/١).

٣- العزلة للخطابي(٢٣٨،٢٣٧)،وينظر:التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري،١٣٨٧هـ ،وزارة عموم الأوقاف والشـؤون الإسلامية – المغرب(٤٤٦/١٧)،سير أعلام النبلاء (٥٥٠/٤).

٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٣٦١/١٠).

٥- رواه ابن أبي شيبة(٢٩٣/٥)كتاب:الأدب،باب:مخالطة الناس ومخالفتهم برقم(٢٦٢٢١)،والبيهقي في الزهد الكبير(١٠٩/١)فصل في العزلة والخمول برقم(١٨٨)،والطبراني في الكبير(٤١٢/٩) برقم(٩٧٥٧)وفيه:"وصافوهم بما يشتهون".

٦- عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي الإمام عالم زمانه،فقيه خراسان،أبو عبدالرحمن،ولد سنة ١١٨ هـ ، تفقه بأبي حنيفة،نزيها،كريما،من خصاله:العلم والفقه والأدب واللغة والزهد والفصاحة والشعر وقيام الليل والعبـادة والحج والغزو والشجاعة والفروسية والقوة وترك الكلام فيما لايعنيه والإنصاف وقلة الخلاف على أصحـابه =

خاضوا في غير ذلك فاسكت).[١]

**الهدف من العزلة القلبية مع المخالطة البدنية:**

**١.**العمل على انتشال أفراد المجتمع من الضلال إلى الهدى ، ومن البدعة إلى السنة ، وأمرهم بالمعروف و نهيهم عن المنكر ولا يكون ذلك إلا لمن داخل الناس وعاشرهم وعرف أحوالهم.[٢]

**٢.**( الشهادة على المحسن بأنه محسن ، وهذا يعني مساعدته ومؤازرته ، والشد على عضده،وحمايته ما أمكن في نفسه وأهله وماله ، والشهادة على المسيء بأنه مسيء ، وهذا يعني الإنكار عليه ومخالفته ، ومواجهته بالحق ، والبراءة من فعله).[٣]

**سلبيات هذا النوع من العزلة:**

ولهذا النوع من المخالطة آثار عدة في معظمها إيجابية مع وجود بعض السلبيات التي يتمكن المعتزل قلبيا من التغلب عليها وتلافيها انطلاقًا من الهدف الذي حدده مسبقًا ؛ فهذه المخالطة المقصودة تجعل في قلب المخالط شعورا متميزا يحميه من التأثر بأعمال الناس وأهوائهم وانحرافاتهم إلى حد بعيد، وبذلك يتمكن من اكتساب الخصائص الخيرة الجميلة التي قد تنقصه ومن الانتفاع بالتجارب التي تزكي العقل الغريزي وتنميه ،ومن الاطلاع على أحوال الزمان وأهله ،ومعرفة حقيقة الانحرافات وأبعادها ،ليقوم بعد ذلك بمدافعتها وعلاجها بالأسلوب الأمثل ،دون أن يؤدي به ذلك إلى الذوبان في المجتمع المحيط به.

وإذا كان الفرد قد يتأثر نوعا ما باختلاطه بالناس ، إلا أن هذا التأثير اليسير المحتمل محتمل إلى جانب المصلحة الراجحة المتحققة ،وهي نفع الناس وإرشادهم وتوجيههم.[٤] أو التخلي عن علمه ونيته ودعوته.

---

= ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير. مات سنة(١٨١)وعمره(٦٣)سنة. ينظر:سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٤٢١،٣٧٨/٧)،تقريب التهذيب لابن حجر(٣٢٠/١).

١- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي (٣٦١/١٠)،وينظر: التمهيد لابن عبدالبر(٤٤٦/١٧).

٢- ينظر: العزلة والخلطة، سلمان العودة ص(٥٠).

٣- المرجع السابق نفسه ص(٥٤).

٤- المرجع السابق نفسه(٥٤،٥١)بتصرف.

## المبحث الثالث:العزلة الاختـيارية والإجبـارية

**العزلة الاختيارية :**

إن جميع ماسبق من صور العزلة يندرج تحت العزلة الاختيارية،ولكنها الاختيارية المقيدة بأسباب قاهرة فُرضت على المعتزل أوكانت استجابة لأمر الله بمفارقة الكفـر وأهلـه، أو لكونها آية وعلامة على أمر ما ،أو تمرد وتكذيب وعصيان كما حدث من ابن نوح.

ومن أعجب صورالعزلة الاختيارية من اختار الحبس[1] على الحرية ، ذلك هو ابن وحفيد الأنبياء النبي يوسف عليه السلام عندما اعتصم بربه واستعان به على كيد النسوة لما دعتـه امـرأة العزيز وتوعدته بالسجن إن لم يفعل ما دعته إليه.

فقــال الله عز وجل عــن امــرأة العزيــز﴿ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[يوسف:٣٢]

فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجب العذاب الشديد و﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسـف:٣٣] أي يارب الحبس في السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه ويراودنني على الفاحشة وأن آتي ماتكره سبحانك ،وأكن بصبوتي إليهن من الذين جهلوا حقك ،وخالفوا أمرك ونهيك.[2]

يقول السعدي: في عبر وفوائد من سورة يوسف ( أن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية، فهكـذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين: إما فعـل معصية ،وإما عقوبة دنيوية،أن

---

١- حبسه أمسكه عن وجهه و الحبس ضد التخلية ينظر: لسان العرب لابن منظور(٤٤/٦).

وقال ابن القيم: (اعلم أن الحبس الشرعي ليس هو السجن في مكان ضيق ،وإنما هو :تعويق الشـخص ومنعـه مـن التصرف بنفسه حيث شاء سواء كان في بيت أو في مسجد أو كان بتوكيل نفس الخصم أو وكيله عليـه وملازمتـه له)ينظر: الطرق الحكمية ص(١٤٠).

٢- ينظر: جامع البيان ،لابن جرير الطبري(٢١١/١٢).

يختار العقوبة الدنيوية على مواقعة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة ولهـذا من علامات الإيمان أن يكره العبد أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار.

ومنها أنه ينبغي للعبد أن يلتجىء إلى الله ويحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية ويتبرأ من حوله وقوته لقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف:٣٣]

ومنها أن العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلى الخير وينهيانه عن الشر وأن الجهل يـدعو صاحبه إلى موافقة هوى النفس وإن كان معصية ضارا لصاحبه).[١]

**العزلة الإجبارية :**

جاء الاعتزال في القرآن الكريم بمعنى المنع والحيلولة دون تحقيق الإرادة ،وسلب القـدرة على إتمام العمل بقوة السلطان ،فيقال :هو معزول ولايكون ذلك برغبته وإرادته في الغالب.

قال ﷻ نافيا صلة الشياطين بـ ول الوحي ،ومن ثم تأثيرهم عليه:﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾.[الشعراء:٢١٠،٢١٢]

فالضمير في قوله ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ يرجع إلى الوحي من الله إلى من شاء مـن خلقـه .أو خاص إلى نبينا محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام من القرآن أو غيره .

وكان من الشبهات التي أثارها مشركو مكة أن محمدا ﷺ يتلقى هـذا الكـلام عـن الشياطين فا موه بالكهانة والسحر والجنون ؛وقد كانت للشياطين القدرة علـى اسـتراق السمع قبل البعثة كما جاء في سورة الجن ،غير أن تلك القدرة لم تعد ممكنة بعد البعثة كما جاء عن ابن عباس يرفعه (ولقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء) .[٢]

فقد أوكل الله بالشياطين شهبا ترميهم و د جمعهم الموصل إلى السماء فقال ﷻ عن

---

١- تيسير الكريم الرحمن ص(٤٠٩).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٧/١)كتاب:صفة الصلاة،باب:الجهر بقراءة صلاة الفجر رقم (٧٣٩).

الجن(﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أي: أتيناها واختبرناها﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا ﴾ عن الوصول إلى أرجائها والدنو منها ﴿وَشُهُبًا ⁽⁸⁾﴾ يرمى ا من استرق السمع وهذا بخلاف عادتنا الأولى ،فإنا كنا نتمكن من الوصول إلى خبر السماء ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ فنتلقف من أخبار السماء ماشاء الله﴿ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ⁽⁹⁾﴾أي مرصدا له معدا لإتلافه وإحراقه)[1] [الجن:٨،٩]

يقول د.محمد بن سعد :(وقد يصدق هذا المعنى من العزلة على المحتجزين عقوبة تأديبية لمخالفتهم شرائع مجتمعهم ، وقيامهم بما يهدد أمنه وسلامته ،أو من كان ذا خلق سيء يتأذى منه أهله ، وجيرانه أو من كان مصابا بمرض معد ،فإن لولي الأمر الحق في منعه من الاختلاط بغيره ،وجعله معزولا في مكان خاص حتى ينظر في أمره ،ويتقرر أمر علاج حالته ،فهؤلاء وغيرهم لايميلون إلى الاعتزال بطبعهم ،بل يرغمون عليه إرغاما كوسيلة لترويضهم).[2]

وعلى ذلك فالعزلة الإجبارية تكون لفئتين :

| السجناء | ذووالأمراض المعدية |
|---|---|

**الفئة الأولى- السجناء:**

عبر الفقهاء على مدى العصور الإسلامية عن غاية الحبس بألفاظ لا تخرج عن معنى استصلاح السجين وتقويمه وردعه عن سلوكه الخاطيء ،وثمرة ذلك كله التوبة وهي ما قصدها عمر بن الخطاب وعمل لها علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وقد وضعت(الشريعة الإسلامية منهجية في إصلاح نزلاء الإصلاحيات حتى يخرجوا

---

١- تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي (٨٩٠،٨٩١).

٢- العزلة (الفكرةوالتطبيق) ص(٦٢).

منها وهم أسوياء متسلحون بالإيمان والتقوى ومتحصنون بالأخلاق الإسلامية الفاضلة مـن خلال ما يعرف بتنمية الجانب الديني والأخلاقي أو التهذيب الديني والأخلاقـي أو إيقـاظ الضمير أو تقوية الوازع الديني )[1].

وأحكام السجن ومعاملة المسجونين الإنسانية التهذيبية التربوية التي تهدف إلى إصـلاح السجين واستلال دوافع الجريمة من نفسه ظاهرة حضارية سبق إليها المجتمع المسلم الآخـذ بهدي دينه المحتكم إلى شريعته السمحة ، فالسجن ثابت بنص الكتاب والسـنة والإجمـاع لتحقيق الكثير من المصالح التي منها :حفظ أهل الجرائم المنتهكين للمحارم الذين يسعون في الأرض فسادا ويلحقون الأذى والضرر بالآخرين ويعتادون ذلك السلوك المنحرف فهـؤلاء إن تركوا وخلي بينهم وبين المسلمين بلغوا من الإضرار بهم كل غاية ؛ فلم يبق إلا حفظهم في السجن والحيلولة بينهم وبين الناس حتى تصح منهم التوبة أو يقضي الله فيهم ما يشاء.[2]

ولايقف الأمر عند هذا الحد من عزلة الفرد عن مجتمعه الخارجي وإنما يتعدى ذلك إلى عزلته داخل السجن بدافع المصلحة للفرد.

يقول د.حسن أبوغدة:اهتم القضاة والفقهاء المسلمون بتصـنيف السـجناء بحسـب جرائمهم والفصل بين الموقوفين والمحكومين ،وبين المحكومين في الحقوق المدنية ،والحقـوق الجزائية ،وحرصوا على منع أصحاب الجرائم غير المتجانسة من الاختلاط ببعضهم ،مخافـة انتقال العدوى[3]؛وذلك بتخصيص أمـاكن لأصـحاب الجـرائم الخُلقيـة والجنايـات والسرقات،وعزل اللصوص والخطرين عن غيرهم قدر الاستطاعة ، والتمييز بين السجناء

---

١- فقه السجن والسجناء ،د.سعيد بن مسفر الوادعي،ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م،(مركز الدراسات والبحوث)جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ص(٧٧).

٢- ُينظر: المتهم معاملته وحقوقه في الفقه الإسلامي،بندر بن فهد السـويلم،١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م،المركـز العـربي للدراسات الأمنية والتدريب،الرياض ص(٨٩،٩٠).

٣- العدوى تكون في الأمراض المعنوية الخُلقية كما تكون في الأمراض الحسية ،ولهذا أخبر الرسول ﷺأن جليس السوء كنافخ الكير.

ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد،محمد صالح العثيمين،جمع وترتيب:سليمان أبـا الخيل،خالـد المشـيقح،ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م،دار ابن الجوزي-المملكة العربية السعودية(٩٨/٢).

بحسب مدد عقوبا م[1]

ومن السبق الذي حققه ا تمع المسلم في معالجة بعض أنواع الانحراف مايسمى:"بنظـام الإقامة الجبرية " (ويقـصد به إصلاح المحكوم في خارج السجن ، وذلك بوضعه تحت إشراف من يتمتع بالقدرة على رعايته وتوجيهه وتقويمه ،وقد عرف الفقه الإسلامي هذا النوع مـن الحبس وعمل به القضاة المسلمون وذكره الفقهاء في كتبهم )[2]

وفي ذلك يقول ابن قيم الجوزية: (اعلم أن الحبس الشرعي ليس هو السجن في مكـان ضيق،وإنما هو: تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه حيث شاء سواء كان في بيت أو في مسجد أو كان بتوكيل نفس الخصم أو وكيله عليه وملازمته له)[3]

**الفئة الثانية- ذووالأمراض المعدية:**

والأحاديث صريحة في تجنب المصابين بأمراض معدية ،وللعلماء فيها أقوال عديدة يضيق ا ال عن حصرها هنا منها:

قوله ﷺ :(لا تُورِدُوا الْمُمرِض على الْمُصِح).[4]

كما قال رسول الله ﷺ :(لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر،وفر من المجذوم كما تفِرُّ من الأسد ).[5]

وقال ﷺ: ( إذا سـمعتم بالطاعـون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقـع بأرض وأنتـم بهـا

---

١- أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام ص(٣٢٥)،نقلاً عن ا تمـع المسـلم/محمـد علـي الهـاشمي،ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م،دار البشائر الإسلامية-بيروت ،لبنان ص(٤٧٧).

٢- المرجع السابق نفسه ص(٣٢٥).

٣- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية،تحقيق: محمد جميل غازي،بدون تاريخ وطبعة،مكتبة المدني ومطبعتها- جـدة ص(١٤٠).

٤- أخرجـه البخـاري في صـحيحه(٢١٧٧/٥)كتـاب:الطب،بـاب: لاعـدوى،برقم(٥٤٣٩)،ومسـلم في صحيحه(١٧٤٤/٤) كتاب:السلام،باب:لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر،برقم(٢٢٢١).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه(٢١٥٨/٥)كتاب:الطب،باب:الجذام برقم(٥٣٨٠)،ومسلم في صحيحه(١٧٤٢/٤) كتاب:السلام باب:لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر ولا يورد ممرض على مصح برقم(٢٢٢٠).

فلا تخرجوا منها ) .[1]

وعن عبدالله بن عامر أن عمر خرج إلى الشام فلما كان بسرغ[2] بلغه أن الوباء قد وقع بالشام فأخبره عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه) .[3]

ويبين ابن حجر سبب النهي فيقول: ( والذي يظهر -والله أعلم- أن حكمة النهي عن القدوم عليه لئلا يصيب من قدم عليه بتقدير الله فيقول :لولا أني قدمت هذه الأرض لما أصابني، ولعله لو أقام في الموضع الذي كان فيه لأصابه .فأمر أن لايقدم عليه حسما للمادة.و ى من وقع وهو ا أن يخرج من الأرض التي نزل ا ؛ لئلا يسلم فقول مثلا :لو أقمت في تلك الأرض لأصابني ما أصاب أهلها ،ولعله لو كان أقام ا ماأصابه من ذلك شيء) .[4]

وعلى ذلك فإن هذه الأحاديث فيها ( إثبات لتأثير العدوى ،ولكن تأثيرها ليس أمرا حتميا بحيث تكون علة فاعلة ، فإن النبي ﷺ أمر بالفرار وأن لايورد ممرض على مصح من باب تجنب الأسباب لا من باب تأثير الأسباب بنفسها ،فالأسباب لاتؤثر بنفسها لكن ينبغي أن نتجنب الأسباب التي تكون سببا للبلاء لقوله ﷻ :﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .[البقرة:١٩٥] )[5]

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٢١٦٣/٥)كتاب:الطب،باب:مايذكر في الطاعون برقم(٥٣٩٦)،ومسلم في صحيحه(١٧٣٧/٤)كتاب:السلام،باب:الطاعون والطيرة والكهانة ونحوهابرقم(٢٢١٨).

٢- معنى سرغ: هو موضع من الشام قيل إنه وادي تبوك وقيل بقرب تبوك ،وبفتح الراء وسكو ا قرية بوادي تبوك من طريق الشام وقيل هي على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة وقيل هو موضع يقرب من ريف الشام.ينظر: النهاية في غريب الأثر لأبي السعادات (٣٦١/٢) ، لسان العرب(٤٣٤/٨).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٦٤/٥)كتاب:الطب، باب:مايذكر في الطاعون برقم(٥٧٣٠)،ومسلم في صحيحه(١٧٣٧/٤) كتاب:السلام،باب:الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم(٢٢١٩).

٤- فتح الباري (١٨٨/١٠).

٥- القول المفيد شرح كتاب التوحيد، محمد صالح العثيمين(١٠٠/٢).

ومما يؤكد عدم تأثيرها بنفسها مافعله النبي ﷺ حيث أخذ بيد مجذوم فوضـعها في القصـعة وقال: (كل ثقةً بالله وتوكلاً عليه).(١)

ويرى بعض العلماء الجمع بين قوله وفعله ﷺ بأن القول هو المشروع مـن أجـل ضـعف المخاطبين ،وفعله حقيقة الإيمان ،فمن كان قوي اليقين فله أن يتابعهﷺ في فعله ولا يضـره شيء ،ومن وجد في نفسه ضعفًا فليتبع أمره في الفرار لئلا يدخل بفعله في إلقاء نفسـه إلى التهلكة، وهذه قاعدة في التوكل على الله ينبغي التفطن لها.(٢)

---

١- أخرجـه أبـو داود في سـننه(٢٠/٤)كتـاب:الطب،بـاب: في الطـيرة، بـرقم(٣٩٢٥)،والترمـذي في سننه(٢٦٦/٤)كتاب:الأطعمة، باب:ما جاء في الْأَكْلِ مع الْمجذُومِ، وقال أبو عيسى:حديث غريب لا نعرفه إلا مـن حديث ينس بن محمد بن المفضل برقم(١٨١٧)،والحاكم في مستدركه(١٥٢/٤)برقم(٧١٩٦)وقال:هـذا حـديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال أبوداود(٣٩٢٥)في رسالته لأهل مكـة: كـل مـا سـكت عنـه فهـو صـالح رقم(١٥٥٩٨٩) ،وقال الألباني في ضعيف أبي داود:ضعيف (٣٩٢٥) برقم(٣٧٨٤٠).

٢- فتح الباري،لابن حجر (١٦٢/١٠).

## المبحث الرابع:العزلة من منظور الأحكام التكليفية

إن العزلة بوصفها عمل يقوم به الفرد أو الجماعة التي اتحدت أهدافها،واتفقت قيمها ومن ثم فارقت المجتمع في إطار مقنن ومنضبط بضوابط الشريعة الإسلامية حري بها أن تخضع هذه العزلة وتبلورها في ضوء الأحكام التكليفية وتتمتع بالحصانة العلمية التي تمكنها من تحديد الوقت والحال المناسبين للعزلة وجوبا أو استحبابا أوإباحةً أو كراهةً أو تحريما.

### العزلة الواجبة:

يجب تطبيق العزلة من قبل الولاة والأفراد على حد سواء ضمن مسئوليات كلا منهم وذلك في حق من كان له تأثيرا سلبيا على الضرورات الخمس فيؤثر على :

الدين النفس المال العرض العقل

**أولاً- الدين:** يجب على المؤمن أن يصون دينه ويحافظ عليه مما يشوبه من الشبهات والشهوات فيحذر وينأى عن:

**١. أصحاب العقائد المخالفة** كالمشركين والملاحدة ونحوهم ،وهذه الفئة تدخل في دائرة الولاء والبراء ومنه قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة :٤] وسيأتي الكلام عنه في الباب الثالث بإذن الله تعالى.

**٢. أهل البدع والأهواء المكفرة** وذلك للشبهات التي يلبسون بها على الناس وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول :(لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم ).[1]

---

١- الشريعة،لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي،ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار النشر: دار الوطن - الرياض / السعودية.(٤٥٤/١).

وقال يحيي بن كثير[1]: (إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره)[2]

وينبغي أن يراعى حال المبتدع من حيث الدعوة إلى بدعته أو عدمـها ،ومن حيث إظهارها والاستتار ا ، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :( فلهذا ونحوه رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ من المظهرين للبدع الـداعين إليها ،والمظهرين للكبائر فأما من كان مستترا بمعصية أو مسرا لبدعة غير مكفرة فإن هذا لا يهجر وإنما يهجر الداعي إلى البدعة إذ الهجر نوع من العقوبة وإنما يعاقب من أظهر المعصية قولاً وعملاً ).[3]

**٣.الفـار بدينه من الفتن** :وذلك إذا فسد الزمان حيث يجب على المؤمن أن يفر بدينه في زمان الفتن التي أخبر عنها النبي ﷺ وأمر بالعزلة كقوله ﷺ :(يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ،يفر بدينه من الفتن) .[4]

**ثانيا- النفس**:وكما حفظ الشارع على المرء دينه حفظ للعبد نفسه ونص على فئة من الناس يجب عزلهم وهؤلاء هم:

**١.أصحاب السلوك العدوا**ني والنفوس المريضة والخلق المعوج،ممن يقومون بالاعتداء على الأنفس والأموال والأعراض فيعمد ولي الأمر إلى عزله عن ا تمع تأديبـا لـه وإشعـارا له بخطيئته، فيودعه السجن ، ويقطع عنه سبل اتصاله بأفراد ا تمع مـدة يحددها الحاكم.[5] وكذلك:

---

١- يحيى بن أبي كثير الإمام الحافظ أحد الأعلام واسم ابيه صالح،وكان طلابة للعلم وقال أحمد بن حنبل:إذا خالفـه الزهري فالقول قول يحيى، وقال أبوحاتم الرازي هو إمام لا يروي إلا عن ثقة وقد نالته محنة وضرب لكلامـه في ولاة الجور،أقام بالمدينة عشر سنين في طلب العلم (ت:١٢٩ هـ)

ينظر: معرفة الثقات،للعجلي(٢٨٤/٢)، سير أعلام النبلاء للذهبي(٣١،٢٧/٦).

٢- أصول اعتقاد أهـل السـنة والجماعـة للالكـائي، تحقيـق: د. أحمـد سـعد الغامـدي(١٥٥/١) ،ط٨، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م،دار طيبة-الرياض.

٣- مجموع الفتاوى (١٧٥،١٧٤/٢٤).

٤- سبق تخريجه ص(٣٠).

٥- ينظر:العزلة(الفكرة والتطبيق)،محمد بن سعد ص(١٣٥).

٢. **المصابون بالأمراض المعدية** :فإن حامل العدوى يجب ألا يخالط غـيره وجـاءت الأحاديث الدالة على ذلك المؤكدة على عدم مخالطة المريض للصحيح حمايةً للتوحيد في قلب المؤمن، ومنعا للتأثير على عبادة التوكل ، وحذرا من الدخول في باب (اللو) الممنوعة.وسبق تفصيل القول في هذه المسألة.(١)

**ثالثًا - المال:** لقد شرع الله تعالى مايكفل للعبد المسلم ولغيره من غير المسلمين ما يحفظ به ماله وجعل لذلك حصانة من الفرد نفسه ومن ا تمع الذي يحيط به في حال عدم قدرته على إدارة أمواله بشكل صحيح مثل:

١. **الحجر(٢)على السفيه(٣):** ( فقد ى الله أن يجعل السفيه متصرفًا لنفسه أولغـيره بالوكالة أو الولاية.وصرف المال فيما لا ينفع فى الدين ولا الدنيا من أعظم السفه فيكون ذلك منهيا عنه في الشرع)(٤) ويدل على ذلـك قولـه ﷻ : ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ [النساء:٥]

كما يمنع السفيه من التصرف في ماله أو إسقاط حقوقه وكذلك ا نون والصغير، فإن هؤلاء محجور عليهم لحقهم ولهذا لو أذن الصبي أو السفيه في أخذ ماله لم يكن له ذلك(٥).

قال المهلب(٦): ( إنما يبيع الإمـام على الناس أمـ ـوالهم إذا رأى منهم سفها في

---

١- الباب الأول ،الفصل الثاني ،المبحث الثالث ص (٧٢-٧٤).

٢- أصل الحجر في اللغة ما حجرت عليه أي منعته من أن يوصل إليه وكل ما منعت منه فقد حجرت عليـه،والحجر المنع ومنه حجر القاضي على الصغير والسفيه إذا منعهما من التصـرف في مالهمـا.ينظـر:الأفعـال لابـن جعفـر السعدي(٢٢٢/١) لسان العرب لابن منظور(١٦٧/٤).

٣- السفيه هو: أصل السفه الخفة والطيش،ومعنى السفيه الخفيف العقل، ويقال سفه الحق فلان رأيه إذا جهله وكـان رأيه مضطربا لا استقامة له والسفيه الجاهل.ُينظر:لسان العرب لابن منظور(٤٩٩/١٣).

٤- مجموع الفتاوى،لابن تيمية (٣٣/٣١).

٥- المصدر السابق نفسه (١٢٥/١٥،١٢٦).

٦- هو الأمير البطل قائد الكتائب أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي واسمه ظالم بن سارق العتكي البصري،حدث عن جمع من الصحابة، من ثقات الأمراء وكان عارفا بالحرب، قال أبو إسحاق قال:ما رأيت أميرا=

أموالهم وأما من ليس بسفيه فلا يباع عليه شيء من ماله إلا في حق يكون عليه).[1]

**٢.ومن ذلك قصة المدبر** حيث رد النبي ﷺ بيعه قبل الحجر عليه[2]،وقصة الذي كـان يخدع في البيوع،فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:أن رجلاً ذكر للنبي ﷺ أنـه يخـدع في البيوع فقال ﷺ :(إذا بايعت فقل لا خلابة)[3]

**رابعا- العرض** : فقد عزل رسول الله ﷺ الزاني غير المحصن عن الأرض التي وقـع فيها الزنى تأديبا له و يأته للتوبة بالاستعانة بالله ، ثم توفير بيئة جديدة بعيدة لا يعرفـه فيها أحد وجاء في السنة النبوية خبر من جاء للرسول ليستفتيه في شأن ابنه غـير المحصن الذي زنى بمحصنة وقد فداه بمائة شاة وخادم، فقال النبي ﷺ : (والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ؛ المائة شاة والخادم ردٌ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ،وأغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها) [4].

**خامسا- العقل :**ويدخل في هذا الباب الحجر على السفيه**،**وفئة المرضى الذين يعـانون أمراض نفسية وعقلية،وقد سبق بيان كل منهما.

**العزلة المستحبة:**

وتكون في حق من اتصف بشيء من هذه الصفات :

**١.عدم القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**فالناس تتفاوت في القـدرة على التأثير وضبط النفس وسلامة العرض والأسلوب عند مواجهة أهل المنكر؛ومن

---

= قط أفضل ولا أسخى ولا أشجع من المهلب ولا أبعد مما يكره ولا أقرب مما يحب،وقيل عنه:يعجبني في الرجـل أن أرى عقله زائدا على لسانه (ت:٨٢ هـ)وقيل(٨٣)غازيا بمرو.

ينظر: سيرأعلام النبلاء للذهبي (٣٨٣/٤)،تقريب التهذيب لابن حجر(٥٤٩/١).

١- فتح الباري لابن حجر (١٧٩/١٣).

٢- المصدر السابق نفسه (٢٩٥/٣).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه (٧٤٥/٢)كتاب: البيوع،باب:ما يكره من الخداع في البيع،رقم(٢٠١١).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٠٥/٦)كتاب:المحاربين من أهل الكفر والردة،باب:الاعتراف بالزنا رقم(٦٤٤٠).

فقد شيئًا من مقومات الداعية الناجح فعليه أن يتنحى ويترك المكان لمن هو أهل، وليس ذلك عيبا بل هو عين الصواب،كما ينبغي عليه أن يترك التعـرض لأهـل المنكر واعتزالهم إذا خشي اعتداءهم عليه أو الوشاية به مع إنكاره لفعلهم بقلبـه وذلك أضعف الإيمان،وفي بيان فائدة العزلة في هذا الجانب يقول الخطـابي:(وفي العزلة السلامة من المأثم في المنكر يراه الإنسان فلا يغيره...فلو لم تكن في الوحدة والتباعد إلا السلامة من إثم المداهنة وخطر المكافحة لكان ذلك الـربح الـرابح والغنيمة الباردة).[1]

**٢. عدم الصبر وشدة الحساسية من المنكرات** فإذا رآها تأثر تأثرا شـديدا وتعكـر مزاجه وتكدرت حياته،فلم يهنأ بعيش ولا عبادة ،وتفاقم لديه الشعور بالغربة دون أن يصنع شيئا لضعفه وعجزه، أو يهيج وينفعل ويغير بطريقة غير مشروعة ؛ فيها اعتداء وتسرع يؤدي إلى مضاعفة المنكر أو يكون سببا في إغلاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وربما يترتب عليه أذى للمؤمنين.[2]

**٣.الخوف من الوقوع في المعاصي** كالغيبة والنميمة و( لولم يكن في العزلة أكثر مـن أنك لاتجد أعوانا على الغيبة لكفى).[3]

يذكر الغزالي من فوائد العزلة: ( التخلص بالعزلة من المعاصي الـتي يتعـرض لهـا الإنسان غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة :الغيبة والنميمة والريـاء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).[4]

( وكمن يعرف من نفسه الضعف والميل إلى الفواحش ،وإذا جاورها وخالط أهلـها في غدوه ورواحه أنِست نفسه ا،وهو يستطيع اعتزال هذه البيئات حفاظًا لما هـو أهم مما سيفقده حال الاعتزال).[5]

---

١- العزلة، للخطابي (١٠٢).

٢- ينظر: العزلة والخلطة،سلمان العودة ص(٣٤).

٣- العزلة، للخطابي (١٠١).

٤- إحياء علوم الدين (٢٢٨/٢).

٥- العزلة والخلطة،سلمان العودة ص (٣٥،٣٤).

٤. **الخوف من مسارقة الطبع** من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة الـتي يوجبـها الحرص على الدنيا ؛وهذه العدوى المعنوية التي حذر منها النبي ﷺ في قولـه: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحًا خبيثة) .[1]

لذا وجب على المرء حسن اختيار جليسه لقوله ﷺ (المرء على دين خليله فلينظر المرء من يخالل)[2](فلكي لا يزداد من السيئات بغيبة أو نميمة عند مخالطته غيره يسـتحب في حقه تجـنب الجماعات والأفراد إلا في حق أو واجب لهم،ويتفرغ للإكثار من عمل الحسنات).[3]

يقول ابن تيمية :(إن اعتزال الناس في فضول المباحات وما لا ينفع وذلك بالزهـد فيه فهو مستحب).[4]

ويرى الجمهور بأن حديث العزلة ( محمول على الاعتزال في زمن الفتن والحروب أو هو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم أو نحو ذلك من الخصوص)[5]

وقد تكون العزلة والانقباض عن فضول الصحبة هي الأمر المتعين لمن يضر نفسـه أو غيره بذلك دون أن يحقق مصلحة أعظم وأكبر من هذا الضرر.[6]

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٧٤١/٢)كتاب :البيوع ،باب في العطار وبيع المسك،بلفظ مختلـف رقـم(١٩٩٥) ،وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٢٦/٤)كتاب البر والصلة والآداب،باب:استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرنـاء السوء رقم (٢٦٢٨).

٢- أخرجه الحاكم في مستدركه(١٨٨/٤)كتاب الـبر والصـلة،وأحمد في مسـنده (٣٣٤/٢، ٣٠٣)في مسـند أبي هريرة،وقال النووي إسناده صحيح،ينظر: مشكاة المصابيح(١٣٩٧/٣).

٣- العزلة (الفكرة والتطبيق)،محمد بن سعد ص(١٣٦،١٣٧).

٤- مجموع الفتاوى (٤٠٥/١٠).

٥- شرح النووي على صحيح مسلم(٣٤/١٣).

٦- ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢٢٤،٢٢٢/٢).

**٥. هجرة أهل البدع غير المكفرة** ؛ (فصاحب البدعة يستحب من الآخرين هجرانه،والبعد عن مخالطته حتى يكون ذلك إشعارا له باعوجاج مسلكه ،فلربما أناب واستقام).(١)

**العزلة المباحة** :

يحتاج العبد المسلم إلى أوقات يخلو فيها بنفسه،يبتعد بفكره،يقلب نظره، ويتلمس الواقع من حوله ؛فهذه آيات الله من حوله تستلزم الشكر فهل أدى حقها من عبوديةخالصة،ويحاسب نفسه ويهذبها ،ويراجعها في حقوق العبادحوله،ويمكن تلخيص ذلك في النقاط التالية:

**١. التأمل والتدبر** في ملكوت السموات والأرض قال ﷻ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

[آل عمران:١٩٠،١٩١]

ففي هاتين الآيتين وغيرها حث العباد على التفكر والتبصر والتدبر في الآيات الكونية ومافيها من العجائب التي تبهر الناظرين وتقنع المتفكرين وتجذب أفئدة الصادقين وتنبه العقول النيرة على المطالب الإلهية.(٢)

**٣. تربية النفس وتهذيبها:** ولابد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه ، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه إما في بيته كما قال

١- العزلة(الفكرة والتطبيق)،محمد بن سعد ص (١٣٧).

٢- ينظر: تيسير الكريم الرحمن،عبد الرحمن السعدي ص(١٦١).

طاوس[1]: ( نعـم صومعة الرجل بيته يكف فيها بصره ولسانه)[2].

ويندرج تحت هذا النوع سنة الاعتكاف المُعينة على مجاهدة النفس( بالتفرغ لهـا ومحاسبتها ،وتفقد اخطائها ومثالبها ومعاصيها في ماضي حيا ا ،وأثـر ذلـك في صدق التوبة وتطامن النفس وتواضعها ، وذلك عندما يعـلم المحاسب لنفسه أ ا كلها عورة وضعف خطيئة).[3]

**٣.الدراسة والبحث**:يقول الخطابي:(وفي العزلة أ ا معينة لمن أراد نظرا في علم ،أو أثارة لدفين رأي ،واستنباطًا لحكمة ؛لأن شيئًا منها لا يجيء إلا مع خـلاء الـذرع ،وفراغ القلب، ومخالطة الناس ملغاة ومشغلة)[4]

و( إذا أراد الإنسان تحقيق علم أو عمل فتخلى فى بعض الأماكن مع محافظتة على الجمعة والجماعة فهذا حق)[5]

**٤.هجر المؤمن لأخيه المؤمن دف:**

**أ.التقويم والإصلاح :**

ويكون ذلك بالإقلال من مخالطته بدون جفاء ولا عقوق مع عدم إهمال حقوقه،ويحدد الخطابي فئة هؤلاء المُعتزلين فيقول: ( إذا كان خاصا بك أو منقطعا إليك ،أو داخـلا في جملتك ومن طبقـ ـات أهل سياستك ؛ورب هجرٍ أشبه وصـلا والله يعـ ـلم

---

١- طاوس بن كيسان الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبد الرحمن اليمني الجندي الحافظ،سمع من جمع من الصحابة،ولازم ابن عباس مدة وهو معدود في كبراء أصحابه،وحديثه في دواوين الإسلام وهو حجة باتفاق،قال أدركت خمسين مـن أصحاب رسول الله ﷺ،وقال ابن معين وأبو زرعة طاووس ثقة،وقال ابن حبان كان من عباد أهل اليمن ومن سـادات التابعين ، حج أربعين حجة. مات بمكة سنة(١٠٦).

ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٨،٤٩/٥)،الكاشف للذهبي(٥١٢/١).

٢- مجموع الفتاوى،لابن تيمية (٤٠٥/١٠).

٣- وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم،عبدالعزيز بـن ناصـر الجليـل،ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م،دار طيبـة- الرياض(٢٦٨/٢).

٤- العزلة ص(١١٧).

٥- مجموع الفتاوى،لابن تيمية(٤٠٥/١٠).

المصلح من المفسد)[١]

وورد عن جابر رضي الله عنه أنه قال: (كان رسول الله ﷺ اعتزل نساءه شهرًا).[٢]

**ب.التحقق والاستيعاب :**

فيباح للمؤمن هجر أخاه فيما لايزيد عن ثلاث إذا وقعت بينهما مشادة ،حتى يجد كل منهما الوقت الكافي لاستيعاب أصل الخلاف ومن ثم الوصول إلى حل تطمئن معه نفساهما بعد أن يعودا إلى طبيعتهما السوية فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)[٣]

ويجمع هذه الأمور قول وهب بن منبه : (إني وجدت في حكمة آل داود:حق على العالم ألا يشغل عن أربع ساعات؛ساعة يناجي فيها ربه؛وساعة يحاسب فيها نفسه؛وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يصدقُونه عيوبه،وينصحونه في نفسه ؛وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذا ا مما يحل ويجمل ؛فإن هذه الساعة عونٌ لهذه الساعات ،واستجمام للقلوب ،وفضلٌ وبلغةٌ،وعلى العاقل أن يكون عارفًا بزمانه ،ممسكًا للسانه ،مقبلا على شأنه).[٤]

## العزلة المكروهة:

إن الغفلة عن المفهوم الصحيح للعبادة وعن منهج الإسلام في التوفيق بين الفردية والجماعية ، وعن فقه الواقع تنتهي بالفرد إلى العزلة مفتقدا لأهم عناصر الاعتزال ألا وهو

---

١- العزلة ص(٩٢).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٦٧/٤)كتاب:المغازي،باب:تبتغي مرضاةربك رقم(٤٦٢٩)،ومسلم في صحيحه (٧٦٣/٢)كتاب:الصيام،باب:الشهر يكون تسعا وعشرين رقم(١٠٨٤).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٢٥٣/٥)كتاب: الأدب،باب:ماينهى عن التحاسد والتدابر وقوله تعالى:(ومن شر حاسد إذا حسد، برقم(٥٧١٨)،ومسلم في صحيحه (١٩٨٢/٤)كتاب:البر والصلة والآداب باب:تحريم التحاسد والتباغض والتدابر رقم(٢٥٥٨).

٤- العزلة للخطابي ص(٢٣٩،٢٣٨).

العلم ؛ ذلك أن ( الإنسان كلما كان أعظم رغبة في العلم والعبادة ،وأقدر على ذلك من غيره بحيث تكون قوته على ذلك أقوى ،ورغبته وإرادته في ذلك أتم ؛كان مايحصل لـه أن سلمه الله من الشيطان أعظم ؛وكان مايفتتن به إن تمكن منه الشيطان أعظم ).[١]

فقوة العلم وقوة الإرادة من أول العوامل لعزلة صحيحة موافقة للشـريعة بعيـدة عـن الوساوس والتخيلات ، ومن امتنعت فيه هذه العوامل فإنه يخشى عليه عند تفرده ووحدته تلك الوساوس والتخيلات التي تكسبه صفة التشاؤم والخوف والشك فيصبح مع تماديـه في العزلة عضوا غير نافع في المجتمع ،بل قد يكون مصدر إزعاج لأهله وجيرانه ، فهذا وأمثالـه يكره في حقهم العزلة ،بل يشجع هؤلاء ويرغبون في الاختلاط لئلا يجد الشـيطان إلـيهم سبيلا.[٢]

**العزلة المحرمة :**

وتحرم العزلة ممن يحتاجه الناس في شأن من شئون حياتهم الضرورية كالفقيـه،والطبيب، والصانع الماهر من شتى المهن ففي عزلة هؤلاء وأمثالهم مايلحق الضرر بكـثير مـن أفـراد المجتمع.

وقد ذكر د.محمد بن سعد في كتابه "العزلة" أبرز هذه الفئات وهم :

**١.** ذوالسلطان ففي عزلته الناس الإضرار بمصالحهم المختلفة ،والإخـلال بطريقـة معالجتها وتصريفها وتأخير وقت إنجازها ويكون سببا في عدم تحقيـق المصـالح العامة،وإعطاء فرصة للمغرضين لتحقيق أهدافهم.

**٢.** الفقيه القادر على التوجيه والبيان الذي يحتاجه الناس في بيان الأحكام الشـرعية التي تتعلق بشئون حياتهم الخاصة والعامة ،وهذا إذا اعتزل وفقده الناس بينـهم لجؤوا إلى أنصاف المتعلمين والجهلة من أدعياء العلم والمعرفة ،ومحـبي الظهـور فأفتوهم بعلم ناقص يزيد من حيرة السائل ويبعده عن التعاليم الشرعية الصحيحة

---

١- مجموع الفتاوى ،لابن تيمية(٢٨٤/٧).

٢- ينظر: العزلة (الفكرة والتطبيق)،محمد بن سعد ص(١٣٨،١٣٧).

فتضيع السنن أو معظمها.

**٣.** القوي القادر على التأثير الذي يتضرر باعتزاله الضعفة الذين يلجؤون إليـه عنـد حاجتهم ،ويقاس عليه كل من كان للناس به حاجة من تجار ،وصـناع مهـرة ،وأطباء فبانقطاعهم عن ا تمع يصبح المتطفلون على هذه الأعمال وغيرها أربابا لها.

٤. أرباب القدوة الصالحة صلاحا مؤثرا على الأهل وا تمع فهـؤلاء يسـقط في حقهم العزلة وإن رأوا فسادا في الأخلاق،وبعدا عن سلوك الاستقامة وتقاعسا عن أداء الفرائض، والواجبات فعليهم مضاعفة الجهد في التربية والتعليم والتوجيه فالصالحون يشكلون الرادع القوي الذي يحول دون تفشي الجهل وبروز الجهلة في ا تمع.[1]

---

١- ينظر العزلة (الفكرة والتطبيق) ص (١٢٢) وما بعدها.

## خلاصة الفصل الثاني:

- ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية نماذج عديدة للاعتزال الفردي والجماعي مثـل إبراهيم ويونس وزكريا ومريم عليهم السلام جميعا،وأصحاب الكهـف كمؤشـر للمغايرة في الموقف بين المعتزل وا تمع المحيط به.

- تكون العزلة الفردية للتفرغ للعبادة كما فعلت مريم عليها السلام ثم كانت العزلـة للفرار من تعيير قومها لها.

- أن الاعتصام بالصمت نوع من أنواع العزلة لحمايـة العقيدة،وخاصـة في الآونـة الأخيرة.

- أن العزلة التامة لاتكون إلا من أهل الشرك والفتن والحروب.

- أن العزلة الجزئية تكون بدنية أو قلبية لتحقيق أهداف تتناسب مع نوع العزلة وطبيعة المعتزل.

- قد تكون العزلة اختيارية لصيانة الدين وحفظ العفة والطهارة مثل فعـل يوسـف عليه السلام.

- جاءت العزلة بمعنى المنع وينطبق ذلك على ذوي السلوكات العدوانيـة والأمـراض المعدية.

- تتفاوت العزلة في حكمها الفقهي بين الواجب والمستحب ثم المباح والمكروه وأخيرا المحرم.

- أن العزلة تكون واجبة في حق من يتأذى منه الناس ويكون له تـأثير سـلبي علـى الضرورات الخمس.

# الفصل الثالث

# المفاضلة بين العزلة و الخلطة

ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول - تفضيل العزلة وحجة القائلين بها والرد عليهم .

المبحث الثاني - تفضيل الخلطة وحجة القائلين بها والرد عليهم .

المبحث الثالث - الترجيح بين القولين .

# الفصل الثالث: المفاضلة بين العزلة والخلطة

اختلفت مذاهب العلماء في العزلة والخلطة ، وأيهما أفضل وأسلم ، مع العلم أن كل واحدة منهما لا تنفك عن فوائد وغوائل ،وقد ظهر هذا الاختلاف بين التابعين إلا أن أكثر الزهاد اختاروا العزلة ، وتفصيل المسألة كالتالي:

## المبحث الأول: تفضيل العزلة وحجة القائلين بها والرد عليهم.

ذهب أصحاب هذا القول إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة،ومن هؤلاء :سفيان الثوري[1]،وإبراهيم بن أدهم[2]،وداود الطائي[3]، والفضيل بن عياض ،وسليمان الخواص[4] ويوسف بن أسباط[5]...

---

١- هو الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ،أبو عبدالله ،أمير المؤمنين في الحديث ،ولد في الكوفة سنة ٩٧ هـ ونشأ بها ،عرض عليه القضاء فامتنع وخرج فسكن مكة والمدينة ثم انتقل إلى البصرة مات سنة(١٦١ هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢٩/٧)وتهذيب التهذيب لابن حجر(١١١/٤)والأعلام للزركلي(١٠٤/٣).

٢- إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر أبو إسحق العجلي وقيل التميمي الخراساني البلخي نزيل الشام مولده في حدود المئة،ثقة مأمون أحد الزهاد،وصحب الثوري والفضيل ، وثقه الدارقطني، ومات سنة(١٦٢هـ).
ينظر: التاريخ الكبير للبخاري(٢٧٣/١)سير أعلام النبلاء للذهبي(٣٨٧/٧)،البداية والنهاية لابن كثير(١٣٥/١٠).

٣- الإمام الفقيه القدوة أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي، ولد بعد المئة بسنوات،كان من كبار أئمة الفقه والرأي برع في العلم بأبي حنيفة ثم أقبل على شأنه ولزم الصمت وآثر الخمول وفر بدينه،وقيل إنه غرق كتبه،كان فصيحا عالمًا بالعربية، ومناقبه كثيرة كان رأسا في العلم والعمل، مات سنة(١٦٢) وقيل سنة(١٦٥هـ).
ينظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني(٣٣٥/٧)،سير أعلام النبلاء للذهبي(٤٢٢/٧)، ،الكاشف للذهبي(٣٨٢/١).

٤- سليمان الخواص من العابدين الكبار بالشام،كان زاهدا،وقال الأوزاعي: دعوه فلو كان في السلف لكان علامة، بقي إلى ما بعد سنة ثلاث عشرة ومائتين،وقد قال أبو حاتم أدركته وكان مرجئًا لا يكتب حديثه،روى عنه محمد بن عوف الطائي ويونس بن عبد الأعلى نزل الرملة.
ينظر: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني(٢٧٦/٨)،سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧٨/٨).

٥- يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي من سادات المشايخ له مواعظ وحكم ،نزل الثغور مرابطًا،وله أقوال في الزهد،صاحب سنة ،ثقة،صالحًا عابدا إلا أنه يغلط في الحديث كثيرا وقال أبو حاتم لا يحتج به وقال البخاري دفن كتبه فكان حديثه لا يجيء كما ينبغي. مات سنة(١٩٥هـ).
ينظر: التاريخ الكبير للبخاري(٣٨٥/٨)،سير أعلام النبلاء للذهبي(١٦٩/٩)، تهذيب التهذيب لابن حجر(٣٥٨/١١).

وحذيفة المرعشي[1] ، وبشر الحافي[2]وآخرون .

## الأدلة التي استدل ا القائلون بتفضيل العزلة هي :

١. قوله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام:﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [مريم:٤٨]
فاعتصم خليل الله بالعزلة واستظهر ا على قومه ثم بين الله ﷻ في الآية بعدها الأثر المترتب على هذه العزلة فقال:﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴾ .[مريم:٤٩]. إشارة إلى أن ما وهبه الله له من الذرية الصالحة كان ببركـة العزلة ومفارقة الشرك وأهله.

٢.واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام : ﴿ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴾.[الدخان:٢١]
فإن نبي الله موسى عليه السلام فزع إلى العزلة حين ظهر له عنادهم في قبول الدعوة وإصـرارهم على منابذة الحق فاعتزلهم عند اليأس منهم.

٣.وبقوله ﷻ في أصحاب الكهف: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾.[الكهف:١٦]

فأمرهم الله بالعزلة بعد استجار م به ﷻ وقوله ﷻ علـى لسـا م ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾.[الكهف:١٠]

---

١- حذيفة بن قتادة المرعشى من العباد سكن أنطاكية، صحب سفيان الثوري وروى عنه روى عنه يوسف بن أسباط وابن أبي الدرداء،كان ورعا لا يأكل إلا الحلال المحض ،واشتغل بالعبادة عن الرواية،ذُكرت عنده الوحدة وما يكـره منها قال:إنما يكره ذلك للجاهل فأما عالم يعرف ما يأتي أي فلا، ويرى أن أفضل أعمال البر لزوم البيت،كان يحذر من هدايا الفجار والسفهاء ،مات سنة سبع ومائتين.
ينظر:الثقات لابن حبان(٢١٥/٨)،بغية الطلب لأبي جرادة(٢١٤٥/٥)،المنتظم لابن الجوزي (١٦٢/١٠).
٢- بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء البغدادي المحدث الزاهد ،كنيته أبـو نصـر ، المشـهور بالحافي،ولـد (١٥٢هـ) ارتحل في العلم وكان رأسا في الورع والإخلاص ثم إنه دفن كتبه قال الدار قطني عنه:زاهد ،ثقـة لـيس يروي إلا حديثًا صحيحا ،مات سنة(٢٢٧ هـ)وله(٧٥)سنة.
ينظر:سير أعلام النبلاء للذهبي(٣٩٣/٧)،البداية والنهاية لابن كثير(٢٩٧/١٠).

(وكانوا قوما كرهوا المقام بين ظهراني أهل الباطل ، ففروا من فتنــة الكفــر وعبــادة الأوثان،فصرف الله تعالى عنهم شرهم ، ودفع عنهم بأسهم ،ورفع في الصالحين ذكرهم)[1]

٤.واحتجوا أيضا باعتزال النبي ﷺ قريشا ودخوله الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجــرة إلى أرض الحبشة ثم المدينة.

٥.وبقوله ﷺ لعقبة بن عامر الجهني[2] لما قال: يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : (أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك) .[3]

٦. وبحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ، أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله ﷺ : (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله قالوا : ثم من ؟ قال:مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره) .[4]

٧. وبقوله ﷺ :(إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي) .[5]

يقول النووي -رحمه الله-( في هذا الحديث حجة لمن يقول الاعتزال أفضل من الاختلاط، وفي المسألة خلاف... ومن قال بالتفضيل للاختلاط قد يتأول هذا على الاعتزال وقت الفتنة ونحوها)[6]

---

١- العزلة للخطابي ص(٦٢).

٢- هو عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الثقفي الجهني له أكثر من كنية فيقال أبو سعاد،أبوعامر،ويقال أبو الأســد صاحب النبي وروى عنه وذُكر في أهل الصفة،وقال الواقدي: شهد صفين مع معاوية وتحول إلى مصر وولي عليها من قبل معاوية بن أبي سفيان سنة:٤٤ هـ وتوفي في آخر خلافة معاوية ودفن بالمقطم وقال خليفة بن خياط روى حديثًا كثيرا كان فصيحا مقرئًا مات سنة(٥٨ هـ).

ينظر:حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني(٨/٢)،سير أعلام النبلاء للذهبي(٤٦٧/٢)،الكاشف للذهبي(٢٩/٢).

٣- أخرجه الترمذي في سننه(٦٠٥/٤) كتاب: الزهد باب: ماجاء في حفظ اللسان رقم(٢٤٠٦)، وقال الألبــاني في صحيح الترمذي(٢٤٠٦):صحيح برقم(٤٣٥٢٤)،وأحمــد في مســنده (٣٥٩/٥)،والطــبراني في المعجــم الكــبير (٧٤١/١٧)،والمنذري في الترغيب والترهيب(٣٣٦/٣)رقم(٤٣٢٣)وقال الترمذي حديث حسن غريب.

٤- سبق تخريجه ص(٢٥).

٥- سبق تخريجه ص(٦٢).

٦- شرح النووي على صحيح مسلم (١٠١/١٨).

٨ . كذلك استدلوا بحديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال :(خير معايش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله ، ويطير على متنه ، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه ، يبتغي القتل والموت مظانّه، ورجل في غنيمة ، في رأس شعفة من هذه الشعف ، أو بطن واد من هذه الأودية ، يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلا في خير ) .[١]

واستدلوا بالآثار التالية:

١. قول عمر ﷺ :( خذوا بحظكم من العزلة).[٢]

٢.وبقوله ﷺ أيضا: ( في العزلة راحة من خليط السوء).[٣]

٣. وبقول أبي الدرداء ﷺ : (نعم صومعة الرجل بيته ، يكف سمعه وبصره ودينه وعرضه ، وإياكم والجلوس في الأسواق فإ ا تلهي وتلغي).[٤]

٤. وبقول ابن سيرين[٥] -رحمه الله- :( العزلة عبادة).[٦]

٥.وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ:(والله لوددت أن بيني وبين الناس بابا من حديد، لا يكلمني أحد ولا أكلمه حتى ألحق بالله عز وجل ).[٧]

٦.وقال ابن مسعود ﷺ:(كونوا ينابيع العلم ، مصابيح الليل ،أحلاس البيوت،جدد القلوب،

---

١- سبق تخريجه ص (٣٤).

٢- سبق تخريجه ص (٦٥).

٣- العزلة للخطابي ص (٧٠).

٤- سبق تخريجه ص (٨٢).

٥- هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء أبو بكر إمام وقته في علوم الدين بالبصرة تابعي من أشراف الكتاب نشأ بزازا تفقه وروى الحديث واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا (ت:١١٠).
ينظر:الطبقات الكبرى لابن سعد (١٩٣/٧)،وسير أعلام النبلاء للذهبي (٦٠٦/٤)،والأعلام للزركلي (١٥٤/٦).

٦- العزلة للخطابي ص (٧٩)،التمهيد لابن عبد البر (٤٤٦/١٧) ونسبه إلى سعيد بن المسيب.

٧- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب،محمد السفاريني، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م،مؤسسة قرطبة- المملكة العربيـة السعودية(٤٦٣/٢).

خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء ،وتخفون في أهل الأرض.

٧.وقال داود الطائي: فر من الناس كما تفر من الأسد.

٨.وقال أبو مهلهل: أخذ بيدي سفيان الثوري وأخرجني إلى الجبانة فاعتزلنا ناحـية ،فبكى ثم قال : يا أبا المهلهل إن استطعت أن لا تخالط في زمانك أحدا فافعل ).(١)

**- الرد على أدلة القائلين بتفضيل العزلة ودحض احتجاجهم من خلال ثلاثة محاور وهي:**

أدلة اعتزال الأنبياء — أدلة أمر الرسول صحابته بالعزلة — أدلة مدح العزلة

**١.الرد على المحتجين بالأدلة التي جاءت في اعتزال الأنبياء أقوامهم:**

أما احتجاجهم بقوله ﷻ على لسان موسى عليه السلام :﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ حين فزع عليه السلام إلى العزلة عند اليأس منهم ، وكذلك ما أمر الله به أصحاب الكهف من العزلة في قوله تعـالى:﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾.

واعتزال النبي ﷺ قريشا (لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته ، فهذا كله اعتزال عـن الكفار بعد اليأس منهم فإنه ﷺلم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار ، وأهـل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون).(٢)

وعلى ذلك فإن الاستـدلال بجميع هذه الأدلة ضعيف لأن الاعتزال فيها إنما هو للكفار ومعبودا م كما أن مخالـطة الكفار لا فائدة فيها إلا دعو م إلى الدين ، وعند اليأس

---

١- مختصر منهاج القاصـدين،أحمد بـن عبـد الـرحمن بـن قدامـة المقدسـي،تحقيق:قاسـم الرفـاعي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م،دار القلم- بيروت (١٧٥،١٧٦).

٢- ينظر : إحياء علوم الدين،للغزالي(٢٢٥/٢).

من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم[1] وإنما الكلام في مخالطة المسلمين .

وقد قيد الخطابي عزلة الأنبياء بأ ا في زمن الفتن فقال: (والعـزلة عند الفتنة سـنة الأنبياء وعصمة الأولياء)[2] ولم يجعلها مطلقة في كل الأحوال ذلك أن فتنة الأنبياء لم تكـن إلا مع أقوامهم المكذبين لرسالا م ، المنكرين لما جاءوا به من الحق ويصرح القرآن الكـريم بذلك في قصصه ومن ذلك قصة نبي الله صالح عليه السلام حيث قـال عز وجل: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:٧٥-٧٩]

## ٢.الرد على الاحتجاج بالأدلة التي أمر النبي ﷺ بعض أصحابه فيها بالعزلة:

وذلك كقوله ﷺ لعقبة بـن عـامر رضي الله عنه :(أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتـك)[3] (فلا يمكن تـ يله إلا على ماعرفه ﷺ بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيـت كان أليق به وأسلم له من المخالطة)[4]

فالاحتجاج ـذا القول مردود والدليل على رده أن الرسول ﷺ لم يأمر جميع الصـحابة بذلك، وإنما هي وقائع أعيان لا عموم لها ، ورب شخص تكون سـلامته في العزلـة لا في المخالطة لأن مخالطة الناس فيها مجاهدة ومقاساة لذا قال ﷺ :( المسلم إذا كان مخالطًا للناس ،

---

١- إحياء علوم الدين،للغزالي(٢/٢٢٥).

٢- الـعزلة ص(٦٣).

٣- سبق تخريجه ص(٩٠).

٤- إحياء علوم الدين،للغزالي(٢/٢٢٥).

ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم)[١].

وعليه فإن النبي ﷺ خص ـذا الأمر أفرادا لعلمه عدم قدر ـم على مخالطة الناس والصـبر على أذاهم أو حتى على تباين طبائعهم وإن لم يكن فيها إيذاء مقصود للآخرين ، فالتبـاين بين الناس في الطبائع والأخلاق والقدرات تفرض نوعا من الخصوصـية والحساسـية الـتي لا يحتملها الآخرون ؛ فمن الناس من يتضرر بالمخالطة فيضر بنفسه وغيره فلا يستطيع منـع أذاه وشره إلا بالاعتزال ، ومنهم من يكون سريع التأثر بمن حوله سلبا باقتراف المنكرات إذا قار ـا واختلط بأهلها،أو يحاول التأثير والتغيير فيمن حوله بأسلوب عشـوائي يـؤدي إلى مضاعفة المنكر وكلاهما يشرع في حقه العزلة كفًا لشرهم عن الناس أو حفظًا لهم عن شرور الناس[٢]

### ٣.الرد على الاحتجاج بالأدلة التي فيها مدح العزلة :

امتدح الرسول ﷺ العزلة في عدة أحاديث جاءت في معظمها بمدح نوع خـاص مـن العزلة ، أو مدح العزلة في زمن خاص ولم تأت مطلقة إلا في أحاديث قليلة جدا تحمل على نوع خاص أو زمن خاص أيضا ومن هذه الأحاديث:

- قوله ﷺ : (مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره)[٣]

يقول ابن حجر:(هو محمول على من لا يقدر على الجهاد فيستحب في حقه العزلة ليسـلم ويسلم غيره منه)[٤]

فلا دلالة للمحتجين ـذا الحديث على ماذهبوا إليه ، إذ فيه ما يشـير إلى أن الرجـل المفضل هو من اعتزل الناس ليكفيهم شر نفسه فكأن فيه إشارة إلى أن هذا المعتزل فيه شـر فهو شرير بطبعه يتأذى الناس بمخالطته[٥]؛(لاتصافه بطبائع وأخلاق سيئة من الحدة والشدة ،

---

١- سبق تخريجه ص (١٩).

٢- سبق تفصيل القول في هذا الموضوع الباب الأول ،الفصل الأول ،ص **(٣٥).**

٣- سبق تخريجه ص (٢٥)**.**

٤- فتح الباري (٤٦٢/١١).

٥- ينظر: إحياء علوم الدين،للغزالي (٢٢٥،٢٢٦/٢) ، الغلو في الدين،لعبد الرحمن اللويحق ص(٤٨٢).

أو التعجل والهوج أو غيرهما مما يلحق الضرر بالآخرين دون تحصيل فائدة تذكر ولا يملـك الخلاص منها أو تخفيفها و ذيبها)[1].

كما أشار ابن حجر في موضع آخر إلى تقييد الحديث بزمن الفتن فقال: ( فإن أُخذ على عمومه دل على فضيلة العزلة لمن لا يتأتى له الجـهاد في سـبيل الله إلا أن يكون قيد بزمان وقوع الفتن والله أعلم)[2]

- قوله ﷺ :( ورجل في غنيمة ، في رأس شعفة من هذه الشعف ، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلا في خير) .[3]

**تحقيق المسألة في هذا الحديث:**

يعد هذا الحديث (من أقوى الأحاديث في فضل العزلة ، إذ فيه العطف بالواو ، بينمـا العطف في الأحاديث الأخرى بـ"ثم" ، أو عبارة "الذي يليه" مما يدل على نزول الرتبة.

فهذا الحديث نفسه ، جاء في رواية الإمام أحمد بلفظ:( ليأتين على الناس زمان يكون أفضل الناس فيه بمنزلة رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع بهيعة استوى على متنه ثم طلب الموت مظانه ورجل في شعب من هذه الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويدع الناس الا من خير)[4].

وفي حديث أم مالك البهزية رضي الله عنها[5]:قالت ثم ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقر ا قالت:قلت: يا رسول الله من خير الناس فيها.قال:(رجل في ماشيته يؤدي حقها ويعبد ربه ورجل آخذ برأس

---

١- العزلة والخلطة،سلمان العودة، ص(٥٥)بتصرف يسير.

٢- فتح الباري (٤٧/١٣).

٣- سبق تخريجه ص(٣٤).

٤- أخرجه أحمد في مسنده (٤٤٣/٢)رقم(٩٧٢١).

٥- أم مالك البهزية صحابية لها حديث في الفتنة (ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقر ا ...) الحـديث ،لهـا صـحبة روى حديثها طاوس،وروى لها الترمذي.

ينظر: ذيب الكمال للمزي(٣٨٤/٣٥)،الكاشف للذهبي(٥٢٧/٢) ذيب التهذيب لابن حجر(٥٠٥/١٢)،تقريب التهذيب لابن حجر(٧٥٨/١).

فرسه يخيف العدو ويخيفونه)[1].

كما يؤكد هذا أن عددا من الأئمة أدخلوا الحديث في مصنفا م في كتاب الفتن ،مثـل عبد الرزاق ، وابن ماجه وغيرهما .

وقد صح المعنى عن النبي ﷺ مقيدا في الفتنة في أحاديث أخرى منها قول رسول الله ﷺ : (خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان أو قال: برسن فرسه ، خلف أعداء الله ، يخيفهم ويخيفونه ، ورجل معتزل في باديته يؤدي الحق الذي عليه)[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (يا أيها الناس ، أظلتكم فتن كأنها قطع الليل المظلم ، أنجى الناس فيها -أو قال: منها- صاحب شاء يأكل من رسل[3] غنمه ، أو رجل من وراء الدرب ، آخذ بعنان فرسه ، يأكل من ظل سيفه)[4].

فدل هذا على أن الحديث في المفاضلة هو في زمن الفتنة ، حيث يكون أفضل المـؤمنين وأكملهم وأسلمهم رجل قد شغل نفسه بالجهاد ، وقتال أعداء الله ، يخيفهم ويخيفونه ، فإن لم يقدر على هذا نجا - بنفسه- من الفتنة باعتزالها واعتزال أهلها ، والتفرد في رأس شعفه أو بطن واد ، ولذلك قال الحافظ ابن حجر حول تلك الأحاديث المفضلة للعزلـة بـإطلاق : (وهو مقيد بوقوع الفتن).[5]

---

١- أخرجه الترمذي في سننه(٤/ ٤٧٣)كتاب:الفتن،باب:ما جاء كيف يكون الرجل في الفتنةرقم(٢١٧٧)،وأحمد في مسنده (٤١٩/٦)بلفظ آخر.قال الألباني في صحيح الترمذي(٢١٧٧):صحيح.

٢- أخرجه الحاكم في مستدركه(٤٩٣/٤)كتاب الفتن والملاحم برقم(٨٣٨٠)وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ،ولم يخرجاه،وعبدالرزاق في مصنفه(٣٦٨/١١)باب خـير النـاس في الفتن،بـرقم(٢٠٧٦٠)،وصـححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٣١١/٢)رقم(٦٨٦٣١).

٣- الرسل:اللبن،أي:من لبنها،ينظر:مختار الصحاح لأبي بكر الرازي(١٠٢/١)،النهايـة في غريـب الحـديث لابـن كثير(٢٢٢/٢).

٤- أخرجه الحاكم في مستدركه(٥١٢/٤)برقم(٨٤٣٧)وقال:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ،وعبدالرزاق في مصنفه(٣٥٣/١١) باب الفتن،برقم (٢٠٧٣١)،و(٣٦٨/١١)باب خير الناس في الفتن،بـرقم(٢٠٧٦٢)،وصـححه الألباني في صحيح الجامع برقم(١٠٣٥).

٥- فتح الباري،لابن حجر (٦/٦) و ينظر: العزلة والخلطة، سلمان العودة ص(٣٩،٣٦).

وجاء في فقه الحديث أن( العزلة بسبب الفتن ينبغي أن لا تحـول بـين العبـد والقيـام بالأحكام الشرعية على وجهها من صلاة وصيام وزكاة وحج )[1]فدل ذلك علـى تقييـد الحديث بالفتن.

- أما قوله ﷺ : (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي)[2] .

فالحديث وإن كان عاماً في ظاهره إلا أن أهل العلم استشهدوا به على اعتـزال الفـتن فأورده الخطابي كشاهد على اعتزال الفتن والحروب وأن ذلك من سنة صحابة رسول الله ﷺ والدليل قول عمر بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لأبيه حين اعتزل الحرب بين علـي بـن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : ( يا أبت أرضيت أن تكون أعرابيا في إبلك وغنمـك والناس يتنازعون في الملك).[3]

وهذه الرواية تضم ثلاثة أمور وهي:

١. التعرب[4]في قوله( أرضيت أن تكون أعرابيا).
٢. الاكتساب الطيب من إبل وغنم يرعاها بعيدا عن الناس.
٣. أن علة هذا العتاب الانصراف عن الملك.

أما الإذن في التعرب فلم يكن إلا في حال الفتن.[5]

وأما الاكتساب الطيب من الإبل والغنم يرعاها بعيدا عن الناس فقد جـاء قولـه ﷺ:

(يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)[6]

فقيد ﷺ ذلك بزمن وقوع الفتن.

---

١- جة الناظرين شرح رياض الصالحين،سليم الهلالي(٦٥٥/١).
٢- سبق تخريجه ص(٦٢).
٣- أخرجه أحمد في مسنده(١٦٨/١)،وينظر: العزلة للخطابي ص(٧١)،سيرأعلام النبلاء للذهبي(١٠٢/١).
٤- التعرب هو: أن ينتقل المهاجر من البلد التي هاجر منها فيسكن البدو فيرجع بعد هجرته أعرابيا ، وكـان إذ ذاك محرما إلا إن أذن له الشارع في ذلك.ينظر: فتح الباري،لابن حجر(٤١/١٣).
٥- ينظر: فتح الباري،لابن حجر (٤١/١٣).
٦- سبق تخريجه ص (٣٠).

وأما سبب فعل الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ﷺ كونه أعـرابيا منشـغلاً بإبلـه وغنمه هو الـبعد عن الحروب النـاتجة عن الاخـتلاف والتنـازع في الملك فقد(كـان سعد ممن اعـتزل أيام الفـتنة فلم يكن مع واحـد من الفريقين فأرادوه على الخـروج فأبى وضرب لذلك مثلاً).(١)

كما أدرج النووي هذا الحديث تحت باب: (استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها).(٢)

يتضح مما سبق أن الأمر بالعزلة أو المدح لها ليس مطلقًا بل كـان مخصوصـا بأوقـات وحالات معينة تستدعي العزلة وتكون في حقها مطلبا ضروريا، مثل سلامة الدين عند فساد الزمان أو ظهور الفتن كحكم عام على الجميع ، أو كان الأمر لأشخاص العزلة في حقهـم أولى، وعلى كل حال فإن الأدلة المطلقة في العزلة تحمل على المقيدة بالفتن.

---

١- العزلة للخطابي ص(٧٢،٧١).

٢- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين،للنووي(١٣١/١).

## المبحث الثاني : تفضيل الخلطة وحجة القائلين بها والرد عليهم.

واستحب ذلك وقال به أكثر التابعين ، وإليه ذهب سعيد بن المسيب والشعبي[1] وابن عيينه[2] وابن المبارك والشافعي وأحمد وجماعة.

### الأدلة التي استدل بها القائلون بتفضيل المخالطة هي :

ذكر أدلتهم الإمام الخطابي ،وكذا الغزالي-رحمهما الله- وأجابا عنها باختصار مفيد وهاهي الأدلة :

١- قالوا قد أمر الله سبحانه وتعالى بالاجتماع وحض عليه ، ونهى عن الافتراق وحذر منه، فقال تعالى ذكره : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾.[ آل عمران :١٠٣]

٢- وقالوا أعظم المنة على المسلمين في جمع الكلمة وتأليف القلوب بينهم ، واستدلوا على ذلك بقوله ﷻ : ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ ﴾.[ الأنفال :٦٣]

٣- واحتجوا أيضا بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[آل عمران :١٠٥]

---

١- هوعامر بن شراحبيل بن عبد بن ذي كبار، أبو عمرو الهمداني الشعبي،ولد زمن عمر سمع من كبراء الصحابة وحدث عن الكثير منهم،قال أدركت خمس مئة من أصحاب النبي قال مكحول:ما رأيت أحدا أعلم من الشعبي،كان أمي لا يكتب ولا يقرأ ،مات سنة( ١٠٤ هـ)وكان عمره(٨٢ سنة).
ينظر:سير أعلام النبلاء للذهبي(٢٩٤/٤،٣١٩)،الكاشف للذهبي(٥٢٢/١).

٢- هو الإمام الكبير أبو محمد سفيان بن عيينه بن أبي عمران ميمون الهلالي الكوفي ثم المكي،ولد بالكوفة سنة(١٠٧) طلب الحديث وهو حدث ولقي الكبار وحمل عنهم علما جما واتقن وجود وجمع وصنف وعمر دهرا، ثقة ثبت حافظ إمام،وكان صاحب سنة واتباع عاش(٩١)سنة.
ينظر:سير أعلام النبلاء للذهبي(٤٥٤/٨،٤٧٥)،الكاشف للذهبي(٤٤٩/١).

٤- واحتجوا بقوله ﷺ : (المؤمن مألفة، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف) .[١]

٥- وبقوله ﷺ :(من فارق الجماعة شبرا ، فقد خلع ربقة[٢] الإسلام عن عنقه) .[٣]

وبقوله ﷺ : (من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية) .[٤]

وبقوله ﷺ في حديث ابن عباس : (من شق عصا المسلمين ، والمسلمون في إسلام دامج[٥] فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) .[٦]

ووجه استدلالهم بهذه الأحاديث أنهم ( قالوا : نطقت هذه الأخبار بأن المعتزل عن الناس، المنفرد عنهم، مفارق للجماعة ، شاذ عن الجملة ، شاق لعصا الأمة ، خالع للربقة ، مخالف

---

١- أخرجه الحاكم في مستدركه(٧٣/١)،والبيهقي في سننه الكبرى(٢٣٦/١٠)،وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٥/٧)،والطبراني في المعجم الصغير(٣٦٢/١) بلفظ (أكمل الناس إيمانا أحاسنهم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)وفي الكبير(١٣١/٦)،وأحمد في مسنده(٤٠٠/٢)،(٣٣٥/٥) بلفظ( المؤمن مؤلف ولا خير... )قال الألباني في السلسلة الصحيحة(٤٢٥):صحيح برقم(٥٤٦٤٣).

٢- معنى ربقة: الربق بالكسر حبل فيه عدة عرا ،والربقة في الأصل عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها فاستعارها للإسلام يعني ما يشد المسلم به نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه، وأخرج ربقة الإسلام عن عنقه فارق الجماعة. ينظر: النهاية في غريب الأثر لأبي السعادات (١٩٠/٢)، لسان العرب لابن منظور(١١٣/١٠)،مختار الصحاح لأبي بكر الرازي(٩٨/١).

٣- أخرجه أبو داود في سننه(٢٤١/٤)كتاب الديات،باب في قتل الخوارج،والترمذي في سننه في(١٤٨/٥)برقم (٢٨٦٤،٢٨٦٣)،وأحمد في مسنده (١٣٠/٤،٢٠٢ و٣٤٤/٥)والحاكم في مستدركه (١١٧/١،١١٨)وابن حبان في صحيحه(١٥٥٠)قال ابن حجر عن أصل الحديث أخرجه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان مصححا الفتح (١٧/٣)وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح خلا علي بن إسحاق السلمي وهو ثقة ، مجمع الزوائد (٢١٧/٥).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٨٨/٦) كتاب:الفتن،باب: قول النبي سترون بعدي أمورا تنكرونها رقم (٦٦٤٦)،ومسلم في صحيحه(١٤٧٧/٣)كتاب: الإمارة باب:وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال رقم(١٨٤٩).

٥- معنى دامج: دمج الأمر يدمج دموجا استقام،وتدامجوا على الشيء اجتمعوا،والدامج المجتمع ،والدموج:دخول الشيء في الشيء.ينظر: النهاية في غريب الأثر لأبي السعادات (١٣٢/٢) ،لسان العرب لابن منظور(٢٧٤/٢،٢٧٥).

٦- أخرجه أبو داود في سننه(٢٤١/٤)كتاب:السنة،باب في قتل الْخوارج برقم(٤٧٥٨)والترمذي في سننه(١٤٨/٥) كتاب: الأمثال عن رسول الله،باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (٢٨٦٣)،الحاكم في مستدركه(٢٠٣/١) برقم(٤٠١)و(٥٨٢/١)وقال:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.وقال العراقي في تخريج الإحياء(٢٨٠/٢) إسناده جيد.

للسنة)[1]

٦- وقالوا أيضا :وأقل ما في العزلة أ ا إذا امتدت واستمرت بصاحبها صارت هجرة ، وقد ى رسول الله ﷺ عن الهجرة أكثر من ثلاث فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) .[2]

وزاد أبو هريرة في روايته عن رسول الله ﷺ قال: (. . .فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار)، وفي رواية: (من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه)[3]. قالوا:والعزلة هجرة بالكلية .

٧- كما استدلوا على تفضيل الخلطة أيضا بحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ: (المسلم إذا كان مخالطا للناس ، ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم)[4].

**الرد على أدلة القائلين بتفضيل المخالطة ودحض احتجاجهم ا من خلال أربعة محاور استندوا عليها وهذه الأدلة كالتالي:**

| الناهية عن الافتراق | الناهية عن مفارقة الجماعة | الناهية عن هجران المسلمين | الناهية عن الاعتزال |
| --- | --- | --- | --- |

**أ.الرد على المحتجين بالأدلة الناهية عن الافتراق والحاضة على الائتلاف:**

إن الفرقة قد تكون في آراء وأديان قوم مجتمعين في مكان واحد ، كما تكون في فرقة

---

١- العزلة للخطابي ص(٥٦).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٥٥/٥) كتاب:الأدب،باب:الهجرة،رقم(٥٧٥٢)،ورقم(٥٧٢٦)ورقم(٥٨٨٣).

٣- أخرجه أبو داود في سننه(٢٧٩/٤)كتاب الأدب،باب: فيمن يهجر أخاه المسلم برقم(٤٩١٥) ،وأحمد في مسنده (٢٢٠/٤)،والحاكم في مستدركه (١٨٠/٤) وقال (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، ،المعجم الكبير للطبراني (٣٠٨/٢٢)،الترغيب والترهيب للمنذري(٣٠٦/٣)قال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣١٣):صحيح رقم (٧٤٨٩٠ ) .

٤- سبق تخريجه ص(١٩).

أبدان أقوام مجتمعين على عقيدة واحدة ومنهج واحد ، وحيث أنه يستحيل جمع كل من كان على عقيدة التوحيد في مكان واحد كان الافتراق المنهي عنه هو فرقة الأديان وليس الأبدان وعلى ذلك فإن الاستدلال بهذه الأدلة على تفضيل المخالطة ضعيف؛ لأن المراد بالتفرق المنهي عنه تفرق الآراء في الدين وأصول الشريعة ؛ يقول الخطابي لتضعيف الاحتجاج بهذه الأدلة:( الفُرقة فرقتان: فرقة الأديان ،وفرقة الأبدان ...فأما الافتراق في الآراء والأديان فإنه محظور في العقول ، محرم في الأصول ، لأنه داعية الضلال وسبب التعطيل والإهمال ،ولو ترك الناس متفرقين لتفرقت الآراء والنحل ولكثرت الأديان والملل ،ولم تكن فائدة في بعثة الرسل وهذا هو الذي عابه الله ﷻ من التفرق في كتابه وذمه)[1].

يوافقه الغزالي في ذلك فيقول:( وهذا ضعيف لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة ،والمراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور وهي الأسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك).[2]

كما أن الاحتجاج بقوله ﷺ :(المؤمن مألفة، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف )[3] على هذه المسألة( ضعيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق الذي تمتنع بسببه المؤالفة ، ولايدخل تحته حسن الخلق الذي إن خالط ألف وأُلف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا للسلامة من غيره).[4]

**ب. الرد على الاحتجاج بالأدلة الناهية عن مفارقة الجماعة :**

أمر الله بالاجتماع والائتلاف ، ونهى عن الفرقة والاختلاف ، وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في الحض على الجماعة والتزامها وعدم الخروج عليها والنهي عن مفارقتها.

وقد تتبع بعض أهل العلم[5]هذه الأحاديث والآثار وأقوال السلف في بيان معنى الجماعة

---

١- العزلة ص (٥٧).

٢- إحياء علوم الدين (٢٢٣/٢).

٣- سبق تخريجه ص(١٠٠).

٤- إحياء علوم الدين،للغزالي (٢٢٣/٢).

٥- ينظر:الاعتصام،للشاطبي،تعليق:محمود طعمه،ط٢، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م،دار المعرفة-بيروت(٥١٧/٢)وما بعدها ،وفتح الباري،لابن حجر(٣١٦/١٣)وما بعدها.

على خمسة أقوال هي:

١. أ ا السواد الأعظم من أهل الإسلام.

٢.أ ا جماعة أئمة العلماء ا تهدين.

٣.أن الجماعة :هم الصحابة على الخصوص.

٤.هي جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهـل الملـل اتباعهم.

٥.جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير .

ويعلق د.أحمد الغامدي قائلاً: ( ولعل القولين الأول والخامس يرجعان إلى قول واحـد وهو: أن الجماعة هي السواد الأعظم من أهل الإسـلام الـذين اجتمعـوا علـى أمـير واحد...فالسواد الأعظم من الأمة الإسلامية التي يحكمها حاكم مسلم لا يجوز الخروج عليه ماكان الحاكم مقيما لشريعة الله ولم يظهر منه كفر صريح يخرجه عن الإسلام).[١]

قال الشاطبي:(وكأن هذا القول- الخامس- يرجع إلى الثاني ، وهـو يقتضـي أيضـا مايقتضيه أو يرجع إلى القول الأول وهو الأظهر).[٢]

وهذه الأقوال التي قال ا أهل العلم في معنى الجماعة في ضوء النصوص الواردة فيها تدل على أن الجماعة تطلق إطلاقين :

الأول: إطلاق الجماعة على البناء والكيان .

الثاني: إطلاق الجماعة على المنهج والطريقة.

وتفصيل هذين الإطلاقين على النحو التالي:

**الإطلاق الأول-إطلاق الجماعة على البناء والكيان :**

إن المسلمين إذا اتفقوا على إمام شرعي صاروا جماعة يجب لزومها ، وعدم مفارقتها ،

---

١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،اللالكائي (١/ ١٠٧،١٠٨).

٢- الاعتصام (٢/٥٢٠).

فالجماعة هي التي اتفقت الآراء فيها على إمام بعقد بيعة فالخروج عليهم بغـي،[1] وهـذه الجماعة هي التي قال الرسول فيها لحذيفة :( تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ) .[2]

قال الطبري:( والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة مـن اجتمعـوا على تأميره فمن نكث ببيعته خرج عن الجماعة)[3].

وهي أيضا التي ورد فيها حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهلية) .[4]

والجماعة بهذا الإطلاق قد تنعدم فلا توجد في زمن من الأزمان مثل زمن الفتنة ، بـدليل سؤال حذيفة رسول الله ﷺ :( فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ) .[5]

وعند عدمها يجب على المسلمين السعي لإيجادها إذ أن تنصيب الإمام الذي هو رأس بناء الجماعة أمر مجمع على وجوبه،قال شيخ الإسلام ابن تيمية:( يجب أن يعرف أن ولاية أمـر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصـلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس).[6]

ولذلك سعى صحابة رسول الله ﷺ بعد موته لمبايعة أبي بكر خليفة له وإماما للمسلمين، سئل سعيد بن زيد رضي الله عنه ( أشهدت وفاة رسول الله ؟ قال :نعم ، قيل: فمتى بويع أبو بكر ؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ،كرهوا أن يبيتوا بعض يوم وليسوا في جماعة).[7]

**الإطلاق الثاني- إطلاق الجماعة على المنهج والطريقة :**

إن نصوص الأمر بلزوم الجماعة يجب أن لا تدرس بمعزل عن النصوص التي تتحدث عن

---

١- ينظر: إحياء علوم الدين،للغزالي (٢٢٣/٢).

٢- سبق تخريجه ص(٢٣).

٣- فتح الباري لابن حجر (٣٧/١٣).

٤- سبق تخريجه ص (١٠٠).

٥- سبق تخريجه ص(٢٣).

٦- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،،دار المعرفة.(١٣٦/١).

٧- تاريخ الطبري،لابن جرير الطبري ،ط١، ١٤٠٧هـ ،دار الكتب العلمية-بيروت(٢٣٦/٢).

الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، فبينهما تلازم واضح لمن تتبع هذه الأحاديث ورواياتها فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:قال رسـول الله ﷺ : (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، و تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[1]

وفي بعض الروايات (ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة)[2]

وفي تحديد هذه الفرقة الناجية وردت عدة روايات هي:

١. ورد في بعض الروايات :(وواحدة في الجنة هي الجماعة) .[3]

٢. ورد في بعض الروايات: (كلها في النار إلا السواد الأعظم) .[4]

٣. وفي رواية أنه قال لما سئل عن الفرقة الناجية : (ما أنا عليه وأصحابي) .[5]

قال الآجري : (ومعانيها واحدة إن شاء الله تعالى).[6]

فبين النبي ﷺ بقوله:(ما أنا عليه وأصحابي):( بأن الفرقة الناجية من اتصـف بأوصـافه ﷺ وأوصاف أصحابه).[7]

---

١- سبق تخريجه ص (٤٠).

٢- أخرجه أبو داود في سننه(٤٥٩٧)كتاب: السنة،باب:شرح السنة،والدارمي في مسنده (٢٤١/٢)كتاب السـير ، باب افتراق هذه الامة ،وأحمد في مسنده(١٠٢/٤)،والحاكم(١٢٨/١)وقال المنذري في الترغيب والترهيب(٤٤/١): إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما برقم(٧٩).

٣- سبق تخريجه في الهامش السابق ص(١٠٥).

٤- أخرجـه البيهقـي في سـننه الكـبرى(١٨٨/٨)بـرقم(١٦٥٦٠)،وابـن أبي شـيبة في مصـنفه(٥٥٤/٧)بـرقم(٣٧٨٩٢)،والطـبراني في المعجـم الأوسـط(١٧٦/٧)بـرقم(٧٢٠٢)،والمعجـم الكبير(٢٧٤/٨)برقم(٨٠٥٤).قال السخاوي في الأجوبة المرضية(٥٧٤/٢)رواته ثقات.

٥- أخرجه الترمذي في سننه(٢٦٤/١)كتاب الإيمان:باب ماجاء في افتـراق هـذه الأمـة،والحاكم في مسـتدركه (١٢٩/١٢٨/١)وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم(٥٣٤٣).

٦- الشريعة،لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي،ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، دار الوطن – الرياض،السعودية(٣٠٢/١).

٧ - الاعتصام للشاطبي (٥٠٩/٢).

و ـذا يتبين الترابط بين أحاديث الفرقة الناجية ، وأحاديث الجماعة إذ أن الفرقة الناجية هي الجماعة.

وكلام السلف يدل على أن الجماعة مجموعة أوصاف وليست مجرد كيان ، فقد يكـون الإنسان الجماعة إذا كان الملتزم الوحيد بأوصافها ،يقول ابن مسعود ﷺ :( إنمـا الجماعـة ماوافق طاعة الله وإن كنت وحدك)(١)

(وحيث جاء الأمر بلزوم الجماعة ، فالمراد به لزوم الحق واتباعه،وإن كان المتمسك بـالحق قليلاً،والمخالف كثيرا لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من الـنبي ﷺ وأصـحابه ولا ينظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم).(٢)

قال نعيم بن حماد :(أي إذا فسدت الجماعة ، فعليك بما كانت عليه الجماعـة قبـل أن تفسد ، وإن كنت وحدك ،فإنك أنت الجماعة حينئذ).(٣)

ولهذا قال ابن القيم مبينا هذا الأمر :(وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفرا يسيرا ، فكانوا هم الجماعة ، وكانت القضاة حينئذ ، والمفتون ، والخليفة ، وأتباعه كلـهم هم الشاذون ، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة).(٤)

ويدل على فهم السلف لهذا ما ساقه الإمـام الآجـري(٥) في بـاب لـزوم الجماعـة آيات وأحاديـث في لـزوم الصـراط المسـتقيم ، وعـدم تتبـع السـبل ثم يقـول في ختام الباب: (عـلامة من أراد الله ﷻ به خيرا :سلوك هذا الطريق :كتاب الله ﷻ وسنن

---

١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي(١٢٢/١).

٢- الباعث على إنكار البدع والحوادث،عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، ط١٣٩٨،١هـ ـ ١٩٧٨م،دار الهدى- القاهرة (٢٢/١).

٣- المصدر السابق (٢٢/١).

٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين ،تحقيق:طه عبد الرؤوف،١٩٧٣م، دار الجيل- بيروت (٣٩٧/٣).

٥- الآجري الامام المحدث القدوة أبـو بكـر محمـد بـن الحسـين بـن عبـد الله الفقيـه الشـافعي المحـدث البغدادي،صالحا عابدا مجاورا بمكة وكان عالما عاملا صاحب سنة واتباع، ثقة له عدة مؤلفات منـها: "الشـريعة في السنة" و"الأربعين حديثا" وهي مشهورة به توفي سنة(٣٦٠هـ).

ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان(٢٩٢/٤)،تذكرة الحفاظ للذهبي(٩٣٦/٣).

رسول الله ﷺ وسنن أصحابه ومن تبعهم بإحسان رحمة الله عليهم ، وماكان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ماكان من العلماء : مثل الأوزاعي[1]، وسفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، والقاسم بن سلام[2]، ومن كان على مثل طريقهم ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء)[3].

وختمه -رحمه الله- هذه العبارة يدل على فهمه للجماعة على أنها الاتباع ، فمن كان متبعا للرسول ﷺ وصحابته وسلف الأمة كان داخل الجماعة ، ومما يشهد لوجود هذا الفهم عند الإمام الآجري ماصدر به الباب حيث قال : (باب ذكر الأمر بلزوم الجماعة ...بل الاتباع وترك الابتداع)[4].

والجماعة بهذا الإطلاق لا تتخلف، فهي باقية إلى قيام الساعة ، يقول الرسول ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس).[5]

قال ابن حجر:(فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل السنة والجماعة وهم أهل العلم الشرعي)[6].

---

١- هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي شيخ الإسلام وعالم أهل الشام،أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وحفظًا وفضلاً وعبادة وضبطًا مع زهادة ،وكان خيرا فاضلا مأمونا كثير العلم والحديث والفقه حجة ،توفي سنة(١٥٧هـ).

ينظر: الثقات لابن حبان(٦٣/٧)،مشاهير علماء الأمصار لابن حبان(١٨٠/١)،سير أعلام النبلاء للذهبي(١٠٧/٧).

٢- هو أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء بغدادي ، من كبار علماء الحديث والأدب والفقه الف كتبا كثيرة منها الغريب وهو من أئمة أهل السنة والجماعة توفي بمكة سنة ٢٢٤هـ.

ينظر:سير أعلام النبلاء للذهبي(٤٩٠/١٠)،وتهذيب التهذيب لابن حجر(٣١٥/٨)والأعلام للزركلي (١٧٦/٥).

٣- الشريعة (٣٠١/١).

٤- المصدر السابق نفسه (٢٧٥/١).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٥/٩) كتاب:الاعتصام،باب:قول النبي ﷺ لاتزال طائفة من أمتي الحديث)رقم (٦٨٨١)ومسلم في صحيحه (١٥٢٣/٣) كتاب الإمارة : باب قوله ﷺ لاتزال طائفة من أمتي الحديث)رقم(١٥٦).

٦- فتح الباري (٣١٦/١٣).

وقال أحمد بن حنبل-رحمه الله-:( إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم ).[1]

قال القاضي عياض :( إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث، قلت - أي النووي- ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين ، منهم شجعان مقاتلون،ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر،ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير،ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض)[2]

مما سبق يتبين لنا أن الجماعة علَم على من جمع أوصافًا رأسها ومقدمها الاتباع لما جاء به الرسول ﷺ ،وأن هذه الجماعة لا يكتمل مبناها إلا أن يكون على رأسها الإمام الشرعي، ولكن تخلف هذا الكيان لا يعني انعدام الجماعة التي هي بمعنى المنهج والطريقة ، فهذا المعنى باقٍ إلى قيام الساعة .

كما تجتمع أقوال أهل العلم ، إذ أن اختلافهم اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد ، فالأقوال الخمسة يمكن تصنيفها إلى مجموعتين :

الأولى: وتجتمع فيها أربعة أقوال :

١- إن الجماعة : السواد الأعظم من أهل الإسلام.

٢- إن الجماعة : أئمة العلماء المجتهدين.

٣- إن الجماعة : هم الصحابة على وجه الخصوص.

٤- إن الجماعة : هم أهل الاسلام في مقابل الكفار.

ومدار هذه الأقوال كلها على معنى الاتباع فإن(الجميع اتفقوا على اعتبار أهل العلم والاجتهاد).[3]

---

١- شرف أصحاب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر،(٢٧/١) تحقيق: د. محمد سعيد خطيب اوغلي،دار إحياء السنة النبوية – أنقرة.

٢- شرح النووي على صحيح مسلم (٦٧،٦٦/١٣).

٣- الاعتصام للشاطبي (٥٢١/٢).

يؤكد ذلك ابن حجر بقول الكرماني[1]:(مقتضى الأمـر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف متابعـة ما أجمع عليه ا تهدون).[2]

وأما ا موعة الثانية : فهي القول الخامس وهو أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعـوا على الإمام الشرعي و( في حديث حذيفة لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك).[3]

فإذا درست نصوص الجماعة أو نص منها ، ينظر في سياقها ومواردها،وكلام أهل العلم على كل نص ثم يـ ل النص على المعنى الواقع عليه من الإطلاقين إذ لا تعارض بينهما.

نستنتج من الأقوال السابقة[4]أن النصوص الداعية إلى الجماعة والناهية عن الفرقة خاصة بالاجتماع على الأئمة والأمراء، أما ما دون ذلك من العامة فلا يدخل في هذا الخصوص.

يقول الإمام الخطابي:( الجماعة جماعتان ؛ جماعة هي الأئمة والأمراء ،وجماعة هي العامة والدهماء ...أما جماعة الأئمة الأمراء فإن في مفارقتهم مفارقة الألفة وزوال العصمة والخروج من كنف الطاعة وظل الأمنة وهو الذي ى النبي ﷺ عنه وأراده بقولـه: (من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية) .[5]

وذلك أن أهل الجاهلية لم يكن لهم إمام يجمعهم على دين ويتألفهم على رأي واحد بل كانوا طوائف شتى وفرقًا مختلفين آراؤهم متناقضة وأديا م متباينة،وأما عزلة الأبدان ومفارقة الجماعة التي هي العوام فإن حكمها أن تكون تابعة للحاجة وجارية مع المصلحة)،[6]

---

١- هو محمد بن يوسف بن علي شمس الدين الكرماني،تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة وأقام بمكة فترة،وكـان مقبلاً على شأنه لا يتردد إلى أبناء الدنيا قانعا باليسير ملازما للعلم شريف النفس متواضعا بارا لأهل العلم ، من كتبه: "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري"،مات سنة(٧٨٦هـ).
ينظر: طبقات الشافعية لأبي بكرشهبة (١٨٠/٣)،الأعلام للزركلي(٧/ ١٥٣).

٢- فتح الباري لابن حجر (٣١٦/١٣).

٣- شرح النووي على صحيح مسلم (٢٣٧/١٢).

٤- استفدت في هذا المبحث من كتاب الغلو في الدين،عبد الرحمن اللويحق ص(٢٠٣،٢٠٩).

٥- سبق تخريجه ص (١٠٠).

٦- العزلة ص (٥٧).

وللإنسان أن يتأمل حال نفسـه فينظر مايقتضيه المقام من العزلة أو المخـالطة بالعـامة والدهماء وبذلك تكون المسألة اختيارية لا علاقة لها بما ورد عن النبي ﷺ في النهي عن مفارقة الجماعة ، لذا ضعـف الغزالي هذا الاستدلال متفقًا مع الإمام الخطـابي مؤكدا على

مسألة الاجتماع على إمام فقال: ( وهذا ضعيف-أي الاحتجاج به- لأن المراد به الجماعـة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد بيعة فالخروج عليهم بغي وذلك مخالفة بالرأي وخـروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ولايكون ذلك إلا بالبيعـة من الأكثر فالمخالفة تشويش مثير للفتنة فليس هذا تعرض للعزلة).[1]

**ج.الرد على الأدلة الناهية عن هجران المسلمين :**

من المعلوم أن النبي ﷺ نهى عن هجرة المسلم لأخيه المسلم فقال:(ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ).[2]

ولكن( هذا في الهجران لغير عذر شرعي فإن كان عذر:

- بأن كان المهجور مذموم الحال لبدعة أو فسق أو نحوهما.
- أو كان فيه صلاح لدين الهاجر أو المهجور.

فلا تحريم، وعلى هذا يحمل ما ثبت من هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ ونهيه ﷺ الصحابة عن كلامهم وكذا ما جاء من هجران السلف بعضهم بعضا ).[3]

وبهذا القول يتبين أن الهجر الجائز فوق ثلاث نوعان وهما :

❖ **هجر وقائي احترازي للتأديب والتقويم والإصلاح:**

ومن ذلك أن النبي ﷺ هجر بعض أزواجه تأديبا فقد جاء عن عائشة-رضي الله عنها- (أنه اعتل بعير لصفية بنت حيي وعند زينب فضل ظهر. فقال رسول الله ﷺ لزينب اعطيها بعيرًا فقالت أنا أعطي

---

١- إحياء علوم الدين (٢/ ٢٢٣).

٢- سبق تخريجه ص(١٠١).

٣- روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي، ط٢، ١٤٠٥هـ،المكتب الإسلامي – بيروت (٣٦٧/٧).

تلك اليهودية فغضب رسول الله ﷺ فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر) .[1]

كما (اعتزل نساءه شهراً )[2]

ويكون هذا الهجر في حق من تريد بهجرك إياه تقويمه واستصلاحه إذا كان خاصا بك أو منقطعا إليك أو داخلاً في جملتك ومن طبقات أهل سياستك.[3]

يقول ابن وهب-رحمه الله- :( لا تعد إلا من يعودك ولا تشهد من لا يشهد جنازتك ، ولا تؤد حق من لا يؤدي حقك ، وإن عدلت عن ذلك فأبشر بالجور في الكيل).[4]

و( مثل هذه المحاسبة إذا كان من الأئمة وأهل القدوة فإنما يراد به التأديب والتقويم دون المكافأة والمجازاة)[5]وهذا الأسلوب يتناسب مع نوعية من الناس ويمكن ترويضهم بها ويصلح من سلوكهم وسوء أخلاقهم.

### ❖ هجر عقابي للتحقير والزجر:

ومن ذلك أمر النبي ﷺ الصحابة ﷺ بهجر كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ في قوله:(ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة. . . .الحديث) .[6]

يقول ابن حجر في مسائل الحديث :(وفيها ترك السلام على من أذنب وجواز هجره أكثر من ثلاث وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعيا).[7]

و(دلائل الكتاب والسنة والقياس متظاهرة على جواز هجران من لا تؤمن بوائقه

---

١- أخرجه أبو داود في سننه(١٩٩/٤)كتاب:السنة باب:ترك السلام على أهل الأهواء،رقم(٤٦٠٢)،وأحمد في مسنده(٣٣٧/٦)،والمنذري في الترغيب والترهيب(٣٢٧/٣)وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم(٢٨٣٥).

٢- سبق تخريجه ص(٨٣).

٣- ينظر: العزلة للخطابي ص(٩٢).

٤- المصدر السابق نفسه ص(٩٦).

٥- المصدر السابق نفسه ص (٩٧،٩٦).

٦- سبق تخريجه ص (٥٨).

٧- فتح الباري (١٢٤/٨).

والتباعد منه بل هو الواجب على كل أحد من الناس)[1]لأنه يرى لنفسه سلامة منه.

قال الإمام البغوي[2] -رحمه الله- :( وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجر م قال ابن عمر في أهل القدر: (أخبرهم أني بريء منهم وأ م مني برآء ).[3]

وقال ابن عبد البر[4]: ( أجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه ، أو يولد به على نفسه مضرة في دينه و دنياه ، فإن كان ذلك فقد رخص له في مجانبته ، ورب صرم جميل خير من مخالطة مؤذية).[5]ويجمع-رحمه الله- هذين النوعين فيقول:(ولا هجرة إلا لمن ترجو تأديبه ا ، أو تخاف من شره في بدعة أو غيرها).[6]

يلاحظ من الأقوال السابقة أن الأدلة الناهية عن الهجرة لم تأت مطلقة وإنما مقيدة بمن هجر فوق ثلاث دون سبب أوعذر شرعي يستوجب الهجر ،أما إذا وجد العذر الشرعي فالهجر جائز بل مطلوب ومتفق عليه عند العلماء بقصد مصلحة المهجور أو عامة الناس ممن يخالطهم،وعلى ذلك فإن (العزلة لا تجري مجراها ولا تدخل في معناها إنما المكروه من الهجرة

---

١- العزلة للخطابي ص(٩٤).

٢- الحسين بن مسعود بن محمد البغوي صاحب التفسير وشرح السنة والتهذيب في الفقه والجمع بين الصحيحين والمصابيح في الصحاح والحسان وغير ذلك ،وكان ورعا زاهدا عابدا صالحا عالما عاملا على طريقة السلف وكان لا يلقي الدرس إلا على طهرة، قانعا باليسير،إماما في التفسير والحديث والفقه بورك له في تصانيفه ورزق القبول لحسن قصده وصدق نيته، مات سنة (٥١٦هـ).

ينظر: البداية والنهاية لابن كثير(١٩٣/١٢) ،طبقات الشافعية لأبي شهبة(٢٨١/١).

٣- شرح السنة ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م،المكتب الإسلامي – دمشق/بيروت(٢٢٧/١).

٤- يوسف بن عمر بن عبدالبر بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري الحافظ شيخ علماء الاندلس ومن الطبقة العاشرة وكبير محدثيها في وقته وأحفظ من كان فيها لسنة مأثورة وله علم بالانساب وله مصنفات عديدة منها:"الاستيعاب" "الكافي في الفقه" و"جامع بيان العلم وفضله"

ينظر: الديباج المذهب لابن فرحون(٣٥٧/١)، المغرب لابن سعيد المغربي (٤٠٨/٢).

٥- التمهيد (١٢٧/٦).

٦- المصدر السابق نفسه (١١٩/٦).

الهجرة ما يدعوك إلى عتب أو موجدة ،ما قصدت به الإفحاش بأخيك وتعمدت الإضرار به والإخلال بحقوقه في منع الكلام ورد التحية والسلام،وليس في شيء من هذا يجـري مـؤثر العزلة ومن يميل إلى الإقلال من الخلطة لأنه لا يهمل هذه الحقوق ولا يقصد ا قصد الجفاء والعقوق).[1]

ورد الغزالي على قول المحتجين بالأدلة الناهية عن الهجران قـولهم: (والعزلـة هجـرة بالكلية)[2] قائلاً: (وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة ، فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب ).[3]

وهذا ما أشار إليه ابن تيمية في معنى الهجر الجميل حيث قال: (هجر بلا أذى).[4]

### د. الرد على الاحتجاج بالأدلة الناهية عن الاعتزال :

ومن هذه الأدلة ما جاء عن أبي هريرة ﷺ قال:( مر رجل من أصحاب رسـول الله ﷺ بشعب فيه عيينة [5]، من ماء عذبة،فأعجبته لطيبها ، فقال:لو اعتزلت الناس، فأقمت في هذا الشعب ، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله ، أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ، اغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)[6]

ففي هذا الحديث ينهى الرسول ﷺ الصحابي الجليل عن الاعتزال في هذا المكان الطيـب مع رحمته ﷺ بصحابته وحبه الخير لهم وعلـمه بأن الصحابي إنما أراد بعـزلته الاستزادة من

---

١- العزلة للخطابي ص(٩١،٩٢).

٢- إحياء علوم الدين (٢٢٣/٢).

٣- المصدر السابق نفسه (٢٢٣/٢).

٤- مجموع الفتاوى (١٠ /٦٦٦).

٥- عيينة هو: تصغير العين ينظر:لسان العرب(٣٠١/١٣).

٦- أخرجه الترمذي في سننه(١٨١/٤)كتاب: فضائل الجهاد،باب: ما جاء في فضل الغدو و الرواح في سبيل الله، رقم (١٦٥٠)وقال: هذا حديث حسن.وأحمد في مسنده(٥٢٤/٢)،والبيهقي في سننه (١٦٠/٩)كتاب السـير، بـاب في فضل الجهاد في سبيل الله،قال الألباني في مشكاة المصابيح(٣٧٥٣):حسن برقم(٩٩٧٠٩).

الطاعة والتفرغ للعبادة ومع ذلك اه عن الاعتزال ، ولم يكتف بالنهي وإنما بين العلة ومناط الحكم في حق هذا الصحابي وهو أنه قادر على الجهاد في سبيل الله ،فعبر بقوله ﷺ (فإن مقام أحدكم في سبيل الله ، أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا)[1]فدل ذلك على أن النهي عن العزلة إنما يكون في حق القادرين على الجهاد .

- وعن معدان بن أبي طلحة اليعمري[2] قال: (قال لي أبو الدرداء أين مسكنك فقلت في قرية دون حمص فقال أبو الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله يقول:(ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان. فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية) .[3]

فالأمر بالجماعة والتعليل بأن الشيطان يأكل القاصية يدل على منع العزلة المطلقة ورواية أبي الدرداء لهذا الحديث تدل على هذا المعنى.

نستخلص مما سبق أن الاحتجاج بالأدلة الناهية عن الاعتزال احتجاج ضعيف لأ ا إنما وردت لحالات تمتنع فيها العزلة وهي :

١.وجود القدرة على الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢.العزلة الكلية التي يترتب عليها تضييع الحقوق وتفويت الفرائض وتعطيل الواجبات ، والأمر والنهي ، كترك التعلم والتعليم ، وصلة الرحم والقرابة[4].

---

١- سبق تخريجه ص(١١٣).

٢- معدان بن أبي طلحة ويقال بن طلحة اليعمري الكناني الشامي روى عن ثوبان مولى رسول الله وعمر بن الخطاب وأبي الدرداء ، قال محمد بن سعد والعجلي ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات روى له الجماعة سوى البخاري. ينظر : التاريخ الكبير للبخاري(٣٨/٨). ذيب الكمال للمزي (٢٥٦/٢٨).

٣- أخرجه أبوداود في سننه(١٥٠/١) في كتاب:الصلاة،باب:التشديد في ترك الجماعة ،والنسائي في سننه (١٠٦/٢)الإمامة:باب التشديد في ترك الجماعة،وأحمد في مسنده(١٦٩/٥)،والحاكم في مستدركه (٥٢٤/٢)برقم(٣٧٩٦) وقال :صحيح الإسناد ولم يخرجاه وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح(١٠٢٥) رقم(٩٨٨٧٨).

٤- ينظر:العزلة والخلطة،سلمان العودة (٣٢).

٣. العزلة عند عدم تمام العلم مما يترتب عليه التعرض لكيد الشيطان لذا قال الربيع بن خثيم – رحمه الله –:(تفقه ثم اعتزل).[١]

(فمن اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر في هوس... فالعلم هو أصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال).[٢]

٤.عدم وجود ضرورة تقتضي العزلة حيث يقول أبو حامد الغزالي:(وأن ذلك ينهى عنه إلا لضرورة)[٣]وهذه الضرورة تتجلى في أحاديث الرسول ﷺ الداعية للعزلة ومدح المعتـزلين وهنا يأتي دور تقييد الأدلة الناهية بأدلة مقيدة ومخصصة.

---

١- سبق تخريجه ص(١٩).

٢- إحياء علوم الدين،للغزالي (٢٣٦/٢).

٣- المصدر السابق نفسه (٢٢٤/٢).

## المبحث الثالث: الترجيح بين القولين.

إن المقرر في علم الأصول أنه لا يصار إلى الترجيح عند التعارض إلا إذا تعذر الجمع بين الأدلة ، والجمع بين الأدلة في هذا الموضع ممكن إن شاء الله؛ لذا كان من سنة العلماء التوفيق بين النصوص إذا أمكن وعدم ضرب بعضها ببعض يقول ابن القيم: ( وأصول الشـرع لا يضرب بعضها ببعض كما نهى رسول الله ﷺ عن أن يضرب كتاب الله بعضه ببعض بـل يجب اتباعها كلها ويقر كل منها على أصله وموضعه فإنها كلها من عند الله الـذي أتقـن شرعه وخلقه وما عدا هذا فهو الخطأ الصريح ).[1]

( فالناظر في الشريعة ينبغي أن يوقن أنه لاتضاد بين آيات القرآن ولابين الأخبار النبويـة ولا بين أحدهما مع الآخر ، بل الجميع جار على مهيع[2] واحد ومنتظم إلى معنى واحـد ، فإذا أداه بادي الرأي إلى ظاهر اختلاف فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاخـتلاف ، لأن الله قد شهد له أنه لا اختلاف فيه ، فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع ، أو المُسـلم من غير اعتراض).[3] (وأن يعلم أن أحكام الله ثم أحكام رسوله لا تختلف وأنها تجري علـى مثال واحد )[4]

وبالنظر إلى أدلة الفريقين نجد أن بعضها يقيد بعضا فالنصوص الواردة في الأمر بالعزلـة ومدح المعتزلين إنما هي مقيدة بأحوال وأشخاص وأوقات وهذا ما ناقشه العيني عند بيـان الشخص الأفضل هل هو المجاهد أم من تعلم القرآن وتعلمه لورود ذلك في أحاديث متفرقة فقال:(لأن اختلاف هذا بحسب اختلاف الأوقات والأقوام والأحوال)[5] فما كان أفضل في زمان ومكان لايلزم أن يكون هو الأفضل في زمان ومكان آخرين.

---

١- إعلام الموقعين (٣٨/٢).

٢- معنى مهيع: هاع الشيء يهيع هياعا اتسع وانتشر ،وطريق مهيع واضح واسع بين وجمعه مهـايع.ينظـر:لسـان العرب(٣٧٨/٨،٣٧٩).

٣- الاعتصام،للشاطبي (٥٥٤/٢)بتصرف يسير.

٤- الرسـالة،محمد بـن إدريـس أبـو عبـد الله الشـافعي، تحقيـق: أحمـد محمـد شـاكر، ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩،القاهرة،(١٧٣/١).

٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٨٢/٢٣).

كما أن النصوص الواردة في النهي عن الفرقة ومفارقة الجماعة والهجرة والعزلة جاءت مقيدة كما سبق تفصيله وبيانه، وفي ذلك يبين الإمام الطحاوي-رحمه الله- بعد أن عرض مجموعة من النصوص ، بعضها فيه وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعضها فيه الأمر بالإقبال على الخاصة وترك أمر العامة مما يتوهم فيه التعارض فقال :(وكلها يصدق بعضها بعضا وتخبر أن الأزمنة تختلف وتتباين ، وأن كل زمان منها له حكمه الذي بينه رسول الله ﷺ لأمته وأعلمهم إياه وعلمهم بما يعملون فيه فعلى الناس التمسك بذلك ولزومه ووضع كل أمر موضعه الذي أمرهم رسول الله ﷺ بوضعها وأن لا يخرجوا عن ذلك إلى ما سواه ).(١)

لذا يقول الإمام الغزالي:( إياك أن تحكم مطلقًا على العزلة أو الخلطة بأن إحداهما أولى)(٢)

ويفصل شيخ الإسلام ابن تيمية القول في المسألة فيقول: ( فهذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعا كليا وإما حاليا فحقيقة الأمر أن الخلطة تارة تكون واجبة أو مستحبة والشخص الواحد قد يكون مأمورا بالمخالطة تارة وبالإنفراد تارة.

وجماع ذلك أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور ا وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهى عنها؛ فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف والإستسقاء ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله، وكذلك الاختلاط م في الحج وفى غزو الكفار والخوارج المارقين وإن كان أئمة ذلك فجارا وإن كان في تلك الجماعات فجار.

وكذلك الاجتماع الذى يزداد العبد به إيمانا إما لانتفاعه به وإما لنفعه له ونحو ذلك،...فاختيار المخالطة مطلقًا خطأ واختيار الانفراد مطلقًا خطأ وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا وما هو الأصلح له في كل حال فهذا يحتاج إلى نظر خاص).(٣)

---

١- شرح مشكل الاثار ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة – بيروت/لبنان (٢٢٤/٣).

٢- إحياء علوم الدين (٢٣٢/٢).

٣- مجموع الفتاوى (٤٢٥/١٠،٤٢٦).

ثم يقول: ( إن هذا يتنوع بتنوع أحوال الناس وبحسب أجناس العبادات واختلاف عمل الإنسان الظاهر، وتارة باختلاف الأمكنة وتارة باختلاف مرتبة جنس العبادة وتارة يختلف باختلاف حال قدرة العبد وعجزه).[1]

( و بهذا تبين لك أن من الناس من يكون تطوعه بالعلم أفضل له، ومنهم من يكون تطوعه بالجهاد أفضل، ومنهم من يكون تطوعه بالعبادات البدنية كالصلاة والصيام أفضل له، والأفضل المطلق ما كان أشبه بحال النبي ﷺ باطنا وظاهرا).[2]

وخلاصة القول في هذه المفاضلة يتضح من كلام الأئمة الأعلام بأنه لا يفضل أحدهما على الآخر إطلاقًا وأن ذلك مرتبط بالمكان والزمان وحال الفرد وقدرته أو عجزه ،وأن كلا منهما هو الأصلح إذا وافق الأمور السابقة وبالله التوفيق.

**خلاصة الفصل الثالث (المفاضلة بين العزلة والخلطة):**

- إن معظم الزهاد اختاروا العزلة على الخلطة وقدموها عليها بينما استحب التابعون الخلطة.
- لقد استدل كل فريق بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف الصالح.
- تم دحض حجج الطائفة الأولى القائلين بتفضيل العزلة على الخلطة من خلال ثلاثة محاور وهي:
  - أدلة اعتزال الأنبياء.
  - أدلة أمر النبي ﷺ صحابته بالعزلة.
  - أدلة مدح العزلة.
- تم دحض حجج الطائفة الثانية القائلين بتفضيل الخلطة على العزلة من خلال أربعة محاور وهي:
  - الأدلة الناهية عن الافتراق.

---

١- ينظر: مجموع الفتاوى،لابن تيمية (١٠/٤٢٦،٤٢٧،٤٢٨)

٢- المصدر السابق نفسه (١٠/٤٢٨،٤٢٩)

- الأدلة الناهية عن مفارقة الجماعة.

- الأدلة الناهية عن هجران المسلمين.

- الأدلة الناهية عن الاعتزال.

- تم الترجيح بين القولين وأنه لايمكن تفضيل أي من العزلة أو الخلطة وأن ذلك مرتبط بالمكان والزمان وحال الفرد وقدرته وعجزه.

# الفصل الرابـــع

# كيفية العزلة وآدابها وفوائدها

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول – كيفية العزلة .

المبحث الثاني – آداب العزلة .

المبحث الثالث – فوائد العزلة .

## المبحث الأول : كيفية العـزلة

للعزلة كيفيات مختلفة وهذا الاختلاف يعود إلى عوامل داخلية وخارجية ؛ أما الداخليـة فتتعلق بطبيعة الشخص المعتزل ،ومكانته ،وقدرته على الجهاد الداخلي والخارجي والتـأثر والتأثير .

أما العوامل الخارجية فهي المجتمع المحيط بالمعتزل ،وحجم الأسباب الدافعـة للاعتـزال، وتقييم المعتزل لهما مع الأخذ في الاعتبار العوامل الداخلية عند التقييم.

وتتجلى هذه الكيفيات في كلام القرطبي حول هذه المسألة حيث يقول :( أحوال الناس في هذا الباب تختلف :

- فرب رجل تكون له قوة على سكنى الكهوف والغيران في الجبـال وهـي أرفـع الأحوال؛ لأنها الحالة التي اختارها الله لنبيه ﷺ في بداية أمره ونص عليها في كتابـه مخبرا عن الفتية فقال ﷻ ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.[الكهف:١٦]
- ورب رجل تكون العزلة له في بيته أحق عليه وأسهل وقد اعتزل رجال من أهل بدر فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم.
- ورب رجل متوسط بينهما فيكون له من القوة ما يصبر ا على مخالطة الناس وأذاهم فهو معهم في الظاهر ومخالف لهم في الباطن ).(١)

وعلى ذلك فالعزلة تنحصر في كيفيات ثلاث وهي :

التعرب — ملازمة البيوت والخاصة — العزلة القلبية

**أولاً :التـعرب:** والمراد بالتعرب:( السكنى مع الأعـراب وهو أن ينتقل المهاجر من البلد التي هاجر منها فيسكن البدو فيرجع بعد هجرته أعرابيا)(٢)

---

١- الجامع لأحكام القرآن (٣٦٢/١٠).

٢- فتح الباري لابن حجر (٤١/١٣) وما بعدها.

## حكم التعرب:

وكان التعرب إذ ذاك محرما بل وكبيرة من كبائر الذنوب فهو معدود من جملة ما ذُكـر في حديث الكبائر في قوله ﷺ :(الكبائر سبع أولاهن الإشراك بالله وقتل النفس بغير حقها وأكل الربا وأكل مال اليتيم والفرار يوم الزحف وقذف المحصنات والانتقال إلى الأعراب بعد هجرته) .[(١)]

(ووقع الوعيد على من رجع أعرابيا بعد هجرته)[(٢)] باللعن كما جاء في الحديث عن ابـن مسعود رضي الله عنه قال: (آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهداه إذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ولاوي الصدقة والمرتد أعرابيًا بعد هجرته ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة)[(٣)] كما يتبين من نص الحديث أنه مرتد فقال: (والمرتد أعرابيًا بعد هجرته).

قال ابن الأثير:( كان من رجع بعد هجرته إلى موضـعه مـن غـير عـذر يعدونـه كالمرتد...وقد أخرج الطبراني من حديث جابر بن سمرة رفعه:(لعن الله من بدا بعد هجرته إلا في الفتنة فإن البدو خير من المقام في الفتنة) .[(٤)]

لذا قيد أهل العلم جواز التعرب بوجود العذر ؛ والعذر محصور في أمرين :

- الإذن من النبي ﷺ كما جاء عن سلمة بن الأكوع أنه دخل على الحجاج فقال: ( يا ابن الأكوع ، ارتددت على عقبيك،تعـربت؟قال:لا،ولكـن رسول الله ﷺ

---

١- أخرجه أحمد في مسنده(٤٠٩/١،٤٣٠)،والمنذري في الترغيب والترهيب(١٩٧/٢) (٤/٣)، وقـال الألبـاني في صحيح الترغيب(١٨٤٨):حسن لغيره برقم(٧٢٢٧٢)وكذا حديث ابن مسعود الذي جاء في أوله (قال آكـل الربـا وموكله وشاهده وكاتبه...).

٢- فتح الباري لابن حجر (٢٠٠/١٣) باب:بيعة الأعراب أي مبايعتهم على الإسلام والجهاد.

٣- أخرجه النسائي في سننه(٢٨١/٢)،وأحمد في مسنده(٣٣٧/٥) رقم(١٥٩١٠٧)و(١٦٠٢٩٢)،وعبد الـرزاق في مصنفه (٢٦٩/٦) (٣١٥/٨)،قال الألباني في إرواء الغليل(١٨٥/٥):إسناده صحيح برقم(١٤٨٨٢٣).

٤- فتح الباري لابن حجر (٤٥/١٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد(٢٥٧/٥): رواه الطبراني وفيهم من لم أعرفهم.

ﷺ أذن لي في البدو )[1]وهذا خاص بزمن النبي ﷺ.

- زمن الفتن بناء على ما جاء في الأحاديث المقيدة للتعرب بزمن الفـتن ويستشـهد لذلك بما فعله ابن الأكوع لما قُتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ووقعت الفتن اعتزل عنها وسكن الربذة[2]وتأهل ا ولم يلابس شيئًا من تلك الحروب.[3]

فعن يزيد بن أبي عبيد قال: ( لما قُتل عثمان بن عفان خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة وتزوج هناك امرأة وولدت له أولادا ،فلم يزل ا حتى قبـل أن يمـوت بليـال ،فـ ل المدينة) .[4]

وحديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ،يفر بدينه من الفتن ) .[5]

وكذلك الأحاديث التي جاءت مطلقة ولم يأت النص فيها صريحا على الفتن مثل قولـه ﷺ عندما سئل أي الناس أفضل ؟فقال :(مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله)قالوا: ثم مه؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره ) .[6]

فهذه يحمل المطلق منها على المقيد فيكون التعرب والاعتزال في الجبال والشعاب مقيـد بزمن الفتن .

والشاهد على ذلك أن الأئمة يدرجون هذه الأحاديث المطلقة تحت أبواب الفتن.[7]

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٩٧/٦) كتاب: الفتن،باب التعرب في الفتنة رقم(٦٦٧٦)،ومسلم في صـحيحه (١٤٨٦/٣)كتاب: الإمارة،باب:تحريم رجوع المهاجر إلى استيطان وطنه،رقم(١٨٦٢).

٢- الربذة قرية قرب المدينة ينظر :لسان العرب (٤٩٢/٣).

٣- ينظر: فتح الباري،لابن حجر (٤٢/١٣).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٩٧/٦)كتاب الفتن ،باب:التعرب في الفتنة،رقم (٦٦٧٦).

٥- سبق تخريجه ص(٣٠)

٦- سبق تخريجه ص(٢٥)

٧- ينظر: صحيح البخاري كتاب الفتن (٦٦/٩) ،وسنن أبي داود كتاب الفتن (٢٧٢/١٧)، ابـن ماجـه كتـاب الفتن،باب:العزلة ص(٦٥٧)

قال العلماء:( الاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب ومرة في السواحل والرباط ومرة في البيوت وقد جاء في الخبر عن النبي ﷺ (إذا كانت الفتنة فاخف مكانك وكف لسانك) [1] ولم يخص موضعا من موضع ).[2]

ومن المواضع الواردة في أحاديث رسول الله ﷺ مايلي :

**أ- الاعتزال في الجبال:**

ومن أعظم الأمثلة على الاعتزال في الجبال فعله ﷺ قبل البعثة وبعدها أما:

**عزلته قبل البعثة** فقد كانت اختيارية للتأمل والتعبد والتفكر في مشاهد الكون وما وراء ذلك من صانع عظيم وقدرة مبدعة مقارنا ذلك بحال قومه طاردا لعقائدهم الشركية ، منكرا عليهم هذه التصورات والعقائد البالية.

وهذه العزلة من تدبير الله ﷻ له ؛ ليعده لما ينتظره من الأمر العظيم والمهام الجسام في تحويل مسار تاريخ البشرية ؛ فكان لابد لهذه النفس من خلوة بعض الوقت وانقطاع عن شواغل الحياة والهموم الصغيرة ، فكان من حاله في بدء الوحي ماجاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء) .[3]

كما كانت له ﷺ **عزلة بعد البعثة** فقد خرج فارا بدينه ، وذلك عند هجرته إلى المدينة مع صاحبه الصديق رضي الله عنه عالماً أن هناك من يتبعه فلجأ إلى الغار، وجاء المشركون من قريش في طلبه فلم يهتدوا إليه على الرغم من مرورهم عليه وقربهم منه ،وعندها قال الصديق رضي الله عنه:(يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا)فقال ﷺ :(يا أبا بكر

---

١- أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٨٧/٧)رقم (٣٧٤٥٠).

٢- الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي (٣٦١/١٠)وينظر: التمهيد لابن عبد البر (٤٤٠/١٧).

٣- سبق تخريجه ص (٦٤).

ماظنك باثنين الله ثالثهما) .[1]

وقد نص الله تعالى على ذلك في كتابه العزيز فقال ﷻ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٤٠]

فقصة هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من:

**قصة أصحاب الكهف:** الذين هددهم الملك وتوعدهم لما دعوه إلى الإيمان وأمر بنزع لباسهم عنهم، وأجلهم لينظر في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة؛[2] وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن بأن يفر العبد خوفاً على دينه لذا قال ﷻ ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ .[ الكهف: ١٦]

(وهذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة ومايلقاه الإنسان من المحنة). [3]

**ب- الاعتزال في الشعاب :**

وقد جاءت النصوص متضافرة على مدح العزلة في الشعاب واتباع الغنم ومن ذلك قوله ﷺ : (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر) . [4]

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٣٧/٣)كتاب :فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم رقم (٣٤٥٣)،وكتاب :التفسير ، باب قوله ثاني اثنين إذ هما في الغار،رقم (٤٣٨٦).

٢- ينظر: تفسير القرآن العظيم ،لابن كثير (٧٦/٣).

٣- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٦٠/١٠).

٤- سبق تخريجه ص(٣٠).

وفي رواية أخرى (ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره) .[1]

وفي رواية: (أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف ،أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس منهم الناس إلا في خير) .[2]

(وإنما جاءت هذه الأحاديث بذكر الشعاب والجبال واتباع الغنم لأن ذلك هو الأغلب في المواضع التي يعتزل فيها الناس ،فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في هذا المعنى مثل اسم الاعتكاف في المساجد ولزوم السواحل للرباط والذكر ولزوم البيوت فرارا عن شـرور الناس).[3]

وهنا نكتة لطيفة حيث يلاحظ:

- أن العديد من أحاديث العزلة ربطت بين المعتزل ورعي الغنم.
- أن النووي أدرج قولـه ﷺ :(ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم )فقال أصحابه ( وأنت؟ قال :نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة ) .[4]تحت باب العزلة.

والسبب في ذلك كما تبين لي والله أعلم:

- أن رعي الغنم فيه تدريب ومران على القيام بتكاليف أعظم مثل رعايـة الأمـم وسياسة الناس .
- أن مخالطة الغنم يحصل منها الحلم والأناة والشفقة لأن من يصبر علـى رعيهـا وجمعها بعد تفرقها ،ويدفع عدوها الصائل عليها،ويكون له من المعرفة باختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى من يتعاهدها، يألف بعد ذلـك الصبر على الأمة ويحتمل اختلاف طباعها وتفاوت عقولها ؛فيجبركسرها ويرفق بضعيفها، ويحسن إلى مسيئها.

---

١- سبق تخريجه ص(٢٥).

٢- سبق تخريجه ص (٣٤).

٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،لابن عبد البر (٤٥٠/١٧).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه (٧٨٩/٢)كتاب الإجارة،باب:رعي الغنم على قراريط ، رقم (٢١٤٣).

وهكذا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعا فكلهم رعى الغنم وذلك من بـاب عناية الله لهم وتربيتهم للتدرج في حمل الأمانة وتبليغ الرسالة.[1]

- تدرج المعتزل في قبول ا تمع من جديد وبناء نظرة جديدة قائمة على التقـويم الموضوعي لهذا ا تمع بعيدا عن المؤثرات الخارجية ، ولذا وصـف الصـحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ﷺ الفتنة بالعاصفة التي تحجب الرؤية وعدم التسرع في الحكم أو الخوض فيها ،مع التروي والانتظار حتى يتبين الأمر.
- التدريب على التواضع وهي من أعظم آداب المسلم بصفة عامة سـواء كـان معتزلاً أم لا.
- قطع أسباب التواكل ؛ فلا يعنى أن المسلم قد اعتزل أن يتوقف عن كسب قوته بل يسعى للكسب الحلال وإن قل،وفي هذه الأحاديث أرشد النبي ﷺ إلى رعي الغنم، وحث على كسبها مما يدل على فضلها والتبرك ا، يؤيد ذلك ما جاء عن أم هاني ﷺ أن النبي ﷺ قال لها: (اتخذي غنمًا فإن فيها بركة) .[2]

**ثانيا : ملازمة البيوت والخاصة :**

من سماحة الإسلام ويسر تعاليمه أن كفل لكافة أفراده اختيار البيئة الـتي يسـتطيع أن يتكيف فيها وتتناسب مع قدراتـه واحتياجاته في إطار من الالتزام بالواجبات الدينيـة ؛ فكما تكون العزلة في الجبال والشعاب فإ ا تأتي في صور أخرى مثل:

الاعتزال في البيوت ← ملازمة الخاصة

**أ- الاعتزال في البيوت :**

وقد اعتزل عدد من الصحابة الناس ولزموا بيو م حتى ماتوا وذلك إبان قتل الخليفة

---

١- ينظر: جة الناظرين شرح رياض الصالحين،سليم الهلالي (٦٥٤/١).

٢- أخرجه ابن ماجه في سننه (٧٧٣/٢)كتاب التجارات ،باب: اتخاذ الماشية ،وصححه الألبـاني في صـحيح ابـن ماجه(١٨٧٩)برقم(٤٥٣٢٦)وقال في السلسلة الصحيحة(٤٠٤/٢):صحيح برقم(١٥٢٧٩٣) ،وأحمـد في مسـنده (٤٢٤/٦)بلفظ(اتخذوا الغنم...).

الراشد عثمان بن عفان ﷺ والفتنة التي أثيرت آنذاك مما حدا م إلى مفارقة الناس وملازمة البيوت ، وفعلهم هذا إنما كان بناء على مافقهوه من أحاديـث رسـول الله ﷺ في الأمـر بالاعتزال في البيوت عند الفتن ومن هذه الأحاديث مايلي :

- عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ ذكر الفتن فقال : (تلك أيام الهرج حيث لا يأمن الرجل جليسه) قلت:( فما تأمرني إن أدركني ذلك الزمان ؟)قال :( اكفف نفسك ويدك وادخل دارك) .[1]

- وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قـال :(أن بين أيديكم فتنًا كقطع الليل يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا ،القاعد فيها خير من الماشي ،والماشي خير فيها من الساعي ،قالوا :فما تأمرنا ؟قال :كونوا أحلاس[2] بيوتكم )[3] .

- وإجابته ﷺلمن سأله:مـا النجاة؟بقولـه:(أملك عليك لسانك و ليسعك بيتك وابك على خطيئتك) .[4]

---

١- أخرجه أبوداود في سننه (٤٢٥٨)كتاب:الفتن والملاحم،باب: النهي عن السعي في الفتنـة ،وأحمـد في مسـنده (٤٤٨/١)،والحاكم في مستدركه(٤٢٦/٤،٤٢٧)وقال:صحيح الإسـناد ولم يخرجاه،وعبـد الـرزاق في مصـنفه (١١،٣٥٠)وابن أبي شيبة (١٥،١٢٠) وفي سنده القاسم بن غزوان ولم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجالـه ثقـات، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(٣٢٥٤):صحيح.

٢- الأحلاس جمع حلس وهو الشيء يلزم الشيء،وكُل شيءٍ ولي ظهر البعير تحت الرحل والقَتب، يقال فلان حلْـس من أحلاَس البيت للّذي لا يبرح البيت، ويقولون كن حلس بيتك أي الزمه لزوم البساط.

ينظر: ذيب اللغة للأزهري(١٨١/٤) ،مقاييس اللغة لابن فارس(٩٧/٢).

٣- أخرجه أبو داود في سننه(٤٢٥٩)كتاب:الفتن،باب:في النهي عن السعي في الفتنة،والترمذي في سننه(٢٢٠٥)الفتن باب رقم (٣٣)، وقال الألباني في صحيح أبي داود(٤٢٦٢):صحيح برقم(٥٥٠٢٢).

٤- أخرجه الترمذي في سننه(٢٤٠٦)كتاب الزهد،باب:ماجاء في حفظ اللسان،وأحمد في مسنده(٣٥٩/٥)،والطبراني في الكبير (٧٤١/١٧)وابن أبي عاصم في الزهد (٣)وحسنه الترمذي يئه من طرق أخرى عن عقبة بن عامر وإلا فإن في سند الحديث عبيد الله بن زخـر وعلـي بـن يزيـد الألهـاني وهمـا ضـعيفان،وقال الألبـاني في صـحيح الجامع(١٣٩٢):صحيح برقم(٧٩٢١٦).

- وقوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه :(اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك ) .[1]

كما جاء عن السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم أقوال مأثورة في ذلك منها :

- قال أبو الدرداء : (نعم صومعة الرجل بيته ؛ يكف سمعه وبصره ودينه وعرضه).[2]
- وعن طلحة بن عبيد الله قال :( إن أقل لعيب الرجل أن يجلس في داره).[3]
- ولما بنى عروة بن الزبير قصره بالعقيق لزمه،فقيل له :مالك لزمت هذا القصر وتركت مسجد رسول الله ﷺ فقال :(رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية ،والفاحشة في فجاجكم عالية ،وكان فيما هنالك عما أنتم فيه عافية.
- وكان طاوس قد جلس في بيته فقلنا له في ذلك ،فقال:فساد الناس وحيف الأئمة ).[4]

**ب- ملازمة الخاصة :**

من أبرز مهمات الأمة الإسلامية وسبب تميزها وخيريتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله ﷻ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران:١١٠].

وهذا الأمر شامل لأفراد المجتمع كله في الأحوال العادية ، فإذا ثارت الفتن وظهر الباطل وعلا وكان له من يدافع عنه ويدعو إليه ،وجب على المسلم التقي الثبات على الحق والاستمرارية في الدعوة إليه وعدم التواني أو التخاذل بحجة قوة الباطل، وأن يكون العمل وبذل الجهد على قدر الاستطاعة ، قال ﷻ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [البقرة:٢٨٦]

---

١- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤٩/٥)برقم(٢١٣٦٣)،وابن حبان في صحيحه(٧٨/١٥)برقم(٦٦٨٥)،وقال الوادعي في الصحيح من دلائل النبوة(٥٣٨):صحيح برقم(٢١٠٧١٦).

٢- سبق تخريجه ص(٨٢).

٣- العزلة للخطابي ص(٧٠).

٤- المصدر السابق نفسه ص(٧٩،٨٠).

وقـــال ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]

فكان من شفقته ﷺ أن أخبرنا بجميع الحالات التي يمكن أن يكون عليها الفرد عند الفتن مع وضع الحلول المناسبة لكل حالة وتحديد الخاصة الذين ورد الأمر بملازمتهم في النصوص التالية :

- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : (الزم بيتك واملك عليك لسانك ،وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ،وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة ) .[١]
- وقوله ﷺ: ( تقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم ) .[٢]
- وقوله ﷺ: (وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة) .[٣]
- وقوله ﷺ: (وتقبل على خاصتك وتدعهم وعوامهم ) .[٤]

وقوله ﷺ: (حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا وهوى متبعًا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك

---

١- أخرجـــه أبـــو داود في ســـننه( ٤٣٤٣)كتـــاب:الملاحم،بـــاب:الأمـــر والنـــهي،وابن ماجـــه (٣٩٥٧)كتاب:الفتن،باب:التثبت في الفتنة، وأحمد في مسنده(٢٠٢/٢)،وقال الأرناؤوط :حديث صـحيح ،جـامع الأصول (٦/١٠)وقال الألباني في السلسلة الصحيحة(٢٠٥):إسناده حسن برقم (٦٥٤٢٩).

٢- أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم باب الأمر والنهي (٤٣٤٢) ،وابن ماجه في كتاب الفتن باب: التثبت في الفتنة (٣٩٥٧)،والحاكم في مستدركه(١٧١/٢)برقم(٢٦٧١)و(٤٨١/٤)برقم(٨٣٤٠) وقال: هذا حديث صحيح علـى شرط الشيخين ولم يخرجاه،وذكره العجلوني في كشف الخفاء(١٩١/٢)وقال الألبـاني في صـحيح الجـامع رقـم (٤٥٩٤):صحيح.

٣- أخرجه العراقي في الإحياء (٢٣٢/٢)برقم(٥٩٩٢٥)وقال :أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلـة بإسـناد حسن،وجاء في الدعاء للطبراني(٥٤٦/١) باب ما جاء في قول الرجل لأخيـه جعلـني الله فداك،وشـرح مشـكل الاثار(٢١٧/٣)باب بيانُ مشكلِ ما روِي عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم في الزمان الذي يجِب على الناس فيه الإقبال على خاصتهم وترك عامتهم.

٤- ذكره البخاري معلقًا (١٢٩/١)كتاب:المساجد،باب:تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ووصله إبراهيم الحربي= في غريب الحديث كما أفاده الحافظ بن حجر في الفتح (٤٦٨/١) و(٥٦٦/١) وقال الأرناؤوط :حـديث صـحيح، جامع الأصول (٥/١٠).

بنفسك ودع عنك العوام ) .[1]

ويفسر الإمام الخطابي معنى الخاصة فيقول:( وهو كل ما يخصه ويعنيه ،ويخص كل إنسان في ذاته من إيالة[2] أهله وسياسة ذويه ،والقيام لهم ،والسعي في مصالحهم).[3]

وقد جمع الإمام الخطابي في قوله هذا ما جاءت به الأحاديث في تحديد الخاصة من الناس ببلاغة متناهية ،ثم يعقب ( بالنهي عن التعرض لأمر العامة والتعاطي لسياستهم ،والترأس عليهم والتوسط في أمورهم).[4]

فيأمر بوجوب القيام بخاصة العبد سواء نفسه، أو أهله وعياله ،أوخاصته ممن هم على منهج وطريقة السلف الصالح في قوله ﷺ :( ما أنا عليه اليوم وأصحابي ) .[5]

يظهر مما سبق أن للزوم الخاصة مراتب تختلف بحسب اختلاف درجة الاعتزال ، فيكون ترتيبها من الدائرة الأضيق إلى الأكثر سعة على النحو التالي :

١. الحالة الأولى :وتتضح من قوله :( وعليك بأمر خاصة نفسك) و (فعليك بنفسك ) .

وتدل على لزوم النفس خاصة ،وذلك حين يفسد الزمان وتكثر الشرور ولا يدان للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

٢. الحالة الثانية : وتتضح من قوله: (وتقبل على خاصتك) .

وتدل على لزوم مايخص الإنسان من أولاده وأهل بيته ،للقيام على شئوم ورعايتهم وتربيتهم وأمرهم بالخير.

٣. الحالة الثالثة : وتتضح من قوله: ( تقبلون على أمر خاصتكم ) و( وعليك بأمر الخاصة) .

---

١- سبق تخريجه ص(٢٨) وأوله ( بل ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر ).

٢- معنى إيالة: الإيالة السياسة و آل عليهم أولا و إيالا و إيالة ولي،و آل الرجل أهله وعياله. ينظر: لسان العرب لابن منظور (٣٦/١١،٣٧).

٣- العزلة ص(٦٥).

٤- المصدر السابق نفسه ص(٦٥).

٥- سبق تخريجه ص(١٠٥).

وتدل على لزوم الخاصة بمعنى خلصاء الإنسان وأصفيائه الذين يقومون على مثل مايقوم عليه من العبادة والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1] .

فهؤلاء لا غنى للعبد عنهم ويذم على مفارقتهم فهم الجماعة الذين حث الله ورسوله على ملازمتهم، وعند ذلك يجب على الطائفة المنصورة والمتميزة نصرة بعضهم البعض ؛ ( أعوان على المعروف ، دعاة إلى الخير ، نهاة عن المنكر فإذا ظفر المرء بهم كان عليه أن يشد يده في أيديهم لدعم الفضيلة ،وحرب الرذيلة ، وجهاد أعداء الله).[2]

أما العامة ممن اختلفت مشاربهم وتباينت مناهجهم بمفارقة منهج أهل السنة والجماعة فخالفوا السنة وابتدعوا في الدين وأحدثوا فيه ما ليس منه فإن أمر النبي ﷺ صريح في مفارقتهم والانقطاع عنهم بقوله :(ودع عنك أمر العامة).

**ثالثاً: المزايلة العملية (البراءة القلبية):**

ذكرنا فيما سبق أن من مراتب ملازمة الخاصة والتي تعد الأكثر اتساعا هم خاصة العبد الموافقون له في المنهج والطريقة ممن هم على منهج أهل السنة والجماعة.

وهذه الملازمة تقتضي اختلاطهم ببعضهم البعض(إذ لا يقوم الأمر والنهي والجهاد إلا بذلك فهم رفاق طريق واحد وأخوة درب قاصد)[3] .

وهذا الاختلاط يكون بين أفراد هذه الطائفة للقيام بما أُمروا به في قوله ﷻ :﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [العصر:٣] إلا أن للبعض من هؤلاء القدرة على التجاوز والخروج من إطار الجماعة المتكافئة إلى فئات أخرى متباينة في المجتمع ،ومخالطة أفراده مخالطة مقصودة تقتضي نشر الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك بناء على توجيه نبوي كريم حيث يقول ﷺ :(الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر

---

١- ينظر: الغلو في الدين،عبد الرحمن اللويحق ص(٤٨٩).

٢- العزلة والخلطة، سلمان العودة (٤٦).

٣- المرجع السابق نفسه (٤٦).

على أذاهم﴾.[1] فهو يخالط الناس لغاية واضحة وهي العمل على انتشالهم من الضلال إلى الهدى ومن البدعة إلى السنة وأمرهم بالمعروف و يهم عن المنكر ،ولا يستطع أن يؤدي ذلك بصورة صحيحة إلا من داخل الناس وعاشرهم وعرف أحوالهم وأحسن إليهم بلسانه ويده مع الصبر ما استطاع إليه سبيلاً.[2]

مع الأخذ في الاعتبار أن هذه المخالطة المقصودة تولد لدى الفرد حصانة داخلية مبنية على ضوابط شرعية، وتصور واعٍ للمجتمع ؛ حصانة تحول دون ذوبان شخصيته أو تأثره بمن حوله بل تعززها وتقويها وتبرزها وتجعلها فاعلة في المكان والتوقيت المناسبين لأنه مخالط لهم ببدنه مزايل لهم بعمله وقلبه، مفارق ما هم عليه من التعلق بدنيا أو بدعة أو اتباع هوى وهذا ما أشار إليه الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حين قال:( خالطوا الناس وزايلوهم وصافحوهم ودينكم لا تَكلِمُونه)[3].

ليس هذا فحسب بل ويكون حريصا على نفعهم متأسيا بمنهج النبي ﷺ في دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وا ادلة بالتي هي أحسن فقد أمره ربه بذلك فقال ﷻ :﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾. [النحل:١٢٥]

قال مجاهد في تفسير قوله ﷻ ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ :(أعرض عن أذاهم إياك)[4].

كما قال ﷻ :﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾. [فصلت:٣٤]

---

١- سبق تخريجه ص( ١٩).

٢- ينظر: العزلة والخلطة، سلمان العودة ص(٥٠).

٣- سبق تخريجه ص (٦٦).

٤- تفسير مجاهد ، أبو الحجاج مجاهد المخزومي،تحقيق :عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي ،ط١،١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م،مجمع البحوث الإسلامية-إسلام آباد،باكستان ص(٣٥٥)،وينظر:جامع البيان ،للطبري(١٩٤/١٤).

فجاء الأمر للرسول ﷺ بأن يدفع بحلمه جهل من جهل عليه ،وبعفوه عمن أساء إليه، وبصبره عليهم مكروه ما يجد منهم ،ويلقاه من قبلهم.(1)

قال ابن عباس في تفسير قوله ﷻ : ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [ المؤمنون: ٩٦](الصبر عند الغضب والحلم والعفو عند الإساءة).(2)

وهنا يبرز دور المعتزل في صورة جديدة من صور التعامل مع الناس التي نبه إليها ﷺ وعملا فقال فيما رواه جابر رضي الله عنه :(مداراة الناس صدقة).(3)

**المُــــــداراة:**

المداراة من أخلاق المؤمنين ،وهي خفض الجناح للناس ، ولين الكلمة ،وترك الإغلاظ لهم في القول ،وذلك من أقوى أسباب الألفة ،وهي الرفق بالجاهل في التعليم ،وبالفاسق في النهي عن فعله ،وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ،والإنكار عليه بلطف القول والفعل ،ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك.(4)

وقد عقد الإمام البخاري -رحمه الله- في كتاب الأدب من صحيحه بابا بعنوان (باب المداراة مع الناس) .(5)

وساق تحته أثرا معلقًا عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (إنا لنكشر في وجوه أقوام ،وإن قلوبنا لتلعنهم) .(6)

---

١- ينظر: جامع البيان للطبري(١١٩/٢٤).

٢- المصدر السابق نفسه (١١٩/٢٤).

٣- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٤٣/٦) رقم (٨٤٤٥)قال العجلوني في كشف الخفاء (٢٦٢/٢):صححه ابن حبان ،وقال الهيثمي :رواه الطبراني في الأوسط ،وفيه يوسف بن محمد المنكدر وهو متروك.

٤- ينظر: فتح الباري لابن حجر(٥٢٨/١٠).

٥- الجامع الصحيح (١٠٢/٧).

٦- أخرجه البخاري تعليقًا غير مجزوم به في صحيحه(١٠٢/٧) كتاب الأدب ،باب المداراة مع الناس قال:ويذكر عن أبي الدرداء.وقال الألباني في السلسلة الضعيفة(٤٨٥٦):ليس بحديث رقم(١٧٩٥٨٨).

كما أورد حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أنه استأذن على النبي ﷺ رجل فقال : (ائذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو العشيرة، فلما دخل ألان له الكلام فقلت :يارسول الله ،قلت ماقلت ،ثم ألنت له في القول؟ فقال : (أي عائشة ! إن شر الناس منزلة عند الله من تركه ، أو ودعه الناس اتقاء فحشه ) .[1]

وقد تضمن حـديث عائشة رضي الله عنها أمورا عظيمة منها :

- أن الحديث أصل في المداراة وفي هذا قال القاضي عياض: (وأما إلآنة القول له بعـد أن دخل فعلى سبيل التألف له ولأمثاله على الإسلام ).[2]
- ظهور شفقته ﷺ بأمته ونصيحته لهم وتعريف الناس بأمر هذا الرجل وتحذيرهم منه، فذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة.[3]
- أن فعله ﷺ في هذا الحديث ليس من الغيبة والإثم وقد رواه البخاري في باب"ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب".[4] (وفي الحديث جواز غيبة الفاسق المعلن فسقه)[5]
- ( إظهار البشاشة وعدم ا ا ة بالمكروه لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سـبيله ،وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته).[6]
- أن المداراة تكون بالقول ؛كلين الكلام ، وقد تكون بالفعل؛كالهبة ، والهدية كعطاء الرسول ﷺ لرهط وسعد بن أبي وقاص جالس فترك الرسول ﷺ رجلا هو أعجبهم

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب(٨١/٧)باب: المداراة مع الناس وباب لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا رقم (٥٦٨٥)وفي (٨٦/٧)باب مايجوز من اغتياب أهل الفسـاد والريـب رقـم (٥٧٠٧)،ومسـلم في صـحيحه (٢٠٠٢/٤) في كتاب البر والصلة والآداب،باب: مداراة من يتقي فحشه برقم(٧٣).

٢- ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤٥٤/١٠).

٣- ينظر: المصدر السابق نفسه (٤٧١/١٠)

٤- ينظر: الجامع الصحيح للبخاري(٢٢٥٠/٥) كتاب الأدب.

٥- شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٤/١٦)

٦- فتح الباري لابن حجر(٤٥٤/١٠)،و ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم(١٤٤/١٦).

لسعد فقال: يا رسول الله مالك عن فلان ؟ فقال الرسول ﷺ : (يا سعد ،إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه ، خشية أن يكبه الله في النار) . [1] كما تكون المداراة بسائر ألوان الإحسان.

والمداراة (مشروعة مستحسنة إذا لم يترتب عليها تفويت مصلحة شرعية وقد تصبح واجبة إذا ترتب على تركها مفسدة من ردة أوفسق أو ظلم مسلم أو نحو ذلك).[2]

ومن أمثلة ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سألت النبي ﷺ عن الجدر أمن البيت هو ؟ قال: نعم . قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة . قلت : فما شأن بابه مرتفعًا ؟ قال : فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا ، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض) [3]

يقول ابن حجر: ( لأن قريشا كانت تعظم أمر الكعبة جدا فخشي ﷺ أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك.

ويستفاد من الحديث ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة. ومنه إنكار ترك المنكر خشية الوقوع في أنكر منه وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرما )[4]

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(١٢/١) كتاب:الإيمان،باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل رقم(٢٧) وفي(١٣١/٢)كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى :( لا يسألون الناس إلحافا) ، ومسلم في صحيحه (١٣٢/١)كتاب: الإيمان،باب:تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه برقم (٢٣٥)،(٢٣٧)و(٧٣٢/٢).

٢- العزلة والخلطة سلمان العودة ص (١١١).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه(٥٧٢/٢)كتاب الحج،باب:فضل مكة وبنيا ا،رقم(١٥٠٧).

٤- فتح الباري (٢٢٥/١).

**خلاصة المبحث الأول (كيفية العزلة):**

- أن للعزلة كيفيات مختلفة تعود إلى عوامل داخلية وخارجية.

- أن العزلة تنحصر في ثلاث كيفيات وهي: التعرب ،وملازمة البيوت والخاصة ،والعزلة القلبية.

- أن التعرب يكون جائزا بعذرين وهما: الإذن من النبي ﷺ ، وزمن الفتن.

- أن النبي ﷺ اعتزل في الجبال قبل وبعد البعثة.

- تميز الاعتزال في الشعاب واتباع الغنم.

- العلة في ربط المعتزل في الشعاب برعي الغنم.

- سماحة الإسلام بأن أباح لكل فرد اختيار البيئة التي يستطيع الاعتزال فيها.

- تفسير المراد بالخاصة والعامة.

- أن المزايلة العملية هي أصعب حالات الاعتزال.

- أن المزايلة العملية تكون دف الإصلاح للمجتمع الخارجي.

- من صور المزايلة العملية التي أشار إليها النبي ﷺ المداراة.

## المبحث الثاني:آداب العـزلة

يعتزل العبد المؤمن في مجتمع ضعف فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر وشـاعت الفتن،وذلك لأهداف سامية ،وتحقيق العديد من الفوائد لتزكية النفس والرقي ا إلى معـالي الأمور من جهة ، وابتغاء السلامة والنجاة من جهة أخرى.

ومن كان هذا حاله فعليه أن يتلمس مواطن الفضيلة في نفسه ويستجمعها للوصـول إلى مبتغاه متسلحا بآداب عدة تعينه على استكمال الطريق والوصول بإذن الله إلى أهدافه ؛ ومن هذه الآداب مايلي:

- **التواضع :**

التواضع خلق كريم يميز المؤمنين ، ودليل محبة رب العالمين ، قـال تعـالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨ ]

فلين الجانب وحسن الخلق من أسمى العلاقات التي يتبادلها المؤمنون إكراما لبعضهم الـبعض وإحسانا وتوددا ومحبة .

كما أن التواضع رفعة للعبد في الدنيا والآخرة قال ﷺ :(ما نقصت صدقة من مال ، ولا زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) . [(١)]

ومن آفات النفس الخفية المضادة للتواضع الكبر والتي ينبغي على العاقل تجنبها لما تتضمنه من خصال مذمومة ؛ أكثرها مذمة الإعجاب بالنفس فإن المرء لا يتكبر على أحـد حـتى يعجب بنفسه ويرى لها على غيرها الفضل ، كما أن سبب تكبره هو احتقـاره للآخـرين وازدراؤه لهم.[(٢)]

ومن هذه الزاوية تصبح العزلة مزلقًا من مزالق الشيطان فيوسوس للعبد بأنه أفضل مـن غيره ويظن أنه من الصالحين فيتكبر ويظن أن له خصوصية تميزه عن غيره وأنه إنمـا اعتزل

---

١- أخرجه مسلم في صحيحه(٢٠٠١/٤)كتاب: البر والصلة والآداب،باب:اسـتحباب العفـو والتواضـع بـرقم (٢٥٨٨).

٢- ينظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء،لأبي حاتم البستي ص(٤٧،٤٨).

لعلمه وفضله وتنـزهه عما يفعله الناس ويخشى الاختلاط بهم لئلا يتأثر بشرورهم فيـدخل العجب إلى نفسه مما يؤدي إلى إحباط عمله ، وهذا ولا شك من خداع الشيطان ومكائده، يقول ابن القيم :(ومن كيده وخداعه أنه يأمر الرجل بانقطاعه في مسجد أو رباط أو زاوية أو تربة ، ويحبسه هناك وينهاه عن الخروج ويقول له: متى خرجت تبذلت للناس وسـقطت من أعينهم وذهبت هيبتك من قلوبهم ،وربما ترى في طريقك منكراً . وللعـدو في ذلـك مقاصد خفية يريدها منه ، منها الكبر واحتقار الناس)(١)

ويقول القشيري في رسالته:(ومن حق العبد إذا آثر العزلة أن يعتقد باعتزاله سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق،فإن الأول من القسمين: نتيجة استصغار نفسـه والثاني: شهود مزيته على الخلق ،ومن استصغر نفسه فهو متواضع ، ومن رأى لنفسه مزيـة على أحد فهو متكبر).(٢)

وعليه فإنه يجدر بالمعتزل أن يتأدب بالتواضع وأن ينوي بعزلته كف شره عن الناس فما دام لا يملك أن يؤثر تأثيرا إيجابياً في مجتمعه فأقل ما يطلب منه أن يكف شروره عن النـاس ويقبل على طاعة ربه استجابة لقوله ﷺ :(ويدع الناس من شره) .(٣)

فالامتناع عن الشر وأذى الآخرين داخل في أعمال الإيمان فإن ذلك لا يقل ثوابا عـن الصدق والإحسان ، يؤيد ذلك حديث رسول الله عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت:يا رسـول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال: (الإيمان بالله والجهاد في سبيله)،قلت:أي الرقـاب أفضـل ؟ قـال :(أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا )قال: قلـت: فـإن لم أفعـل ؟ قـال: (تعين صانعاً أو تصنع لأخرق)قال:قلت:يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟قـال:(تكف شرك عن الناس فإنهـا صدقه منك على نفسك) .(٤)

---

١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ،تحقيق: محمـد حامـد الفقـي،ط٢، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م ،دار المعرفـة بيروت.(١٢١/١).

٢- الرسالة القشيرية ص (١٠٢).

٣- سبق تخريجه ص(٢٥).

٤- أخرجه مسلم في صحيحه(٨٩/١)كتاب: الإيمان،باب:بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.رقم (٨٤).

وهذا من ( يسر الإسلام و ملاءمته لقدرة العبد وطاقته فلابد للعبد في جميع أحواله أن يجد عملاً صالحًا يقوم به).[1]

- **الصبر :**

الدنيا دار ابتلاء وفتن واختبار فقد قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ .[الفرقان:٢٠] فجعل الله الغني فتنة للفقير ، والفقير فتنة للغني ،وهكذا أصناف الناس وأحوالهم كل منهم فتنة لغيره ليعلم الله من يثبت ومن يتزلزل وكل سينال جزاءه صبر أم جزع.

والمعتزل بحاجة ماسة للتأدب بالصبر ؛ صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية وصبر على أقدار الله ؛ فيصبر على الطاعة ويجتهد فيها مع الاستمرارية والمواظبة عليها دون ملل أو فتور،والحياة مع كتاب الله ﷻ وما يحوي من ذكر للآخرة وما فيها ، وذكر أنبيائه وأوليائه وأثر ذلك في محبتهم والشوق إلى مصاحبتهم والتأسي بهم وبما أصابهم في سبيل الله وكيف صبروا وصابروا مع ما في القرآن من ذكر الله ﷻ وأسمائه وصفاته والأجر العظيم في تلاوته والقيام به آناء الليل وأطراف النهار.[2]

والصبر عن المعصية : ويشمل الصبر عن كل المعاصي التي سبق ذكرها في فوائد العزلة من الغيبة، والتصنع للناس والرياء والتطلع إلى ما أنعم الله به على غيره من زهرة الحياة الدنيا وما يعقبه من الحسد ، والكبر والعجب بالنفس وغير ذلك مما يندرج تحت حديث رسول الله ﷺ :(من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه )[3] .

---

١- بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين،سليم الهلالي (١٩٩/١).

٢- ينظر: وقفات تربويه في ضوء القرآن الكريم،عبد الناصر الجليل (٢٦٨،٢٧١/٢).

٣- أخرجه الترمذي في سننه(٥٥٨/٤)كتاب الزهد،باب(١١)برقم(٢٣١٧) قال:هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه،وله شواهد أخرى تقويه،وابن ماجه في سننه(١٣١٥/٢،١٣١٦)كتاب: الفتن،باب:كف اللسان في الفتنة حديث رقم(٣٩٧٦)،ومالك في الموطأ(٩٣/٢)كتاب: حسن الخلق،باب:ماجاء في حسن الخلق حديث رقم (٣) عن علي بن أبي طالب ﷺ،وقال الألباني في صحيح الجامع:صحيح برقم(٥٩١١).

كما يصبر على أقدار الله من البلايا والمصائب التي تورث حزنا في قلبه وأذيةً لمشاعره كسوء الظن به وذكره بما يكره من ا امات و تخرصات كمدحه بالعزلة أو ذمه عليهـا أو تزكيـة لا يعلمون موضعها ومدى استحقاق الفرد المعتزل لها .

وأن يقابل ذلك بالحمد والاسترجاع لله ويقول كما قـال شـريح [1]-رحمه الله-:( إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات : أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي وأحمـده إذ رزقني الصبر عليها وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب وأحمده إذ لم يجعلها في ديني)[2] وكلما كان المعتزل أكثر إيمانا كان أكثر صبرا فالأنبياء عليهم السلام أكثر الناس ابـتلاءً لتمام إيما م وثبا م عند البلاء ، قال عز وجل : ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١]

قال علقمة[3]في هذه الآية :(هو الرجل تصيبه مصيبة فيعلم أ ا من عند الله فيسـلم لهـا ويرضى ).[4]

- **القناعة باليسير :**

قال ابن القيم: ( والقرآن مملوء من التزهيد فى الدنيا والإخبار بخستها وقلتها وانقطاعهـا وسرعة فنائها والترغيب فى الآخرة والإخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبد خيرا أقام فى قلبه شاهدا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار )[5].

---

١- هو شريح بن الحارث الكندي أبو أمية القاضي كان من حاله التسليم والتراضي والقيام علـى نفسـه بالمحاسـبة والتقاضي واعتصم بالصمت عند الفتنة مات سنة(٧٨هـ)التـاريخ الكـبير للبخـاري(٢٢٨/٤)، حليـة الأوليـاء للأصبهاني(١٣٢/٤).

٢- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط١، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول،١٤١٠هـ ، ، دار الكتب العلمية – بيروت. (١٩٨/٧).

٣- هو علقمة بن قيس بن عبدالله النخعي ،يكنى بأبي شبل ولم يكن له ولد ،فقيه الكوفة ،من أكابر التابعين ،لازم ابن مسعود وجود القرآن عليه ،تفقه به أئمة كإبراهيم والشعبي ،وكان يشبه ابن مسعود في هديه ودله وسمته، ثقة ثبت فقيه عابد (ت:٦٢ هـ).ينظر: سير أعلام النبلاء (٥٣/٤،٦١)، تقريب التهذيب(٣٩٧/١).

٤- جامع البيان، لابن جرير الطبري (١٢٣/٢٨).

٥- مدارج السالكين،لابن القيم (٩/٢،١٠).

فالقناعة هي الرضى بما قسم الله ، ومنها يتولد العفاف وهو عدم الاستشراف لما في أيـدي الناس، وقطع الطمع من الدنيا وأهلها ، وعدم شكوى الحال لغير الكبير المتعـال فإن هـذا سبب حب الله وحب الناس كما قال ﷺ حين جاء إليه رجـل فقال : يا رسول الله علمني عملاً إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال ﷺ:(ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما أيدي الناس يحبك الناس)[1]

و( الحديث دليل شرف الزهد وفضله وأن يكون سببا لمحبة الله لعبده ولمحبة الناس له).[2]
و( ليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء ، والثقة بالقسم ولو لم يكن في القناعة خصلة تحمد إلا الراحة وعدم الدخول في مواقع السوء لطلب الفضل ، لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق القناعة على حالة من الأحوال)[3]

لذا قال ﷺ :(كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)[4]

(فقد أمر النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنه في هذا الخبر أن يكون في الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل؛ وذلك أمر بالقناعة باليسير من الدنيا ، فالغريب وعابر السبيل لا يقصدان في الغيبة الإكثـار من الثروة؛ بل القناعة إليهما أقرب من الإكثار في الدنيا)[5]

وقد قيل: ( لا يقبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان العفة عما في أيدي الناس والتجاوز عما يكون منهم وكان عمر يقول في خطبته على المنبر:( إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وإن

---

١- أخرجه ابن ماجه في سـننه(١٣٧٣/٢)كتـاب الزهـد،باب: الزهـد في الـدنيا،رقم(٤١٠٢)،والحـاكم في مستدركه(٣٤٨/٤)كتـاب:الرقـاق رقـم (٧٨٧٣) والطـبراني في المعجـم الكـبير(١٩٣/٦)رقـم (٥٩٧٢)، وقال الألباني في صحيح الجامع:صحيح برقم(٩٢٠٢).
٢- سبل السلام ، للصنعاني(٣٤٢/٤).
٣- روضة العقلاء ، لأبي حاتم البستي (١١٥).
٤- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٣٥٨/٥)كتاب:الرقاق،باب:قول النبي ﷺ (كن في الدنيا كأنك غريب أو عـابر سبيل) برقم (٦٠٥٣).
٥- روضة العقلاء لأبي حاتم البستي ص (١١٤).

الإنسان إذا أيس من شيء استغنى عنه)[1]

وعن ابن المبارك قال :(سخاء النفس عما في أيدي الناس اكثر من سخاء النفس بالبذل والقناعة والرضا اكثر من مروءة الاعطاء).[2]

- **كثرة ذكر الموت وقصر الأمل :**

قال ﷻ : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عمران:١٨٥]

يخبر تعالى إخبارا عاما يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت ،( فالموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، وحيلولة بينهما على الصورة المعهودة ، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار ، فمن علم ذلك ، كان الموت أقوى داع له لإحسان العمل،وعدم الغرور وقصر الأمل[3]).[4]

لذا ينبغي على المسلم لزوم ذكر الموت على الأوقات كلها وترك الاغترار بالدنيا في الأسباب كلها .[5] والاستجابة لقوله ﷺ : (اكثروا ذكر هاذم اللذات يعني الموت) .[6]

---

١- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي،تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس، ط١٤١٧،٧هـ ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة – بيروت،(٣٠٠/١)،وينظر:أدب الدنيا والدين،أبي الحسن الماوردي ،ط٣، ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م،دار اقرأ-بيروت ص(٢٠١).

٢- تاريخ مدينة دمشق،لابن عساكر،ترجمة عثمان،تحقيق:محب الدين عمر العمروي، ط بدون،١٤١٦هـ ـ١٩٩٦م،دارالفكر - بيروت(٤٦٣/٣٢).

٣- الأمل المذموم هو التسويف مع الإدمان على المعصية وتأخير التوبة ، والتمني على الله الأماني نسأل الله السلامة .

٤- جة الناظرين شرح رياض الصالحين،سليم الهلالي (٦٢٧/١).

٥- روضة العقلاء، لأبي حاتم البستي ص(٢٢٣).

٦- أخرجه الترمذي في سننه(٥٥٣/٤)كتاب: الزهد عن الرسولﷺ،باب:ماجاء في ذكر الموت رقم(٢٣٠٧)،وابن ماجه في سننه(١٤٢٢/٢)كتاب: الزهد،باب ذكر الموت والاستعداد له رقم (٤٢٥٨)،وقال الألباني في صحيح الجامع: صحيح برقم(١٢١٠).

فالحديث يدل على أنه يسن لكل مسلم صحيح أو مريض ذكر الموت بقلبه ولسانه والإكثار منه حتى يكون نصب عينه ؛ لأن ذلك أزجر عن المعصية وأدعى إلى الطاعة[1].

وجلوس العبد في خلوته ورؤية نفسه وحيدا في عزلته ، له أثر بالغ في تذكر ذلك اليوم الذي يوضع في قبره وحيدا فريدا مما يعود بالفائدة على النفس بالاستعداد لهذا المصرع وسؤال الله حسن الخاتمة ،وهذا كله يربي على الزهد في الدنيا،وأنها ظل زائل ومتاع الغرور.

- **الحد من القواطع والشواغل الصارفة للقلب والفكر عن الله تعالى**،وذلك من خلال :

**أ. عدم الاشتغال بما لا يجدي** : قال ﷺ :(طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس) .[2]

(والمراد أن هذه الشجرة في الجنة تكون لمن شغله النظر في عيوبه وطلب إزالتها أوالستر عليها عن الاشتغال بذكر عيوب غيره والتعرف لما يصدر منهم من العيوب؛ وذلك بأن يقدم النظر في عيب نفسه إذا أراد أن يعيب غيره فإنه يجد في نفسه ما يرده عن ذكر غيره)[3]

وقال بعض ولد ابن مسعود:(طوبى لمن أخلص دعاءه وعبادته لله ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينسه ذكر الله ما تسمع أذناه ،ولم يحزن نفسه بما أُعطى غيره).[4]

قال العلامة ابن القيم-رحمه الله-:(أنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك ،فالفكر فيما لايعني باب كل شر ،ومن فكر فيما لا يعنيه ، فاته مايعنيه ، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة فيه ،فالفكر والخواطر والإرادة والهمة

---

١- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير،١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ،الفكر للطباعة – بيروت،(٤٣٣/٢).

٢- ذكره السيوطي في الجامع الصغير(٢٨١/٤) عن أنس،والتيسير بشرح الجامع الصغير(١١٩/٢)،مسندالشهاب(٣٥٨/١)،مجمع الزوائد(٢٢٩/١٠)،قال الألباني في ضعيف الجامع:ضعيف جدا برقم(٣٦٤٤) قلت:وإن كان معناه صحيحا،وقال ابن حجر في بلوغ المرام(٤٤٥):إسناده حسن رقم(٣٠٨٤٦).

٣- سبل السلام،للصنعاني (٣٨٢/٤).

٤- الزهد، لابن المبارك (٥/٢).

أحق شيء بإصلاحه من نفسك).[1]

ب.**عدم السؤال عن أخبار الناس** : والأخبار ينابيع الوساوس وأصولها وعلى المعتزل أن يكف عن السؤال عن أخبار الناس وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به فإن كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب.[2]

قال الشعبي: ( ماجلس ربيع بن خثيم على مجلس ولا على ظهـر طريـق كـذا وكذا قال: أخاف أن يظلم رجل فلا أنصره ، أو يفترى رجل على رجل فأكلف الشهادة أو يسلم علي فلا أرد السلام ، أو تقع عن حاملة حملـها فـلا أحمـل عليها).[3]

ج. **الحد من زيارة الناس وغشيا م له:** قال ﷺ : (إنما النـــــاس كالإبل المائـــة لا تكاد تجد فيها راحلة) . [4] يريد والله أعلم أن الواحد من المائة من الناس لا يصلح أن يصحب كما أن الواحد من هذه المائة من الإبل لا يصلح أن يركب به ، يشير إلى الإقلال من صحبة الناس والتحذير منهم .

وقيل: ( أقل معرفة الناس تسلم).[5]

وعن حذيفه قال: (والله لوددت أن لي من يصلح لي في مالي ثم أغلقت علي بابي فلـم يدخل علي بشر ولم أخرج إليه حتى ألحق بالله). [6]

وينبغي على المؤمن أن يحذر من الجليس الذي لا يفيده علما ولا يكسب منه خيرا .

---

١- الفـوائد ص (١٧٥).

٢- ينظر : إحياء علوم الدين ، للغزالي (٢٤٣/٢).

٣-كتاب الزهد الكبير للبيهقي،تحقيق: عامر أحمد حيدر.،ط٣، ١٩٩٦م،مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت(١٠٤/١).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٣٨٣/٥)كتاب:الرقاق،باب:رفع الأمانة رقـم (٦١٢٣)،ومسـلم في صـحيحه (١٩٧٣/٤)كتاب:فضائل الصحابة،باب:قوله ﷺ (الناس كإبل...) رقم(٢٥٤٧).

٥- العزلة، للخطابي ص (١٣٠).

٦- الزهد، لابن المبارك (٥/٢).

- **محاسبة النفس:**

**و**على المعتزل أن يحاسب نفسه في جانبين :

١. تفقد أخطائها ومثالبها ومعاصيها في ماضي حيا ا وأثر ذلك في صدق التوبة وتطامن النفس وتواضعها، وذلك عندما يعلم المحاسب لنفسه أ ا كلها عورة وضعف وخطيئة .

٢. محاسبة النفس في علاقتها بالخلق وحقوقهم ، بداية من الوالدين والأقـارب والتقصير الحاصل نحوهم ، وكذلك حقوق الآخرين.(١)

- **المواظبة على الصلاة على النبي** ﷺ فإ ا من الذكر المشروع الذي تطمئن بـه القلوب وتذهب الهموم والأحزان ؛ جاء ذلك في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ( كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله . يا أيها الناس اذكروا الله . يا أيها الناس اذكروا الله . جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه ، فقال أبي بن كعب : يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك منها ؟ قال: ما شئت .قال : الربع . قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك . قال : النصف .قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك . قال : الثلثين . قال : ما شئت وإن زدت فهو خير . قال : يا رسول الله أجعلها كلها لك . قال : إذا تكفي همك ويغفر لك ذنبك).(٢)

فالموت قريب والمعين عليه الصلاة على النبي ﷺ فإنه سبب أن يكفيه الله هم الدنيا وهم الآخرة كما قال في الرواية المرسلة قال رسول الله ﷺ : (أتـــاني آت من ربي فقال: لا يصلي عليك عبد صلاة إلا صلى الله عليه عشراً . قال: فقال رجل : يا رسول الله، ألا أجعل نصف دعائي لك قال:

---

١- ينظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ،عبدالعزيز بن ناصر الجليل (٢٦٨/٢،٢٧١).

٢- أخرجه الترمذي في سننه(٦٣٦/٤)كتاب:صفة القيامة،باب(٢٣)قـال أبـو عيسـى هـذا حـديث حسـن صحيح،والحاكم في مستدركه(٤٥٧/٢)باب:تفسير سورة الأحزاب برقم(٣٥٧٨)واللفظ له وقال:هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه،قال الألباني في صحيح الجامع:حسن برقم(٧٨٦٣).

إن شئت قال: ألا أجعل كل دعائي لك قال إذا يكفيك الله هم الدنيا والآخرة) .[1]

فإذا علم أن الأمر عام للأمة في وجوب الصلاة على النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ .[الأحزاب :٥٦] كان على المعتزل الأخذ بكل الأسباب الكفيلة بالنجاة ومنها الصلاة على النبي ﷺ والمقصود بالصلاة على النبي ﷺ التقرب إلى الله بامتثال أمره وقضاء حق النبي ﷺ .

قال ابن العربي:(فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوع العقيدة وخلوص النية وإظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة ﷺ).[2]

وفي الآخرة يكون هذا المصلي أولى الناس بالنبي ﷺ ( والمراد أحقهم بالشفاعة أو القرب من منزلته في الجنة ،وفي هذا الحديث فضيلة الصلاة عليه ﷺ ).[3]

- **مجالسة الرفيق الصالح :**

للمعتزل أوضاع خاصة تتفاوت حسب حال الفرد فمنهم من يقتصر على نفسه ،ومنهم من يتصل بأفراد أسرته ،ومنهم من يتعايش ويتعاون ضمن مجموعة متوافقة معه في المنهج والسلوك، إلا أن الفرد في أضيق الظروف لابد أن يكون له صاحب من زوجة أو ولد أو صديق صدوق يعاونه ويعاضده، يساره ويشاوره،ويكون بمثابة مرآة له تكشف له حاله كما هو على الحقيقة دون تزييف أو مجاملة.

قال رسول الله ﷺ :(المؤمن مرآة المؤمن )[4] أي المؤمن لأخيه المؤمن كالمرآة التي ينظر فيها وجهه فالمؤمن يطلع أخاه على ما فيه من عيب وينبهه على إصلاحه ويرشده إلى مايزينه عند

---

١- أخرجه عبد الرزاق في مصنفه(٢١٥/٢)باب الصلاة على النبي ﷺ،قال الألباني:صحيح مرسل رقم(٢٨).

٢- فتح الباري،لابن حجر(١٦٨/١١).

٣- سبل السلام، للصنعاني (٤٢٨/٤).

٤- أخرجه أبو داود في سننه(٢٨٠/٤)كتاب: الأدب،باب في الظن،وقال:بإسناد حسن،والبيهقي في السنن الكبرى(١٦٧/٨)باب مافي الشفاعة والذب عن عرض أخيه المسلم،والمعجم الأوسط(٣٢٥/٢)وقال الألباني في صحيح الجامع :صحيح برقم(٦٦٥٥).

مولاه تعالى وإلى مايزينه عند عباده وهذا داخل في النصيحة.(١)

وأقرب الناس للعبد زوجه وقد نبه ﷺ لأهميته في صلاح رفيقه وشريك حياته فعن ثوبان رضي الله عنه قال : لما نزل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾.[التوبة :٣٤] قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه :أُنزل في الذهب والفضة ما أنزل، لو علمنا أي المال خير فنتخذه ؟ فقال : ( أفضله لسان ذاكر ،وقلب شاكر ،وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه ) .(٢)

كما أكد الرسول ﷺ على مصاحبة المؤمنين لما لهم من أثر طيب في استقامة السلوك حيث قال : (لا تصاحب إلا مؤمنًا)(٣) فكلما كان الصاحب خيرا مخلصا في صحبته كان أثره إيجابيا على صاحبه في بناء خلقه فهو يلاحظ أحواله وأفعاله فيشجعه على الخير ويحذره من الشر،ويعينه على أكمل الطاعات وأفضل القربات.

وقد قيل: (لم يبق من العيش إلا ثلاث أخ لك تصيب من عشرته خيرا فان زغت عن الطريق قومك ، وكفاف من عيش ليس لأحد عليك فيه تبعة وصلاة في جمع تكفى سهوها وتستوجب أجرها).(٤)

يقول ابن تيمية:( فالمصاحبة والمصاهرة والمؤاخاة لا تجوز إلا مع أهل طاعة الله تعالى على مراد الله ويدل على ذلك الحديث الذى فى السنن ( لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك

---

١- سبل السلام، للصنعاني (٢١١/٤).

٢- أخرجه الترمذي في سننه(٢٧٧/٥)كتاب:تفسير القرآن عن رسول الله،باب:ومن سورة التوبة رقم(٣٠٩٤)وقال:هذا حديث حسن،وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم(١٤٩٩).

٣- أخرجه أبو داود في سننه(٢٥٩/٤)كتاب: الأدب،باب من يؤمر أن يجالس،والترمذي في سننه(٦٠٠/٤)كتاب الزهد عن الرسول ﷺ باب:ماجاء في صحبة المؤمن، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه،وأحمد في مسند أبي موسى الأشعري(٣٨/٣)،والحاكم في مستدركه(١٤٣/٤)كتاب الأطعمة،قال الألباني في صحيح الجامع:حسن برقم(٧٣٤١) .

٤- تاريخ بغداد،أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي،دار الكتب العلمية - بيروت(٩٩/٦)،وينظر :روضة العقلاء (٦٦).

إلا تقى) (1)

وفيها (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) (2)(3)

- **حفظ اللسان :**

قال ﷻ :﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب:٧٠،٧١ ]

فثنى الله ﷻ بالقول بعد التقوى وفي هذا إشارة إلى عظيم فعل وأثر اللسان وما ينطق به المسلم على سلوكه ومنهجه ومصيره، واللسان نعمة على العبد إذا أحسن استخدامه، ونقمة وحجة عليه إذا أساء استخدامه ، فهو سلاح ذو حدين ؛فإن استخدم في طاعة الله كقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة المظلوم كان هذا من تمام شكر الله على هذه النعمة .

وإن استخدم في طاعة الشيطان ومخالفة الرحمن وتفريق جماعة المسلمين والكذب وقول الزور والغيبة والنميمة وانتهاك أعراض المسلمين ونحو ذلك ؛كان هذا هو الكفر بهذه النعمة العظيمة.

- فالساكت عن الحق شيطان أخرس ،عاص لله مراءٍ ، مداهن إذالم يخف على نفسه القتل ونحوه .

- والمتكلم بالباطل شيطان ناطق ،عاص لله.

و( أكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته فهم بين هذين النوعين ،وأهل الوسط وهم أهل الصراط المستقيم كفوا ألسنتهم عن الباطل وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة)(4)

---

١- سبق تخريجه ص (١٤٨).

٢- سبق تخريجه ص(٨٠).

٣- مجموع الفتاوي (٣٢٧/١٥).

٤- الجواب الكافي، لابن القيم (١١٣/١).

وآفات اللسان من أخطر الآفات على الإنسان ،لأن الإنسان ( يهون عليـه الـتحفظ والاحتراز من أكل الحرام ،والزنا ،والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحـرم وغـير ذلـك ويصعب عليه التحـفظ والاحتراز من حركة لسانه ،حتى يرى الرجل يشـار إليه بالـدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله لايلقي لها بال يزال بالكلمة الواحدة بين المشرق والمغرب ، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يقطع ويذبـح في أعراض الأحياء والأموات ولايبالي ما يقول)(١)

يقول الإمام النووي -رحمه الله- :( اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما تظهر المصلحة فيه. ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه ؛لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حـرام أو مكـروه بـل هـذا كـثير أو غالـب في العادة.والسلامة لايعدلها شيء).(٢)

ولهذا قال النبي ﷺ لمن جاءه يسأله قائلاً :علمني وأوجز. قـال ﷺ :(إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع ولا تكلم بكلام تعتذر منه، واجمع اليأس عما في أيدي الناس) .(٣)

قال ابن مسعود :( والله الذي لاإله غيره ،ما شيء أحق بطول سجن من لسان).(٤)

ومن السلف من كان يسجن لسانه كما روي عن أحدهم قال : ( ما أرى ربيـع بـن خثيم تكلم منذ عشرين سنة بكلمة إلا تصعد وكأنه يلمح إلى قولـه تعـالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر :١٠])(٥)

---

١- المصدر السابق نفسه (١١١/١).

٢- الأذكار (٢٦٢/١).

٣- أخرجه ابن ماجه في سننه(١٣٩٦/٢)كتاب:الزهد،باب:الحكمة رقم(٤١٧١) واللفـظ له،وأحمـد في مسـنده (٤١٢/٥)،والمعجم الكبير(١٥٤/٤)(٤٤/٦)وقال الألباني في السلسـلة الصـحيحة (٥٤٥/٤):إسـناده صـحيح رقم(١٥٠٦٧٢) وفي صحيح الجامع:صحيح برقم(٧٤٢).

٤- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٥٩/٤)،وابن المبارك في الزهد (١٢٩).

٥- الزهد لابن المبارك (٦/٢)،وجاء في الطبقات (إلا كلمة تصعد) أخرجه سعد عن الفضل بن دكين عـن سـفيان (١٨٥/٦).

( فالواجب على العاقل أن يروض نفسه على ترك ما أبيح له من النطق لـئلا يقـع في المزجورات؛ فيكون حتفه فيما يخرج منه ؛لأن الكلام إذا أكثر منه أورث صاحبه التلذذ بضد الطاعات ،فإذا لم يوفـق العبد لاستعمال اللسان فيما لا يجـدي عليه نفعه في الآخرة كان وجوب الإمساك عن السوء أولى به ).[1]

والعزلة تعين العبد المعتزل على حفظ لسانه لذا كان من أولى آدا ا حفظ اللسان وكثرة الصمت وملازمته تفكرا وتدبرا وحكمة، يقول وهيب بن الورد: ( بلغنا أن الحكمة عشـرة أجزاء :تسعة منها في الصمت ،والعاشرة في عزلة الناس ).[2]

وقد أفرد العلماء أبوابا وصنفوا كتبا في وجوب حفظ اللسان وفضيلة الصمت وأثر ذلك في حماية جناب التوحيد والمحافظة على العقيدة الصحيحة والتحذير من الألفاظ التي تقدح في التوحيد.

وعلى المعتزل أن يحذر من هذه الألفاظ وخاصة التي يكون الحامل لها الإعجاب بالنفس؛ كالتألي على الله ،فقد جاء عن جندب بن عبدالله قال :أن رسـول الله ﷺ: (أن رجلاً قال: لا يغفر الله لفلان ،وإن الله تعالى قال :(من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلانٍ ؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك ) .[3]

فمن تألى على الله فقد أساء الأدب معه وتحجر فضله ، وأساء الظن به تعالى فهذا لفـظ محرم محبط للعمل.[4]

يتضح مما سبق أن هناك الكثير من العوامل الكفيلة بتعزيز موقف المعتزل إذا حافظ على آدا ا والتزم ا مع تحديده كيفية العزلة على الوجه الذي يتناسب مع الفوائد المرجوة ويحقق الأهداف المطلوبة.

---

١- روضة العقلاء لأبي حاتم البستي ص(٣٩).

٢- العزلة للخطابي ص(٨٦).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٢٣/٤)كتاب:البر والصلة،باب:النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى ، رقم (٢٦٢١)

٤- ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد صالح العثيمين (٣٢٩/٣).

## خلاصة المبحث الثاني (آداب العزلة):

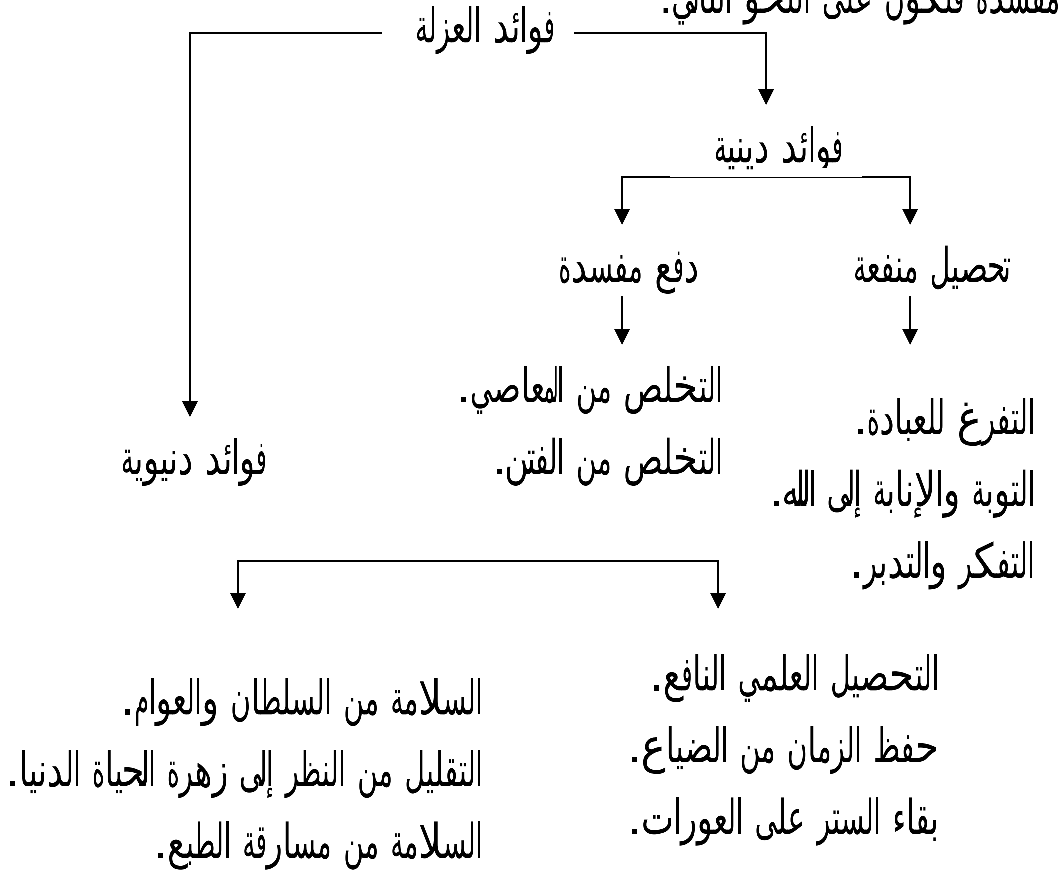
- ينبغي على المعتزل أن يتحلى بالعديد من الآداب المُعينة على العزلة وتحقيق الأهداف.
- من آداب المعتزل التواضع بأن ينوي بعزلته كف شره عن الناس لا العكس.
- ينبغي الصبر على الطاعة والمعصية وأقدار الله من بلايا ومصائب.
- أهمية القناعة باليسير وعدم الاستشراف لما في أيدي الناس.
- كثرة ذكر الموت وقصر الأمل من خلال جلوس العبد في خلوته ورؤية نفسه وحيداً.
- الحد من القواطع والشواغل الصارفة للقلب.
- محاسبة النفس لتفقد أخطائها والتعرف على علاقتها بالخلق وحقوقهم.
- المواظبة على الصلاة على النبي ﷺ ؛ لما في ذلك من اطمئنان القلب وذهاب الهموم.
- ضرورة اختيار الجليس الصالح أثناء العزلة.
- حفظ اللسان بترويض النفس على ترك المباحات لئلا يقع في المحظورات.

# المبحث الثالث : فوائد العزلة

تتنوع كيفية الاعتزال حسب حال المعتزل وأهدافه وتوقعاته لما يكون عليه الحال أثناء العزلة وبعدها،و بالتالي تكون الفوائد المترتبة على الاعتزال متناسبة مع كيفية العزلة وملابسا ا،فمن اعتزل في الجبال والشعاب يحقق فوائد لا يحققها المعتزل في البيوت و المعتزل بقلبه ،كما أن المعتزل بقلبه يحقق مالا يحققه أي من الصنفين الآخرين.

وعلى ذلك فالفوائد العائدة على كل صنف تختلف تبعاً لكيفية العزلة ؛ فمن اعتزل في الجبال والشعاب يتفرغ للعبادة أكثر من المعتزل بقلبه؛ لأن الأول فعله لازم لا تشغله إلا نفسه ،أما الثاني ففعله متعد فهو مشغول بنفسه وبمن حوله ممن يهدف إلى إصلاحهم و إرشادهم متحملاً في سبيل ذلك ألواناً من الأذى وهكذا.

وقد قسم الغزالي[1] فوائد العزلة إلى دينية ودنيوية وكل منهما إلى تحصيل منفعة أو دفع مفسدة فتكون على النحو التالي:




١- ينظر: إحياء علوم الدين (٢٢٦/٢)ومابعدها.

# أولاً . الفوائد الدينية :

## القسم الأول : تحصيل المنافع ومنها :

### أ - التفرغ للعبادة:

من أعظم فوائد العزلة التفرغ للعبادة والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلـق ، وأثر ذلك في ظهور علامات الخوف والخشية والإخبـات لله ، والاجتـهاد في الطاعـات والاستزادة من الصالحات كنوافل الصلاة والصيام والذكر بالقلب واللسان كقراءة القـرآن والأوراد الشرعية وسائر الأذكار.

ولنا في نبينا محمد ﷺ أسوة حسنة وخير مثال وقد دعا الله ﷻ إلى الاقتـداء بالرسـول الكريم في سلوكه ومنهج حياته فقالﷻ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١] حيث كان ﷺ يخلو بنفسه في غار حراء يتعبد حتى أذن الله له في الـدعوة ، ثم سن لأمته الاعتكاف.

وفي هذا دليل على مشروعية الانفراد والخلوة رغبة في العبادة والمحاسبة والمراجعة وقـد سار السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على هذا المنهج حتى يومنا هذا ومن هؤلاء الفضيل بن عياض الذي كان يقول:(إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من يشـغلني عـن ربي ).[(١)]

وهكذا تسير مواكب( السلف الصالح من أهل العلم والإيمان من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومن تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والإخبات ، وأن ذلك هو الذي رقاهم إلى تلك الأحوال الشريفة والمقامات السنيات من شدة الاجتـهاد في الطاعـ ـات والانكفاف عن دقائق الأعمال المكروهات فضلاً عن المحرمات.

ولهذا قال بعض السلف: خـوف الله تعالى حجب قلوب الخـائفين عن زهـرة الدنيا

---

١- إحياء علوم الدين،للغزالي (٢/٢٢٧،٢٢٦).

وعوارض الشبهات ).[1]

ويعد الاعتكاف من أنواع العزلة المشروعة التي يتحقق فيها للمؤمن التفرغ الممتع للعبادة وفيها يكون التعود على أعمال فاضلة يحصل فيها التفريط غالباً عند الكثير في الأحوال العادية كأداء السنن الرواتب ، والصف الأول للرجال في المساجد ، والطمأنينة في الصلاة وأداء الأذكار جميعها وذلك لعدم وجود المشاغل التي تصرف المعتكف عن هذه الفضائل أو بعضها ولعلها أن تكون ديدنه بعد الخروج من المعتكف.[2]

**ب- التوبة والإنابة إلى الله :**

فالخلوة بالله تعالى والانعزال عن الناس تعين العبد على استرجاع ماضيه ، وتذكر سالف أقواله وأعماله وسقطاته وهفواته ومثالبه في حق الله تعالى والناس ، فيذكر ذنوبه ويستغفر منها وتكون توبته صادقة بالندم عليها والعزم على عدم العودة إلى ما كان عليه من قبل .

قال مسروق -رحمه الله-:( المرء حقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها فيذكر ذنوبه ويستغفرمنها)[3]

**ج- التفكر والتدبر والتأمل:**

في الآيات الكونية من ملكوت السموات والأرض وخلق الليل والنهار وغيرها من العلامات الدالة على عظيم صنع الله.

والآيات الشرعية تتضمن العديد من الآيات الكونية جملة وتفصيلاً مع حث العباد على التفكر فيها والتبصر بآيا ا وتدبر خلقها كما قال ﷻ:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا

---

١- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لابن رجب الحنبلي،ط١، ١٣٩٩هـ ،مكتبة دار البيان – دمشق،(٦/١ ).

٢- ينظر: وقفات تربوية،عبد العزيز الجليل (٢٦٨/٢-٢٧١).

٣- العزلة للخطابي ص(١١٨).

بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾.[ آل عمران:١٩٠،١٩١]

فإن قوله (وَيَتَفَكَّرُونَ) (يعني أ م يعتبرون بصنعة صانع ذلك،فيعلمون أنه لايصـنع ذلك إلا من ليس كمثله شيء ومن هو مالك كل شيء ورازقـه وخـالق كـل شـيء ومدبره)[١]و(كل ذلك يدل على تعلق القلب بالخالق المبدع وبذل الجهد في مرضاته،وأن لا يشرك به سواه)[٢].

وفي الآيات عطف التفكر في الآيات الكونية على الذكر في الصلاة وقراءة القرآن،[٣]مما يدل على أن التفـكر عبادة من صفـات عباد الله المخلصين، قال عمر بن عبد العزيـز -رحمه الله- : ( الفكرة في نعم الله ﷻ من أفضل العبادة).[٤]

وقيل: (إن من أفضل العمل الورع والتفكر ).[٥]

وكما يكون التدبر في الآيات الكونية يكون كذلك في الآيات الشرعية الواردة في القرآن العظيم (فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن،وإطالـة التأمل وجمع الفكر على معاني القرآن).[٦]

قال ﷻ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ .[محمد:٢٤]

قال الشافعي -رحمه الله- :( استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر ).[٧]

وللتفكر والتأمل حدود لايتجاوزها العبد المؤمن حفظًا لدينه وصيانة لجناب التوحيد من

---

١- ينظر :جامع البيان لابن جرير الطبري (٢١٠/٤).

٢- تيسير الكريم الرحمن،عبد الرحمن السعدي ص (١٦١).

٣- ينظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (٢١٠/٤).

٤- إحياء علوم الدين،للغزالي (٤٢٥/٤) وذكره ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى ( ويتفكرون في خلـق السـموات والأرض).

٥- كتاب الزهد لابن المبارك ص(٩٦).

٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،تحقيق: محمـد حامد الفقي ، ط٢، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م، دار الكتاب العربي – بيروت. (٤٨٥/١-٤٨٧).

٧- إحياء علوم الدين،للغزالي (٤٢٥/٤).

القدح فيه ، فهي محصورة في خلق الله بعيدة عن خالق هذا الخلق يقول ابن عبـاس ﷺ : ( تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله ).[1]

كما قال ابن القيم -رحمه الله-:( أصل الخير والشر من قبل التفكر،فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض ،وأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد ،وفي طـرق اجتلا ا ،وفي دفع مفاسد المعاد وفي طرق اجتنا ا ،فهذه أربعة أفكار هي أجـل الأفكـار ،ويليها أربعة فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها ،وفكر في مفاسد الدنيا وطرق الاحتراز منها ،فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء ورأس القسم الأول الفكر في آلاء الله ونعمه وأمره و يه وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه ﷺ ومـا والاهمـا، وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها ،وفي الـدنيا وخستها وفنائها أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا.وكلما فكر في قصر الأمـل وضيق الوقت أورث ذلك الجد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت. وهـذه الأفكـار تعلي همته وتحييها بعد مو ا ، وسفولها وتجعله في واد والناس في واد، وبإزاء هذه الأفكـار الأفكار الرديئة التي تجول في قلوب أكثر هذا الخلق، كالفكر فيما لم يكلف الفكر فيه ، ولا أعطي الإحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع ،كالفكر في ذات الرب وصفاته مما لا سبيل للعقول إلى إدراكه ).[2]

ولا يكون التفكر والتدبر والتأمل مع الاختلاط بل يكون في ساعات العزلة عن النـاس والجلوس في وحدة تعين على ذلك.

وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول :( يا لقمـان إنـك تـديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان: إن طول الوحدة أفهـم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة).[3]

ونختم أقوال العلماء بآثار التفـكر والتدبر على النفس حيث تورث أمورا عظيمة منها :

---

١- الدر المنثور، للسيوطي (٤٠٩/٢)،١٩٩٣،دار الفكر- بيروت.

٢- الفوائد ، ط٢، ١٣٩٣ هـ- ١٩٧٣م، دار الكتب العلمية - بيروت. ص (١٩٨).

٣- إحياء علوم الدين،للغزالي (٤٢٤/٤، ٣٢٥)وعند ابن كثير في تفسير(ويتفكرون في خلق السموات والأرض).

١. انشراح الصدر وسكينة القلب.

٢. الخوف والخشية من الله عز وجل .

٣. كثرة الاعتبار والاتعاظ من سير السابقين.

٤. إتيان الحكمة وحياة القلوب.(١)

**القسم الثاني: دفع المفاسد ومنها :**

**أ- التخلص من المعاصي التي يتعرض لها الإنسان غالباً بالمخالطة ويسلم منها بالعزلة :**

**١- السكوت عن الأمر بالمعروف :**

يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص خصائص المجتمع المسلم ،وسبب خيرية هذه الأمة يقول ﷻ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة:٧١ ].

وجعل الإسلام هذه الفضيلة فريضة على المسلمين وذلك ظاهر لمن تتبع النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. [آل عمران :١٠٤ ] والأمر يفيد الوجوب .

وأوجب على المسلم تغيير المنكر بعدة أساليب فقال ﷺ :(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) .(٢)

وقد ذم الله سبحانه وتعالى علماء اليهود والنصارى لعدم قيامهم بهذه المهمة حيث قال

---

١- ينظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ،إعداد:مجموعة من المختصين بإشراف:صالح بن عبد الله حميد ،عبد الرحمن بن محمد بن ملوح، ط٤، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م،دار الوسيلة- جدة (١٠٧٨/٤).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه(٦٩/١)كتاب: الإيمان،باب:بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ،رقم (٤٩).

ﷻ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾. [المائدة :٦٣]

فدلت الآية على( أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).[1]

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة شرعية لأنه يقوم بصيانة قيم المجتمع المسلم من أن يعبث بها كل ذي هوى وكل ذي شهوة أو مصلحة ، ومن هنا يقول ابن تيمية -رحمه الله- : ( إن جميع الولايات الإسلامية إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).[2]

ولكي يكون الرأي العام فاضلاً ( عليهم أن يأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر ، ولا يدعوا بينهم من يظهر ظلماً أو فاحشة ).[3]

كما رغب الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونفر من التقصير في ذلك؛ففي

- **الترغيب** : جعل الأمر بالمعروف من السمات المميزة لهذه الأمة فقال ﷻ:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[آل عمران:١١٠] وفي

- **الترهيب** : لعن الله ﷻ من تهاون فيه فقال:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة :٧٨،٧٩]

وليس هذا فحسب بل إن النبي ﷺ قد جمع في الوعيد وسوى في العاقبة بين من أتى المنكر وبين من رآه فلا يغيره ولا يأباه .

وجاء في رواية أن : ( قام أبو بكر رضي الله عنه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس

---

١- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي (٢٣٧/٦).

٢- مجموع الفتاوى (٢٠/٢٨).

٣- المصدر السابق نفسه (٢٨/ ٦٦).

إنكم تقرؤون هذه الآيـة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾. [المائـده :١٠٥] وإنكم تضعو ا على غير مواضعها فإني سمعت رسـول الله ﷺ يقول :(إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) [١][٢]

فإذا قام أفراد ا تمع المسلم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفهموا دورهم الإيجابي فيه ، فإن ذلك يصـلح كيان ا تمع ، ويتخلص من سيطرة الرذيلة الـتي تنـ ـشأ بسبب التهاون في نصرة الحق ، وإفساح ا ال أمام العـابثين والمفسدين الـذين يـ ـزداد خطرهم بغياب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.[٣]

إن ا تمع المسلم لا تتحقق له القوة إلا إذا قوي فيه صوت الحق وعلا ، وظهر الداعون إلى الخير ، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، واختفى الشر وأهله وهذا يـؤدي إلى تكوين ظاهرة اجتماعية هامة ، وهي الرأي العام الفاضل الذي من خلاله يتم الدفاع عـن المبادىء الخُلقية والعمل على صيانتها ، والتصدي لمن يحاول انتهاك حرما ا.

والرأي العام الفاضل هو الذي يشد أفراد ا تمع بعضهم إلى بعض ويقوي أواصر العلاقة بينهم ، وهو يساعد على نشر صور الفضيلة وتشجيع أصحاب الأخلاق الفاضلة وتزكيتهم، وهذا في الحقيقة يعد السبيل الوحيد إلى ترابط ا تمع المسلم وتماسكه ، لأنه يتم من خلالـه حفز عزائم أفراد ا تمع للتعلق بالمثل والقيم الرفيعة التي تحفظهم من التفكك والسقوط .[٤]

---

١- الحديث أخرجه أبو داود في سننه(١٢٢/٤)كتـاب:الملاحم،بـاب:الأمـر والنـهي رقـم (٤٣٣٨)ولفظـه مختلف،والترمذي في سننه(٤٦٧/٤)كتاب:الفتن،باب:ماجاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكـر وتفسـير القـرآن رقم(٢١٦٨)وقال:هذا حديث صحيح،وابن ماجه في صحيحه(١٣٢٧/٢)كتاب:الفتن،باب:الأمر بالمعروف والنـهي عن المنكر رقم (٤٠٠٥)،وأحمد في مسنده (٢،٩،٧/١)وصححه الألباني في صحيح الجامع بـرقم(١٩٧٣)وجـاء في رواية أخرى(إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه).

٢- العزلة للخطابي ص (١٠٣).

٣- ينظر: مصرع الشرك والخرافة.خالد محمد علي الحاج ص(٦٢٨) تحقيق: عبد الله الأنصاري،نقلا عن كتاب الفساد الخلقي في ا تمع،ناصر التركي ص(٢٨٨).

٤- ينظر/ الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية،يعقوب المليجي ١٤٠٥هـ ،مؤسسة الثقافة الجامعية - الإسكندرية ص (١١٢)نقلا عن كتاب الفساد الخلقي في ا تمع،ناصر التركي ص(٢٨٩).

إن الرأي العام الفاضل إذا ساد المجتمع ، فإنه يوجِد رقابة نفسية لدى كل فرد من أفراده، رقابة تجعل كل صاحب شر ينطوي على نفسه فلا يظهر شره ، وفي المقابل يجد صاحب الخير الشجاعة في إظهار الخير ، ولذلك لا ينمي ولا يهذب أفراد المجتمع المسلم إلا الرأي العام الفاضل الذي يعمل على نصرة الفضيلة ومحاربة الرذيلة حتى تذبل في منابتها .

إن المجتمع لا يفسده إلا الرأي العام الفاسد الذي يتخاذل عن حماية الفضيلة ويترك الرذائل رافعة رأسها. (١)

فالآثمون إذا تركوا ولم ينهوا عن غيهم ومنكرهم هدموا كيان المجتمع ، فإذا لم يأخذ الفضلاء على أيديهم فإنه بذلك يهلك المجتمع ويتغير حاله ، يقول الرسول ﷺ : (مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها؛ فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به، فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة . فأتوه فقالوا: مالك؟ قال: تأذيتم بي، ولابد لي من الماء . فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم)(٢)

ونختم بقول الخطابي : ( وفي العزلة السلامة من المأثم في المنكر يراه الإنسان فلا يغيره والأمان من غوائل أهله ومن عاديتهم إذا غيره ، فقد أبى أكثر أهل هذا الزمان قبول النصائح ونصبوا العداوة لمن دعاهم إلى هدى أو نهاهم عن ردي ، فلو لم تكن في الوحدة والتباعد منهم إلا السلامة من إثم المداهنة وخطر المكافحة لكان في ذلك الربح الرابح والغنيمة الباردة).(٣)

---

١- ينظر / المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ، محمد أبو زهرة ص(١٣٥،١٣٦). نقلا عن كتاب الفساد الخلقي في المجتمع،ناصر التركي ص(٢٨٩).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٩٥٤/٢)كتاب: الشركة،باب: القرعة في المشكلات وقوله إذ يلقون أقلامهم)برقم(٢٥٤٠).

٣- العزلة للخطابي (١٠٢).

## ٢- المداهنة[١]:

وذلك بأن يتظاهر بالرضا عن أعمال الفسقة والمنحرفين ، وعدم المبالاة بما يجاهرون بـه من المعاصي ، لكي يظفر بمكاسب ومصالح من ورائهم ، ويحقق مآربه التي توسوس ا نفسه الأمارة بالسوء وقد تفشى ذلك كثيرا بين المسلمين اليوم حتى صار هذا النفاق تيارا يكتسح بشروره ا تمعات الإسلامية ، ويسمى بالانتهازية والوصولية والنفعية بحيث ينتهز الإنسـان كل فرصة ليصل إلى مآربه ولو على حساب الآخرين ، وأصبح لهذا النفاق طـرق وحيـل وخفايا ، كما أقيمت له نظريات تبرره وتنشره ، وصيغت له أمثال تشجع عليه ، ومنـها قولهم أن الغاية تبرر الوسيلة ، وأن الفرصة لا تأتي إلا مرة ، بل إن الأدهى من ذلك أن يطلق على هذا النفاق الخسيس أوصاف تصف أصحا ا بالذكاء والنباهة والفطانة ، والحنكة وأن يوصف الأتقياء المتعففون عنه بالغفلة والسذاجة والبساطة في التفكير .

وقد بين الرسول ﷺ أن من شرار الناس المداهن المخادع الذي يتظاهر لكل فريـق بمـا يرضيه فقال:(تجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه) .[٢]

ولهذا ( يجب على المسلم أن يراقب خواطر نفسه ويحاسبها على نـيا ا ويكـون لهـا الحارس الأمين الذي يبعد عنها غوائل شهوة النفس وحب الجاه وأخـطار هذا المرض الخفي الذي لا تظـهر بدايـاته في النفس إلا باليقظة الكامـلة وسـد منافـذ الشيـ ـطان ووساوسه).[٣]

---

١- المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأ ا معاشرة الفاسـق وإظهـار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه ، والمداهنة والإدهان المصانعة واللين وقيل المداهنة إظهار خلاف مـا يضـمر و الإدهان الغش ودهن الرجل إذا نافق،وفي التـ يل العزيز(ودوا لو تدهن فيدهنون)وقال قوم داهنت بمعـنى واريـت و أدهنت بمعنى غششت.

ينظر: لسان العرب لابن منظور (١٦٢/١٣)،مختار الصحاح لأبي بكر الرازي(٨٩/١)،فتح البـاري لابـن حجـر (١٠/ ٥٢٨).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه(١٩٥٨/٤)كتاب: فضائل الصحابة،باب: خيار الناس برقم(٢٥٢٦).

٣- منهج الإسلام في تزكية النفس،أنس أحمد كرزون ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م،دار نـور المكتبـات- بـيروت (٥٨٩/٢).

وهذا ما أشار إليه الإمام ابن الجوزي بقوله : ( وقد لبس إبليس على جماعة من قوام الليل فتحدثوا بذلك بالنهار فربما قال أحدهم : فلان المؤذن أذن بوقت ليعلم الناس أنه كان منتبها ، فأقل ما في هذا إن سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية فيقل الثواب).[1]

ومن وسائل العلاج وسد منافذ الشيطان :

١. تربية النفوس على الإيمان الراسخ والعقيدة الحازمة والتوجه إلى الله سبحانه بصدق وإخلاص وتزكية تلك النفوس حتى تسمو وتتطهر من شرارها وتذوق حلاوة الإيمان .

٢. سد الذرائع الموصلة إلى النفاق من الكذب والخيانة وإخلاف الوعد والمداهنة ونحو ذلك ومنها ما قاله الخطابي:(ولو لم يكن في العزلة إلا السلامة من آفة الرياء والتصنع للناس وما يدفع إليه الإنسان إذا كان فيهم من استعمال المداهنة معهم وخداع المواربة في رضاهم لكان في ذلك ما يرغب في العزلة ويحرك إليها...فمن أحب السلامة من هذه الخلة فليقل من مخالطة الناس وليحذر مداخلتهم والتوسط في أمورهم؛ فإنه إذا مني بذلك وابتلى بشيء منه لم يسلم أن يلقى هذا بوجه وصاحبه بوجه آخر ولئن خالف هذه الطريقة أوشك أن يشنأه الناس ويتخذوه عدواً).[2]

## ٣- الرياء والتصنع للناس :

والرياء خلق ذميم من صفات المنافقين قال ﷻ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[النساء:١٤٢]

---

١- تلبيس إبليس،جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي البغدادي، ،ط٢، ١٣٦٨هـ، دار الكتب العلمية- لبنان ص(١٤٢،١٤١).

٢- العزلة (١٠٢،١٠١).

وقد بين ﷺ الأثر المترتب على الريـاء في الدنيا فقال: (من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به) .[1]

أما الآخرة فإن الرياء من الأمراض المهلكة التي تحبط الأعمال فلا ينتفع ا صاحبها يـوم القيامة وإنما تكون وبالاً عليه وهو الشرك الخفي الذي إذا استفحل وتأصل في الـنفس أدى إلى حقيقة الشرك، فهو تمزيق وتشتيت للقلب البشري فلا يتوجه إلى خالقه في العبادة وإنمـا يتوجه للمخلوقين طلباً لرضاهم .[2]

**٤- الغيبة:**

وهي آفة خطيرة من آفات اللسـان عرفهـا الرسـول ﷺ بقولـه:(ذكرك أخاك بما يكره) .[3]

وهي محرمة بإجماع المسلمين وقد تظاهر على تحريمها الدلائل الصريحة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.[4] وهذا التحريم عام يشمل القائل والمستمع إذا سكت على ذلـك؛ لأن فيـه إقراراً ورضا بالغيبة وإظهار موافقته عليها فكان الأجر والمثوبة في المقابل لمن رد غيبة أخيـه المسلم ،وقد جاء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال:(من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة) .[5]

وقد طبق الصحابة ﷺ هذه الفضيلة تطبيقًا عمليا على أرض الواقع وذلك في قصة توبـة كعب بن مالك ﷺ في حديثه الطـويل حين قال النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو جـالس في

---

١- أخرجـه البخـاري في صـحيحه(٢٣٨٣/٥)كتـاب:الرقاق،بـاب: الريـاء والسـمعة بـرقم(٦١٣٤)، ومسلم في صحيحه (٢٢٨٩/٤)كتاب:الزهد، باب: تحريم الرياء،واللفظ للبخاري.

٢- ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد،للعثيمين (٢٩٠/٢،٢٩١).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٠١/٤)كتاب: البر والصلة والآداب،باب: تحريم الغيبة.رقم (٢٥٨٩).

٤- ينظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرارﷺ ،للنووي، ١٩٧٣م،المكتبة الثقافية-بيروت،لبنان ص(٢٩٩).

٥- أخرجه الترمذي في سننه(٣٢٧/٤)كتاب:البر والصلة،باب:ماجاء في الذب عن عرض المسلم رقم(١٩٣١)قال:هذا حـديث حسـن،وأحمد في مسـند أبي الـدرداء(٤٥٠/٦)رقـم(٢٧٥٨٣)،والمنـذري في الترغيـب والترهيب(٣٣٤/٣)رقم(٤٣١٣) وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٩٥/٥) أنه حديث صحيح.

القوم :( ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة: يارسول الله ،حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل ﷺ : (بئس ما قلت: والله يا رسول الله ، ما علمنا عليه إلا خيراً ) فسكت رسول الله ﷺ. [1]

و(ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردها ويزجر قائلها فإن لم ينزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان فارق ذلك المجلس ، فإن سمع غيبة شيخه أوغيره ممن له عليه حق ، أو كان من أهل الفضل والصلاح ، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر ).[2]

فإن لم يفعل ذلك بسبب :

- عدم القدرة على تغيير المنكر .
- موافقة الجلساء والأصحاب والأصدقاء ومجاملتهم فيما هم عليه من الباطل كسباً لرضاهم أثم.

لذا يقول الفضيل بن عياض : (من خالط الناس لم يسلم من أحد اثنين إما أن يخوض معهم إذا خاضوا في الباطل أو يسكت إن رأى منكراً فيأثم).[3]

وقطعاً لدواعي الخوض في الباطل مع عدم القدرة على تغيير المنكر كان الواجب علاج الغيبة، وذلك إنما يتم بقطع أسبابها المستمدة منها فإن كان السبب موافقة الجلساء كان العلاج اعتزال هؤلاء. (ولو لم يكن في العزلة أكثر من أنك لا تجد أعواناً على الغيبة لكفى)[4] وأن يعلم أن الله يغضب عليه إذا طلب سخطه برضا المخلوقات الذين لايملكون نفعا ولاضرا.

**ب - الخلاص من مثارات الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس** عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها فيكون المعتزل في سلامة من ذلك.

والعزلة سنة الأنبياء والصالحين عند الفتن ، وقد اعتزل جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ

---

١- سبق تخريجه ص(٥٨).
٢- الأذكار، للنووي ص(٣٠٥).
٣- العزلة للخطابي ص(١٠٣،١٠٢).
٤- المصدر السابق نفسه ص(١٠١).

الحرب بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ﵄ خشية الفتن ومعظم أحاديث العزلة قيدها العلماء بالفتن وفساد الزمان وقد سبق الحديث عن هذا وسيأتي بالتفصيل إن شاء الله .

## ثانيا: الفوائد الدنيوية :

### القسم الأول: تحصيل المنافع ومنها :

### أ- التحصيل العلمي النافع :

عن حذيفة بن اليمان ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ: (إن فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع) .[1]

( فالعلم إمام والعمل مأموم ،وهو قائد والعمل تابع ، وهو الصاحب في القربة ، والمحدث في الخلوة ، والأنيس في الوحشة ، والكاشف عن الشبهة والغنى الذي لا فقر على من ظفر بكه ، والكنف الذي لا ضيعة على من أوى إلى حرزه ، مذكراته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وطلبه قربة ، وبذله صدقة ، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام ، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام).[2]

فالعزلة (معينة لمن أراد نظراً في علم ، أو أثارة لدفين رأي ، واستنباطاً لحكمة ، لأن شيئًا منها لا يجيء إلا مع خلاء الذرع وفراغ القلب ومخالطة الناس ملغاه ومشغلة)[3]
فمن أراد تحقيق مسألة أو تصنيف كتاب أو ترجيح رأي من الآراء ، أو استنباط مسألة علمية ( فعليه بالعزلة والذكر والنظر في العلم ، فإن العزلة حمية ، والفكر والعلم أدوية ، والدواء مع التخليط لا ينفع )[4]

---

١- أخرجه الحاكم في مستدركه(٩٣/١)واللفظ له ،وذكره المنذري في الترغيب والترهيب وقال:رواه الطبراني في الأوسط والبزار بإسناد حسن،وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب:صحيح لغيره حديث رقم(١٧٤٠).
٢- مدارج السالكين ، ابن القيم (٤٦٩/٢،٤٧٠).
٣- العزلة للخطابي ص(١١٧).
٤- صيد الخاطر،لابن الجوزي ص(٣٥).

وأعظم العلم حفظ القرآن الكريم ودراسته وتكراره، وبذل الجهد والوقت في معرفة حقـه ومستحقه، وتطبيق أحكام حروفه وحدوده ليتحقق العلم والعمل كما يحب الله ويرضى.

( ولما كان العلم أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللـذات والراحة حتى قال بعضهم : (بقيت سنين أشتهي الهريسة ولا أقدر لأن وقت بيعهـا وقـت سماع الدرس).[1]

وذلك لما يجده المتعلم من اللذة التي تفوق كل لذة وتجعله يؤثره على كل شيء ، ( فعلم العالم مؤنسه ، وكتبه محدثه، والنظر في سير السلف مقومه ، والتفكر في حـوادث الزمـان السـابق فرجتـه ، فإن ترقى بعلمه إلى مقام المعرفة الكاملة للخالص سـبحانه وتشـبث بأذيال محبته تضاعفت لذاتـه واشتغل ا عن الأكوان وما فيها فخلا بحبيبه وعمـل معـه بمقتضى علمه).[2]

**ب- حفظ الزمان من الضياع والإعانة على اغتنامه :**

قـــال ﷻ :﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾.

أقسم الله تعالى بالعصر وهو الزمان لشرفه ولكونه محل أفعال العباد ، وكل إنسان خاسر إلا من استثناه الله تعالى بالأوصاف الأربع وهي الإيمان المتضمن للعلم والعمـل ثم الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك مهما قاسى في سبيله .

فالزمان أشرف وأعلى منـزلة من أن يضيع في عادات غلبـت علـى حيـاة النـاس، واستنفذت في مباحات أوشكت أن توقع أصحا ا في هفوات، فضلاً عن مجالس تكون الغيبة فاكهتها أو لغو وترهات يترفع عنها المؤمن النـزيه.

ومما ( يعين المؤمن على اغتنام الزمان الانفراد والعزلة مهما أمكن، والاختصـار علـى السـلام أو حاجـة مهمة لمن يلقى وقلة الأكل فإن كثرته سبب النوم الطـويل وضيـاع

---

١- صيد الخاطر لابن الجوزي ص (١٩٣).

٢- المصدر السابق نفسه ص (١٨٩).

الليل).[1]

ومن كان يحفظ اللحظات عامر بن عبد الله القيسي[2]قال له رجل أكلمك ؟ فقال:( أمسك الشمس ... وأوصى بعض السلف أصحابه فقال : (إذا خرجتم من عندي فتفرقوا لعل أحدكم يقرأ القرآن في طريقه ، ومتى اجتمعتم تحدثتم).[3]

**ج- الستر على الفقر وسائر العورات:**

فالعزلة تستر الفاقة ، وتكثف جلباب التجمل ، فلا تنكشف عورة تسوء صديقًا أو تشمت عدوا ،ولقد كان التجمل بصدق الصبر وحسن التعفف سببا في مدح بعض الفقراء على عهد رسول الله ﷺ وجعلهم من الأبرار قال ﷻ :

﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[البقرة :٢٧٣] فإن الجاهل بحالهم لا يعلم ماهم عليه أما الفطن المتفرس فيعرفهم بعلاما م.[4]

كما أن هناك أسبابا أخرى غير الفقر تستدعي العزلة كالمرض:

فقد (كان مالك بن أنس -رحمه الله- يشهد الجنائز ويعود المرضى ، ويعطي الإخوان حقوقهم، فترك واحدا واحدا حتى تركها كلها، وكان يقول - حين يسأل عن سبب انفراده- : لا يتهيأ للمرء أن يخبر بكل عذر).[5]

وللعبد المؤمن مروءة تجعله يترفع عن مجالس يكثر فيها اللغط ،أو يتأول فيها كلامه على غير معناه ومرماه ؛ فقد يرى الناس أو يسمعون من الأقوال والأعمال مالا تبلغه عقولهم

---

١- الآداب الشرعية والمنح المرعية،شمس الدين أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي،مكتبة ابن تيمية –القاهرة (٤٧٤/٣).

٢- هو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري واسمه الحارث،ويقال:عامر بن عبد الله بن قيس ،ويقال اسمه كنيته ، تابعي فقيه من أهل الكوفة،ولي القضاء ا فعزله الحجاج وولى مكانه آخر،روى له الستة.

ينظر: ذيب الكمال للمزي(٤٨/٢١)،تقريب التهذيب لابن حجر(٤٦١/١).

٣- الآداب الشرعية والمنح المرعية،لابن مفلح المقدسي (٤٧٤/٣).

٤- ينظر: تيسير الكريم الرحمن،السعدي ص (١١٦).

٥- العزلة للخطابي ص(٩٦)،وينظر: سير أعلام النبلاء (٥٨/٨) ،الآداب الشرعية،لابن مفلح(٥٧١/٣).

فيتخذون ذلك ذريعة للطعن في الفرد نفسه أو في الدين لذا قال عبد الله بن مسعودﷺ : (ما أنت بمحدث قوما حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة).[1]

## القسم الثاني : دفع المفاســد ومنها :

### أ- السلامة من مسارقة الطبع:

إن مسارقة الطبع مما يشاهده المرء من أخلاق الناس وأعمالهم أمر مركــوز في الفطــر ، والإنسان يؤثر ويتأثر بالبيئة التي يعيش ويعمل فيها، وبالأفراد الذين يصاحبهم ويتعامل معهم ، وأشد ما يكون التأثر في حال المصاحبة فالصاحب ساحب، لذا ينبغي على المسلم اختيار الأصدقاء وانتقاؤهم بدقة متناهية وسابق تفكير يتناسب مع حجم وقوة التأثير المترتبة علــى تلك الصحبة. لذا قال ﷺ: (الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكـم من يخالل)[2].

فالمرء ( يقوى دينه وخلقه بصحبة المؤمنين ويقل بصحبة الفاسقين وذلك على قدر مــن يصاحب فإن صاحب أهل الخير صار منهم ، وإن صاحب سواهم صار منهم).[3] ( فكمــا أن صحبة الأخيار تورث الخير ،كذلك صحبة الأشرار تورث الشر ).[4]

ولقد جاء القرآن الكريم لخيري الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ .[الأنعام :٣٨]

فحرص على تنظيم العلاقات بين الأفراد وصلاحهم وحث على اتخاذ الصحبة الصالحــة

---

١- أخرجه مسلم في صحيحه(١١/١)كتاب:العلم ، باب: النهي عن الحديث بكل ماسمع رقم(٥).

٢- أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٩/٤)كتاب: الأدب،باب:من يــؤمر أن يجالس،والترمــذي في ســننه(٥٨٩/٤) كتاب: الزهد،باب: (٤٥)قال أبو عيسى:هذا حديث حسن غريب،وأحمد في مسند أبي هريرة(٣٣٤/٢)،والحــاكم في مستدركه(١٨٨/٤)كتاب البر والصــلة، والحــديث ضــعيف يصــلح للاعتبــار بــه،قال الألبــاني في السلســلة الصحيحة(٩٢٧):حسن رقم (٦٤٩٨٥).

٣- جة الناظرين شرح رياض الصالحين،سليم الهلالي(٤٣٤/١)وينظر:شرح رياض الصالحين (٢٨٦/٥،٢٨٧)محمــد العثيمين.

٤- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء،أبي حــاتم محمــد بــن حبــان البســتي،تحقيق:خليــل مــأمون شــيحا،ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م،دار الكتاب العربي-بيروت(٧٦).

ونبذ ما سواها مما يكون وبالا على المرء في دينه ودنياه قـال ﷻ ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ [الفرقان] فهذا يوم لا ينفع التأسف والحسرة والندم فقد اتخذ هذا المتأسف الشيطان الإنسي أو الجني حبيبا مصافيا فيقول نادما : عاديت أنصح الناس لي وأبرهم بي وأرفقهم بي وواليـت أعدى عدو لي ، الذي لم تفدني ولايته إلا الشقاء والخسارة والخزي والبوار، فزين له ما هو عليه من الضلال بخدعه وتسويله وقبح له الحق ووعده الأماني ثم تخلى عنه وتبرأ منه فعلـى العبد أن يوالي من ولايته فيها سعادته ويعادي من تنفعه عداوته وتضره صداقته.[1]

وقد شبه الرسول ﷺ الجليس السوء بحرق النار فقال :(إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء ،كحامل المسك ،ونافخ الكير ،فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ،وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ،ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك ،وإما أن تجد منه ريحًا منتنة ) .[2]

فدل الحديث على :

١. ( الترغيب في اتخاذ الأصدقاء الصالحين .

٢. النهي عن صحبة أهل السوء والشر فإن مصاحبتهم تسوء في الدين والدنيا).[3]

وبلغ من العناية في هذه القضية قوله ﷺ :( لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي ) .[4]

---

١- ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٥٨٢) بتصرف.

٢- سبق تخريجه ص (٨٠).

٣- ينظر: جة الناظرين شرح رياض الصالحين،سليم الهلالي (٤٣٢/١).

٤- سبق تخريجه ص (١٤٨).

وكان من فقه الحديث :

١. ( النهي عن صحبة الكفار والفجار ومود م .

٢. الأمر بملازمة الأتقياء والأوفياء ومخالطتهم .

٣. النهي عن إكرام أهل السوء والفجرة وإسداء الجميل إليهم والإنفاق عليهم).[١]

( فالواجب على العاقل أن يستعيذ بالله من صحبة من إذا ذُكر الله لم يعنه ، وإن نسي لم يذَكره، وإن غَفل حرضه على ترك الذكر ، ومن كان أصدقاؤه أشرارا كان هو شـرهم ، وكما أن الخير لا يصحب إلا البررة ، كذلك الردي لا يصحب إلا الفجرة ، فإن المـرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات).[٢]

ففي العزلة السلامة من قرين السوء ، وصاحب السوء ، وعشير السوء قال أبو الدرداء رضي الله عنه : ( الصاحب الصالح خير من الوحدة ،والوحدة خير من صاحب السوء ، ومملي الخير خير من الساكت ، والساكت خير من مملي الشر ) .[٣]

**ب- السلامة من الشيطان والسلطان والعوام :**

والسلامة من الشيطان لا تكون إلا إذا كان المعتزل عالمـًا ( فالعلم أنيسه وجليسه وقد قنع بما يسلم به دينه من المباحات الحاصلة لا عن تكلف ولا عن تضييع ديـن ، وارتـدى بالعزلة عن الذل للدنيا وأهلها ، والتحف بالقناعة باليسير إذا لم يقدر على الكثير فيسلم دينه ودنياه).[٤]

كما أن ( في العزلة السلامة من التبذل لعوام الناس وحواشيهم والتصون عن ذلة الامتهان منهم)[٥]والخلاص من صحبتهم والراحة من تعب مجالستهم ومصـابرة أخلاقهـم

---

١- جة الناظرين شرح رياض الصالحين (٤٣٣/١)بتصرف يسير.

٢- روضة العقلاء لأبي حاتم ص (٧٨).

٣- أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه (١٢٣/٧) ، وينظر : روضة العقلاء (٧٧).

٤- الآداب الشرعية والمنح المرعية،ابن مفلح المقدسي(٤٦٨/٣).

٥- العزلة للخطابي ص (١١٥).

الرديئة وأمرهم بالمعروف وهم لا يأتمرون و يهم عن المنكر وهم لا ينتهون وعدم الأمان من مغبة غوائلهم فالحق مغضبة وبعض النصح للعداوة مكسبة.[1]

**ج- التقليل والحذر من تطلع النفس إلى زينة الدنيا وزهر ا :**

ومن فوائد العزلة ( السلامة من آفات النظر إلى زينة الدنيا وزهر ا ،والاستحسان لما ذمه الله تعالى من زخرفها )[2]فقـال ﷻ :﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾. [طه:١٣١]

( أي لا تمد عينيك معجبا ولا تكرر النظر مستحسنا إلى أحـوال الدنيا والمتمـتعين ا من ألوان زينـتها...إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الدنيا وإقبـالاً عليها أن يذكر ما أمامها من رزق ربه وأن يوازن بينهما ).[3]

و( الواجب على العاقل أن لايغتر بالدنيا وزهر ا وحسنها و جتها، فيشتغل ـا عـن الآخرة الباقية ،والنعم الدائمة،بل ي لها حيث أنزلها الله ؛لأن عاقبتها لا محالة تصير إلى فنـاء ،يخرب عمرا ا ،ويموت سكا ا ،وتذهب جتها ،وتبيد خضر ا ،فلا يبقى رئيس متكـبر مؤمر ،ولا فقير مسكين محتقر إلا ويجري عليهم كأس المنايا ،ثم يصيرون إلى التراب، فيبلون حتى يرجعوا إلى ماكانوا عليه في البداية إلى الفناء ،ثم يرث الأرض ومن عليها علام الغيوب.

فالعاقل لايركن إلى دار هذا نعتها ،ولايطمئن إلى دنيا هذه صفتها ،وقد ادخر له مالا عـين رأت، ولا أذن سمعت ،ولاخطر على قلب بشر ،فيضن بترك هذا القليل،ويرضى بفوت ذلك الكثير ).[4]وأن يمتثل لأمر الحبيب المصطفى الرحيم المشفق على أمته ﷺ في قوله لعبد الله بن عمر رضي الله عنه :(كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ) وكـان ابـن عمـر رضي الله عنهما يقـول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح،وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لسقمك ،

---

١- ينظر: العزلة للخطابي ص(١٠٩).

٢- المصدر السابق نفسه ص(١٠٣).

٣- تيسير الكريم الرحمن ،عبد الرحمن السعدي (٥١٦،٥١٧).

٤- روضة العقلاء لأبي حاتم ص (٢١٨).

ومن حياتك لموتك). [1]

و( لما كان الغريب قليل الانبساط إلى الناس بل هو مستوحش منهم لا يكاد يمـر بمـن يعرفه فيأنس به ، فهو ذليل في نفسه خائف وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره إلا بقوته وتخفيفه من الأثقال غير متشبث بما يمنعه عن قطع سفره ، معه زاده وراحلته يبلغانه إلى مـا يعنيه من مقصده.

وفي هذا إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف، فكمـا لا يحتـاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غايـة سفره ، فكذلك المؤمـن لا يحتـاج في الـدنيا إلى أكـثر مما يبلغه المحل)[2] لأن الدنيا هينة دنية عند الله لقوله ﷺ :(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ما سقى كافراً منها شربة ماء) [3] مما يدل على هوان الدنيا علـى الله وسـقوطها عنده وكذلك طلا ا الذين أصبحت أكبر همهم ومبلغ علمهم.

وقد تنبأ ﷺ بفتنة أمته بالمال فقال: (فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم) . [4]

ففي الحديث تحذير من فُتحت عليه زهرة الحياة الدنيا من سوء عاقبتها وشر فتنتها ،فلا ينبغي الاطمئنان إلى زخرفها والانغماس في متاعها والتنافس عليها؛ فيقع البغي والهرج وفساد ذات البين ؛فإن ذلك يجر إلى فسـاد الدين والدنيا فتقع العداوة المقتضية للمقـاتلة

---

١- سبق تخريجه ص (١٤٢).
٢- سبل السلام، محمد بن إسماعيل اليمني الصنعاني(٣٣٧/٤)، ط٦، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م،دار الكتاب العربي-لبنان.
٣- أخرجه الترمذي في سننه(٥٦٠/٤)كتاب:الزهد عن الرسول ﷺ ،باب:ماجاء في هـوان الـدنيا علـى الله ﷻ برقم(٢٣٢٠)،والحاكم في مستدركه(٣٤١/٤) وقال الألباني في صحيح الجامع:صحيح برقم(٥٢٩٢).
٤- أخرجـه البخـاري في صـحيحه(١٤٧٣/٤)كتـاب: المغازي،بـاب شـهود الملائكـة بـدرا رقم(٣٧٩١)و(٢٣٦١/٥)كتاب: الرقاق،باب:ما يحذَر من زهرة الدنيا والتنافُس فيهـارقم(٦٠٦١) بـاب الجزيـة والموادعة(١١٥٢/٣)رقم(٢٩٨٨)،ومسلم في صحيحه(٢٢٧٣/٤)كتاب:الزهد والرقائق رقم(٢٩٦١).

المفضية إلى الهلاك نعوذ بالله من الخذلان.[1]

وبذلك تكون العزلة من الوسائل المعينة على الزهد والبعد عن التطلع إلى زينة الدنيا وبالتالي ترك التوسع فيها وطلب المناصب وقد أشار الصنعاني إلى هذه المسألة عند شرح حديث رسول الله ﷺ :(من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه)[2] والتحذير من الكلام في الفتنة والتروي أو الترك له عند تضارب الآراء وكثرة الأهواء حيث يبين أن الحديث (يندرج فيه ترك التوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسة وحب المحمدة والثناء وغير ذلك مما لا يحتاج إليه المرء في إصلاح دينه وكفايته في دنياه).[3]

كما توعد الله الذين يحبون أن يحمدوا بالخير الذي لم يفعلوه ، والحق الذي لم يقولوه فجمعوا بين فعل الشر وقوله والفرح بذلك ومحبته[4] فقال ﷻ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . [آل عمران:١٨٨]

فإن ( طالب الرئاسة والعلو في الأرض قلبه رقيق لما يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم فهو في الحقيقه يرجوهم ويخافهم فيبذل لهم الأموال والولايات ويعفو عنهم ليطيعوه ويعينوه فهو في الظاهر رئيس مطاع وفي الحقيقه عبد مطيع لهم)[5]

---

١- ينظر: جة الناظرين شرح رياض الصالحين،سليم الهلالي(٥٢٨/١،٥٢٩).

٢- سبق تخريجه (١٤٠).

٣- سبل السلام،للصنعاني (٣٤٣/٤).

٤- ينظر: تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي(١٦٠).

٥- العبودية لابن تيمية (١٩،٢٠) موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الالكترونية.

## خلاصة المبحث الثالث (فوائد العزلة):

- أن الفوائد العائدة على المعتزل تختلف تبعا لكيفية العزلة.
- للعزلة فوائد دينية ودنيوية تتضمن تحصيل المنافع ودفع المفاسد.
- من أبرز الفوائد الدينية:

تحصيل منافع مثل: التفرغ للعبادة ،والتوبة،والتفكر والتدبر.

ودفع مفاسد مثل: التخلص من المعاصي ومثارات الفتن والخصومات وصيانة الدين.

- من أبرز الفوائد الدنيوية:

تحصيل منافع مثل: تحصيل العلم النافع ،وحفظ الزمان من الضياع والستر.

ودفع مفاسد مثل:السلامة من مسارقة الطبع والسلامة من الشيطان والسلطان والعوام والقليل من التطلع إلى الدنيا.

# الباب الثاني

# العزلة في القرآن والسنة ومواضعها الواجبة

ويتضمن فصلين :

الفصل الأول – العزلة في القرآن الكريم والسنة .

الفصل الثاني – مواضع العزلة الواجبة .

# الفصل الأول

# العزلة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول - أدلة العزلة من القرآن الكريم.

المبحث الثاني - أدلة العزلة من السنة النبوية.

## تمهيــــد :

تعد لفظة العزلة من الألفاظ ذات المباني المتعددة وبالتالي دلت على معاني كثيرة،وكلمـا اختلفت اللفظة وتصرفت بين الفعل والمصدر كان لها دلالات متفاوتة بين المعـنى العقـدي والفقهي ،والمادي الحسي والمعنوي ، والكلي والجزئي إلى غير ذلك.

ولفظة العزلة بتصريفا ا المختلفة الواردة في القرآن الكريم قليلة جدا مقارنة بعـددها في السنة حيث وردت العزلة في القرآن الكريم عشر مرات فقط في حين أن عددها في السـنة لا يمكن حصره.

يفسر ذلك أن السنة مفسرة ومفصلة للقرآن فالعزلة جاءت في القرآن الكريم بشـكل مجمل دال على معاني عديدة وثرية تتناسب مع إعجاز القرآن ومن ثم جاءت السنة لتفسـر الجوانب العقدية والفقهية بأمثلة واقعية لحالات جماعية وفردية ونبؤات مستقبلية تتعلق بالفتن والحروب وفساد الزمان.

كما بينت السنة حالات الأفراد وموقفهم من العزلة ممن تلزمهم العزلة،وعلى النقيض منـهم من تحرم في شأ م.

كما أن مرادفات العزلة مثل الانفراد،والوحـدة، والخلـوة، والاعتكاف،والحجـاب والاحتجاب والهجرة والرهبانية والتبتل وغيرها وردت في القرآن الكريم وتفسرها الأحاديث النبوية ولا يمكن عرض المراد بوضوح إلا بالجمع بين نصوص الكتاب والسنة.

لذا تم الدمج بين مبحثي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الفصل وعدم فصلهما لما تتضمنه من معاني لا تتجلى وتتضح إلا بالجمع بينهما.

# المبحث الأول والثاني:أدلة العزلة من الكتاب والسنة

وردت لفظة العزلة وما تصرف منها في عشر آيات من ثماني سور في القرآن الكريم ، كما حفلت السنة المطهرة بالكثير من الأحاديث الداعية أو الناهية عن العزلة بما لا يمكن حصره.

أما الآيات من القرآن الكريم فهي :

- قال ﷻ : ﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ .[البقرة:٢٢٢ ]

- قال ﷻ : ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ [النساء :٩٠ ]

- قال ﷻ : ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِيناً﴾ .[ النساء: ٩١]

- قال ﷻ : ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ .[هود:٤٢ ]

- قال ﷻ :﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقاً﴾ .[الكهف:١٦ ]

- قال ﷻ : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.[مريم :٤٨ ]

- وقال ﷻ : ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً﴾. [مريم:٤٩ ]

- قال ﷻ : ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ .[الشعراء:٢١٢ ]

- قال ﷻ :﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ .[الأحزاب :٥١ ]

- قال المولى ﷻ :﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ .[الدخان:٢١ ]

وقد جاءت العزلة في القرآن الكريم والسنة المطهرة لمعان عديدة وعميقة تتراوح بين المفارقة الكلية المطلقة والمفارقة الجزئية، وبين الاعتزال الحسي بالأبدان والاعتزال القلبي .

كما عرض هذه اللفظة أشكال العزلة الفردية والجماعية ،والاختيارية والإجبارية.وقد سبق ذكر هذه الأنواع بالتفصيل المدعم بالشواهد والأمثلة[1].

ومن أبرز النماذج في تحقيق العزلة الكلية وتجسيدها فرديا خليل الله إبراهيم ﷺ الذي دعا أباه وقومه إلى طريق النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة وبذل الجهود في سبيل ذلك ،إلا أن تلك المحاولات لم تفلح معهم ،بل ضاعفت من ممارسة الأذى النفسي والجسدي الواقع عليه ﷺ فقال تعالى على لسان أبيه:

﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ .[مريم:٤٦]

أما قومه فـ ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ .[الأنبياء:٦٨]

فما كان منه ﷺ إلا مفارقتهم واعتزالهم بعد أن أعلن مخالفتهم ،ورفضه ما هم عليه من الوثنية الباطلة، منتقلاً إلى وسط جديد يواصل فيه دعوته موقنا بأن الله سينصره ويجعل له أعوانا يواصلون هذه الدعوة.

وقد عبر القرآن العظيم عن هذه العزلة وآثارها في استمرارية الدعوة فقال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾.[مريم:٤٩]

وكما فر إبراهيم ﷺ وحيدا من أذى قومه وعقولهم المتحجرة منطلقًا في رحاب أوسع لمواصلة دعوته ،كذلك فعل النبي الكريم موسى ﷺ حين أعلن طلبه أمام فرعون وأعوانه أن يعتزلوه ويكفوا شرهم عنه بعد أن طال مقامه ﷺ بين أظهرهم وأقام حجج الله تعالى عليهم وما زادهم ذلك إلا كفرا وعنادا وطغيانا[2] فقال ﷻ عن هذا الطلب : ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾ .[الدخان:٢١].

وهكذا استخدم القرآن الكريم والسنة المطهرة لفظ العزلة عن أولئك الفارين بدينهم من الأنبياء والأولياء ، والذين كانت عزلتهم في الغالب منها عزلة كلية مطلقة تعلن المقاطعة والمخالفة التامة للأديان والمعتقدات الباطلة ، فكان من هؤلاء أيضا:

---

١- الباب الأول، الفصل الثاني، ص (٥٠).

٢- ينظر : تفسير القرآن العظيم، لابن كثير(١٤٢/٤).

- أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم خوفًا علـى دينـهم فقـال تعـالى:﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ .[الكهف:١٦]

ولم يكن فرارهم ليواصلوا الدعوة وإنما كان للهروب والاختفاء عن الأنظـار وترقـب الفرصة السانحة للظهور من جديد في ظل ظروف أكثر ملاءمة يمارسون فيها عباد م بحريـة دون خوف أو تسلط أو قهر.

فكان من صنع الله تعالى أن مكثوا في الكهـف﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ . [الكهـف:٢٥] ( فحفظ الله أديا م وأبدا م ،وجعلهم من آياته على خلقه ،ونشر لهم من الثناء الحسن ماهو من رحمته م،ويسر لهم كل سبب حتى المحل الذي ناموا فيه كان على غاية من الصيانة).[1]

فعزلة أصحاب الكهف صاحبها قطع جميع الصلات بينهم وبـين قـومهم المشـركين والتخفي عنهم والاعتكاف في الكهف لطلب الخلوة والانزواء فيه.

فهؤلاء فضلوا ذلك السلوك( ليس عن رغبة منهم بل أسلوب للنجاة والفـرار بدينـهم ومعتقدهم من مجتمع بأسره يخالفهم فيهما ولا طاقة لهم في إرغـامهم علـى اتبـاعهم ولا يستطيعون حماية أنفسهم منهم).[2]

وفي موقع آخر تأتي العزلة بمعنى الابتعاد[3] المترتب على تكذيب وإنكار، وكان هذا من فعل ابن نوح الذي كذب بدعوة أبيـه حـين :﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]

فكان من تكذيبه أن :﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: ٤٣]

ذلك أن ابن نوح لما اعتزل دين أبيه مكذبا له في دعوته،كذبه في أن النجاة قاصرة على من ركب السفينة .

والعلة في ذلك أن الإيمان في قلوب أصحـابه من أجل الأمور وأعظمها، ولما كان مـن

---

١- تيسير الكريم الرحمن،عبد الرحمن السعدي ص(٤٧٢).

٢- العزلة الفكرة والتطبيق ،د.محمد بن سعد ، ص (٥٩).

٣- ينظر: تيسير الكريم الرحمن ، عبد الرحمن السعدي ص (٣٨٢).

شأن أصحاب نوح أن قد صدقوه في دعوته وآمنوا به ، فمن باب أولى أن يصدقوه فيما أخبر به من ركوب السفينة وأن أهلها هم الناجون بإذن الله.

وهنا يتضح أن اعتزال ابن نوح ركوب السفينة سبقه اعتزال معنوي نابع من عدم الإيمان بدين نوح عليه السلام ،وهذا ما يؤكده القرطبي في قوله:(أي كان في معزل عن دين أبيه)[1] وبذلك تكون عزلة ابن نوح عزلة حسية بدنية مترتبة على عزلة معنوية سابقة لها.

وكما عبر القرآن بلفظ العزلة عن معان عديدة تتعلق بالجوانب العقدية بسبب اختلاف الطرفين المعتزل والمعتزل في الاعتقاد، والتي ظهرت في حياة الأنبياء والأولياء والصراع مع أقوامهم والفرار بدينهم لإظهار موقفهم عقديا، والحرص على إيجاد بيئة جديدة صالحة للدعوة ؛ نجد أن القرآن الكريم قد عبر بهذه اللفظة عن أحكام وتشريعات فقهية تتعلق بعلاقة المسلمين بغيرهم ممن يخالفونهم في عقيدتهم ، وعلاقة الفرد المسلم بالآخرين في مجتمع أخوة الإسلام،كما جاءت لبيان الحكم الشرعي في مسائل متعلقة بحياة الفرد المسلم في أدق تفاصيل حياته، وأكثرها ملامسة لجوانب حياته الشخصية فجاءت العزلة بمعنى الاجتناب والابتعاد الحسي المؤقت فقال جل جلاله :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾. [البقرة:٢٢٢]

قال مجاهد -رحمه الله- : (أمروا أن يعتزلوا مجامعة النساء في المحيض).[2]

ولبيان المقصود بالاعتزال فإن الله عز وجل ( عرفهم بهذه الآية أن الذي عليهم في أيام حيض نسائهم أن يجتنبوا جماعهن فقط دون ماعدا ذلك من مضاجعتهن ومآكلتهن ومشاربتهن).[3]

وبين الله عز وجل علة هذا الاعتزال وهو (أن الحيض أذى وإذا كان أذى فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى).[4] مما يدل على كمال رحمته سبحانه بعباده.

وفيما يخص علاقة المسلمين بغيرهم ممن يخالفوهم عقيدتهم فقد جاءت العزلة في موضع

---

١- الجامع لأحكام القرآن (٣٨/٩).

٢- تفسير مجاهد ،تحقيق : عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي ص (١٠٧).

٣- جامع البيان، لابن جرير الطبري (٣٨١/٢).

٤- تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي ص (١٠٠).

آخر بمعنى التنحي وأخذ جانب الحياد ، وضرورة ذلك للمنافقين حفظًا لـدمائهم إن أرادوا ذلك فقـال ﷻ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ٩١ ﴾ .[ النساء:٩٠،٩١]

فكانت هذه الآية بمثابة المنهجية الصحيحة في التعامل مع المنافقين فإما التنحي والابتعاد وإما أن تسفك دماؤهم جزاء تذبذ م بين صفوف المسلمين والمشركين.

وذُكر أن هؤلاء (ناس من أهل مكة كانوا يأتون النبي ﷺ فيسلمون رياءً ،ثم يرجعون إلى قومهم ،ويرتكسون في الأوثان ،ويريدون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا فأمر النبي ﷺ بقتالهم إن لم يعتزلوا)[1].

ويعد ذلك اعتزالاً مؤقتا أملته ظروف مر ا المسلمون وتطلبتها مصالح مشتركة لوقايـة كلا الطرفين (المسلمون والمنافقون) مغبة الدخول في اشتباكات بعيدا عن العدو الحقيقي.

فالمسلمون يستفيدون من تنحي المنافقين عن الصراع بين المسلمين والمشـركين ويـأمنوا مكرهم ، وكذلك المنافقون فإ م يحقنون دماؤهم إن هم اعتزلوا هؤلاء وهؤلاء.[2]

فجاءت الآيات تعرض عليهم أن يتنحوا جانبا وأن يعلنوا الحياد بمصالحة المسلمين علـى كف أيديهم عند القتال ، فإن لم يتحقق ذلك منهم بإلقاء السلم على المسـلمين وكـف أيديهم عنهم ،فالواجب اتخاذهم أعداء على الرغم من دعواهم الإسلام فهم مهدوروا الـدم والكرامة يقتلون أينما وجدوا.[3]

وفيما يخص حياة النبي ﷺ وعلاقته بأزواجه وردت لفظة العزلة لبيان فضل الله تعالى على

---

١- تفسير مجاهد ص (١٦٩).

٢- ينظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (٥٣٤/١).

٣- ينظر: العزلة الفكرة والتطبيق،محمد بن سعد ص (٦٩،٧٠).

نبيه الكريم وتوسعته عليه ورحمته به فيقـول ﷻ : ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ .[الأحزاب:٥١]

حيث أباح له ترك القسم بين زوجاته وذلك( لما أشفقن أن يطلقهن فقلن:يـا نـبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت).[١]

قال مجاهد في قوله ترجي: (تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء).[٢]فما شاء صنع في القسمة بين النساء ، فمن ابتغى إصابته من نسائه ممن سبق عزلهن أصابه ، ومـن عـزل لم يصبه.[٣]

ومن إعجاز القرآن الكريم مجيء العـزلة بمعنى المنع[٤]والحيلولة دون تحقيق الإرادة فقـال تعالى نافيا صلة الشـياطين بـ ول الوحي،ومن ثم تأثيرهم عليـه قـ ـال ﷻ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء:٢١٢ ]

لأن( الله تعالى أرصد شهبا حالت بينهم وبين السماع من السماء)[٥]

وقد ورد تفسير العزلة بالمنع والحيلولة في مقام سابق وما يصدق على هذا المعنى من عزلـة أصحاب الجرائم والأمراض ونحوهم[٦].

**مرادفات العزلة في الكتاب والسنة:**

ورد في القرآن الكريم عدة ألفاظ لها نفس مدلول العزلة أو تشترك معها في أحد جوانبها أو مضمـو ا وذلك مثل:الانفراد،والوحدة، والخلوة، والاعتكاف،والحجاب والاحتجاب،

---

١- جامع البيان، لابن جرير الطبري (٢٥/٢٢).

٢- تفسير مجاهد ص (٥١٩).

٣- ينظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (٢٧/٢٢).

٤- المفردات في غريب القرآن ،للراغب الأصفهاني ص(٣٣٧).

٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير،لأبي بكر جابر الجزائري،ط٣، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م،مكتبة العلوم والحكم- المدينة النبوية،(٦٨٦/٣).

٦- ينظر: الباب الأول ،الفصل الثاني ص (٧٠) وما بعدها.

والانتبـــاذ ، والاكتنـــان،ولزوم البيـــت أو المكان،والاختفاء،والتواري،والانقطـــاع ،والهجر،والرهبانية،والتبتل.

- **الانفراد :**

و(الفرد هو الذي لا يختلط به غيره قال تعالى في قصة زكريا عليه السلام وهو يطلب وارثًا من آل يعقوب يرثه فينادي ربه كما ورد في قوله جل جلاله : ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ [الأنبياء:٨٩ ]أي وحيدا).[١]

قال ابن الأعرابي:( فرد الرجل إذا تفقه واعتزل الناس وخلا بمراعاة الأمر والنهي)[٢] والفقه من شروط العزلة ،فلا يعتزل الفرد إلا إذا علم أمور دينه علما لا يحتاج فيه إلى غيره. والوحدة مرادفة للانفراد والوحد المفرد.[٣]

وقد قيل لمالك بن مغول[٤]( وهو في داره بالكوفة جالس وحده :أما تستوحش في هذه الدار؟ فقال: ماكنت أظن أحدا يستوحش مع الله عز وجل)[٥]

قال الإمام الخطابي: ( ما أشرف هذه الحالة وأعلى هذه الدرجة وأعظم هذه الموهبة ؛ إنما لا يستوحش مع الله من عمر قلبه بحبه ،وأنِس بذكره ، وألف مناجاته بسره، وشغل به عن غيره ،فهو مستأنس بالوحدة ،مغتبط بالخلوة.

... قال بعض الحكماء:إنما يستوحش الإنسان بالوحدة ؛لخلو ذاته وعدم الفضيلة من نفسـه فتتـكثر حينئذ بملاقاة الناس ،ويطرد الوحشة عن نفسه بالسكوت معهم ، فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ؛ ليستعين بها على الفكرة ويتفرغ لاستخراج الحكمة).[٦]

---

١- المفردات في غريب القرآن،للراغب الأصفهاني ص(٣٧٧).

٢- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب،ط١، ٢٠٠١م،دار إحياء التـراث العربي- بيروت(٧٠/١٤).

٣- ينظر: المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ص (٥٣٠).

٤- هو مالك بن مغول بن عاصم الإمام الثقة المحدث أبو عبدالله البجلي الكوفي (ت:١٥٨ هـ) .

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد(٣٦٥/٦)،تذكرة الحفاظ للـذهبي(١٩٣/١)، وسـير أعـلام النـبلاء للـذهبي (١٧٤/٧).

٥- العزلة والإنفراد،أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي (ابن أبي الدنيا) ،تحقيق: مشهور حسن آل سـلمان، ط١٤١٧،١ هـ ـ ١٩٩٧م، دار الوطن - الرياض / السعودية(٧٦/١).

٦- العزلة،للخطابي ص (٨٢،٨١).

- **الخلـوة:**

فإذا خلا المرء بنفسه فقد انفرد ا عن الناس و(صار خاليا،وخلا فلان بفلان صار معـه في خلاء وخلا إليه انتهى إليه في خلوة ).(١)

كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ .[البقرة:١٤]

وقوله تعالى :﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.[البقرة:٧٦]

فهذا فريق المنافقين يلقون كلاً بوجه في سبيل حماية دمائهم وأموالهم فإذا لقوا أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : إنا على دينكم ، وإذا صاروا في خلاء من الناس غيرهم ولم يكن معهم أحد من غير أهل دينهم استهزؤوا بالمؤمنين وسبوهم وجحدوا برسالة محمد ﷺ وأوصى بعضهم بعضا بعدم الإقرار ا مع علمهم بصدق الرسول والرسالة.(٢) فهم يتكيفون مع كل الفئات ويتجاوزون كل القيم والمبادئ لتحقيق مصالحهم وإشباع رغبا م وأهوائهم.

كما أن الخلوة تكون بالتفرغ لأمر معين فلا يشغله غيره عنـه ، ومـن ذلـك قولـه تعالى:﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ [يوسف:٩]

وهذا ما أراده أبناء يعقوب عليه السلام بأن يخل لهم وجه أبيهم من شغله بيوسف ويتفرغ لهم ويقبل عليهم بالشفقة والمحبة بعد أن اشتغل قلبه بيوسف شغلاً لا يتفرغ لهم وصرف حبـه وجه يعقوب عنهم إليه.(٣)

والخلوة من الوسائل التي هيأ الله ا نبيه ﷺ في بدء الوحي فحبب له الخلاء تمهيداً للنبوة والرسالة. ومن ثم أصبحت الخلوة سنة مشروعة في سلوك المسلمين يمارسها العبد المسلم عند حاجته إلى محاسبة نفسه،ومجاهد ا على أمور وعادات سيئة بغية الانتصار على النفس الأمارة

---

١- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ص (١٦٠).

٢- ينظر: جامع البيان ، لابن جرير الطبري (٣٧٠،١٣٠/١).

٣- ينظر: المصدر السابق نفسه (١٥٥/١٢)، تيسير الكريم الرحمن،عبد الرحمن السعدي ص (٣٩٤).

بالسوء والسمو ا إلى النفس اللوامة ومن ثم المطمئنة القانعة الراضية بـأمر الله وأحكامـه وأقداره ، فشرع الله لرسوله وأمته سنة الاعتكاف.

- **الاعتكاف:**

والعكوف هو( الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظـيم لـه،والاعتكاف في الشرع هو الاحتباس في المسجد على سبيل القربة).[1]

وجاء الاعتكاف في القرآن الكريم في مواضع عديدة بمعنى الملازمة والإقامة في المسـاجد تعظيما ومحبة قال ﷻ :﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾.[الحج:٢٥]

وقـــال ﷻ:﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾. [الأعراف:١٣٨]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولما كان المرء لا يلزم ويواظب إلا من يحبه ويعظمـه،كما كان المشركون يعكفون على أصنامهم وتماثيلهم،ويعكف أهل الشهوات على شهوا م شرع الله لأهل الإيمان أن يعكفوا على ر م سبحانه وتعالى.

وأخص البقاع بذكر اسمه سبحانه والعبادة له بيوته المبنية لذلك ، فلذلك كان الاعتكاف لزوم المسجد لطاعة الله).[2]

(والاعتكاف من الشرائع القديمة)[3] كما قـال ﷻ : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ .[البقرة:١٢٥]

لذا فقد شرع الله لهذه الأمة الاعتكاف الذي مقصوده ( جمع القلـب علـى الله تعـالى بالخلوة مع خلو المعدة والإقبال عليه تعالى والتنعم بذكره والإعراض عما عداه )[4].

---

١- المفردات في غريب القرآن ،للراغب الأصفهاني ص(٣٤٦).

٢- شرح العمدة ،كتاب الصيام،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط١، ١٤١٧هـ ،دار الأنصاري-الرياض. (٧٠٧/٢).

٣- الإعلام بفوائد عمدة الأحكام،أبي حفص عمر بن علي أحمد الأنصـاري الشـافعي المعـروف بـابن الملقـن، تحقيـق:عبـد العزيـز أحمـد المشـيقح،ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م،دار العاصـمة- المملكـة العربيـة السعودية،(٤٢٧/٥)،وينظر:تفسيرالقرآن العظيم،لابن كثير (١٧١/١).

٤- سبل السلام ، للصنعاني(١٧٤/٢).

مع لذة مناجاته والتنعم بحبه سبحانه والشوق إليه كما أن (فيه تسليم المعتكـف كليتـه إلى عبادة الله تعالى في طلب الزلفى وتبعيد النفس من شغل الدنيا التي هي مانعة عما يستوجب العبد من القربى واستغراق المعتكف أوقاته في الصلاة؛ إما حقيقة أو حكمـا ؛لأن المقصـد الأصلي من شرعيته انتظار الصلاة بالجماعات)[١].

وفي معرض كلامه ﷻ عن مريم عليها السلام في قوله : ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَآ رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ .[مريم:١٦،١٧] تبرز بعض مرادفات العزلة حيث يفسر شيخ الإسلام ابن تيمية انتباذ مريم واتخاذها حجابا بأنه اعتكاف فيقول :( ولأن مريم عليها السلام قد أخبر الله سبحانه أ ا جعلت محررة له،وكانت مقيمة في المسجد الأقصى في المحراب ،وأ ا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دو م حجابا وهذا اعتكاف في المسجد واحتجاب فيه).[٢]

وبذلك يكون كلٌ من الاعتكاف والانتباذ والحجاب من مرادفات العزلة لمشاركتها لهـا في بعض مدلولا ا فيما يخص الابتعاد عن الناس والتنحي عنهم.

- **الحجاب:**

فالاعتكاف هو ملازمة الشيء والتفرغ له دون غيره،و(الحجاب هو المنع من الوصول)[٣] ومريم عليها السلام كانت معتزلة في المسجد الأقصى للتفرغ للعبادة لا يصل إليها إلا بعض الأشخاص كما قال تعالى:﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ .[آل عمران:٣٧]

لذا جاء لفظ الحجاب في قوله تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن

---

١- الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمـان، الشـيخ نظـام وجماعـة مـن علمـاء الهنـد، ١٤١١هـ- ١٩٩١م،دار الفكر –بيروت،(٢١٢/١).

٢- شرح العمدة، لابن تيمية (٧٤٨/٢).

٣- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ص (١١٥).

وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب:٥٣] بمعنى الساتر وما يحجب رؤية الناظر إلى المحجوب فمن اتخذ لنفسه حجابا عن الآخرين أصبح في معزل عنهم بشخصه مع مشاركة غيره الرأي والمشورة دون أن يراه أو يختلط به.

وهذا كشأن المرأة المسلمة ؛ تتخذ حجابا شرعيا يحول دون النظر إليها ويجعلها بمعزل عن الرجال بشخصها مع مشاركتها في جميع المجالات العلمية والعملية وفي المحافل العامة والخاصة وإبداء وجهة نظرها وبنات جنسها بموضوعية وثقة دون لين في الكلام.

والحجاب من وسائل حفظ المجتمع ؛ فيكون طهرة للمرأة وللرجل من عوارض العين التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء وفي صدور النساء من أمر الرجال وأحرى من أن لا يكون للشيطان عليهم وعليهن سبيل[1]؛ من افتتان الرجل بالمرأة بما وضع الله في قلوب الرجال من ميل فطري إلى النساء والحماية من رذيلة الزنا التي يعد النظر من أولى مقدماته ومن العوامل المؤدية إليه فقد قال تعالى:﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢].

والاقتراب يعني كل ما يؤدي إليه ومن ذلك النظر فقد جاء عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:(على كل نفس من ابن آدم كتب حظ من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فالعين زناها النظر، والرجل زناها المشي ، والأذن زناها السماع ، واليد زناها البطش ، واللسان زناه الكلام ،والقلب يتمنى ويشتهي ويصدق ذلك أو يكذبه الفرج) .[2]

و(قاعدة الشرع المطهر أن الله سبحانه إذا حرم شيئًا حرم الأسباب والطرق والوسائل المفضية إليه ؛ تحقيقًا لتحريمه أو منعا من الوصول إليه أو القرب من حماه ،ووقاية من اكتساب الإثم ،والوقوع في آثاره المضرة بالفرد والجماعة.ولو حرم الله أمرا وأبيحت الوسائل الموصلة إليه ؛لكان ذلك نقضا للتحريم وحاشا شريعة رب العالمين من ذلك.

---

١- ينظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري(٣٩/٢٢).

٢- أخرجه الحاكم في مستدركه(٥١١/٢)تفسير سورة النجم برقم(٣٧٥٢)وقال:هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه،وأحمد في مسنده (٣٧٩/٢)رقم(٨٩١٩)و(٣٤٩/٢)برقم(٨٥٨٢)قال الألباني في السلسلة الصحيحة(٢٨٠٤):صحيح رقم(٦٩٦٨٧).

وفاحشة الزنا من أعظم الفواحش وأقبحـها وأشـدها خطرا وضـررا وعـاقبة علـى ضروريات الدين)[1].

ولهذا حرمت الأسباب الموصلة إليه من السفور ووسائله من التبرج والاخـتلاط ونحـو ذلك.

ومن هذه الوسائل الوقائية تطهير العين من النظر المحرم إلى المرأة أو منـها إلى الرجـل الأجنبي عنها.

وفرض الحجاب على نساء المسلمين لما يحمله من حفظهن وحيا ن في عفة وستر وتصون وحشمة وحياء ومجافاة للخنا وطرد لنواقضها من التبذل والتسفل وانتزاع الحياء[2]

- **الاكتـنـان:**

وإذا كان الحجاب يمثل الستر لشخص المرأة عن الرجال ، فإن الاختفاء والاكتنان لهما معنى الستر أيضا يقال: ( أكنت الشيء إكنانا أي صـنته وسـترته...وأكننتـه في نفسـي أي أسررته).[3]

(فالمرأة المتزوجة تسمى كنة لكو ا في كن من حفظ زوجها).[4]

وهذا يوافق تفسير قوله تعالى:﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾.[النحل :٨١]

و( الأكنان: جمع كن وهو الحافظ من المطر والريح وغير ذلك ، وهي هنا الغيران في الجبال جعلها الله عدة للخلق يأوون إليها ويتحصنون ا ويعتزلون عن الخلق فيها)[5].

وفي الصحيح أنه ﷺ كان في أول أمره يتعبد بغار حراء ويمكث فيه الليالي[6]وحين خرج ﷺ من مكة مهاجرا هاربا من قومه فارا بدينه مع صاحبه أبي بكر لحقا(فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط

---

١- حراسة الفضيلة،بكر عبد الله أبو زيد،ط٦، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م،دار العاصمة- الرياض ص(٩٤).

٢- ينظر: المرجع السابق نفسه ص (٩٤)ومابعدها.

٣- فتح الباري،لابن حجر (٥٣٩/١).

٤- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ص (٤٤٤).

٥- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي(١٥٩/١٠).

٦- سبق تخريج نص الحديث ص (٦٤)

الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة[١] مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل [٢] وهو لبن منحتهما ورضيفهما ) . [٣]

- **الاختفاء :**

و(خفي الشيء خفية أي استتر)[٤] قال تعالى:﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف:55]

والمراد بخفية(أي بخشوع قلوبكم وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه ،لاجهارا مراءاة ،وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته،فعل أهل النفاق والخداع لله ولرسوله....يقول الحسن-رحمه الله-ولقد أدركنا أقواما ماكان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبدا ،ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ،ومايسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم ،وذلك أن الله يقول:﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ .وذلك أن الله ذكر عبدا صالحًا ،فرضي فعله فقال:﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ .[مريم:٣])[٥]

فالله رضى فعل عبده زكريا عليه السلام ، فدل ذلك على أن السر في الدعاء محبوب ومطلوب، ومن ثم يرشد الله تعالى رسوله ﷺ خاصة وعباده عامة إلى سعة إحاطته وأنه لا يخفى عليه مااستسره في نفسه ، فيقول تعالى: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ .[طه:٧]

---

١- عامر بن فهيرة التيمي مولى أبي بكر الصديق يقال أصله من الأزد ويقال من عنز بن وائل استرق في الجاهلية فاشتراه أبو بكر الصديق فأعتقه وهو من السابقين إلى الإسلام وممن كان يعذب من أجل إسلامه روت عنه عائشة رضي الله عنها كلامه لما دخلوا المدينة فاصابتهم الحمى وكان رفيق أبو بكر رضي الله عنه في الهجرة ثم شهد بدرا وأحدا واستشهد ببئر معونة رضي الله عنه.

ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر(٦٩/٥)،الإصابة لابن حجر(٥٩٤/٣).

٢- سبق بيان المعنى ص(٩٦).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه(١٤١٩/٣)كتاب:فضائل الصحابة،باب:هجرة النبي وأصحابه رقم (٣٦٩٢)،و(٢١٨٧/٥)كتاب اللباس،باب:التقنع رقم (٥٤٧٠).

٤- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص (١٥٩).

٥- جامع البيان، لابن جرير الطبري (٢٠٦/٨،٢٠٧).

والسر هو الكلام الخفي وما تخفيه نفوس البشر بعضهم عن بعض والأخفى ما لا يمكـن أن يعلمه البشر من معلومات الله جل وعلا[1]

ومن الطوائف المعادية للمسلمين أعداء الله من اليهود والنصارى ونحوهم فهؤلاء يكنون الحقد والحسد للإسلام وأهله، ويضمرون في أنفسهم ما الله مبديه وقد كشف الله تعالى عن ظاهرهم وسريرتهم أما ظـاهرهم فقـال ﷻ:﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [آل عمـران:١١٨]يعني ماظهر على ألسـنتهم (وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) أي والـذي تخفيـه صدورهم أكبر مما قد بدا لكم بألسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم.[2]

( وقد لاح على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم من العـداوة مـع مـا هـم مشتمـلون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل ولهذا قال ﷻ:﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .[آل عمران:١١٨])[3]

وكما يخفى الدعاء والكلام والمشاعر والنوايا ، يختفي الأشخاص في مكان يستترون فيه عن الناس قال ﷻ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾.[الرعـد:١٠] فيكون الاختفاء من مرادفات العزلة حيث يتفق مع العزلة في الاسـتقرار بمكان خفي.

(فقوله ﴿(مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ)﴾ أي مستقر في مكان خفي و﴿(وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ)﴾ داخل سربه في النهار والسرب هو ما يختفي فيه الإنسان إما جوف بيته أو غار أو مغارة أو نحو ذلك).[4]

- **الهجـرة:**

فهؤلاء يجب البراءة منهم ومما هم عليه من الشرك والتباعد منهم وقد نهى النبي ﷺ عـن الإستضاءة بنار المشركين ومقاربتهم في المنازل ووجوب الهجرة من بلادهم فقال ﷺ: (أنـا

---

١- ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،ط١٤١٣،١هـ- ١٩٩٣م،دار الكتب العلمية - لبنان (٣٧/٤).

٢- ينظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (٦٤،٦٣/٤).

٣- تفسير القرآن العظيم ،لابن كثير(٤٠٠/١).

٤- تيسير الكريم الرحمن ، عبد الرحمن السعدي ص (٤١٤).

بَرِيءٌ من كل مُسْلِمٍ يُقِيمُ بين أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ قال لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا )[1]

والتأسي بفعل إبراهيم حين ﴿قَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. [العنكبوت:٢٦]
أي :( إني مهاجر دار قومي إلى ربي إلى الشام)[٢] وهذا يفسر المقصود بعزلته قومه في قوله ﷻ:﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ .[مريم:٤٨]

ومن خلال دلالة الآيتين ؛ فإن لفظ الهجرة يعد من أقوى الألفاظ المستخدمة في الدلالة على العزلة سواء كانت كلية أم جزئية،وسيأتي الكلام بإذن الله عن عزلة المشركين ومهاجرتهم.

أما التهاجر بين المسلمين فقد سبق عرض الحالات التي يجوز فيها الهجر ومنها (إن كان للهاجر عذر:

- بأن كان المهجور مذموم الحال لبدعة أو فسق أو نحوهما.
- أو كان فيه صلاح لدين الهاجر أو المهجور فلا تحريم وعلى هذا يحمل ما ثبت من هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه و نهيه صلى الله عليه وسلم الصحابة عن كلامهم وكذا ما جاء من هجران السلف بعضهم بعضا والله أعلم).[٣]

ويلاحظ مما سبق أن القاسم المشترك في جميع الألفاظ المرادفة للعزلة هو الانقطاع سواء كان حسيا ماديا أو معنويا ،مشروعا أم غير مشروع.

فمن الانقطاع المشروع للتعبد وتدريب النفس على المجاهدة سنة الاعتكاف، ومن أنواع الانقطاع للعبادة والتفرغ لها مع إخلاص النية لله تعالى غير المشروع الرهبانية والتبتل فهما يشاركان العزلة من زاوية الانقطاع وتخالفها في زوايا أخرى سنأتي عليها بإذن الله ، لا سيما أن كل منهما عبارة عن ممارسة العزلة بأسلوب متشدد مخالف لشريعة نبينا محمد ﷺ التي تنص على أنه لا رهبانية ولا تبتل في الإسلام.

---

١- أخرجه أبو داود في سننه(٤٥/٣)باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود برقم(٢٦٤٥)واللفظ له،والترمذي في سننه(١٥٥/٤)باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين برقم(١٦٠٤)،والنسائي في السنن الكبرى(٢٢٩/٤)برقم(٦٩٨٢)قال الألباني في صحيح أبي داود (٢٦٤٥):صحيح رقم (٤٧٧٨٤).
٢- جامع البيان ، لابن جرير الطبري (١٤٢/٢٠).
٣- روضة الطالبين ، للنووي (٣٦٧/٧).

- **الرهبانية[١]:**

لقد وصف بعض أتباع عيسى عليه السلام بالرهبانية( لأنهم حملوا أنفسهم على المشقات في الامتناع عن المطعم والمشرب والنكاح، والتعلق بالكهوف والصوامع).[2]

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾.[الحديد:27]

وفسر بعض السلف الرهبانية فقال قتادة:( الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع)[3] فقد (كان النصارى يترهبون بالتخلي عن أشغال الدنيا وترك ملاذها والعزلة عن أهلها وتعمد مشاقها فمنهم من يخصي نفسه ويضع السلسلة في عنقه وغير ذلك من أنواع التعذيب).[4]

وهذه الرهبانية لم يفرضها الله عليهم ولكن ابتدعوها ثم لم يقوموا بها حق القيام وذلك لمخالفتها للفطر السليمة واصطدامها مع الغرائز التي جبل عليها الإنسان ،فهجروا ملذات الحياة المباحة وعطلوا سنة التزاوج ظانين أن ذلك قربة وطاعة.

ولكن حين تطغى هذه الغريزة فإنهم يلجئون إلى إشباعها بطرق بشعة تفتقد أبسط ممارسات الإنسان العادي ذي الفطرة السليمة ويتحول الأمر إلى همجية ووحشية تمارس في الظلام خلف أسوار الكنائس ؛ متناسين الرقيب العليم السميع البصير ،متجاهلين أبسط حقوق الإنسان في التمتع بما أباح الله له وفق الطريقة المثلى التي تتناسب مع فطرته التي خلقه الله عليها قال جل جلاله : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:14]

---

1- الرهبانية : أصلها من الرهبة الخوف ، وهي المبالغة في العبادة والتقشف والبعد عن النساء.
ينظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني ص(209،210)، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ،محمد إسماعيل إبراهيم ص(212).

2- الجامع لأحكام القرآن ،للقرطبي (17/263).

3- المصدر السابق نفسه (17/263).

4- شرح سنن ابن ماجه،السيوطي،عبد الغني ، فخر الحسن الدهلوي، قديمي كتب خانة- كراتشي،(1/289).

وقال ﷻ :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧].

وقال رسول الله ﷺ :(إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة) .[١]

وعن أبي هريرةَ عن النبي ﷺقال :(إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ)[٢] .

فالأمة الإسلامية مارست الرهبانية في( أمور تتطلب المرابطة ومواصلة التدريب ومراقبة العدو لصدّ كيده ودحره،فلا يحرمون إلا ماحرمه الله ورسوله أثناء ذلك الرباط)[٣] لا سيما إذا علمنا أن الرهبانية في الإسلام الجهاد وهي الم لة التي تسبق العزلة في الفضل لمن قدر عليه،وهؤلاء( الرهبان وإن تركوا الدنيا فلا ترك أكثر من بذل النفس وكما أنه لا أفضل من الترهب عندهم ففي الإسلام لا أفضل من الجهاد).[٤]

- **التبتل:**

البتل القطع وقيل: تمييز الشيء من الشيء و التبتل الانقطاع عن الدنيا إلى الله تعالى وكذلك التبتيل يقال للعابد إذا ترك كل شيء وأقبل على العبادة قد تبتل أي قطع كل شيء إلا أمر الله وطاعته.[٥]

وبناء على هذا المعنى أمر الله نبيه ﷺ بالتبتل في قوله ﷻ : ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل:٨] والمراد بذلك( انقطع إليه انقطاعا لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره).[٦]

---

١- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(٦٢/٦)برقم(٥٥١٩)،ومجمع الزوائد(٢٥٢/٤) وفيه إبراهيم بن زكريا وهو ضعيف.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٣/١)كتاب الإيمان،باب الدين يسر وقولُ النبي صلى الله عليه وسلم أحب الدين إلى الله الْحنيفيةُ السمحة برقم(٣٩).

٣- العزلة الفكرة والتطبيق،محمد بن سعد ص (٨٩)بتصرف يسير.

٤- شرح سنن ابن ماجه،للسيوطي وآخرون(٢٨٩/١).

٥- ينظر: تهذيب اللغة للأزهري(٢٠٧/١٤)لسان العرب لابن منظور(٤٢/١١).

٦- جامع البيان ، لابن جرير الطبري (١٣٢/٢٩).

وقال مجاهد-رحمه الله-:( أخلص إليه إخلاصا).[1]

أما( الذي يكره من التبتل هو الذي يفضي إلى التنطع وتحريم ما أحل الله)[2]

وقد حذر النبي ﷺ أصحابه وزجرهم عن التبتل المذموم والذي يمارسه النصارى و(كان النبي عليه ﷺ يكره مشا ة أهل الكتابين في هذه الآصار والأغلال).[3] و ى عنه يا شديدا، وجاء عن سعيد بن العاص أن عثمان بن مظعون قال:يا رسول الله ائذن لي في الاختصـاء فقال النبي:( يا عُثْمَانُ ان اللَّهَ قد أَبدَلَنَا بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْحَنِفِيَّةَ السَّمْحَةَ وَالتَّكْبِيرَ على كل شَرَفٍ فَإِنْ كُنْتَ مِنَّا فَاصْنَعْ كما نَصْنَعُ ) .[4]

بل كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة في قوله ﷺ :( من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ) .[5]

ويحث على الزواج بالولود فقال: (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم ) .[6]

والخلاصة ( أن الرهبانية إن كانت بالمعنى المقرر في شرائع الأول ،فلا نسلم أ ا في شـرعنا للأدلة على نسخها كانت لعارض أو لغير عارض إذ لا رهبانية في الإسـلام .وقـد رد ﷺ التبتل، وإن كانت بمعنى الانقطاع إلى الله حسبما شرع وعلى حد ما انقطع إليه رسـول الله ﷺوهو المخاطب بقوله ﷻ ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ فهذا هو السنـة المتبعة والهدي الصالح

---

١- تفسير مجاهد ص (٧٠٠).

٢- فتح الباري ، لابن حجر(١١٨/٩).

٣- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس،، تحقيق: محمـد حامد الفقي،ط١٣٦٩،٢هـ ،(٤٨/١).

٤- سبق تخريجه ص(١٩٥).

٥- أخرجـه البخـاري في صـحيحه(٦٧٣/٢)كتـاب الصـوم،باب الصـوم لمـن خـاف علـى نفسـه العزوبة،برقم(١٨٠٦)،و(١٩٥٠/٥)كتاب النكاح،باب قول الـنبي ﷺ مـن اسـتطاع مـنكم البـاءة فليتـزوج برقم(٤٧٧٨)ورقم(٤٧٧٩)،ومسلم في صحيحه(١٠١٨/٢)كتاب النكاح،باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم برقم(١٤٠٠)و(١٠١٩/٢)برقم(١٤٠٠).

٦- أخرجه النسائي في السنن الكبرى(٢٧١/٣)باب:النهي عن تزويج المرأة التي لا تلد ،والبيهقي في سننه(٨١/٧)باب استحباب التزوج بالودود الولودبرقم(١٣٢٥٣)،والطبراني في المعجم الكبير(٢١٩/٢٠)برقم(٥٠٨) قـال الألبـاني في صحيح النسائي (٣٢٢٧):حسن صحيح رقم(٢٨٢٥٧).

والصراط المستقيم...لأن رفض الدنيا ليس بمعنى طرح اتخاذها جملة وترك الاستمتاع ا ، بل بمعنى ترك الشغل ا عما كلف الإنسان به من الوظائف الشرعية )[1].

يتبين مما سبق أن جميع المفردات السابقة تشارك العزلة في معنى الانقطاع والتنحي جانبا، مع الاختلافات الفردية الخاصة بكل منها وهذا من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم والسنة المطهرة التي أوتي صاحبها جوامع الكلم.

## خلاصة الفصل الأول:أدلة العزلة في القرآن الكريم والسنة النبوية:

- جاءت لفظة العزلة وما تصرف منها في عشر آيات من القرآن الكريم لمعان مختلفة وإن اشتركت في معنى التنحي والمفارقة التي تتراوح بين المفارقة الكلية والجزئية ،والاعتزال الحسي والقلبي ،كما حفلت السنة الشريفة بأحاديث كثيرة في العزلة.
- تعد لفظة العزلة ذات مدلول واسع عبرت عن جوانب عقدية وأخرى فقهية تظهر إعجاز القرآن الكريم وفصاحته.
- جاءت العزلة معبرة عن عقيدة الولاء والبراء من خلال موقف إبراهيم وبراءته من أبيه وقومه وما يعبدون من دون الله .
- وجاءت في موطن آخر بمعنى الاختفاء كما فعل أصحاب الكهف فارين بدينهم من قومهم.
- وإذا كان أهل العقيدة الصحيحة يفرون بدينهم ويعتزلون أصحاب العقائد الفاسدة،فقد جاءت العزلة بمعنى الابتعاد المبني على التكذيب والإنكار كما فعل ابن نوح الذي كذّب أباه في دعوته .
- اُستخدمت لفظة العزلة في بيان المنهجية في التعامل مع المنافقين وضرورة اعتزالهم وأخذهم جانب الحياد إن أرادوا حفظ دمائهم ليتفرغ المسلمون للعدو الحقيقي.
- جاءت العزلة لبيان حكم شرعي متعلق بحياة الفرد المسلم في أدق تفاصيل حياته ؛ وذلك بمعنى الاجتناب والابتعاد الحسي المؤقت عن معاشرة الزوجات حال حيضهن.
- جاءت العزلة بمعنى المنع والحيلولة دون تحقيق الإرادة وتلك هي العزلة الإجبارية.

---

١- الاعتصام للشاطبي (٢٨١/١)

- للعزلة مرادفات كثيرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة تشترك معها في أحد جوانبها، ومن هذه الألفاظ ماهو مشروع ضمن ضوابط أهل السنة والجماعة مثل: الانفـراد والخلوة والوحدة والانتباذ والاكتنان ولزوم البيت أو المكان والاختفـاء والتـواري والانقطاع والهجر، ومنها مـاهو واجـب كالحجـاب ومنـها مـاهو مسـنون كالاعتكاف،كما وردت ألفاظ تشترك مع العزلة في بعض معانيها ولكنها ممنوعة في شريعة محمد ﷺ وهي:الرهبانية والتبتل لمعارضتها الفطرة الإنسانية.

# الفصل الثاني

## مواضع العزلة الواجبة.

ويتضمن أربعة مباحث :

المبحث الأول - اعتزال الشرك وأهله.

المبحث الثاني - اعتزال البدع والمعاصي.

المبحث الثالث - اعتزال السلطان عند فساده.

المبحث الرابع - اعتزال الفتن والحروب.

## المبحث الأول: اعتزال الشرك وأهله.

(متى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه ، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه ولا إرادة إلا لما يريده منه مولاه ... فإذا تحقق القلب بالتوحيد التام لم يبق فيه محبة لغير ما يحبه الله ، ولا كراهة لغير ما يكرهه الله.

ومن كان كذلك لم تنبعث جوارحه إلا بطاعة الله وإنما تنشأ الذنوب من محبة ما يكـره الله، أو كراهة ما يحبه الله وذلك ينشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله وخشيته).[1]

وجاء في الحديث: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)[2]. فالحب في الله والبغض في الله أصل عظيم من أصول الإيمان.

ولذا ذكر الله تعالى هذه القضية كثيرا في القرآن الكريم (وبين سبحانه أن عداوة المشركين من الكفار والمنافقين وجفاة الأعراب الذين يعرفون بالنفاق ولا يؤمنون بالله ورسوله ﷺ فريضة على المؤمنين).[3]

وجعل من الأنبياء والمرسلين قدوة حسنة في تحقيق هذا الأصل وتطبيقه تطبيقًا عمليا يترجم ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من البغض للمشركين وعداو م ومقاطعتهم وهذا كله يندرج تحت أصل الولاء والبراء .

وكان إمام الأنبياء في تحقيق هذا الأصل هو خليل الله إبراهيم عليه السلام الذي تبرأ من قومه وما يعبدون من دون الله عندما علم يقينا بأ م منكرون مكذبون مصرون على الضلال بما زين لهم الشيطـان من عبادة الأصنام فبدأت العداوة التي أسفرت عن المقـاطعة والاعتزال.

---

١- جـامع العـلوم والحكم لابن رجب، تحقيق :وهبه الزحيلي ،ط٢، ١٤١٧هـ ـ١٩٩٦م ،دار الخـير- بـيروت ص(٢٣٢،٢٣١/٢).

٢- أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(١٧٠/٦)(٨٠/٧)،والطيالسي في مسنده(١٠١/١)برقم (٧٤٧) وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٤٣/٢): حديث حسن رقم (٢٥٣٦).

٣- الرسالة السادسة (أوثق عرى الإيمان) للإمام محمد بن عبد الوهاب ص (٣،٢) ضمن مجموعة التوحيد ص(١٥٩،١٥٨) بتصرف يسير.

**المقصود بالاعتزل في هذا المبحث :**

بناء على ما سبق فإن المقصود بالاعتزال هنا البراءة التي ذكرها سبحانه في محكم التنزيل في قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٣] وهي عزلة أصحاب العقائد المخالفة من المشركين والملاحدة على اختلاف مللهم ومذاهبهم.[1]

وهذه العزلة واجبة على كل مؤمن؛ ليحفظ دينه ويصونه مما يعرض له مما يشوبه من الشبهات والشهوات فهي حماية للضرورة الأولى من الضرورات الخمس (الدين).

**الفئة المعتزلة :**

ومما يلاحظ هنا أنه تم إطلاق عنوان(اعتزال الشرك وأهله)على هذا المبحث ولايعني تخصيص الاعتزال بالمشركين بل هو عام في كل من أنكر وجود الله أو توحيده أو أنكر شيئاً مما جاء به النبي ﷺ،وإنما ذُكر لأنه الأغلب،ولا يعني ذلك خروج الملحدين والكفار ونحوهم والدليل على ذلك قوله تعالى﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فالخطاب يتناول كل كافر.

لذا فإن تخصيص البراءة من الشرك بشرك مشركي العرب غلط عظيم،وإنما هي براءة من كل مشرك لقوله ﷺ لنوفل: (اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك)[2].

كما أن الله تعالى (لم يقل في هذه السورة يا أيها المشركون حتى يقال أنها إنما تناولت من أشرك، بل قال ياأيها الكافرون فتناولت كل كافر سواء كان ممن يظهر الشرك أم كان فيه تعطيل لما يستحقه الله واستكبار عن عبادته والتعطيل شر من الشرك وكل معطل لابد أن يكون مشركًا).[3]

---

١- والمذكورة في الباب الأول الفصل الثالث (العزلة من منظور الأحكام التكليفية).ص(٧٥).

٢- أخرجه أبو داوود في سننه(٣١٣/٤)كتاب:الأدب،باب:مايقال ثم النوم برقم (٥٠٥٥)،والترمذي في سننه (٤٧٤/٥) كتاب الدعوات،باب:ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند النوم برقم(٣٤٠٣)، والإمام أحمد في مسنده (٤٥٦/٥)رقم(٢٣٨٥٨)،والدارمي في سننه(٥٥١/٢)كتاب: فضائل القرآن،باب:في فضل قل يا أيها الكافرون رقم (٣٤٢٧) ، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير(١٤٠/١): حديث حسن رقم (٢٨٩).

٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٦٦/١٦،٥٦٧).

(وعلى كل تقدير فالخطاب للمشركين كلهم من مضى ومن يأتي إلى يوم القيامة).[1]

**والعلة في وجوب اعتزال الشرك ونحوه من الأديان والملل الباطلة وأهلها:**

أن الإيمان لا يتحقق إلا بأمرين وهما :

**التوحيد** **الولاء والبراء**

أما **التوحيد** : فإن الإيمان بالله سبحانه وتعالى يتضمن توحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.[2]

وقد عد ابن حجر أنواع التوحيد من أوائل شعب الإيمان فيقول : (وهذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة هي : الإيمان بالله ﷻ ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شئ).[3]

و(الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء :

**أحدها:** أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا.

**والثاني:** أن يعتقد العبد وحدانيته ليكون مباينا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة معه غيره .

**والثالث:** أن يعتقدوه موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه).[4]

---

١- مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ٥٤٥/١٦).

٢-ينظر: شرح العقيده الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ط٨، ١٤٠٤ هـ،١٩٨٤ م، المكتب الإسلامي ص (٧٨،٧٠) ،تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بدون طبعة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ،دار الفكر-بيروت ص (٢١،٢٠)، فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ بدون طبعة ،دار الندوة الجديدة لبنان،ص (١٥وما بعدها).

٣- فتح الباري (٥٢/١).

٤- الإبانة عن شريعة الفرقه الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطه العكبري ،تحقيق رضا معطي،ط١ =

وبذلك تجتمع أقوال العلماء على أن الإيمان يتضمن التوحيد وأنه لا يتحقق إلا بـالنفي والإثبات، وذلك بنفي كل معبود سوى الله وإثبات وحدانية الله تعالى في ربوبيته وأولوهيته وأسمائه وصفاته قال تعالى:﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقد شبه الله ﷻ كلمة التوحيد بالعروة الوثقى بوصفها مثَل للإيمان الذي يعتصـم بـه المؤمن وهي أوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه.

ثم يخبر ﷻ بأنه ( سميع إيمان المؤمن بالله وحده، الكافر بالطاغوت عند إقراره بوحدانية الله وتبرئه من الأنداد والأوثان التي تعبد من دون الله، عليم بما عزم عليه مـن توحيـد الله وإخلاص ربوبية قلبه، وما انطوى عليه ضـميره مـن الـبراءة مـن الآلهـه والأصـنام والطواغيت).(1)

وبذلك تجمع كلمة التوحيد الولاء لشرع الله لقولـه ﷻ : ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [ الأعراف :٣]

وقال ﷻ : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم :٣٠]

والبراء من كل دين غير الإسلام قال ﷻ :﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]

**نستخلص من ذلك أن الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد** ( لاإله إلا الله ) الـذي لا يتم الإيمان إلا ا،والأدلة على ذلك كثيرة سترد في الصفحات التالية بإذن الله ، منها:

- قوله ﷻ :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.[المائدة:٥١]

ومن الأحاديث ما رواه الإمام أحمد عن جرير بن عبدالله البجلي أن رسول الله ﷺ بايعه

---

= ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨م ،دار الراية الرياض، ص (٦٩٣).

١- جامع البيان ،لابن جرير الطبري ( ٢١/٣)بتصرف يسير.

بقوله:( تنصح للمسلم وتبرأ من الكافر) .[1]

وقال رسول الله ﷺ :(يا ابن مَسْعُودٍ قلت لَبَّيْكَ ثَلاثًا قال هل تَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ قلت اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال الْوَلايَةُ في اللَّهِ وَالْحُبُّ في اللَّهِ وَالْبُغْضُ في اللَّهِ) .[2]

و ذه الأدلة وغيرها كثير يظهر ( أن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضى؛ أن لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يوالى إلا لله ولا يعادي إلا لله وأن يحب ما يحبه الله ويبغض ما أبغضه الله).[3](إذ من المحال أن تكون هناك عقيدة سليمة بدون تحقيق الموالاة والمعاداة الشرعية).[4]

( وفي الجملة فلا بد في الإيمان الذي في القلب من تصديق بالله ورسوله ، وحب الله ورسوله ، وإلا فمجرد التصديق مع البغض لله ولرسوله ؛ ومعاداة الله ورسوله ليس إيمانًا باتفاق المسلمين ).[5]

وليتحقق ايمان العبد ينبغي أن يلزم مسلك المؤمنين الخلص من الأنبياء والأولياء ويتأسى بفعلهم فهؤلاء يحبون جملة من آمن بالله ورسوله وقام بوظائف الإسلام عملاً وإعتقادا، ويحبو م على قدر ما معهم من الخير ، ويبغضو م على قدر ما معهم من الشر ، وكذلك يبغضون جملة من كفر أو ألحد أو صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله.

وبذلك استحقوا أن يمتدحهم الله في كتابه العظيم ويثني على فعلهم ويجازيهم على صنيعهم خير الجزاء ،ويضرب م:

**أمثلة عليا** في **الولاء** لله **وأوليائه** المتقين،**والبراءة من أعدائه أعداء الدين .**

وفي **قصة إمام الموحدين ابراهيم** عليه السلام **دروس وعبر** يعجز المرء عن حصرها فهي صورة واقعية تجسد معاني الولاء والبراء في أقوى صوره وتنوع أساليبه فيقول ﷻ :﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ

---

١- أخرجه أحمد في مسنده(٣٥٧/٤)(٣٥٨/٤)(٣٦٣/٤)والطبراني في المعجم الكبير(٣١٤/٢) وهو حديث حسن.

٢- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(١٧١/١٠) برقم(١٠٣٥٧)وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير(٣٤٣/٢): حديث حسن رقم (٢٥٣٦).

٣- مجموع الفتاوى(الاحتجاج بالقدر)لابن تيمية (٣٣٧/٨).

٤- الولاء والبراء ، محمد سعيد القحطاني،ص (١٦).

٥- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٣٧/٧).

وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُو رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيًّا ٤٩ ﴾ [مريم ٤٨،٤٩]

وفي هذه الآيات تتجلى حقيقة كلمة التوحيد لا إله إلا الله (وحقيقتها الموالاة والمعاداة، ثم لابد مع ذلك من البغض والاعتزال للداعي والمدعو والعابد والمعبود مع الكفر م).[1]

وتتضح هذه المسألة في قوله ﷻ :﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾ [الممتحنة :٤]

فيخاطب الله عباده المؤمنين بأن خليل الرحمن قدوة حسنة هو والذين معه من الأنبياء في هذه الحقيقة ؛ حقيقة الولاء والبراء والتي تجسدت في أفعالهم واعتزالهم أقوامهم بعد أن تمثلت في أقوالهم كما جاء في قوله تعالى علـى لسـا م: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فكانت البراءة صريحة من أمرين :

١. الداعي والعابد من قوله ﷻ : ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ﴾

٢. المدعو والمعبود من قوله ﷻ : ﴿وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ و( ما ) موصولة أي (ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهه والأنداد).[2]

فلا بد للمعتزل أن يحقق الواجب عليه بأن يتبرأ أولاً من المشركين العابدين غير الله ثم من المعبودات من دون الله.

و( هاهنا نكتة بديعة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ ﴾وهي أن الله قدم الـبراءة مـن المشركين العابدين غير الله على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله ؛ لأن الأول أهم من

---

١- الرسالة الثامنة (أسباب نجاة السول من السيف المسلول) ص(٤) ضمن مجموعة التوحيد ص (١٩٨).

٢- جامع البيان لابن جرير الطبري (٦٢/٢٨).

الثاني فإنه قد يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها فلا يكون آتيا بالواجب عليه.

وأما إذا تبرأ من المشركين فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم مثل قوله ﷻ :﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. [مريم:٤٨] فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم، وكذا قوله ﷻ : ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم:٤٩] وقوله ﷻ :﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الكهف:١٦]

فعليك بهذه النكت فإنها تفتح بابا إلى عداوة أعداء الله ، فكم من إنسان لايقع منه الشرك ولكنه لايعادي أهله فلا يكون مسلما بذلك لأنه ترك دين جميع المرسلين)[١]فدينهم ترك الشرك ومعاداة أهله.

والمعاداة تكون بالكفر بالطاغوت وإنكاره وإنكار عابديه وجحد ما هم عليه من معتقدات باطلة لذا قال ﷻ :﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ﴾(أي أنكرنا ما كنتم عليه من الكفر بالله وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقًا).[٢]

هذا الكفر والجحود والنكران من المؤمنين مترتب على القاعدة السابقة في قوله ﷻ: ﴿ فَمَنۡ يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٥٦]

فكان الإنكار والبراءة من الفعل (الشرك ) والفاعل ( العابد ) والمفعول (المعبود ) وانتفاء كون هذه المعبودات معبودات حقة لانتفاء صفات الإله الحق عنها. فكل من لم يؤمن بما وصف به الرسول ربه فهو في الحقيقة لم يعبد ما عبده الرسول ﷺ، كالذين وصفوا الله بما هو بريء منه؛ كالصاحبة والولد والشريك وأنه فقير أوبخيل،وكمن عينوا الله بما ليس هو الله كالذين عبدوا العجل والمسيح والدجال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. [٣]

وقد نص القرآن العظيم على أن هؤلاء أنكروا وكفروا بالحق فأشارت دلالة المفهوم على بطلان ما هم عليه ،كما صرح سبحانه في هذه الآية بالعلة من عداوتهم فقال ﷻ:﴿ وَقَدۡ

---

١- الرسالة الثانية عشرة (بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين) للشيخ حمد بن عتيق ص (٢٣،٢٢) ضمن مجموعة التوحيد ص (٣٧٧،٣٧٦) بتصرف يسير.

٢- جامع البيان لابن جرير الطبري ( ٦٢/٢٨).

٣- ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ٦٠١،٦٠٠/١٦ )

كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾.[الممتحنة : ١] وهي(كفرهم بالحق الذي جاء من عند الله وإخراجهم النبي ﷺ وأهل الإسلام لأجل الإيمان بالله ).(١)

لذا أُتبعت آية الممتحنة في قوله :﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُ﴾.

فترتب على البراءة القلبية البراءة والمقاطعة الفعلية ، وهذا ما يؤكد (أن البغضاء وإن كانت متعلقة بالقلب فإنها لا تنفع حتى تظهر آثارها ، وتتبين علاماتها ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين ، وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة فإن ذلك يدل على عدم البغضاء).(٢)

فكان ذلك **منهج الخليل ومنهج إخوته من الأنبياء** بعد أمر الله لهم بالبراءة من الشرك والمشركين فقال إبراهيم عليه السلام كما جاء في قوله تعالى على لسانه :﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٧٨]

ونبي الله هود عليه السلام عندما نصح لقومه ودعاهم إلى التوحيد وخلع الأوثان والبراءة منها أنكروا دعوته واتهموه بالجنون قائلين :﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود:٥٤]

فتبرأ منهم ومما يعبدون وأشهد ربه رب العالمين وذلك في قوله تعالى:﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [هود :٥٤](٣)

كما حث الله نبيه محمد ﷺ على **البراءة من الأفعال** فقال:﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس : ٤١]

---

١- الرسالة الثانية عشرة (بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين) للشيخ حمد بن عتيق ص (٢٠) ضمن مجموعة التوحيد ص (٣٧٤).

٢- المرجع السابق نفسه ص (٢٤،٢٣) ضمن مجموعة التوحيد ص (٣٧٨،٣٧٧).

٣- ينظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (٥٩/١٢).

(فأمره أن يتبرأ من عمل كل من كذبه).[1]

وكذلك **البراءة من الأشخاص** المخالفين لكلمة التوحيد فقال ﷻ: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٢] ويظهر ذلك بما جرى له وأصحابه مع قومهم من الاعتزال والعداوة العظيمة، متأسيا بفعل إبراهيم عليه السلام لأنه ﷺ مبعوث بملته ،فقال ﷻ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٨] وهي كلمة التوحيد التي تستلزم البراءة من كل معبود سوى الله.

وفسر أهل العلم قوله ﴿عَقِبِهِۦ﴾ بأمة آل محمد ﷺ[2] فأمر بقوله ﷻ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾

- **دلالة البراءة في سورة (الكافرون):**

وفي هذه السورة دلالة على قوة براءته ﷺ وامتناعه وعدم قبوله لعبادة الأوثان في جميع الأزمان؛فهو يتبرأ في الحاضر والمستقبل مما يعبده المشركون ،وينفي جواز عبادته لمعبودهم، ويبين أن مثل هذا لا تقبله نفسه،ولا يصلح ولا يكون ولا يسوغ،فهو ينفي جوازه شرعا ووقوعا.[3]

وهذا النفي يتضمن البغض والكراهة لهذه العبادة الباطلة ، وأن يكون هؤلاء على عبادة الإله الحق فيقول﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ (لإشراككم به واتخاذكم معه الأصنام فإن زعمتم أنكم تعبدونه فأنتم كاذبون لأنكم تعبدونه مشركين به)[4]. فهؤلاء معبودهم المجموع وهو ﷺ لا يعبد إلا الله وحده فيعبده على وجه إخلاص الدين له، لا على وجه الشرك بينه وبين غيره.

وبذلك يتبين المراد من الاستثناء في قوله ﷻ على لسان إبراهيم عليه السلام:﴿ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا

---

١- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٤٦/١٦).

٢- ينظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (٦٣/٢٥).

٣- ينظر : مجموع الفتاوى ابن تيمية(٥٥٤،٥٥٥/١٦).

٤- المصدر السابق نفسه (٥٤٧/١٦).

تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ ﴾.[الزخرف:٢٦]

وقوله ﷻ :﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ﴾ [الشعراء:٧٥،٧٧]

فقد (نفى عبادة المجموع وذلك لا ينفي عبادة الواحد الذي هو الله والخليل تبرأ من المجموع وذلك يقتضي البراءة من كل أحد لذا استثنى...فعبادة المشرك كلها باطلة لا يقال نصيب الله منها حق،والباقي باطل بخلاف معبودهم فإن الله إله حق وسواه آلهة باطلة) (١)

وجمع ﷺ هذه المعاني كلها في قوله: فأنا لا أعبد مثل عبادتكم الشركية ، ولا أنتم عابدون مثل عبادتي التي هي التوحيد ،وهؤلاء وإن عبدوا الله إلا أن شركهم معه غيره في العبادة أفسدها و(الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه فإذا أشركوا به لم يكونوا عابدين له وإن دعوه وصلوا له) (٢)

يقول العلامة ابن القيم-رحمه الله-:(إن هذه السورة تشتمل على النفي المحض وهذه خاصية هذه السورة ، فإنها سورة براءة من الشرك كما جاء في وصفها في الحديث.(٣)

ومقصودها الأعظم هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقًا للبراءة المطلوبة ، مع تضمنها للإثبات الصريح بأن له معبودا يعبده وأنتم بريئون من عبادته ، فتضمنت النفي والإثبات وطابقت قول إمام الحنفاء :﴿ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ ﴾[الزخرف:٢٧،٢٦]وطابقت قول فئة الموحدين ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ فانتظمت حقيقة لا إله إلا الله).(٤)

---

١- مجموع الفتاوى لابن تيمية(٥٩٩،٥٩٨/١٦).

٢- المصدر السابق نفسه (٥٥٠/١٦).

٣- سبق ذكره ص (٢٠١).

٤- بدائع الفوائد ، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا،عادل عبد الحميد العدوي،أشرف أحمد ،ط١٤١٦،١هـ- ١٩٩٦م، مكتبة نزار مصطفى الباز-مكة المكرمة(١٤٥/١) بتصرف يسير.

ومن هنا جاء ( تقديم العداوة على البغضاء في قوله تعـالى:﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ لأن الأولى أهم من الثانية فإن الإنسان قد يـبغض المـشركين ولا يعاديهم فلا يكون أتيا بالواجب عليه حتى تحصـل منه العـداوة والبغضاء .ولابد أيضا من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين).[1]

فالكفار أعداء لله ولرسوله وللمؤمنين والواجب معادا م وعدم إظهار مـوالا م بـأي شكل من الأشكال لأن الله ى أهل الإيمان عن موالا م فقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة:١]

(وفي الآيه حث على عداو م ، فإن عداوة المعادي لربك باعثة وداعية إلى عداوتك، فكيف تكون موالاة الذين غضب الله عليهم في قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣] ... فلا يحسن بالمؤمن ولا يجوز منه أن يوالي من فعل ما يغضب الله تعالى من الكفر ، فإن موالاته له تنافي الإيمان بالله تعالى.

وأعظم الدليل وأوضح البرهان على أن موالا م محرمه منافية للإيمان قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة:٩]

فجمع بين لفظه (إنما) المفيدة للحصر ، وبين النهي الصريح ، وذكر الخصـال الـثلاث وضمير الحصر وهو لفظة "هم")[2].

وقد رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سـخطه ، والخلـود في العـذاب ، وأخـبر أن ولايتـهم لا تحصل إلا ممن ليس بمؤمن ، وأما أهل الإيمـان بالله وكتـابه ورسوله فإ م

---

١- الرسالة الثانية عشرة (بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين) للشيخ حمد بن عتيق ص (٢٣) ضمن مجموعة التوحيد ص (٣٧٧).

٢- المرجع السابق نفسه ص (١٩) ضمن مجموعة التوحيد ص (٣٧٣،٣٧٨،٣٧٩)بتصرف.

لا يوالو م ، بل يعادو م كما أخبر الله عن إبراهيم عليه السلام والذين معه من المرسلين.

فقال تعالى:﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۝٨٠ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والنَّبِيّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨١ ﴾ [المائدة: ٨٠،٨١]

فقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله وقوله تعالى: ﴿والنَّبِيّ﴾ شهادة أن محمدا رسول الله فجمعت هذه الآيه الشهادتين ، ومنطوق الآيه يدل على انتفاء الشهادتين بانتفاء المعاداة للذين كفروا وثبوت الموالاة لهم وأن من فعل ذلك يعد فاسقًا لخروجه عن طاعة الله إلى معصيته ومن الحلال إلى ما حرم الله عليهم من القول والفعل.[1]

ومفهوم الآيه يدل على أن الشهادتين ثبتت بثبوت المعاداة للذين كفروا .( فبين ﷻ أن الإيمان بالله والنبي وما أُنزل إليه مستلزم بعدم ولايتهم ، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم ).[2]

قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]

فجعل الله تعالى عداوة المشركين أيا كانوا شرطًا للإيمان وترتب على ذلك أن ينفي سبحانه الإيمان عمن يواد ويحب ويوالي من عادى الله ورسوله ولو كان هؤلاء آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم.[3]

---

١- ينظر: جامع البيان ،لابن جرير الطبري(٣٢٠/٦).

٢- اقتضاء الصراط المستقيم،لابن تيمية(٥٥٠/١).

٣- ينظر: الرسالة الثانية عشرة (بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين) للشيخ حمد بن عتيق ص (٤٨) ضمن مجموعة التوحيد ص (٤٠٢).

- **الولاء والبراء في حياة الصحابة:**

قال أهل العلم في قوله ﷻ : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [المجادلة:٢٢] (إن هذه الآية نزلت في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز،فقال:يارسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى،فقال له رسول الله ﷺ:(متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري).وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد.وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر،وفي علي وحمزة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر).[1]

فالصحابة الكرام ﷺ أدركوا حقيقة كلمة التوحيد وأنها الموالاه والمعاداة منذ اللحظة الأولى لانتسابهم لهذا الدين، وتمسكهم بالعروة الوثقى وأنها الكلمة الفاصلة بين الحق والباطل، وحزب الله وحزب الشيطان.

أدركوا حقيقة وجودهم ومركزهم في هذه الحياة فزكت أنفسهم وتسامت تصوراتهم عن هذا الكون بكل مافيه ، فتكونت منهم جيل فريد حمل راية الهدى ومشعل النور وخرجوا من بطحاء مكة إلى آفاق الدنيا كالبنيان المرصوص ، ينضم فيه الفرد المسلم لاتباع العروة الوثقى وحبل الله تنفيذًا لأمر الله تعالى:﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران :١٠٣] وسفهوا وألغوا كل صلة ورابطة لم يكن أساسها الدين وأقاموا موازين سامية في الحياة ، فلا نسب ولا قرابة ولا جنس ولا أرض ولا لون ولا عشيرة ، بل الدين وحده هو الميزان.قال تعالى:﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:١٣]

فالعلاقات الاجتماعية إنما تقوم على الإيمان والتقوى والعمل الصالح ، والولاء لأهل الإيمان والبراء من أهل الشرك والخذلان .

بهذه المفاهيم والقيم تحولوا من رعاة للغنم إلى قادة للأمم وأصبحوا أساتذة الدنيا ورواد الفضيلة فسعدت الدنيا في ظل حكمهم ؛ لأنهم حملوا الخير إلى البشرية كافة،وحاربوا

---

١- أسباب النزول ، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ،ط١ ، ١٩٨٣م،دار ومكتبة الهلال - بيروت ص(٢٩٦)، وينظر : تفسير ابن كثير(٣٣٠/٤).

العصبية القبلية (القومية) التي قال عنها الرسول ﷺ :(دعوها فإنها منتنة)[1] فالكل تحت راية لا إله إلا الله سواسية لقوله ﷺ (لاَ فَضْلَ لعربي على أعجمي ولاَ لعجمي على عربي ولاَ لأحْمَرَ على أَسْوَدَ ولاَ أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إلاَّ بالتَّقْوَى) .[2]

وهذا أبو لهب عم رسول الله ﷺ لم تنفعه قرابته من رسول الله ﷺ ولم يرفعه نسبه عن عقاب الله وعظم جزاءه عندما أعرض عن الهدى فأنزل الله فيه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة يعلن عن سقوطه وعظيم جرمه وخسارته قال ﷻ :﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ [المسد:١،٣]

وإنما كانت تلك المواقف الثابتة للصحابة الكرام؛ لأنهم وقفوا على الأحداث والوقائع بأنفسهم وفقهوا القرآن العظيم وتدبروا معانيه عندما أخبر سبحانه أنه لا يوجد مؤمن يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم (ولا يوجد مؤمن يواد كافرا ؛ فمن واد كافرا فليس بمؤمن).[3]

فهؤلاء كتب الله في قلوبهم الإيمان وقواهم ببرهان منه ونور وهدى في الدنيا فاستحقوا الثواب والوعد بدخول جنات النعيم خالدين فيها ورضي عنهم وعن فعلهم بطاعتهم إياه في موالاتهم لأوليائه ومعاداتهم لأعدائه.[4]

فالآية-أي آية المجادلة- تنفي الإيمان عمن يوالي من عادى الله وتمتدح من والى في الله وعادى في الله وكان من حزب الله المفلحين.

ثم تأتي الآيات في سورة التوبة بالنهي الصريح عن موالاة أهل الكفر وإن كانوا آباءهم أو إخوانهم فيقول تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(١٨٦١/٤)كتاب المغازي،باب:قوله تعالى:(سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم)(٤٦٢٢)،ومسلم في صحيحه(١٩٩٨/٤)كتاب:البر والصلة،باب:نصر الأخ ظالما أو مظلوما،رقم (٢٥٨٤).

٢- أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده(٤١١/٥)وابن المبارك في مسنده (١٤٦/١)برقم(٢٣٩) وقال الوادعي في الصحيح المسند(١٥٣٦):صحيح برقم(٣٠٤٣٨).

٣- اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية(٥٥١/١).

٤- ينظر :جامع البيان لابن جرير الطبري(٢٦/٢٨،٢٧).

إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣]

وتتجلى في هذه الآية صورة من صور **اعتزال الشرك المتمثل** في **الآباء والأخوة** الـذين استحبوا الكفر على الإيمان.

ففي الآية أمر من الله بمباينة الكفار وإن كانوا من أقرب الأقربين،و ى ع ـن م ـواد م وموالا م إذا اختاروا الكفر على الإيمان وحادوا الله ورسوله.(١)

وهذا الحكم عام في أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة وليس خاصا بمن وردت فـيهم الآيـة يقول القرطبي: (وظاهر هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣] أ ا خطاب لجميع المؤمنين كافة وهي باقية الحكم إلى يوم القيامـة في قطـع الولايـة بـين المـؤمنين والكافرين).(٢)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله سبحانه وتعالى :﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

(هو مشرك مثلهم؛ لأن من رضي بالشرك فهو مشرك).(٣) وقد سمى الله تعالى الشـرك ظلما فقـ ـ ـال:﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [لقمان:١٣]

ثم يقول تعالى في نفس سورة التوبة :﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]

ويهدد الله عز وجل بعقاب منه وإهلاك لمن يؤثر محبة هذه الأصناف الثمانية على محبة الله ورسوله

١- ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٣٠/٤).
٢- الجـامع لأحكـام القـرآن ،تحقيـق:عبـد الـرزاق المهدي،بـدون ط،١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م،دار الكتـاب العربي،بيروت،(٨٦/٨).
٣- المصدر السابق نفسه (٨٦/٨).

وجهاد في سبيله(فدلت الآية على أن محبة هؤلاء وإن كانت من غير محبة العبادة إذ فُضـلت على محبة الله صارت سببا للعقوبة).(١)

وقد جمع الله في هذه الآيه جميع الأعذار التي يعتذر  ا من ترك الهجرة و( سد على الناس باب الاعتذار  ا وجعل من ترك الهجرة لأجلها أو لأجل واحد منها فاسقًا لقوله :﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾

فإذا كانت مكة هي أشرف بقاع الأرض وقد أوجب الله الهجرة منها ولم يجعل محبتـها عذرا فكيف بغيرها من البلدان).(٢)

(فالذي يعتذر بوطنه أوعشيرته أوماله ،ويدعي أنه يكون بذلك مستضـعفًا كـاذب في دعواه ، وعذره غير مقبول عند الله تعالى ، ولا عند رسوله ، ولا عند أهل العلم بشـريعة الله).(٣)

(فإذا كان الله قد نفى الإيمان عمن واد أباه وأخاه وعشيرته إذا كانوا محادين الله ورسوله فمن واد الكفار الأبعدين عنه ، فهو أولى بأن لا يكون مؤمنا)(٤)

**موقف خليل الرحمن إبراهيم** عليه السلام حين أبغض ما كان عليه أبوه وقومه وعاداهما في الله بعد أن استنفذ جميع الوسائل المتاحة والممكنة مع أبيه حيـث قـال سبحانه وتعالى :﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ

---

١- القول المفيد ،محمد صالح العثيمين(١٨٠/٢).

٢- الدفاع عن أهل السنة والاتباع،حمد بن علي بن عتيق،ضمن سلسلة عيون الرسـائل والمسـائل رقـم(٦)،ط٤، ١٤١٠هـ، مكتبة الهداية- الرياض، ص(١٤).

٣- الرسالة الثانية عشرة (بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين) للشيخ حمد بن عتيق ص (٧٣) ضـمن مجموعـة التوحيد ص (٤٢٧).

٤- المرجع السابق نفسه ص (٣٠) ضمن مجموعة التوحيد ص (٣٨٤).

وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُو

رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ٤٨ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ٤٩ ﴾ [مريم :٤١، ٤٩] **مؤصلاً بذلك العديد من القواعد الدعوية والعقدية :**

فبادره **أولاً** :بالنداء اللطيف والمحبب لكل أب قائلاً: (يا أبت) ترفقًا به وشفقة عليه مما سيصيبه إذا خالف المنهج الرباني الذي جاء به ويظل يكررها عدة مرات حرصا على نصحه ونجاته .

**ثانيا** : الكشف عن البراهين الدالة على بطلان عبادة مايعبده أبوه وقومه من الأصنام وأنها تفتقد صفات الألوهية من السمع والبصر والنفع والضر فوصفها قائلاً :﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم:٤٢]

فإنه يلزم من اتصافها بالنقص عدم ثبوت صفات الكمال لها ، ومن سلب صفات الكمال فإن ذلك يقتضي بالضرورة انتفاء الألوهية عنه.[1]

كما اعتمد عليه السلام أسلوب المناظرة مع أبيه وقومه فقال تعالى حاكيا عنه :﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ٧٠ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ٧٣ ﴾ [الشعراء: ٧٠،٧٣]

فلجأوا إلى الحيدة وهي سبيلهم الوحيد للخروج من المأزق لأنهم صاروا بين أمرين :

- إما أن يقولوا بالإيجاب :نعم يسمعوننا حين ندعو وينفعوننا ويضروننا فيشهد عليهم بلغة قومهم أنهم قد كذبوا.
- أو يقولوا بالنفي:لا يسمعوننا حين ندعو ولا ينفعوننا ولا يضروننا فينفوا عن آلهتهم القدرة، فتظهر حجة إبراهيم عليهم.

---

١- ينظر: المعرفة في الإسلام، مصادرها ومجالاتها ،عبدالله بن محمد القرني،ط١، ١٤١٩هـ - دار عالم الفوائد- مكة المكرمة.ص(٥٥٤،٥٥٥).

فلما أدركوا أن أيا من الأمرين لا يصلح جوابا يخلصهم، وأن الحجة لإبـراهيم عليه السلام في أي القولين حادوا عن الجواب واجتلبوا كلاما من غير ما سألهم عنه فـ ﴿ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[الشعراء:٧٤]

وهذا ليس جواب إبراهيم وإنما حيدة وانقطاع).[١]

**ثالثًا** :الإشارة إلى ماميزه الله به من النبوة والرسالة بقولـه:﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم:٤٣]

فإن نبي الله إبراهيم عليه السلام قد جاءه من العلم وتوافر الأدلة مالم يصل إلى أبيه الذي نفـى معبود إبراهيم وإلهه لعدم قيام الدليل عنده،ومن هنا كان من قواعد أهل السنة والجماعة في الرد على المخالفين ودحض شبههم ( أن عدم العلم بالدليل ليس علما بالعدم ).[٢]

فمن نفى كثيرا من الغيبيات كالصفات والقدر والملائكة والجن وأحوال البرزخ والمعاد، لعدم قيام دليل الحس والمشاهدة ،أو دليل العقل-كما يزعم-كان مغالطًا،لأنه أخـبر عـن نفسه،ولايمنع أن يكون غيره قد قام عنده دليل العقل ،أو دليل السمع ،أو دليل المشاهدة.[٣]

كما تم التنبيه في الآية إلى قضية العلم وأن للأنبياء والعلماء من بعدهم هدايـة الدلالـة والإرشاد فهو حريص على نصحه وهدايته وتبصيره هدى الطريق المستوي الذي لا ضـلال فيه إن لزمه وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه.

**رابعا** : يحذر من عدم اتباعه وأن مخالفته إنما هي عبادة للشيطان ،وعبر عنها بذلك لأنـه رأس الطواغيت وأولها ،وكل معبود سوى الله إنما كان بوسوسة من الشيطان ودعوته ومن ذلك قوله جل جلاله :﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٠] فهي وصية من الله لعباده وأمر بعدم عبادة الشيطان وأن عبادته هي طاعته

---

١- الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ،عبدالعزيز المكي،تحقيق:علي محمد الفقيهي ،ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م،مكتبة العلوم والحكم،المدينة النبوية. ص (٤٤،٤٥)بتصرف يسير.

٢- الرد على المنطقيين للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية،ط٣، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، إدارة ترجمان السنة - لاهور،باكستان،ومكتبة الحرمين- الرياض، ص(١٠٠).

٣- ينظر: المصدر السابق نفسه ص(١٠٠).

في معصية الله ،كما يخبر سبحانه أن إخلاص عبادته وإفراد طاعته ومعصية الشيطان هو الدين الصحيح والطريق المستقيم.(١)

**خامسا** :بيان عاقبة عبادة الشيطان لذا عقب بقوله:﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيًّا﴾

فإنه يعلم يقينا أن أباه إن مات على عبادة الشيطان سيمسه عذاب الله ويكون وليا للشيطان ،وهكذا يتبين أن معصية الله وطاعة الشيطان تستلزم البراءة منه لانتمائه إلى حزب الشيطان.

ولنا هنا أن نتأمل **بعض الدروس المستفادة** من قصة الخليل إبراهيم مع أبيه المشرك والأسباب التي يبذلها الداعية إلى الله قبل أن يتخذ قرار الاعتزال ومنها :

**١.مراعاة الأولويات والتدرج** في **الدعوة من حيث:**

**أ- الأفراد :** فتكون دعوة الأقرب فالأقرب فإن إبراهيم بدأ بدعوة أبيه أولا ثم بقية قومه، وهذا ماينبغي أن يكون عليه كل مسلم ومن باب أولى الداعية بأن يبدأ بأفراد أسرته من أم وأب وزوجة وولد وهكذا حتى تتسع الدائرة لكل المقربين ثم ينتقل إلى غيرهم ممن هم في محيط عمله ومجتمعه على كافة مستوياتهم.

**ب- مضمون الدعوة:** بأن يبدأ بالدعوة أولا إلى كلمة التوحيد وهذا منهج الأنبياء فكلهم دعا إلى دين الله الواحد الذي لادين سواه قال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]

وهو المشروع على ألسنة جميع الأنبياء فقال تعالى:﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١٣]

ولذا كان أول ما يدعو إليه رسل الله هو عبادته وحده سبحانه فكلهم ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥]

---

١- ينظر: جامع البيان لابن جرير الطبري (٢٣/٢٣).

ومن السنة ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن، قال له: (إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله (وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله)، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). [1]

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (إن الله عز وجل أرسل رسله وأنزل كتبه، وخلق السموات والأرض ليُعرف ويعبد ويوحد ويكون الدين كله له، والطاعة كلها له، والدعوة له لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الحجر:٨٥]

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:١٢])[2]

(فإن تحقيق الألوهية لله وتوحيده، وزوال الشرك من الأرض، وتحقيق فطرية الإقرار بالله ومحبته وتعظيمه هو مقصود الدعوة إلى الله وأصلها وحقيقتها).[3]

**٢.اختيار الأسلوب الأمثل** في **الدعوة** والألفاظ المحببة للنفس التي تلامس شغاف القلب وتشعر المدعو بالشفقة والمحبة والرغبة في الخير له. قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥]

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(١٥٧٨/٤)كتاب:المغازي،باب:بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن رقم(٤٠٩٠)،ومسلم(٥٠/١)كتاب:الإيمان،باب: الدعاء إلى الشهادتين رقم(١٩).
٢- الجواب الكافي ص(٨٩،٨٨).
٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦٤،١٦٣/١٥)بتصرف.

**٣.الكشف عن الشبهات والأباطيل** وتجريدها وبيان حقيقتها الشرعية المطابقة لنصوص الكتاب والسنة ،وتسميتها بأسمائها الصحيحة وكشف الزيف والتلاعب بالألفاظ.

**٤. بيان بطلان هذه الشبهات** والأباطيل بالأدلة النقلية والعقلية.

**٥. مناظرة الخصم** والوصول به إلى أحد ثلاث لا رابع لها ؛الإقرار أو الإنكار،أو الحيدة؛

أما الإقرار فإنه أفضلها وهو مقصود الداعية وغايته.

وأما الإنكار: فإنه إذا تبين الحق ،(وكان المناظر معاندا يظهر له الحق فلا يقبله، ويجـادل بعدما تبين علمه أو طريق عمله فقد غالط شرعا وعقلاً ،وكانت مناظرته من باب العبـث ولا يلتفت إلى معارضاته لأنه يشبه المكابر المنكر للمحسوسات، فالأمم كلهم متفقون على أن المناظرة إذا انتهت إلى مقدمات معروفة ،بينة بنفسها ،ضرورية ،وجحدها الخصم كـان سوفسطائيا ،فينهى عن مناظرته ولم يؤمر ا بعد ذلك).[1]

وأما الحيدة عن الجواب: فهي ضرب من الانقطاع فقوم إبراهيم أجابوا بغير مـا سـئلوا عنه،وهذا دليل على عجزهم وبطلان دعواهم.

**٦. ضرورة اتصاف الداعية بالعلم** بالكتاب والسنة والقدرة على استنباط قواعدهما في الرد على المخالفين وكيفية دحض شبها م وذلك من قصص الأنبياء ومنهجهم في التعامـل مع مخالفيهم.

**٧. علم الداعية بحدود دعوته في الهداية،** وأن ذلك مقتصر على هداية الدلالة والإرشاد فقط كما قال تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾. [المائـدة:٩٩]،أما هداية الإلهام والتوفيق فهي خاصة بالله تعالى يشهد لذلك قوله تعالى:﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾م[القصص:٥٦]

وهذا ماكان من شأن آزر والد النبي الكريم إبراهيم عليه السلام ،وأبي طالب عم رسول الله ﷺ

---

١- درء تعارض العقل والنقل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم، بدون بيانات الطبـع (١٧٤/٧) بتصرف يسير، وينظر: القواعد الحسان للسعدي،ط١،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م،دار الصميعي ،الرياض. القاعـدة(٥٢)ص (١٧٤،١٧٣)

فكل الجهود التي بذلت معهما لم تفلح في هدايتهما، بل كانت النتيجة أن يأتي الرد من أبيه بعدم الاستجابة فـ ـ : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [مريم:٤٦] كما قيل لنوح:﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ [الشعراء:١١٦] فلم يكن هناك بدا من المقاطعة والاعتزال والتي ذُكرت في موضع آخر بلفظة الهجرة فقال تعالى عن الخليل إبراهيم عليه السلام:( وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ) [العنكبوت :٢٦] أي ( إني مهاجر دار قومي إلى ربي إلى الشام).[١]

فهجر دياره وقومه المشركين هربا بدينه وخوفًا على نفسه من الإيذاء البدني، وابتغاء مرضاة ربه،واستعدادا لنشر هذا الدين في مكان آخر ، فجاءت الهجرة كـإجراء ـائي في التعامل مع هؤلاء ، وهذا ماكان من فعل نبينا محمد ﷺ وصحابته وأمته من بعده عند الخوف على الدين والنفس .

## أنواع السفر:

لقد صنف أهل العلم ( **السفر إلى ضربين** : هرب وطلب.

فأما **الهرب**:فهو الخروج من دار الحرب[٢]إلى دار السلام،والخروج من دار البدعة،والخروج من أرض غلب عليها الحرام ، والفرار من الأذية في البدن أو الأهل أو المال .

وأما **الطلب** :فسفر العبرة وهو ندب وسفر الحج وهو فرض وسفر الجهاد وله حكمه وسفر المعاش للتجارة أو نحوها والسفر لقصد البقاع الكريمة؛ وهي إما أحد المساجد الثلاثة وإما مواضع الرباط والسفر لطلب العلم ولزيارة الإخوان ولقاء الصالحين)[٣] الأحياء منهم والاستفادة من علومهم وأخبارهم.

---

١- جامع البيان ،لابن جرير الطبري (١٤٢/٢٠).

٢- دار الحرب : مصطلح أطلقه الفقهاء على بلاد المشركين الذين لاصلح بينهم وبين المسلمين ، وقيل كل بقعة تكون أحكام الكفر فيها ظاهرة.

ينظر: موسوعة الأديان الميسرة،أحمد راتب عرموش وآخرون ،ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م،دار النفائس بيروت – لبنان، ص(٢٣٧).

٣- القوانين الفقهية، محمد أحمد بن جزي الغرناطي، تحقيق:عبد الكريم الفضيلي،ط١، ١٤٢٠هـ ـ،٢٠٠٠ م، المكتبة العصرية ،صيدا –بيروت،(٤٥٧/١ ).

**ومن أنواع سفر الهرب السفر من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام وهو ما يعبر عنـه في التشريع الإسلامي بالهجرة.**

والهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فريضة قائمة إلى يوم القيامة للنصوص التالية:

- قال ﷻ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١]

- وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾. [المائدة :٥٧]

وقـــال ﷻ :﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١ ﴾ [المائدة: ٨٠،٨١]

وقال ﷻ :﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴾. [النساء:٨٩]

( فهذه الآيات القرآنية تنص على تحريم الموالاة الكفرية... بل تتعاضد هذه النصـوص القرآنية والأحاديث النبوية والإجماعات القطعية على هذا النهي ،فلا تجد في تحـريم هـذه الإقامة وهذه الموالاة الكفرية مخالفاً من أهل القبلة المتمسكين بالكتاب العزيز الذي لايأتيـه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تـ يل من حكيم حميد). [(١)]

فهو تحريم مقطوع به من الدين وكبيرة من كبائر الذنوب ، ترتب عليه ذم من كان قادراً على الهجـرة ولم يهاجر وعدم قبول عذره وتوعده بالعقوبة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ

---

١- ينظر: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، لأحمد بن يحيـي الونشريسـي ،١٤٠١هـ ١٩٨١م،دار الغرب الإسلامي- بيروت،(١٢٣/٢).

﴿ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[النساء :٩٧]

فالظالمون لأنفسهم في هذه الآية هم التاركون للهجرة مع القدرة عليها حسبما تضمنه قوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ﴾ فظلمهم أنفسهم إنما كان بتركها الإقامة مع الكفار وتكثير سوادهم .

قال السيوطي في تفسير ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ (بالمقام مع الكفار وترك الهجرة).[(١)]

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-:( وهذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من إقامة الدين ، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع)[(٢)].

ولا يسقط هذه الهجرة الواجبة إلا العجز عنها بكل وجه وحال ، فلا الوطن ولا المال تحول دون الهجرة إلى الله فذلك كله ملغي في نظر الشرع وهذا العجز يتبين في قوله ﷻ :﴿ لاَ يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهۡتَدُونَ سَبِيلاً﴾ فهذا الاستضعاف المعفو عمن اتصف به في قوله:﴿إِلاَّ ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ غير الاستضعاف المعتذر به في أول الآية وصدرها وقول ظالمي أنفسهم: ﴿كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

فإن الله تعالى لم يقبل قولهم في الاعتذار به، فدل على أنهم كانوا قادرين على الهجرة من وجه ما ،وعفا عن الاستضعاف الذي لا يستطاع معه حيلة ولا يهتدي به سبيل.[(٣)] بقوله:﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ (فيتفضل عليهم بالصفح عنهم في تركهم الهجرة إذ لم يتركوها اختيارا ولا إيثارا منهم لدار الكفر على دار الإسلام ولكن للعجز الذي هم فيه)[(٤)]

---

١- تفسير الجلالين محمد بن أحمد ، عبدالرحمن بن أبي بكر المحلي ، السيوطي ،ط١، دار الحديث القاهرة. (١١٩/١).

٢- تفسير القرآن العظيم (٥٤٣/١).

٣– ينظر: المعيار المعرب، لأحمد الونشريسي (١٢١/٢).

٤- جامع البيان ،لابن جرير الطبري (٢٣٣/٥).

(فالمستضعف المعاقب في صدر الآية هو القادر من وجه ، والمستضعف المعفـو عنـه في آخرها هو العاجز من كل وجه .فإذا عجز المبتلى بهذه الإقامة عن الفرار بدينه ولم يسـتطع سبيلاً إليه ولا ظهرت له حيلة ولا قدر عليها بوجه ولا حال ، أوكان بمثابة المقعد أو المأسور أو كان مريضا جدا أو ضعيفًا جدا فحينئذ يرجى له العفو ويصير بمثابة المكره على الـتلفظ بالكفر ،ومع هذا لا بد أن تكون له نية قائمة وعزم صادق أنه لو قدر وتمكن لهاجر .

وأما المستطيع بأي وجه كان وبأي حيلة تمكنت فهو غير معذور وظالم لنفسه إن أقـام حسبما تضمنته الآيات والأحاديث الواردة).[1]

**مفهوم الهجرة عند المسلمين الأوائل:**

وهذا المعنى فهمه المسلمون الأوائل عند الهجرة من مكة إلى المدينة (وكتبوا بها إلى مـن بمكة مسلم فقال جندب بن ضمرة الجندعي[2] : لا عذر لي ولا حجـة في مقـامي بمكـة ،وكان مريضا فقال لأهله:اخرجوا بي لعلي أجد روحا.قالوا:أي وجه أحب إليك ؟ قال:نحو التنعيم .قال :فخرجوا به إلى التنعيم[3]فقال :اللهم إني خرجت إليك مهاجرا. فأنزل الله ﷻ فيه:﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[النساء: ١٠٠]فلما رأى ذلك من كان بمكة ممن يطيق الخروج خرجوا).[4]

كما جاءت الأحاديث في البراءة ممن أقام بين المشركين وتحريم هذه الإقامة فقد ثبت من حديث جرير بن عبد الله ﵁ ( أن النبي ﷺ بعث سرية إلى خثعم فاعتصم ناس بالسـجود فأسرع فيهم القتل وبلغ ذلك النبي فأمر لهم بنصف العقل وقال: ( أنا بـريء من كـل مسلـم

١- المعيار المعرب، لأحمد الونشريسي، (١٢١/٢، ١٢٤)بتصرف.

٢- هو جندب بن ضمرة بن أبي العاص الجندعي الضمري أو الليثي وقيل اسمه جندع كان رجلا مسلما فاستبطأ وقال لبنيه أخرجوني من مكة فخرج مهاجرا فمات في الطريق.

ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر(٢٥٧/١)، الإصابة لابن حجر(٥١٥/١).

٣ - موضع بمكة في الحل وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة وقيل على أربعة.

ينظر: معجم البلدان،ياقوت الحموي (٤٩/٢).

٤- كتاب المغازي للواقدي، تحقيق مارسدن جـونس ،ط٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، عـالم الكتـب - بـيروت. (٧٣/١)

يقيم بين أظهر المشركين قالوا :يا رسول الله ولم .قال: لا تراءى ناراهما )).[1]

كما ثبت من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ (لا يقبل الله من مشرك أشرك بعد ما أسلم عملا حتى يفارق المشركين إلى المسلمين ) .[2]

(وفي السيرة:أن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما وصل إلى العرض في مسيره إلى أهل اليمامة لما ارتدوا ،قدم مائتي فارس وقال :من أصبتم من الناس فخذوه فأخذوا مجاعة[3]في ثلاثة وعشرين من قومه ،فلما وصل خالد قال له : ياخالد لقد علمت أني قدمت على رسول الله في حياته فبايعته على الإسلام ،وأنا اليوم على ماكنت عليه أمس ،فإن يك كذابا قد خرج فينا ،فإن الله يقول:﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام:١٦٤]فقال مجاعة تركت اليوم ما كنت عليه أمس ،وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه وأنت أعز أهل اليمامة – وقد بلغك مسيري- لإقرار له ورضاء بما جاء به ،فهلا أبديت عذرا وتكلمت فيمن تكلم؟ فقد تكلم ثمامة[4]فرد وأنكر وتكلم اليشكري فإن قلت :أخاف قومي ،فهلا عمدت إلي أو بعثت إلي رسولاً فقال :إن رأيت يا ابن المغيرة أن تعفو عن هذا كله فقال :قد عفوت عن دمك ،ولكن في نفسي حرج من تركك ).[5]

قال إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس :( إن آية الهجرة تعطي أن كل مسلم ينبغي أن يخرج من البلاد التي تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق فضلاً عن الخروج

---

١- سبق تخريجه ص(١٩٣)

٢- أخرجه ابن ماجه في سننه(٨٤٨/٢)كتاب الحدود،باب:المرتد عن دينه،وقال الألباني في صحيح ابن ماجه(٢٠٧١):حسن رقم(٤٧١١٤).وأحمد في مسنده (٤/٥) رقم (٢٠٠٥٥).

٣- هو مجاعة بن مرارة بن سلمى الحنفي اليمامي كان من رؤساء بني حنيفة ،أسلم ووفد على النبي وله صحبة،كان بليغا حكيما ،له أخبار مع خالد بن الوليد في الردة وممن أُسر يوم اليمامة ،قيل إنه عاش إلى خلافة معاوية . ينظر: تهذيب الكمال للمزي(٢١٨/٢٧)،الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر(٤٢/٦).

٤- ذكر ابن إسحاق أن ثمامة ثبت على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي. ينظر: الإصابة (٢١١/١).

٥- الرسالة الثانية عشرة( النجاة والفكاك) ص(٧٠)،لابن عتيق، ضمن مجموعة التوحيد ص(٤٢٢،٤٢٣).

والفرار من بلاد الكفرة وبقاع الفجرة).[1]

فإذا وجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة هجرة من أسلم بدار كفر منها وإن كانت له موطنا ومستقرا ،وكان فيه أهله وذووه ،وعمله وماله ومصالحه ،فما بالك بمن عكس الأمر وانتقل من دار الإسلام إلى دار الكفر.

**الهجرة العكسية :**

وهي الهجرة من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر ،وهذه الهجرة من البـدع الحادثـة ،إذ لم يتحدث عنها فقهاء الإسلام السابقون ،لأ ا لم تحدث في وقتهم ،ولم تدر بخلدهم فيفترضوها كما افترضوا كثيرا من المسائل وبينوا حكم الشرع فيها،كما لم يتصـوروا وقوعهـا مـن المسلمين الذين يدركون خطورة هذا المسلك وعواقبه الوخيمة على النفس والزوجة والولد والذرية من بعد .

وكيف يدور بخلد أحد من السلف الصالح أن يهاجر المسلم عن طواعية واختيار ، بـل ويسابق وينافس في ذلك من ديارالإسلام التي تنتشر فيها مظاهر الإسـلام ،مـن إعـلان للأذان،وصلة للأرحام ،وأمرٍ بالمعروف،و ي عن المنكر، إلى ديار الكفر حيث يدعى فيهـا بالتثليث،وتضرب فيها النواقيس،ويعبد فيها الشيطان ،ويكفر فيه علنا بالرحمن ،وتنتشر فيها الرذيلة،وتنعدم فيها الفضيلة.

وإذا كان الله تعالى قد افترض الهجرة على المسلمين من ديارهم وهي دار كفر حفظًـا لدينهم وحماية لعقيد م التي تتحقق ا نجا م وسعاد م في الدنيا والآخرة، فكيف تكـون الهجرة إلى بلد يفسد به الدين وتمحى معالمه .

وقد هاجر جماعة من الصحابة وأكابرهم ﷺ إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة فرارا بدينهم من أذى المشركين فهؤلاء هجروا أوطا م وأحب بقاع الأرض إلى الله (مكـة)وهجـروا أموالهم وأولاهم وآباءهم ونبذوهم وقاتلوهم وحاربوهم تمسكًا بدينهم ورفضا لدنياهم .

---

١- المعيار المعرب ،أحمد الونشريسي (١٤١/٢).

وللإمام أحمد بن يحيي الونشريسي[1] رسالة بعنوان " أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر" أجاب فيها عن سؤال في جماعة من أهل الأندلس هاجروا إلى المغرب بعد استيلاء الكفار عليها ،ولكن بعضهم ندم على الهجرة وعزم على الرجوع إلى ديار الكفر، فأجاب بوجوب الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ونقل إجماع العلماء في ذلك ثم قال :(وإنما خص من تقدم من أئمة الهدى المقتدى بهم الكلام بصورة من أسلم ولم يهاجر ،لأن هذه الموالاة كانت مفقودة في صدر الإسلام وعزته ،ولم تحدث على ما قيل إلا بعد مضي مئات السنين ،وبعد انقراض أئمة الأمصار المجتهدين فلذلك لا شك لم يتعرض لأحكامها الفقهية أحد منهم ،ثم لما نبغت هذه المرة الموالاة النصرانية في المائة الخامسة وما بعدها من تاريخ الهجرة ...سئل عنها بعض الفقهاء واستفهموا عن الأحكام الفقهية المتعلقة بمرتكبها فأجاب:بأن أحكامهم جارية على أحكام من أسلم ولم يهاجر ،وألحقوا هؤلاء المسئول عنهم والمسكوت عن حكمهم بهم،وسووا بين الطائفتين في الأحكام الفقهية المتعلقة بأموالهم وأولادهم ولم يروا فيها فرقًا بين الفريقين ؛وذلك لأنهما في موالاة الأعداء ومساكنتهم ومداخلتهم وملابستهم وعدم مباينتهم وترك الهجرة الواجبة عليهم والفرار منهم وسائر الأسباب الموجبة لهذه الأحكام المسكوت عنها في الصورة المسئول عن فرضها بمثابة واحدة ،فألحقوا الأحكام المسكوت عنها في هؤلاء المسكوت عنهم بالأحكام المتفقة فيها في أولئك،فصار اجتهاد المتأخرين في هذا مجرد إلحاق المسكوت عنه بمنطوق به مساو له في المعنى من كل وجه).[2]

فما المسوغ لهجرة المسلمين اليوم من بلادهم بلاد الإسلام التي تضم الآباء والأمهات،والأبناء والزوجات،والعمل والمال والمصالح الدينية والدنيوية إلى بلاد الكفر.

وبذلك انتفى عن هذه الهجرة أن تندرج تحت سفر الهرب ، بل هي معاكسة لها ، متوفر فيها دواعي الهجرة التي تستلزم مفارقة المكان ولو كان وطنا أصليا للإنسان.

---

١- أبو العباس:فقيه مالكي من علماء تلمسان من كتبه "إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك"و"القواعد"والفائق في الأحكام والوثائق". ينظر: الأعلام للزركلي(٢٥٥/١).

٢- المعيار المعرب لأحمد الونشريسي (١٢٥/٢) بتصرف يسير.

بناء على ذلك فإن هذه الهجرة حدثت دون مسوغ شرعي، وتكون أشـد خطـرا إذا تضمنت طلب الحصول على الجنسية بحيث يصبح الفرد المسلم أحد أفرادها التي تجري عليه أحكام أهل الكفر مما يقتضي ظـهور شعائر الكفر ، ودنو وخفاء شهادة الحق ، والـذل والإهانة لشعائر الإسلام ، والإذلال لأهله وكفى في هذا المقام قوله ﷺ (لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه)[1]،وقال : (اليد العليا خير من اليد السفلى ) .[2]

( وقد روي أن عمر بن عبد العزيز ى عن الإقامة بجزيرة الأندلس مع أ ا كانـت في ذلك الوقت رباطًا لا يجهل فضله ،ومع ماكان المسلمون عليه من القوة والظهـور ووفـور العدد والعدد،لكن مع ذلك ى عنه خليفة الوقت المتفق علـى فضـله ودينـه وصـلاحه ونصيحته لرعيته خوف التغرير ،فكيف بمن ألقى نفسه وأهله وأولاده بأيديهم عند قـو م وظهورهم وكثرة عددهم ووفور عددهم).[3]

## الحصول على الجنسية من الدول الكافرة :

لقد صدرت فتوى رقم (٢٣٩٣) في حكم التجنس بجنسية بلاد حكومتها كافرة وأنـه( لا يجوز لمسلم أن يتجنس بجنسية بلاد حكومتها كافرة لأن ذلك وسيلة إلى موالا م والموافقة على ماهم عليه من الباطل ،أما الإقامة بدون أخذ الجنسية فالأصل فيها المنع لقولـه تعـالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء :٩٧]

ولقول النبي ﷺ : (أنـــا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا : يارسول الله

---

١- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٠٥/5) رقم (٢٣٤٩١) مسـند حذيفـة قـال أحمـد شـاكر في عمـدة التفسير(٧١٦/١):إسناده صحيح برقم (١٩٤٠٦٢).

٢- أخرجـه البخـاري في صـحيحه(٥١٨/٢، ٥١٩)كتـاب:الزكاة،بـاب:لا صـدقة إلا عـن ظهـر غـنى رقم(١٣٦١)(١٣٦٢)و(٥٣٥/٢) رقم (١٤٠٣)،وأخرجه مسلم في صحيحه(٧١٧/٢)كتاب :الزكاة،باب:بيـان أن اليد العليا....رقم (١٠٣٣).

٣- المعيار المعرب، للونشريسي (١٤٠/٢).

وسلم .قال: لا تتراءى ناراهما ) .[1]

(ولإجماع المسلمين على وجوب الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام مع الاستطاعة).[2]

ولا يعني ذلك منع السفر بإطلاق، فالسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي حافل بوقائع لأعيان وجماعات مارست السفر من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر في ظل ضوابط وظروف خاصة تتضح فيما يلي من **الشروط** التي **ينبغي توفرها فيمن أراد السفر** إلى **بلاد الكفر** :

**١. العلم** : بأن يكون عنده علم يدفع به الشبهات التي يوردو ا في الدين والرسول والقرآن العظيم وفي الأخلاق ونحو ذلك؛ ليصلوا بالفرد إلى الشك المنافي لليقين وهو أحد شروط لا إله إلا الله التي لا تتم إلا به.

**٢. الدين** : بأن يكون عنده دين يحميه و يعصمه من الشهوات قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران :١٤]

**٣. الضرورة والمصلحة** : بأن يكون محتاجا للسفر مضطرا إليه مثل :المريض وطالب العلم.أو يكون محققا لمصلحة في الدين للأمة عامة كالسفر للدعوة ،أو مصلحة في المعاش للفرد خاصة كالتجارة. [3]

**- السفر للدعوة :**

قال تعالى :﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾.[النحل:١٢٥]

---

١- سبق تخريجه ص (١٩٣).

٢ - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (قسم العقيدة)،جمع وترتيب أحمد الدويش (٦٩/٢)كما أفادت الفتوى رقم (٦٥٨٢)ورقم(٨٠٧٣) نفس المعنى .

٣- ينظر : مجموع الفتاوى ، محمد صالح العثيمين (٤٩/١،٥٠).

فليس أمر الدعوة موكلاً إلى الأنبياء والرسل وحدهم أو إلى خلفائهم بل هو عام لكل مسلم لقوله ﷺ : (بلغوا عني ولو آية) .[1]

ومن هديه ﷺ مكاتبة الملوك والأمراء ودعوتهم إلى الإسلام ،وذلك بإرسال أصحابه إلى ديار الكفر لتبليغ الدعوة فذهبوا إلى هرقل وكسرى والمقوقس والنجاشي وغيرهم ، ومن ذلك إرساله معاذ بن جبل إلى اليمن قائلاً : (إنك ستأتي قومًا أهل كتاب . . .الحديث)[2] مما يدل على أن رسله سافروا إلى بلاد الكفر للدعوة .

كما تدل حادثة الرجيع وبئر معونة[3]على مشاركة جميع المسلمين في مسئولية الدعوة إلى الإسلام وتبصيرهم بحقيقة الإسلام وأحكامه ،وأن الدعوة تعد مسوغًا شرعيا للسفر إلى بلاد الكفر.

وقد صرح أهل العلم بالنهي عن السفر إلى بلاد الكفر والتحذير منه والإجماع على ذلك إلا (من أقام بينهم من أهل العلم والبصيرة في الدين لإبلاغهم دين الإسلام ودعوتهم فلا حرج عليه إذا لم يخش الفتنة في دينه وكان يرجو التأثير فيهم وهدايتهم)[4]
وبذلك يكون السفر إلى بلاد الكفر للدعوة جائز لما فيه من مصلحة تعود على الأمة المسلمة كلها ،لاسيما أن كثيرا من عوام بلاد الكفر قد عمي عليهم الإسلام ولا يعرفون عنه شيئًا،كما أن وسائل الإعلام تتسابق في تشويه صورة الإسلام والمسلمين وتضللهم بتصويره دين وحشية وهمجية،وتخلف ورجعية،فينفرون من الإسلام ويكرهونه بما عرفوه من هذه الوسائل ويعادون أهله بما يسمعون من هذه الوسائل وبما يرونه من حال بعض المسلمين الذين أساؤا للإسلام وصورته .

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٧٥/٣)كتاب:الأنبياء،باب:ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٢٧٤).

٢- سبق تخريجه ص (٢١٩).

٣- ينظر: المغازي للواقدي(٩٨١/٣)،السيرة النبوية لابن هشام(٢٣٩،٢٣٥/٢)،زاد المعاد لابن القيم (٤٤٠،٢١٤/٣).

٤- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (قسم العقيدة)،جمع وترتيب أحمد الدويش (٦٩/٢).

وبذلك يتضح أن السفر للدعوة يستلزم عدة أمور منها :

١. أن يكون ذو علم وبصيرة في دين الإسلام.

٢. أن يكون قادرا على الرد على الشبهات مفندا لها بشكل علمي صحيح .

٣. أن يكون قادرا على الحوار والمناقشة والإقناع والتأثير .

٤. أن يكون محققًا للمصلحة التي سافر من أجلها.

٥. أن يكون حذرا من الشهوات دافعا لها بدينه فلا يفتتن بإذن الله.

**- السفر للتجارة :**

ويجوز السفر إلى بلاد المشركين للتجارة والمقام فيها بقدر الحاجة فقط يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :( وإذا سافر الرجل إلى دار الحرب ليشتري منها جاز ذلك ،كما دل عليه حديث أبي بكر ﷺ في حياة رسول الله ﷺ إلى أرض الشام وهي حينذاك دارحرب، وغير ذلك من الأحاديث...وذكر روايتين عن الإمام أحمد في حكم حمل التجارة إلى أرض الحرب : فقد يقال بيعها لهم في العيد كحملها إلى دار الحرب فإن حمل الثياب والطعام إلى أرض الحرب فيه إعانة على دينهم في الجملة وإذا منعنا منها إلى أرض الحرب فهنا أولى وأكثر أصوله ونصوصه تقتضي المنع ).[١]

**- السفر للاستشفاء :**

بأن يسافر الإنسان للاستشفاء وطلب العلاج ، يقول ابن تيمية: (وجاز أن يستطب المسلم الكافر إذا كان ثقة ،نص على ذلك الأئمة كأحمد وغيره ... إذ ذلك من قبول خبرهم فيما يعلمونه من أمر الدنيا وائتمان لهم على ذلك ،وهو جائز إذا لم يكن فيه مفسدة راجحة).[٢]

**- السفر طلبا للعلم :**

الإسلام دين العلم والمعرفة ، يتيح المجال للجميع ،ويشكر لأفراده التنافس فيه ،ولايحتكره

---

١- ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٢٩/١،٢٣٠).

٢- مجموع الفتاوى (١١٤/٤) بتصرف يسير.

في أفراده أو بين أفراده ،بل يحض على تلقي العلم النافع في جميع المجالات التي تخدم الحياة الإنسانية مالم تعارض القواعد والأصول العقدية والتشريعية ،ويدعم البحث العلمي والتأمل والتدبر في الآيات الشرعية و الكونية وصولاً إلى حقائق ومكتشفات علمية تسهم في رفعة البلاد الإسلامية وإثبات وجودها على خريطة العالم كقوة سياسية واقتصادية قادرة على مواجهة الدول الكافرة التي تمارس استخدام العلم الكوني في قهر دول الإسلام والسيطرة عليها وابتلاعها الواحدة بعد الأخرى .

ومن هذا المنطلق فإن الإسلام يبيح لأفراده الاستفادة من الكفار في العلوم التي برعوا فيها كعلم الرياضيات والكيماء والفيزياء والطب والصناعة والفلك وغير ذلك ، وهذا في حال فقدان العالم المسلم في هذه المجالات.

وتكون **الاستفادة من الكفار بطريقين** :

١. السفر إلى بلادهم والأخذ عن العلماء مباشرة -وهو موضوعنا- وأشار ابن تيمية إلى ذلك بقوله: ( مع السكنى في ديارهم ،ولبس ثيابهم وسلاحهم )[١]

٢. ويكون من خلال كتبهم (فأخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه، بل هذا أحسن،لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة ،وليس هناك حاجة إلى أحد منهم بالخيانة ،بل هي مجرد انتفاع بآثارهم كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك)[٢].

**- السفر إلى بلاد الكفر للتنزه والسياحة :**

أما السفر إلى بلاد الكفر للتنزه والسياحة فلا يوجد لذلك مسوغ شرعي من مصالح دينية كالدعوة أو مصالح دنيوية من علم أو تجارة أو علاج .

وقد سئل ابن تيمية عن سفر صاحب العيال فأجاب-رحمه الله- قائلا :( فإن لم يكن في السفر فائدة جسيمة تربو على ثواب مقامه عندهم-أي عند عياله-كعلم يخاف فوته ، وشيخ يتعين الاجتماع به ،فمقامه عندهم أفضل،وعلى أن يكون السفر مشروعا ،وأما إن

---

١- مجموع الفتاوى (١١٤/٤).

٢- المصدر السابق نفسه (١١٤/٤،١١٥).

كان كسفر كثير من الناس إنما يسافر قلقًا وتزجية للوقت فهذا مقامه يعبد الله في بيته خير له بكل حال ويحتاج صاحب هذه الحال أن يستشير في خاصة نفسه رجلاً عالمًا بحاله ربما يصلحه مأمونا على ذلك).[1]

**ويستفاد من كلام ابن تيمية الأمور التالية :**

١- لم يذكر في السؤال إن كان السفر إلى بلاد مسلمة أو كافرة ،والغالب أن المقصود بلاد الإسلام لقوله (وشيخ يتعين الاجتماع به) فإذا كان الجواب بالمنع في حق من سافر إلى بلاد الإسلام لغير مسوغ وفائدة جسيمة فمن باب أولى منع السفر إلى بلاد الكفر.

٢- صدور الحكم بمنع السفر إن كان قلقًا وتزجية للوقت والتصريح بذلك .

٣- ضرورة مشروعية السفر وصحة النية لذلك والسفر للتنزه في بلاد الكفر يفتقد هذه المشروعية .

٤- من كان يحتاج إلى من يصلح من شأنه علما وعملاً فقد افتقد الشروط الواجب توفرها لمن أراد السفر ، ومن فقد الشروط امتنع في حقه السفر.

- **حكم العمل** في **بلاد الكفر :**

(قال المهلب :كره أهل العلم ذلك- أي أن يؤجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب- إلا لضرروة بشرطين:

**أحدهما:** أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله.

**والآخر:** أن لا يعينه على ما يعود ضرره على المسلمين)[2].

وتفصيلاً لهذين الشرطين فإنه ( يجوز عمل المسلم في وظائف الدولة غير المسلمة وتولي المناصب والدخول في البرلمانات مع الأخذ بعين الاعتبار الأمور التالية :

---

١- مجموع الفتاوى (٢٩،٢٨/٢٨) بتصرف يسير.

٢- فتح الباري لابن حجر(٤٥٢/٤).

١. أن يكون العمل مباحا ؛لأنه لايجوز تولي العمل المحرم في الدولة المسلمة فكيف بتوليه في الدولة غير المسلمة ،كأن يعمل في مصنع خمور،أو في بنك ربوي،أو صالة قمار.

٢. عدم حصول الضرر على المسلمين أو على دينهم بتوليه هذا العمل ؛مثل العمـل في دوائر التجسس على المسلمين ،أفرادا وحكومات ،أو في صناعة الأسـلحة – إلا إذا قصد اكتساب الخبرة لنقلها للمسلمين وعلم من نفسه القدرة على ذلك- أو في شن الحرب الإلكترونية على المواقع الإسلامية،أو الحرب العسكرية على أحد من المسلمين ، فإما إن تحقق بتوليه مصلحة للدين أو للمسلمين ،أو دفع مفسدة عنه أو عنهم كان الجواز أولى ، مثل العمل وزيرا للأديان ،أو الهجرة ،أو عضوا في ا الس البلدية ،لأنه يتمكن من نفع المسلمين في منصبه.

٣. ألا يكون العمل مشروطًا بما يخالف تعاليم الدين الإسلامي ،سواء في:

- **الأمور العقدية** :كالمشاركة في الاحتفال بأعياد غير المسلمين.

- أم في **العبادة** :كأداء الصلاة في كنائس النصارى ومعابد اليهود بـدعوى عـدم التعصب الديني ووحدة الأديان .

- أم في **المعاملة**: كإقرار الربا في التعامل المالي،أو في السلوك والأخلاق ،كإلزام المرأة المسلمة بخلع حجا ا أثناء العمل) [1].

٤.ألا يكون في ذلك العمل تعظيم لدينهم وشعائرهم.

٥.ألا يكون في ذلك ذلة ومهانة للمسلم.

وقد ورد استفتاء حول هذه المسألة يقـول :

هل عمل المسلم في الدول الكافرة جائز ،وهل ذلك عمل يوسف عليه السلام ؟

وكان الجواب : (إذا أمن على نفسه من الفتنة في دينه ،وكان حفيظًا عليما يرجو الإصلاح لغيره وأن يتعدى نفعه إلى من سواه وألا يعين على باطل جاز له العمل في الدول الكافرة

---

١- أحكام التعامل مع غير المسلمين،خالد بن محمد الماجد ،١٤٢٦هـ ،المكتب التعاوني للدعوة والإرشـاد وتوعيـة الجاليات بحي السلي بالرياض. ص(٢٧،٢٨).

ومن هؤلاء يوسف عليه السلام وإلا لم يجز).[1]

وقال ابن المنير: ( إن الصناع في حوانيتهم يجوز لهم العمل لأهل الذمة ولا يعد ذلك من الذلة بخلاف أن يخدمه في منـزله وبطريق التبعية له).[2]

- **اعتزال المشركين في بلاد الإسلام :**

منذ بزغ فجر الإسلام ظهرت ملامح تميزه وانفراده بخصائص ومزايا لايشاركه فيها دين أخر،وحرص هذا الدين على تميز أفراده وظهورهم وتعهد باستمرارية هذا الظهور وإن كان في فئة قليلة ؛ تميز في أوامره ونواهيه،وأحكامه وحكمه ، وقوته وسلطانه،في السلم والحرب، في الحب والبغض،مع الأفراد والجماعات،والمحكومين والحكومات.

وكان ظهور الإسلام وسط العديد من الأديان التي حاولت محاولات يائسة للقضاء عليه ،ولكنه بتميزه ظهر وكتب الله له البقاء والسيادة على الأرض كلها.

مع هذه السيادة دخل تحت سلطان الإسلام والمسلمين فئات من المشركين من أهل الكتاب وغيرهم وجاءت النصوص من الكتاب والسنة لتضع قواعد التعامل مع كل فئة من هؤلاء ، ومن ثم قام العلماء بإيضاحها وتفصيل القول فيها من خلال العديد من المؤلفات مثل كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية ،و"أحكام أهل الذمة" لابن القيم وغيرها حيث يتسع المجال فيها للحديث عن هذه القضية وبيان حكم الشرع في كل مسألة منها.

وفي هذا العصر تجتمع دول العالم وتلتقي أكثر بحكم العلاقات والمصالح السياسية والاقتصادية تتعاون أحيانا وتتناحر أخرى مستخدمة وسائل الإعلام من قنوات فضائية وشبكات معلوماتية وغيرها للتأثير في الرأي العام والقيام بدور خطير في توجيه هذه المجالات.

ذلك أن وسائل الإعلام أصبحت واقعا مفروضا على المجتمعات المسلمة وغيرها لا يمكنها الانفلات منها أو تجاهلها وبالتالي عليها أن تتسابق في توجيهها لما يحقق مصالح دينها

---

١- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (قسم العقيدة)،جمع وترتيب أحمد الدويش(٧٥/٢) الفتوى رقم (٩٢٧٢).

٢- فتح الباري لابن حجر(٤٥٢/٤).

ومجتمعها.

وبحكم هذه العلاقات نرى أن **وجود المشركين أصبح أمرا واقعا** في **حياة المجتمعات المسلمة** وهذا الوجود قد يكون:

١. من خلال وسائل الإعلام .

٢. مباشرا على أرض أهل الإسلام .

وهنا يتعين على المسلمين معرفة الطريقة المثلى للتعامل معهم في كلتا الحالتين :

**١ - اعتزال المشركين في وسائل الإعلام .**

تعد وسائل الإعلام اليوم ساحة من ساحات الجهاد الأكثر تأثيرا في حياة المجتمعات والأفراد على حد سواء ، وليس الأمر جديدا في حياة المسلمين بل إن التاريخ ليؤكد وجودها وحسن استثمارها من قبل المسلمين.

فقد حشد النبي ﷺ طاقات المسلمين كلها بعد أن أُذن له بالقتال وجهاد الكفار ومنها، الشعر والبيان في المعركة الأدبية الإعلامية التي استعر أوارها بين شعراء مكة والمدينة وسارت جنبا إلى جنب مع المعارك الحربية بعد ذلك.

ومع بداية المعركة اندفع صف الشعراء المشركين يسددون سهامهم نحو معسكر الإسلام لا يألون جهدا في إيذاء الدعوة الجديدة آنذاك وقائدها فالتفت النبي ﷺ إلى الأنصار قائلاً : (ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم )[١] . **وقال** ﷺ : (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ) .[٢]

وهنا تقدم لخوض المعركة الإعلامية الشعراء الثلاثة : كعب بن مالك السلمي ،وعبد الله بن رواحة ،وحسان بن ثابت وكلهم من الأنصار فكان كعب يخوفهم الحرب ، وعبدالله يعيرهم

---

١- ديوان الحماسة ،التبريزي، دار القلم- بيروت (٥٨/٢) وينظر: الدر المنثور للسيوطي(٣٣٨/٦).

٢- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(٢٣٩/١٠)كتاب:الشهادات،باب:شهادة الشعراء،وأحمد في مسنده(٤٥٦/٣)في مسند كعب بن مالك، والطبراني في المعجم الكبير(٧٦،٧٥/١٩)،وابن حبان في صحيحه(٥/١١)كتاب:السير،باب:فرض الجهاد.قال الألباني في السلسلة الصحيحة(١٧٣/٤):إسناده صحيح.

بالكفر، وحسان يقبل على الأنساب فيذكر عيو م وأيامهم[1].

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما دخل مكـة قـام أهـل مكـة سمـاطين[2] قال وعبد الله بن رواحة يمشي وينشد الشعر،فقال له عمر يا ابن رواحة أتقول الشعر بـين يدي رسول الله ﷺ قال ﷺ : (مه يا عمر لهذا أشد عليهم من وقع النبل) .[3]

وهكذا سن رسول الله ﷺ سنة تعبئة طاقات الأمة كلها في مواجهة الأخطار المحدقة ـا كل فيما يخصه ويحسنه.

ولكن وسائل الإعلام اليوم يشارك فيها جميع فئات ا تمع من المتعلمين وغيرهـم إذ لم تعد قاصرة على رجال الدين والسياسة والثقافة والاقتصاد ونحوهم بل الجميع يعبرون عـن أفكارهم ويطرحون آراءهم ويتواصلون من خلالها مع الآخرين أيا كانوا ،وهنا يقع المحظور من تولد علاقات حميمة مع أهل الكفر، والرضى بما هم عليه من إنحرافات عقدية وخلقيـة، بل والمشاركة فيها من بعض الجهلة أو مدعي التقدم والحضارة المكذوبة .

وعلى المسلم حيال ذلك أن يقوم بدورين أحدهما:

- اعتزال القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية الداعيـة إلى الأديـان الأخـرى المناهضة لدين الإسلام .
- والثاني تقديم الدعم المادي والمعنوي بكل أشكالهما في مجال الإعلام واسـتثارة طاقات المسلمين لما فيه نصرهم وسؤددهم.

وهذا الدعم يكون إنطلاقًا من التعامل مع القضية كو ا جهاد في سبيل الله ،وللجهـاد ساحاته المتعددة ،فكما يكون الجهـاد بالنفس يكون بالمال وبالكلمة والنقـد البناء على أن

---

١- ينظر: الدر المنثور،للسيوطي(٣٣٨/٦) القصة كاملة.

٢- سماطين مثنى سماط ،وسماط القوم صفهم ويقال قام القوم حوله سماطين أي صفين ،وكل صف من الرجال سمـاط ينظر: لسان العرب(٣٢٥/٧).

٣- أخرجه النسائي في السنن الكبرى(٣٨٨/٢)رقم(٣٨٧٦)،سنن النسـائي ا ـتبي (٢١١/٥)كتـاب:مناسـك الحج،باب:استقبال الحج،والبيهقي في السنن الكبرى(٢٢٨/١٠)كتاب:الشهادات،باب:الرجل لاينسـب نفسـه إلى الغناء،،وقال الألباني في صحيح النسائي(٢٨٩٣):صحيح رقم (٣٧٨٦٥).

تكون النية خالصة لله تعالى تحقيقًا لقوله ﷺ عندما سئل من في سبيل الله ؟ فقـال : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) .[1]

أما الجهاد بالمال فقد عبر عنه بقوله : (من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا ،ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا) .[2]

فكل نفقة يدفعها المرء لنصرة الإسلام والمسلمين فهي جهاد في سبيل الله ،ويتمثل هـذا الإنفاق بإنشاء قنوات فضائية ومواقع إسلامية، مع تعيين الأكفاء من أهل العلـم والـدين والدراية والتبصر بالواقع ممن لهم القدرة على كشف الزيغ والضلال والرد على الشـبهات والتوعية والنقد البناء لكل ظاهرة سلبية في المجتمع يكون السبب الرئيس فيها التأثر أو التشبه بالمشركين أو نتاج غزو فكري غير مباشر .

والدعم المعنوي بالكلمة والنقد البناء أقوى جهادا من المال، ويكون بتحري أحوال الناس والمجتمع وقياس مستوى تأثرهم بأهل الشرك واقتراح صيغ للإصلاح تحول دون وقوع الضرر والفساد على المسلمين.

ويحدث أن يشارك المسلمون المشركين في قضـايا مصـيرية كالانتخابـات الرئاسـية والبرلمانية،وتكثر الأسئلة في هذا المجال ومدى مشروعيته.

وفي ذلك يقول الشيخ محمد صالح المنجد : (هذه من مسائل الفتوى التي يختلـف فيهـا الحكم بحسب الزمان والمكان والأحوال فلا يطلق فيها حكم عام في جميع الصور الواقعة أو المتوقعة .

ففي بعض الحالات لا يسوغ فيها التصويت كما إذا كان الأمر لا أثر له على المسلمين،

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(١١٣٧/٣)كتاب:أبواب الخمس،باب:من قاتـل للمغـنم هـل يـنقص أجـره رقم(٢٩٥٨)،وجاء برقم(١٢٣)(٢٦٥٤)،وأخرجه مسلم(١٥١٣/٣)كتاب:الإمارة،باب:باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا رقم(١٩٠٤).

٢-أخرجـه البخـاري في صـحيحه(١٠٤٥/٣)كتـاب:الجهادوالسـير،باب:فضـل النفقـة في سـبيل الله رقم(٢٦٨٦)،ومسلم(١٥٠٦/٣)كتاب:الإمارة،باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله رقم(١٨٩٣).

أو كان المسلمون لا أثر لهم في التصويت ، فإدلاؤهم وعدمه سواء ،وكذا لو كـان الحـال متشا ة ومتساوية بالنسبة للمصوت لهم لاستوائهم في الشر أو الموقف من المسلمين .

وقد تكون المصلحة الشرعية مقتضية للتصويت من باب تخفيف الشر وتقليل الضرر،كما لو كان المرشحون من غير المسلمين لكن أحدهم أقل عداوة للمسلمين مـن الآخر،وكـان تصويت المسلمين مؤثرا في الاقتراع فلا بأس بالتصويت له في مثل هذه الحال...

وليس لأحد أن يتوهم أن من قال بالتصويت أنه مقرر للكفر مؤيد له ،وإنما ذلك لمصلحة المسلمين لا محبة للكفر وأهله ،وقد فرح المسلمون بانتصار الروم على الفرس ، كما فـرح المسلمون في الحبشة بانتصار النجاشي على من نازعه الملك[1] قصة تملك النجاشـي علـى الحبشة كما هو معروف في السيرة ومن أراد التورع فله ذلك، وهذا الجواب في موضـوع انتخاب الأشخاص في المواقع المؤثرة).[2]

**٢- اعتزال المشركين الموجودين على أرض أهل الإسلام .**

وما يهمنا هنا هو بيان المواضع التي ينبغي على المسلم أن يعتزل المشرك فيها ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

## صور من اعتزال المشركين في بلاد الإسلام :

**- اعتزال السلام عليهم :**روى أبو هريـرة أن رسـول الله ﷺ قـال :(لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام ،فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه) .[3]

(فأهل الذمة لا يبدؤن بالسلام ولا يزادون بل يرد عليهم بما ثبت في الصحيحين)[4]

---

١ - السيرة النبوية،لابن هشام(١٨٣/٢)

٢ - موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الإلكترونية.

٣- أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٠٧/٤)كتاب السلام،باب:باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم رقم (٢١٦٧).

٤- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٥٣٣/١).

وثبت في الصحيحين البخاري(٦٢٥٧)ومسلم(٢١٦٤) عن ابن عمر أن رسول اللهﷺ قال: ( إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السام عليكم فقل وعليك) وفي صحيح مسلم (٢١٦٧) عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال:=

وهذا من باب الصغار والتحقير لهم ،لذا اشترط الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ تلـك الشروط المعروفة بالشروط العمرية[1]في التعامل مع أهل الذمة والتي تعـبر عـن إذلالهـم وتصغيرهم وتحقيرهم .

وقد قال علي بن أبي طالب للقاضي شريح سمعت رسول الله ﷺ يقول :(لا تصافحوهم ولا تبدؤوهم بالسلام ولا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا عليهم وألجئوهم إلى مضايق الطرق وصغروهم كما صغرهم الله) .[2]

ذلك أن مبادأ م بالسلام لغير حاجة[3]من باب الموالاة المحرمة وفي ذلك يقـول الشـيخ حمود التويجري : (ومما يجب النهي عنه مايفعله كثير من الجهال في زماننا إذا لقي أحـدهم عدوا لله سلم عليه ووضع يده على صدره إشارة إلى أنه يحبه محبة ثابتة في قلبه.أو يشير بيده إلى رأسه إشارة إلى أن م لته عنده على الرأس ،وهذا الفعل المحرم يخشى علـى فاعلـه أن يكون مرتدا عن الإسلام ؛لأن هذا من أبلغ الموالاة والموادة والتعظيم لأعداء الله).[4]

- **اعتزال المشاركة** في **أعياد المشركين و نئتهم ا :**

فالأعياد تعد من المظاهر المميزة للأمم ، واهتمام النبي ﷺ بوضع أعياد الجاهلية وإخبـار صحابته بأن الله أبدلهم ا يومين خيرا منها دليل على هذا التميز ، ومنعا مـن مشـا تهم لغيرهم في أعيادهم ( فالمشا ة والمشاكلة في الأمور الظاهرة ، توجب مشا ة ومشـاكلة في

---

= (لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه).

١- وردت هذه الشروط في اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٣٦٥/١).

٢- أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٣٦/١٠)كتاب:آداب القاضي،باب:إنصاف الخصمين.وقال :ضعيف.

٣- وفي الصحيحين أن النبي ﷺ مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول وفي ا لس عبد الله بن رواحة،فلما غشيت ا لس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائـه ثم قال :لا تغبروا علينا ،فسلم عليهم النبي... الحديث.

قال النخعي :(إذا كانت لك حاجة عند يهودي أو نصراني فابدأه بالسلام،فبان ذا أن حديث أبي هريرة لا تبدءوهم بالسلام إذا كان لغير سبب يدعوكم إلى أن تبدءوهم بالسلام من قضاء ذمام أو حاجة تعرض لكم قبلـهم أو حـق البغوي أو جوار أو سفر) ينظر:تفسير القرطبي (١١٢/١١).

٤- تحفة الإخوان، ط١، مؤسسة النور - الرياض. ص (١٩).

الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي).[1]

لذا جاء منع أهل العلم من مشاركتهم في أعيادهم ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
( لاتعلموا رطانة الأعاجم ،ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم ،فإن السخطة تنزل عليهم).[2]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (من بنى ببلاد الأعاجم فصنع نيروزهم ومهرجانهم ،وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك،حشر معهم يوم القيامة ) [3].

يقول ابن تيمية معلقًا على هذه النصوص : (وهذا عمر نهى عن تعلم لسانهم ،وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم ،فكيف بفعل بعض أفعالهم ؟ أو فعل ماهو من مقتضيات دينهم ؟ أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة ؟ أوليس عمل بعض أعمال عيدهم أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم ؟.

وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم؛فمن يشركهم في العمل أو بعضه : أليس قد تعرض لعقوبة ذلك ؟.

ثم قوله: "واجتنبوا أعداء الله في عيدهم" أليس نهيا عن لقائهم والاجتماع بهم فيه ؟ فكيف بمن عمل عيدهم ؟).[4]

وقد نقل ابن تيمية سؤال الإمام الخلال للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن شهود هذه الأعياد حيث يشهدها المسلمون ويشهدون الأسواق .

(فأجاب الإمام أحمد : إذا لم يدخلوا عليهم بيعهم ،وإنما يشهدون السوق فلا بأس .

قال ابن تيمية : ( فإنما رخص أحمد رحمه الله في شهود السوق بشرط أن لا يدخلوا عليهم

---

١- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٥٤٨/١).

٢- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(٢٣٤/٩)كتاب:الجزية،باب:كراهية الدخول على أهل الذمة في كنائسهم،وأخرجه عبد الرزاق في المصنف(٤١١/١)،كتاب:الصلاة،باب:الصلاة في البيعة،رقم (١٦٠٩) وقال ابن كثير في مسند الفاروق(٤٩٤/٢):إسناده صحيح.

٣- اقتضاء الصراط المستقيم،لابن تيمية(٥١٢/١).

٤- المصدر السابق نفسه (٥١٥/١).

بيعهم ؛فعلم منعه من دخول بيعهم).[1]

(وأما تهنئتهم بشعائر الكفر المختصة بهم فحرام بالاتفاق ، وذلك مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول : عيدك مبارك عليك ، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات ، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب ، بل ذلك أعظم إثمًا عند الله ، وأشد مقتا من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه.

وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك ولا يدري قبح ما فعل فمن هنأ عبدا بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه وقد كان أهل الورع من أهل العلم يتجنبون تهنئة الظلمة بالولايات ،وتهنئة الجهال بمنصب القضاء والتدريس والإفتاء تجنبا لمقت الله وسقوطهم من عينه).[2]

وفي مجال التهنئة يقول ابن القيم : (وأما اليوم فقد وفقنا إلى زمان يصدرون في المجالس، ويقام لهم ،وتقبل أيديهم ويتحكمون في أرزاق الجند ،والأموال السلطانية).[3]

فإذا كان هذا حال الناس في ذلك العصر فماذا نقول اليوم فيما نراه ونسمعه من المبالغة في تهنئة الكفرة، وبذل الأمنيات لهم بالتقدم والاستمرار والعلو في الأرض وما يصاحب ذلك من الإعجاب والشعور بالزهو لمصاحبتهم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

**عزل المشركين عن مواقع السلطة :**

سبق الحديث عن مشروعية الانتفاع بالمشركين وأخذ العلوم عنهم سواء كان عن طريق العلماء مباشرة أم عن طريق الانتفاع بكتبهم وأن هذا جائز فيما يتعلق بالعلوم التجريبية التطبيقية البحتة.

---

١- اقتضاء الصراط المستقيم (٥١٧/١).

٢- أحكام أهل الذمة،أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي،تحقيق:يوسف أحمد البكري،شاكر توفيق العاروري،ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م،رمادى للنشر-دار ابن حزم-الدمام-بيروت(٤٤١/١،٤٤٢).

٣- المصدر السابق نفسه (١٣٢٣/٣).

وفي سنة المصطفى ﷺ الدلائل على مشروعية هذا الانتفاع ومنها استئجار النبي ﷺ هاديا خريتا كافرا عند هجرته من مكة إلى المدينة وهو عبد الله بن أريقط وقد جاء عن عائشة رضي الله عنها: (استأجر النبي ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل ثم من بني عبد بن عدي هادياً خريتاً قد غمس يمين حلف في آل العاص بن وائل وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا) .[1]

كذلك مزارعة النبي ﷺ لليهود فعن ابن عمر رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ أعطى خيبر اليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما خرج منها) .[2]

كما استعار ﷺ أدرع صفوان بن أمية وهو يومئذ مشرك حيث جاء عن ابن عباس: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان بن أمية أدراعًا وسلاحًا في غزوة حنين فقال: يا رسول الله أعارية مؤداة. قال: عارية مؤداة)[3]

ومما يلاحظ في هذه الأمثلة أن الاستعانة بالمشركين كانت في إطار عدة ضوابط وهي :

- أن الاستعانة بالمشرك لا تكن إلا في حال الضرورة فقط ، ولو وجد المسلم لكان في ذلك غُنية .
- أن جميع الحالات المذكورة كان فيها تحقيق لمصالح المسلمين بدرجة أكبر مما حققته للمشركين .
- أن الانتفاع بالمشركين في جميع الحالات كانت يد المسلمين فيها هي العليا، فلم يكن فيها إذلال للمسلمين.

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٢/٧٩٠)كتاب:الإجارة،باب:استئجار المشركين عند الضرورة أو إذا لم يوجد أهل الإسلام رقم(٢١٤٤).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٢/٨٢١)كتاب:المزارعة ،باب:المزارعة مع اليهود،رقم (٢٢٠٦).

٣- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/٨٨) باب العارية مؤداة رقم(١١٢٥٥)،والدارقطني في سننه (٣/٣٨). كتاب البيوع رقم(١٥٧) قال الألباني في إرواء الغليل (١٥١٣):صحيح رقم (٢١٥٨١).

- أن معظم حالات الاستعانة بهم كانت حالات أفراد لا يملكون سلطة ولا نفوذًا على المسلمين.

وإذا كان من مقاصد الشارع الحكيم تحقيق العزة للمسلم وعدم إذلاله فإن تولية هؤلاء الكفرة وأعوانهم من المنافقين فيه مخالفة صريحة لمقاصد الشريعة وأحكامها التي منعت الاستعانة بهم إلا في الضرورة فقد ورد النهي عن استئجار المشرك في الغزو فعن عائشة رضي الله عنها قالت:(خرج رسول الله ﷺ قِبَل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يُذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه . فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ : جئت لأتبعك وأصيب معك . قال له رسول الله ﷺ : ( تؤمن بالله ورسوله ؟) قال : لا . قال : (فارجع فلن أستعين بمشرك) . قالت : ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة . فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة قال: (فارجع فلن أستعين بمشرك ) قال : ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة : (تؤمن بالله ورسوله ؟ ) قال : نعم . فقال له رسول الله ﷺ: ( فانطلق) .[1]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:( قلت لعمر إن لي كاتبا نصرانيا قال:ما لك؟ قاتلك الله ؟ أما سمعت الله يقول:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [المائدة:٥١] ألا اتخذت حنيفًا ؟ قال: قلت : (يا أمير المؤمنين لي كتابته ،وله دينه،قال :لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله).[2]

وكتب عمر إلى أبي هريرة رضي الله عنه كتابا جاء فيه (...ولا تستعن في أمر من أمور المسلمين بمشرك .وساعد على مصالح المسلمين بنفسك فإنما أنت رجل منهم غير أن الله تعالى جعلك حاملا لأثقالهم).[2]

---

١- أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٤٩/٣)كتاب:الجهاد والسير ،باب:كراهة الاستعانة في الغزو بكافر رقم (١٨١٧).

٢- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(١٢٧/١٠)كتاب:آداب القاضي،باب:لا ينبغي للقاضي ولا للوالي أن يتخذ كاتبا ذميا،ونسبه ابن تيمية في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم (١٨٤/١)إلى أبي موسى، ، وابن القيم في أحكام أهل الذمة(٤٥٤/١).

٢- أحكام أهل الذمة لابن القيم (٤٥٥/١).

( وكتب عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-إلى بعض عماله :أما بعد :فإنه بلغني أن في عمالك كاتبا نصرانيا يتصرف في مصالح الإسلام ، والله تعالى يقول:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٥٧] فإذا أتاك كتابي هذا فادع حسان بن زيد - يعني ذلك الكاتب- إلى الإسلام فإن أسلم فهو منا ونحن منه ،وإن أبى فلا تستعن به ولا تتخذ أحدا على غير دين الإسلام في شيء من مصالح المسلمين فأسلم حسان وحسن إسلامه).[١]

ولما فشا استخدام أهل الكتاب في مصالح المسلمين أيام الخلافة العباسية نهض أحد العلماء بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الشأن وهو شبيب بن شيبة فقد استأذن على أبي جعفر المنصور فأذن له فقال:(...يا أمير المؤمنين اتق الله فإنها وصية الله ،إليكم جاءت وعنكم قبلت ،وإليكم تؤدى ،وما دعاني إلى قولي إلا محض النصيحة لك والإشفاق عليك ،وعلى نعم الله عندك.اخفض جناحك إذا علا كعبك وابسط معروفك إذا أغنى الله يديك. ياأمير المؤمنين إن دون بابك نيرانا تأجج من الظلم والجور لا يعمل فيها بكتاب الله ولا سنة نبيه محمد ﷺ .

يا أمير المؤمنين سلطت الذمة على المسلمين ،ظلموهم وعسفوهم ،وأخذوا ضياعهم وغصبوهم أموالهم ،وجاروا عليهم ،واتخذوك سلما لشهواتهم ،وإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا يوم القيامة .فقال المنصور :خذ خاتمي فابعث به إلى من تعرفه من المسلمين وقال :يا ربيع :اكتب إلى الأعمال واصرف من بها من الذمة .ومن أتاك به شبيب فأعلمنا بمكانه لنوقع باستخدامه ،فقال شبيب :يا أمير المؤمنين إن المسلمين لا يأتونك وهؤلاء الكفرة في خدمتك ،إن أطاعوهم أغضبوا الله ،وإن أغضبوهم أغروك بهم ،ولكن تولي في اليوم الواحد عدة ،فكلما وليت رجلاً عزلت الآخر).[٢]

لذا ينبغي عدم تمكين الكافر من مواقع السلطة ،والمراكز القيادية والقطاعات الحيوية

---

١- أحكام أهل الذمة لابن القيم (٤٥٩/١).

٢- المصدر السابق نفسه (٤٦١/١).

المؤثرة على مصالح المسلمين كالتعليم والإعلام ونحوهما لما في ذلك من :

١. العمل على تشويه تعاليم الدين الإسلامي ،والإساءة للعلماء .

٢. العمل على تغريب الدين عند أهله بحيث يصبح المعروف منكرا والمنكر معروفًا.

٣. الاستعلاء على المسلمين وقهرهم وإذلالهم بقوة السلطان وفرض آرائهم .

٤. إحياء معتقدات وثنية قديمة في صورة معارف علمية جديدة ومحاولة صبغتها بالصبغة الشرعية التي توهم العوام والجهلة وأصحاب الأهواء.

٥. العمل على طمس الهوية الإسلامية .

٦. إنشاء المؤسسات التعليمية لنشر فكرهم ، وبث الروح الإ نزامية بين المسلمين ومن ثم تحقيق التبعية لهم .

٧. تمييع وقت الشباب المسلم من خلال المشاركة في برامج القنوات الفضائية الهابطـة كانتخاب سفلة القوم ممن يسمون بأهل الفن ، أو المشاركة في منتـديات شـبكة المعلومات والدخول إلى المواقع التي تشكل خطرا محدقًا بالعقائد والأخلاق.

مع جواز ذلك في حالات الضرورة القصوى إلا أنه يجب الحذر من أعـداء الـدين ، وأخذ الاحتياطات اللازمة حيال ذلك ، كما يجب على المسلمين أن يجتهدوا ويبرعوا في كل العلوم وا الات التي تحتاج إليها الأمة وينفضوا عنهم الاعتماد على أعدائهم المفضي إما إلى إذلالهم وقهرهم أو إلى الإعجاب م وتقليدهم والتشبه م وهذا هو الإشكال الأكبر.

أما فيما يتعلق بالعلوم الشرعية واللغة العربية فلا يليق بالمؤمن ولا يسوغ له أن يتلقاها من هؤلاء الكفرة ؛ وكيف يتلقاها ممن يجحدها وينكرها، وحسبنا هنا قول حبر الأمة عبـد الله بن عباس رضي الله عنهما :(يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن

مساءلتهم ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أُنزل عليكم) .[1]

وخلاصة القول في عزلة الشرك أن الواجب على المسلم أن يعتزل كل من أنكر وجود الله ووحدانيته في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات؛ويشمل ذلك المشرك والملحد على حد سواء ،وأن تكون معاملتهم ضمن الضوابط الشرعية التي وضحها الكتاب والسنة واهتم العلماء بتفصيل القول فيها.

وإذا ابتليت الأمة اليوم بالعديد من العلاقات مع الكفار والمشركين على المستوى السياسي والاقتصادي والعلمي وغير ذلك مما يفرضه حال الأمة وحاجا ا فإنه ينبغي أخذ الحيطة والحذر في التعامل معهم واستثمار تلك العلاقات في الدعوة إلى الله مع الأخذ في الاعتبار تحصين الناشئة ضد هذه العلاقات والتي أصبحت واقعا ملموسا مفروضا داخل البيوت من خلال وسائل الإعلام.

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٩٥٣/٢)كتاب:الشهادات،باب:لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها،رقم(٢٥٣٩).

## خلاصة مبحث اعتزال الشرك وأهله:

- أن عزلة المشركين تعني البراءة منهم ومعبودا م.
- أن البراءة القلبية تستلزم المقاطعة الفعلية.
- أن الشهادتين تثبت بثبوت المعاداة للكفار.
- أن البراءة من الشرك كما تكون من الاعتقاد تكون من الأفعال والأشخاص.
- أن قصة إمام الموحدين إبراهيم عليه السلام في الاعتزال تؤصل العديد من القواعد الدعوية والعقدية.
- أن الهجرة من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر من البدع الحادثة.
- أن التجنس بجنسية بلاد حكومتها كافرة ممنوع لأنه وسيلة إلى موالا م.
- أن السفر من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر منضبط بضوابط وهي: العلم،والدين،والضرورة والمصلحة مثل:

المضطر :كالمريض وطال العلم .

مصلحة الدين :كالسفر للدعوة.

مصلحة المعاش: كالسفر للتجارة.

- أن السفر إلى بلاد الكفر للتنزه والسياحة بدون مسوغ شرعي ممنوع.
- أن عمل المسلم في وظائف الدولة غير المسلمة وتولي المناصب والدخول في البرلمانات جائز مع الأخذ بعدة اعتبارات.
- أن وسائل الإعلام من أكبر ساحات الجهاد في سبيل الله التي استخدمها الرسول ﷺ في معاركه.
- أن مشاركة المسلمين في الانتخابات الرئاسية مطلوبة شرعا إذا كان في ذلك مصلحة شرعية للمسلمين.
- أن تنصيب الكفار في مواقع السلطة إذلال للمسلم وهذه مخالفة صريحة لمقاصد الشريعة وأحكامها.

- وجوب الحذر من أعداء الدين ، وأخذ الاحتياطات اللازمة حيال ذلك ،مـع الاجتـهاد والعمل في كل العلوم وا الات التي تحتاج إليها الأمة ونفض الاعتماد على الأعداء المفضي إلى الإذلال والقهر.

- صدق التوكل على الله والثقة وحسن الظن به سبحانه.

## المبحث الثاني:اعتزال البدع والمعاصي والمتلبسين ا

للبدعة تعريفات عدة يكمل بعضها بعضا منها:

قول ابن تيمية:( البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب ).[1]

ويقول الشاطبي: ( البدعة طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية ،يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية ).[2]

وقال ابن رجب: (والمراد بالبدعة: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه).[3]

والبدع مذمومة بنصوص الكتاب والسنة ؛أما **القرآن الكريم :**

- قوله ﷻ:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ .[آل عمران :٧]

وكان رسول الله ﷺ يقول عند قراءته لهذه الآية (فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم ) .[4]

- وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾.[الأنعام:١٥٩]

(قيل الآية عامة في جميع الكفار،وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر الله ﷻ به فقد فرق دينه).[5]

كما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الآية أن رسول الله ﷺ قال لعائشة-رضي الله عنها- ( إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا إنما هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة

---

١- مجموع الفتاوى (١٠٨،١٠٧/٤).

٢- الاعتصام (٢٤/١).

٣- جامع العلوم والحكم (٤٩/٢).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(١٦٥٥/٤)كتاب التفسير،باب:منه آيات محكمات رقم(٤٢٧٣)،ومسلم مع شرح النووي(٢١٧/١٦)كتاب العلم،باب:النهي عن اتباع متشابه القرآن،رقم(٢٦٦٥)واللفظ له.

٥- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(١٤٩/٧).

من هذه الأمة، يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة إلا أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة وأنا بريء منهم وهم منا برآء).[1]

- ومن **السنة** قوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)[2] ومن رواية لمسلم: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد).[3]

وقد تكلم الإمام النووي على حديث عائشة كلاما نفيسا قال فيه :( قوله ﷺ "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وفي الرواية الثانية :"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" ،قال أهل العربية :الرد بمعنى المردود ،ومعناه :فهو باطل غير معتد به ،وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ،وهو من جوامع كلمه ﷺ ،فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات ،وفي الرواية الثانية زيادة وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها ،فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول:أنا ما أحدثت شيئا ،فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها)[4]

- **أقوال السلف الصالح:**

وقد حذر منها الصحابة والتابعون لهم بإحسان فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:(إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن،أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا).[5]

---

١- أخرجه الطبراني في المعجم الصغير(٣٣٨/١)رقم(٥٦٠) المعجم الأوسط(٢٠٧/١)رقم(٦٦٤) ، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(١٨٨/١)،وحلية الأولياء(١٣٨/٤)قال الألباني في كتاب السنة :إسناده ضعيف برقم(٩٤٠٥٨).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٩٥٩/٢)كتاب الصلح،باب:إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم (٢٥٥٠)،ومسلم في صحيحه(١٣٤٣/٣)كتاب:الأقضية،باب:نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور،برقم (١٧١٨).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٦٧٥/٦)كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،باب:إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ، ومسلم في صحيحه (١٣٤٣/٣)كتاب الأقضية،باب:نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور،برقم(١٧١٨).

٤- شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٢).

٥- سنن الدار قطني للبغدادي (١٤٦/٤)،وينظر:مدارج السالكين لابن القيم(٤٣٨/٣) وروضة الناظروجنة المناظر ، ابن قدامة المقدسي(٢٨٢/١)فتح الباري لابن حجر(٢٨٩/١٣) ، وعمدة القاري للعيني (٤٣/٢٥).

وكتب عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- إلى رجل فقال : (أما بعد أوصيك بتقوى الله،والاقتصاد في أمره ،واتباع سنة نبيه ،وترك ماأحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته).[١]

(وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم ،وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة، ومهاجرتهم ).[٢]

وإنما كانوا متفقين على معاداتهم لأن الله تعالى أكمل الدين وأتم النعمة كمالاً وتماماً لا يحتمل الزيادة فيه ولا النقص،وفي هذا المعنى يقول الإمام مالك-رحمه الله-:( من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة لأن الله ﷻ يقول :﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣] فما لم يكن يومئذ دينا ،فلا يكون اليوم دينا ).[٣]

كما أن الابتداع في الدين ينافي أصول العقيدة المنبثقة من الكتاب والسنة يقول الإمام أحمد -رحمه الله-:(أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة ،وترك الخصومات،والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال والخصومات في الدين).[٤]

وحين سئل شيخ الإسلام عن الطريق إلى الله قال:( أصح الطرق وأعمرها،وأبعدها من الشبه اتباع الكتاب والسنة قولاً وفعلاً وعقدا ونية لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾. [النور:٥٤]

وطريق اتباع السنة مجانبة البدع واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام وأهله والتباعد عن مجالس الكلام وأهله ولزوم طريقة الاقتداء والاتباع وبذلك أمر النبي ﷺ بقوله سبحانه وتعالى :﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٣])[٥]

---

١- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٣٩/٧).

٢- شرح السنة ، للبغوي(٢٢٧/١).

٣- الاعتصام، للشاطبي (٣٣/١).

٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي(١٧٦/١).

٥- الاستقامة ،تحقيق:د.محمد رشاد سالم،ط٢، ١٤٠٨هـ ،مكتبة السنة،بدون البلد (١١٠/١)بتصرف يسير.

## • حكم هجر المبتدعة والعصاة:

يظهر من النصوص السابقة وجوب المفارقة والهجر لمن يتجاوز حدود الشرع ببدعة أو معصية

فمن يسكر ويقارف شيئًا من الفواحش فلا حرمة له ولا صلة سيما إذا كان معلنا بذلك مكاشفًا.[١]

وكان ذلك منهج الإمام أحمد وسلوكه في تعامله مع هؤلاء حيث يقول الخلال: ( أبو عبد الله يهجر أهل المعاصي ومن قارف الأعمال الردية ).[٢]

كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهجر الرجل على ترك الصلاة من أعمال البر التي يحبها الله ورسوله) [٣]

ويشدد الأئمة الأعلام على أصحاب البدع الداعين إليها ويوجبون المقاطعة والهجر لمن يتضرر منهم ويعجز عن الرد عليهم فيقول الإمام أحمد -رحمه الله-:(ويجب هجر من كفر أو فسق ببدعة ،أو دعا إلى بدعة مضلة أو مفسقة،وإنما يكون ذلك في حق من عجز عن الرد عليه ،أو خاف الاغترار به والتأذي دون غيره).[٤]

وحكم(هجران أهل البدع كافرهم وفاسقهم المتظاهرين بالمعاصي وترك السلام عليهم فرض كفاية ).[٥]

وقيل : ( يجب هجره مطلقًا) [٦]وهو ظاهر كلام الإمام أحمد السابق ،وقطع ابن عقيل[٧]بذلك.

---

١- ينظر: الآداب الشرعية،لابن مفلح المقدسي (٢٥٢/١)

٢- المصدر السابق نفسه (٢٥٢/١)

٣- مجموع الفتاوى (٢٧٦/٣٢)

٤- الآداب الشرعية، لابن مفلح المقدسي (١٥٥/١)

٥ – المصدر السابق نفسه (١٥٦/١)

٦- المصدر السابق نفسه (٢٤٨/١)

٧ – هو شيخ الحنابلة أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم ،أخذ علم العقليات عن شيوخ الاعتزال فانحرف عن السنة وكان ذو غزارة في العلم، وبلاغة في الكلام، وقوة في الحجة يتوقد ذكاء ، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته،له عدة مؤلفات أشهرها كتاب "الفنون" ،مات سنة ٥١٣هـ.
يُنظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٤٣/١٩)،معرفة القراء الكبار لابن قايماز الذهبي (٤٦٨/١)

## والأصل في هجر أهل البدع والمعاصي :

- من **القرآن الكريم** قوله ﷻ :﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠]

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية : (وإذا ثبت تجنب أهل المعاصي فتجنب أهل البدع والأهواء أولى ).[1]

- ومن **السنة** قوله ﷺ (القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم)[2].

وعلى ذلك سار السلف الصالح فهم ( يبغضون أهل البدع ،الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه،ولا يحبو م ،ولا يصحبو م، ولا يسمعون كلامهم،ولا يجالسو م ولا يجادلو م في الدين ولا يناظرو م،ويرون صون آذا م عن سماع أباطيلهم،التي إذا مرت بالآذان، وقرت في القلوب ضرت،وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ماجرت ،وفيه أنزل الله ﷻ قوله : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨])[3]

وقد نص الإمام أحمد على صور هجر المبتدع حين سئل عمن ( يقول : لفظي بالقرآن مخلوق، أيصلى خلفه ؟ قال : لا يصلى خلفه ، ولا يجالس ، ولا يكلم ، ولا يسلم عليه)[4]

---

١- الجامع لأحكام القرآن (٤١٨/٥).

٢- أخرجه أبو داود في سننه(٤٦/٥)كتاب:السنة،باب:في القدر رقم(٤٦٩١)وقال:كل ماسكت عنه صالح ، والحاكم في مستدركه(١٥٩/١) والبيهقي في سننه(٣٤٢/١٠)كتاب الشهادات،باب:ما ترد به شهادة أهل الأهواء رقم(٢٠٨٦٩)ورقم(٢٠٨٧٣)،والطبراني في المعجم الأوسط(٦٥/٣). الحكم ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

٣- عقيدة السلف وأصحاب الحديث،للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني،دراسة وتحقيق :ناصر بن عبد الرحمن الجديع،ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م،دار العاصمة- المملكة العربية السعودية، ص(٢٩٨).

٤- مسائل الإمام أحمد، عبد الله بن أحمد بن حنبل ،تحقيـق:زهـير الشـاويش،طبعة عـام١٣٩٤هـ ـ ، المكتـب الإسلامي،بيروت. (١٥٢/٢)رقم(١٨٥١).

وكان يقول : ( أهل البدع ما ينبغي لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس م ).[١]

وقال مالك: (لا ينكح أهل البدع ولا ينكح إليهم ولا يسلم عليهم ولا يصلي خلفهـم ولا تشهد جنائزهم).[٢]

## صور من هجر المبتدعة والعصاة :

- **عدم السلام والكلام :**

قال البغوي-رحمه الله- :(قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة ، وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته ،وسنة أصحابه ﷺ فعلى المرء المسـلم إذا رأى رجـلاً يتعاطى شيئًا من الأهواء والبدع معتقدا ،أو يتهاون بشئ من السنن أن يهجره، ويتبرأ منه ، ويتركه حيا وميتا ، فلا يسلم عليه إذا لقيه ولا يجيبه إذا ابتدأ ، إلى أن يترك بدعته، ويراجع الحق).[٣]

وتعد قصة كعب بن مالك ﷺ من أقوى الشواهد على ذلك من سنة المصطفى ﷺ حين ترك السلام عليه والكلام معه وصاحبيه ، و ى المسلمين عن كلامهم، وذكـر كعـب في الحديث قصة المقاطعة وخروجه للصلاة مع المسلمين فلا يكلمه أحد ، ثم ما حدث مـع أبي قتادة وتسوره عليه الحائط وامتناع أبي قتادة من رد السلام عليه ومن جوابه له عما سأله عنه لعموم النهي عن كلامهم[٤].

أما قول قتادة:"الله ورسوله أعلم"( فلعل أبا قتادة لم يقصد ذا تكليمه لأنه منهى عـن كلامه، وإنما قال ذلك لنفسه لما ناشده الله فقال أبـو قتـادة ذلـك مظهـرا لاعتقـاده لا ليسمعه)[٥]

مما يدل على ( استحباب هـجران أهل البدع والمعاصي الظـاهرة وترك السلام عليهم

---

١- الإبانة، لابن بطة (٤٧٥/٢).

٢- المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس، دارصادر، بيروت.(٨٤/١).

٣- شرح السنة (٢٢٤/١).

٤- ونص الحديث ص (٥٨).
٥- شرح النووي على صحيح مسلم (٩٣/١٧).

ومقاطعتهم تحقيرا لهم وزجرا )[1]وخوفًا عليهم من النفاق فقد جاء في الحديث( ي النبي ﷺ عن كلام الثلاثة الذين تخلفوا بالمدينة حين خاف عليهم النفاق)[2]

وهكذا كل من خفنا عليه،كما يرى ابن عقيـل أن في هجـر هـؤلاء كسـرا لهـم واستصلاحا.[3]

(وقد ذهب الجمهور إلى أنه لا يسلم على الفاسق ولا المبتدع.قال النووي : فان اضطر إلى السلام بأن خاف ترتب مفسدة في دين أو دنيا إن لم يسلم سلم.

وكذا قال ابن العربي وزاد:وينوى أن السلام اسم من أسماء الله تعالى فكأنـه قـال الله رقيب عليكم.

وقال المهلب : ترك السلام على أهل المعاصـي سنة ماضية وبه قال كثير من أهل العلم في أهـل البدع ).[4]

وجاء عن ابن مسعود ﷺ( أنه رأى رجلا يضحك في جنازة ، فقال : أتضـحك مـع الجنازة ؟ لا أكلمك أبدا).[5]

ولما( مرض سليمان التيمي[6]بكى بكاءً شديدا ،فقيل له: ما يبكيك ؟ الجزع من الموت ؟ فقال : لا ،ولكن مررت على قدري ، فسلمت عليـه ، فأخـاف أن يحاسـبني ربي ﷻ عليه).[7]

---

١- شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٠/١٧).
٢- الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي (٢٤٨/١) وسبق تخريج الحديث ص (٥٨).
٣- ينظر: المصدر السابق نفسه (٢٥٥/١).
٤- فتح الباري لابن حجر(٤٠/١١).
٥- الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي (٢٥٠/١).
٦- هو سليمان التيمي الحافظ الإمام أبو المعتمر سليمان بن طرخان القيسي مولاهم البصري لم يكن تيميا بـل نـزل فيهم،وكان عابد البصرة وعالمها،صدوق،شديد الخوف من الله،حافظا،مطيعا،كثير الصلاة والصـيام والصـدقة،مات سنة(١٤٣هـ).
ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي(١٥٠/١)تقريب التهذيب لابن حجر(٢٥٥/١).
٧- تلبيس إبليس لابن الجوزي ص(١٤)، وينظر :حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني(٣٢/٣).

واجتمع الأوزاعي وثور بن يزيد الكلاعي[1]،فقال الأوزاعي:"لولا الهجرة مـن الـدين لسلمنا عليك"قال:وكان قدريا)[2]والمراد بالهجرة هنا هجر المبتدع ومقاطعته والإعراض عنه.

ويستفاد من قول سعيد بن جبير[3] لقريب عبد الله بن مغفل[4] الذي خذف[5](أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف ثم تخذف لا أكلمك أبدا) .[6](هجران أهـل البـدع والفسـوق ومنابذي السنة مع العلم ، وأنه يجوز هجرانه دائما والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنمـا هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرا م دائما ).[7]

---

١- هو أبو خالد ثور بن يزيد الكلاعي الشامي المحـدث الفقيـه عـالم حمص،كـان مـن أوعيـة العلـم لـولا بدعته ،حافظ مـتقن عابـد ثبـت ثقـة صـدوق حـافظ عابـد ورع والظـاهر أنـه رجـع تـوفي سـنة (١٥٣هـ)وقيل (١٥٥)ببيت المقدس.ينظر: التاريخ الكبير للبخاري(١٨١/٢)،سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٤٤/٦).

٢- ذم الكلام وأهله،أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، تحقيق: عبد الـرحمن عبـد العزيـز الشـبل ،ط١٤١٨،١هـ ١٩٩٨م،مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة(١٢٧/٥)رقم(٩٢٠)

٣- هو أبو محمد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي المكـي المقـرئ المفسـر الشـهيد مـن سادة التابعين علما وفضلا وصـدقا وعبـادة تـابعي ثقـة مـن أكـابر أصـحاب ابـن عبـاس مـن أئمـة الإسلام في التفسير والفقه وأنـواع العلـوم وكثـرة العمـل الصـالح، وقـد رأى خلقًـا مـن الصـحابة،روي وروي عنه، كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين مرة للعمرة ومرة للحج استشهد بواسط في شعبان سنة(٩٥هـ)

ينظر: معرفة الثقات لابن حبان(٣٩٥/١) ذيب الكمال للمزي(٣٥٨/١٠) ،البداية والنهاية لابـن كـثير(٩٨/٩)، معرفة القراء الكبار لابن قايماز(٦٩/١)

٤- هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مغفل بن عبد م المزني من مشـاهير الصـحابة قـال البخـاري لـه صـحبة سكن البصرة وهو أحد البكائين في غـزوة تبـوك وشـهد بيعـة الشـجرة ثبـت ذلـك في الصـحيح وهـو أحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقهوا الناس بالبصرة وهو أول من دخل من باب مدينـة تسـتر ومـات بالبصـرة سنة (٥٩هـ)

ينظر: الثقات لابن حبان (٢٣٦/٣) تقريب التهذيب لابن حجر(٣٢٥/١)، الإصابة لابن حجر(٢٤٢/٤)

٥- معنى الخذف: هو الرمي بالحجارة، وهو رميك حصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك وترمي ا أو تتخذ مخذفة من خشب ثم ترمي ا الحصاة بين إ امك والسبابة.

ينظر: غريب الحديث للخطابي(١٤٩/٣)،النهاية في غريب الأثر لأبي السعادات(١٦/٢).

٦- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٠٨٨/٥)كتاب:الـذبائح والصـيد،باب:الخـذف والبندقـة رقـم(٥١٦٢)، ومسلم في صحيحه(١٥٤٨/٣)كتـاب:الصـيد والـذبائح،باب:إباحـة مـا يسـتعان بـه علـى الاصـطياد والعدو وكراهة الخذف،رقم(١٩٥٤).

٧- شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٦/١٣).

## • عدم مجالستهم والاجتماع بهم :

وإذا انتفى السلام على أهل البدع وكلامهم فمن باب أولى أن يهجروا في المجالس والاجتماعات إلا لغاية معينة من إصلاح شأنهم أو كشف بدعتهم للناس والتحذير منهم.

وفي قوله ﷻ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ .[النساء:١٤٠](الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من المبتدعة والفسقة ثم خوضهم في باطلهم ،وتأولها جماعة أن المراد بها النهي عن مشاهدة كل باطل ثم خوض أهله فيه).(١)

وعلة النهي هي المشاركة في الحكم والجزاء ( أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستهزأ بها وأقررتموهم على ذلك فقد شاركتموهم في الذي هم فيه فلهذا قال ﷻ: ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٠] في المآثم).(٢)

( فألحق من جالسهم بهم ؛ وقد ذهب إلى هذا جماعة من أئمة هذه الأمة وحكم بموجب هذه الآيات في مجالس أهل البدع على المعاشرة والمخالطة منهم أحمد بن حنبل والأوزاعي وابن المبارك فإنهم قالوا في رجل شأنه مجالسة أهل البدع قالوا: ينهى عن مجالستهم ، فإن انتهى وإلا ألحق بهم ؛يعنون في الحكم ).(٣)

بناءً على ذلك طُرحت على الإمام أحمد الكثير من التساؤلات في هذه القضية فقيل له: (أرى رجلا من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه ؟ قال: لا ، أو تعلمه أن الرجل الذي رأيته معه صاحب بدعة ، فإن ترك كلامه فكلمه وإلا فألحقه به)(٤)

وقد طبق أئمة العلم الهجر في حق المبتدعة وأهل المعاصي من باب الاستصلاح أوالتحقير

---

١- جامع البيان لابن جرير الطبري(٣٣٠/٥)بتصرف يسير.

٢- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥٦٨،٥٦٧/١).

٣- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي(١٤٢/٧).

٤- الآداب الشرعية،لابن مفلح المقدسي (٢٥١/١).

وحين سئل الإمام أحمد عن رجل مبتدع ، داعية يدعو إلى بدعة ،أيجـالس ؟ قـال : ( لا يجالس ولا يكلم لعله أن يرجع ).[١]

وبذلك فرقوا بين الداعية وغيره من المستورين وأجاب الإمام أحمد عمن سأله :( إذا علم من الرجل الفجور أيخبر به الناس ؟ قَالَ: لا بل يستر عليه إلا أَنْ يكونَ داعيةً).[٢]

وهذا ما استنبطه العلماء من فعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عزر صبيغا بن عسل[٣]باعتزال المسلمين له ،ودأ م في التحذير من مصاحبة المبتدعة ومجالستهم مما يبعـث على عداو م وبغضهم ،وبالتالي إلى عدم مشاركتهم في خوضهم وافترائهم علـى الله بـلا علم،وتكذيبهم كمال الدين ببدعتهم .

وكانت لهم أقوال مضيئة تكشف عن المعنى حيث يقول الفضيل بن عياض :(أحـب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد، وعمل قليل في سنة خير من عمل صاحب بدعة ،ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، ومـن جلـس إلى صـاحب بدعـة فاحذره،وصاحب بدعة لا تأمنه على دينك ).[٤]

ويوضح أبو قلابة [٥] المراد بقول الفضيل: ( لا تأمنه على دينك )فيقول : (لا تجـالسوا أصحاب الأهواء أو قال أصحاب الخصومات فإني لا آمـن أن يغمسـوكم في ضـلالتهم ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون).[٦]

---

١- مسائل الإمام أحمد، عبد الله بن أحمد بن حنبل (١٥٣/٢)رقم (١٨٥٥).

٢- مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه (٦٠٤/٢).

٣- هو صبيغ بن عسل ويقال ابن عسيل ويقال صبيغ بن شريك من بني عسيل ابن عمرو بن يربـوع بـن حنظلـة التميمي اليربوعي البصري،وهو من أهل الأهواء ،كان يسأل عن متشابه القرآن فعاقبه عمر بـن الخطـاب بالجلـد والمقاطعة وكتب إلى أهل البصرة لا تجالسوه.

ينظر: تاريخ مدينة دمشق،لابن عساكر(٤٠٨/٢٣)،الوافي بالوفيات (١٦٣/١٦).

٤- حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصبهاني(١٠٣/٨).

٥- هو عبد الله بن زيد أبو قلابة الجرمي بصرى تابعي ثقة فاضل كثير الإرسال هرب من القضـاء فسـكن داريـا توفي(١٠٤هـ) وقيل (١٠٧).

ينظر: معرفة الثقات للعجلي(٣٠/٢) الكاشف للذهبي(٥٥٤/١) ،تقريب التهذيب لابن حجر(٣٠٤/١).

٦- الشـرح والإبانـة لابـن بطـة العكبري،تحقيـق:رضـا نعسـان معطـي،ط٢،١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م،دار الراية،الرياض(٤٣٥/٢)رقم(٣٦٤) ،وينظر:حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني(٢١٧/٩).

يقول الشوكاني في تفسير قولـه ﷻ :﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ .[الأنعـام:٦٨]( وفي هذه الآية موعظة ، عظيمة لمـن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ،ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله ويـردون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة ؛فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير ماهم فيـه، فأقـل الأحوال أن يترك مجالستهم ...ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حـق معرفتـها ،علـم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف مافي مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة ).[1]

وألا يغتر بما هو عليه من الذكاء والفطنة والعلم والعمل والثقة بالنفس فـ (الرجل على دين خليله) .[2]

فإنه لابد للمرء أن يتأثر بمن يخالط وخاصة هؤلاء المبتدعة بما يزينون ماهم عليـه مـن الباطل؛ومن أبرز الأمثلة على ذلك ابن الريوندي الزنديق[3] الذي( كان يـلازم الرافضـة والملاحدة فإذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف أقوالهم).[4]

ونتيجة لذلك أصبح صاحب التصانيف العديدة في الحط على الملة وأهلها وغيره كثير.

ونقل عن ابن عقيل قوله: (وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلمـاء وكان ذلك يحرمني علما نافعا فعلق الذهبي قائلاً : قلت كانوا ينهونه عن مجالسـة المعتزلـة ويأبى حتى وقع في حبائلهم وتجسر على تأويل النصوص نسأل الله السلامة).[5]

وليس الخليفة العباسي المأمون من هؤلاء ببعيد ؛ حيث يقول ابن الجوزي: (خالطه قوم

---

١- فتح القدير،محمد بن علي الشوكاني،ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م،دار الخير،بيروت دمشق. (١٤٨/٢).

٢- سبق تخريجه ص (١٦٩).

٣- هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الريوندي الملحد له عدة مؤلفات في الحط على الملة وكان يلازم الرافضة والملاحدة ،كان معتزليا ثم تزندق واشتهر بالإلحاد،قيل كان أبوه يهوديا، وكان لا يستقر على مذهب ولانحلة حـتى صنف لليهود كتاب النصرة على المسلمين،وقال في القرآن لحن، وألـف في قـدم العـالم ونفـى الصـانع ،مـات سنة(٢٩٨هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٩/١٤) ، لسان الميزان لابن حجر(٣٢٣/١).

٤- سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٩/١٤).

٥- المصدر السابق نفسه (٤٤٧/١٩).

من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد ويراقب بقايا الشيوخ ثم قـوي عزمه وامتحن الناس).[1]

لذا حذر الرسول أمته من صحبة هؤلاء وأمثالهم والفرار منهم كما تعوذ من مصـاحبة أهل السوء ومجاور م حيث يقول : (اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء ومن ليلة السوء ومن ساعة السوء ومن صاحب السوء ومن جار السوء في دار المقامة) .[2]

- **عدم الصلاة خلف أهل البدع وترك الصلاة عليهم :**

وفي هذه المسألة نزاع مشهور بين العلماء فمنهم من منع الصلاة خلفهم بإطلاق، ومنهم من قيد ذلك بكون المبتدع داعية إلى بدعته ، يقول الإمام مالك:( ولا يصلي خلف أهـل البدع من القدرية وغيرهم ).[3]

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أوسط الأقوال في حكم الصلاة خلف أهل الأهواء والبدع وخلف أهل الفجور فقال :( إن تقديم الواحد من هؤلاء فى الإمامة لا يجوز مع القدرة على غيره فإن من كان مظهرا للفجور أو البدع يجب الإنكار عليه و يه عن ذلك ، وأقل مراتب الانكار هجره لينتهى عن فجوره وبدعته.

ولهذا فرق جمهور الأئمة بين الداعية وغير الداعية ؛ فإن الداعية أظهر المنكر فاستحـق الإنكار عليه بخلاف الساكت ؛ فإنه بم لة من أسر بالذنب فهذا لا ينكر عليه فى الظاهر فإن الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ، ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضرت العامة.

ولهذا كان المنافقون تقبل منهم علانيتهم وتوكل سرائرهم إلى الله تعالى بخلاف من أظهـر الكفر فإذا كان داعية منع من ولايته وإمامته وشهادته وروايته لما فى ذلك من النـهى عـن المنكر).[4]

---

١- سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٧/١١).

٢- مجمع الزوائد(٢٢٠/٧)كتاب الفتن،باب:الاستعاذة من يوم السوء ونحـوه،(١٤٤/١٠)بـاب:مايسـتعاذ منـه، قال :رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير بشر بـن ثابـت البـزار وهـو ثقـة،وقال الألبـاني في صـحيح الجامع(٢٩٤/١٧):صحيح برقم (١٣١٠) والصحيحة له(١٤٤٣).

٣- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(٣٥٦/١).

٤- مجموع الفتاوى (٣٤٢/٢٣).

وأضاف ابن فرحون علة أخرى فقال:(ولا يصلى خلف أهل البدع ،ردعا لهم ،وقيل لفساد عقيدتهم).[1]

أما إذا كانت البدعة مكفرة فإن (كل من أخرجته بدعته إلى الكفر لم تجز الصلاة خلفه ومن لم يكن كذلك فالصلاة خلفه جائزة ولا يجوز تقديم من هذه صفته).[2]

وسئل الإمام أحمد بن حنبل فقيل له:( اطلعنا من رجل على فجور وهو يتقدم يصلي بالناس،أخرج من خلفه ؟ قال : اخرج من خلفه خروجا لا تفحش فيه).[3]

أما الصلاة عليهم فقال تعالى :﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ .[التوبة:٨٤]

وجاء عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: ( لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه. فقلت:يا رسول الله أتصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا أعدد عليه قوله.فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال: إني خُيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها . قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٨٤] قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ).[4]

فكان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية الكريمة عليه لا يصلي على أحد من المنافقين ولا يقوم على قبره حتى قبضه الله.

---

١- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام ،خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه:الشيخ جمال مرعشلي،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت(١٥١/٢).

٢- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي(٣٥٦/١).

٣- الآداب الشرعية ،لابن مفلح (٢٥١/١).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(٤٥٩/١)كتاب:الجنائز،باب:مايكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين رقم(١٣٠٠).

ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا دعي إلى جنازة سأل عنها فإن أُثنى عليها خيرا قام فصـلى عليها وإن كان غير ذلك قال لأهلها شأنكم ا ولم يصل عليها.[1]

و( كان عمر بن الخطاب ؓ لا يصـلي على جنازة من جهل حاله حتى يصلي عليهـا حذيفة بن اليمان لأنه كان يعلم أعيان المنافقين).[2]

واتفق العلماء على أنه لا يجوز ترك الصلاة على جنائز المسلمين من أهل الكبائر كانوا أو صالحين وراثة عن نبيهم ﷺ قولاً وعملاً إلا في الشهيد[3]وأهل البدع والبغاة.[4]

فدل الاستثناء على عدم جواز الصلاة على أهل البدع وذكر ابن فرحون السبب فقال : (ولا تشهد جنائز أهل البدع ردعا لهم). [5]

لا سيما إذا كانوا مجاهرين داعين إلى بدعهم (فإن المظهر للمنكر يجب الإنكـار عليـه علانية ولا يبقى له غيبة ،ويجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك ،وينبغي لأهل الخير أن يهجروه ميتا إذا كان فيه كف لأمثاله فيتركون تشييع جنازته ).[6]

- **عدم ا ادلة والمناظرة :**

يقوم أسلوب المبتدعة على التلبيس والتدليس والتحايل والتمويه وتزيين الباطل وتحسـين القبيح؛ بما يظهرونه من حسن الخلق ، ولباقة الحديث والبدء بالآيات والأحاديث لتحقيـق مآر م الخبيثة ؛ قال بعض السـلف: ( لوكان صاحب البدعـة إذا جلست إليه يحدثـك ببدعته ،حذرته وفررت منه ،ولكنه يحدثك بأحاديث السنة في بدو مجلسه ،ثم يدخل عليك بدعته فلعلها تلزم قلبك فمتى تخرج من قلبك؟!).[7]

---

١- ينظر: تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير(٣٨٠/٢).

٢- المصدر السابق نفسه (٣٨١/٢).

٣- والحديث هو (عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله أخبره أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد في ثوب واحد... وأمر بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل علـيهم) البخـاري(٤٥٠/١)كتـاب الجنائز،باب:الصلاة على الشهيدرقم(١٢٧٨)وراه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٦/٣) باب(١١٧)في الرجلين يدفنان في قبر واحدرقم (١١٦٥٣).

٤- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي (٢٢١/٨).

٥- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام،محمد بن فرحون اليعمري (١٥١/٢).

٦- الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي (٢٥٢/١).

٧- الإبانة لابن بطة (٤٤٤/٢).

لذا حذر النبي ﷺ من البدع والمبتدعة لخطورتهم على العقيدة ، والبعد عنهم حفظًا للدين وخوفًا من الوقوع في الشبه التي تشكك المرء في دينه،حيث(تحصل بكثرة الإصغاء إلى الشبه شكوك تشبه شكوك الموسوسين في الطهارة).(١)

فمن أراد النجاة والسلامة فليلزم ما كان عليه السلف الصالح من السنة وترك ماسواها من البدع يقول أبو محمد البربهاري:(وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السنة قبلك فاحذر الكلام،وأصحاب الكلام والجدال والمراء والقياس والمناظرة في الدين،فإن استماعك منهم وإن لم تقبل منهم يقدح الشك في القلب،وكفى به قبولاً، فتهلك،وما كانت زندقة قط زندقة ولا بدعة ولا هوى ولا ضلالة،إلا من الكلام والجدال والمراء والقياس،وهي أبواب البدعة والشكوك والزندقة).(٢)

وفي حديث الدجال إشارة إلى عدم مناظرتهم فمن حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:(من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات هكذا قال) .(٣)

ففي الحديث يحذر ﷺ قائلا (فلينأ عنه) مما يدل على شدة التحذير وأخذ الحيطة من الاقتراب والمواجهة لهؤلاء ؛ لما معهم من الشبه التي تفسد عقيدة المؤمن وترده عن دينه.

وعلى ذلك سار الصحابة والتابعون في عدم مناظرة أهل البدعة والتحذير منهم فعن نافع مولى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- :( أن صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ فقال: في الرحل. قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني الموجعة، فأتاه به فقال عمر: تسأل محدثة ؟! فأرسل إلى رطائب

---

١- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم،لابن الوزير،تحقيق:شعيب الأرنؤوط،ط٣،١٤١٥هـ-١٩٩٤م،مؤسسة الرسالة بيروت.(٢٠٨/١).

٢- شرح السنة ، تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني،ط١، ١٤٠٨هـ، دار ابن القيم - الدمام(٥٥/١).

٣- أخرجه أبو داود في سننه(٣٢٢/٤)كتاب الملاحم،باب خروج الدجال رقم (٤٣١٩)،والحديث ورد في الآداب الشرعية (٢٢٠/١) ونسبه ابن مفلح المقدسي إلى مسند الإمام أحمد وقال إسناده جيد من حديث حميد بن هلال ولم أقف عليه عند الإمام أحمد.واللفظ في مسلم(١٢٧٨)(ليفرن الناس من الدجال في الجبال)كتاب الفتن ، باب:في خروج الدجال.رقم(٧٣٩٣).

من جريد فضربه ا حتى ترك ظهره وبرة ثم تركـه حـتى بـرأ ،ثم عـاد لـه ثم تركـه حتى برأ، فدعا به ليعود لـه، قـال فقـال صـبيغ: إن كنـت تريـد قتلـي فـاقتلني قـتلاً جمـيلاً،وإن كنـت تريـد أن تـداويني فقـد والله برئـت. فـأذن لـه إلى أرضـه وكتـب إلى أبي موسـى الأشـعري أن لا يجالسـه أحـد مـن المسـلمين فاشتد ذلك على الرجل، فكتـب أبـو موسـى إلى عمـر ﷺ أن قـد حسـنت توبتـه فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته).[١] وهو ما كان يرجوه عمر ﷺ من عودة صـبيغ إلى جادة الصواب.

(ولم يزل أنصار الإسلام وأئمة الهدى تصيح ؤلاء من أقطار الأرض ،وتحذر من سلوك سبيلهم واقتفاء آثارهم من جميع طوائف الملة ).[٢]

يقول عبد الله بن الإمام أحمد : سمعت أبي يقول عن الشافعي:(وكتب إليه رجل يسأله عن مناظرة أهل الكلام والجلوس معهم،قال: والذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنـا مـن سلفنا من أهل العلم أ م كانوا يكرهون الكلام والخوض مع أهل الزيغ ، وإنمـا الأمـر في التسليم والإنتهاء إلى ما في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله لا نتعدى ذلك).[٣]

وقال أبو المظفر السمعاني: ( وأعلم أنك متى تدبرت سيرة الصحابة ومن بعـدهم مـن السلف الصالح وجد م ينهون عن جدال أهل البدعة بأبلغ النهي).[٤]

ويحسن بنا في هذا المقـال أن نتعرف على أسباب زجر السلف عن مناظـرة المبتدعـة ، فأمها ا ترجع إلى ثلاثة معان[٥] هي :

**١. أنه لا ترجى أوبتهم إلى الحق :**

قال الإمام أحمد لمن سأله عن مناظرة أهل البدع : ( الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من

---

١- أخرجه الدارمي في سننه (٦٧/١) باب: من هاب الفتيا وكرة التنطع والتبدع رقم الحديث (١٤٨).

٢- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،لابن القيم(٢٢٦/١).

٣- الآداب الشرعية،لابن مفلح المقدسي (٢٢٠/١).

٤- الانتصـار لأصـحاب الحـديث ، تحقيـق:محمـد الجيـزاني،ط١، ١٤١٧هـ ـ١٩٩٦م،مكتبـة أضـواء المنار،السعودية(١٦/١).

٥- استفدت في هذا التقسيم من كتاب أصول الجـدل والمنـاظرة في الكتـاب والسـنة،د.حمـد العثمـان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م،مكتبة ابن القيم،الكويت،ص(٢٣٥ومابعدها).

أدركنا أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ ، وإنما الأمور في التسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم،فإنهم يلبسون عليك ولاهم يرجعون،فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم).[١]

قال علماء السلف :( ما وجدنا أحدا من المتكلمين في ماضي الأزمان إلى يومنا هذا رجع إلى قول خصمه ، ولا انتقل عن مذهبه إلى مذهب مناظره ، فدل أنهم اشتغلوا بما تركه خير من الاشتغال به).[٢]

مع الأخذ في الاعتبار أن هناك فرقًا بين حديث عهد ببدعة وبين المقيم عليها؛ فأما من كان حديث عهد ببدعة فيرجى رجوعه إن كان ذو عدل وإنصاف،أما المقيم على البدعة فإنه يعتقد أن البدعة التي انتحلها اعتقاد راسخ،فمثله لا يطمع في رجوعه إلا أن يشاء الله.

كما بين العز بن عبد السلام -رحمه الله- العلة من نهي السلف عن مناظرتهم ومجالستهم فقال: ( البحث معهم ضائع مفض إلى التقاطع والتدابر من غير فائدة يجنيها ،وما رأيت أحدا رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره ،بل يصر عليه مع علمه بضعفه وبعده)[٣]

## ٢.الاحتراز من فتنتهم:

جاءت الشريعة لتحقيق المصالح وتكميلها،ودرء المفاسد وتعطيلها ، ونهي السلف عن مناظرة المبتدعة جاء لصيانة العقيدة في قلوب أربابها من الشبه لاسيما العامة منهم فهم كما قال الإمام أحمد -رحمه الله- : (يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويلبسون على جهال الناس بما يتكلمون به من المتشابه).[٤]

---

١- الإبانة لابن بطة العكبري (٤٧١/٢ -٤٧٢).

٢- الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم الأصبهاني تحقيق:محمد المدخلي،ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م،دار الراية ، الرياض/السعودية (١٠٠/١-١٠١).

٣- قواعد الأحكام في مصالح الأنام،ج(١-٢)،دار الكتب العلمية - بيروت (١٣٦/٢).

٤- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية،أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم،ط١، ١٣٩٢هـ ، مطبعة الحكومة-مكة المكرمة.(٦٦/١).

يقول الراغب الأصفهاني:( كُره للعامة أن يجالسوا أهل الأهواء والبدع لئلا يغـووهم، فالعامي إذا خلا بذوي البدع كالشاة إذا خلا ا السبع).[1]

و(الباطل لا يظهر لكثير من الناس أنه باطل لما فيه من الشبهة،فإن الباطل المحض الـذي يظهر بطلانه لكل أحد لا يكون قولا ومذهبا لطائفة تذب عنه،وإنما يكون باطلاً مشوبا بحق كما قال تعالى:﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .[آل عمران:٧١] [2]

والعلماء المحققون من (السلف الصالح هم أكمل الناس في معرفة الحق وأدلته والجـواب عما يعارضه).[3]

(فإن العالم حقًا يستظهر بكتاب الله على ما سواه فيقدمه ويحكمه ويجعله إمامه،ويجعله عيارا على غيره،مهيمنا عليه كما جعله الله تعالى كذلك.فالمسـتظهر بـه موفـق سـعيد والمستظهر عليه مخذول شقي).[4]

وعليه(أن ينتهي بالنظر إلى تحقيق معنى ما حصل على حسب ما أداه إليه البرهان الشرعي بحيث يحصل له اليقين ولا يعارضه شك بل تصير الشكوك إذا أوردت عليه كالبراهين الدالة على صحة ما في يديه).[5]

ولن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلُح به أولها ؛فإذا كان هذا حال خير القرون في التعامل مع المبتدعة فما بالنا نحن؟!

يقول ابن بطة : ( فالله الله معـشر المسلمين لا يحملن أحـدا منكم حسن ظنه بنفسـه ،وماعهد من معرفته بصحة مذهبه ،على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهـواء ،فيقول :أداخله ؛ لأناظره أو لاستخرج منه مذهبه ،فإ م أشد فتنة من الدجال وكلامهـم ألصق من الجرب،وأحرق للقلوب من اللهب ، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنو م

---

١- الذريعة إلى مكارم الشريعة ،ط١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م،دار الكتب العلمية،بيروت. ص(١٥١).

٢- درء تعاض العقل والنقل لابن تيمية(١٧١،١٧٠/٧).

٣- المصدر السابق نفسه (١٧٢/٧).

٤- مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزية ،(٤٤١/١).

٥- الموافقات في أصول الفقه للشاطبي تحقيق:عبد الله دراز، بدون طبعة،دار المعرفة- بيروت(٢٢٥/٤).

ويسبو م فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم ،فما زالت م المباسطة وخفي المكر ودقيق الكفر حتى صبوا إليهم)[1]

قال أحمد بن حنبل :(لا تخاصم أحدا ولا تناظره ،ولا تتعلم الجدال ).[2]

وقال الأوزاعي:(لا تمكنوا صاحب بدعة من جدل ؛فيورث قلوبكم من فتنته إرتيابا) [3]

ويبين الإمام اللالكائي أثر شبهتهم في فتنة من يناظرهم وتلاقُح أفكـارهم والإعجـاب بمنطقهم فيقول: ( فصاروا أقرانا وأخدانا ،وعلى المداهنة خلانا وإخوانا ،بعد أن كـانوا في دين الله أعداءً وأضدادا ،وفي الهجرة في الله أعوانا :يكفرو م في وجوههم عيانـا،ويلعنو م جهارا، وشتان ما بين الم لتين،وهيهات ما بين المقامين )[4]

وشأن الراسخ الجازم بصحة ما يدين لا يلتفت إلى شكوك المبطلين ،والواجـب علـى السني أن يلزم السنة وأن يعرض عن الأهواء ولا يجعل لأهلها سبيلاً.

**٣. منعا لشهر م:**

قال الإمام مسلم رحمه الله: ( الإعراض عن القول المطرح ،أحرى لإماتته وإخمال ذكـر قائله،وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيها للجهال عليه).[5]

ويبين الإمام الآجري أثر هذا الإعراض عليهم فيقول: ( سكوتك عنهم وهجرتك لمـا تكلموا به أشد عليهم من مناظرتك لهـم،كذا قال من تقدم من السلف الصـالح من علماء المسلمين).[6]

ومن هنا تكون مناظرة المبتدعة خطأ جسيما يتحمل تبعته الأمة كلها لما فيها من مفاسد عظيمة أبرزها إشهار شبهتهم ،وتوفير أفضل الفرص لنشر معتقدهم الباطل عند كافة طبقات

---

١- الإبانة (٢/٤٧٠).

٢- الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي(٢٢١/١).

٣- البدع والنهي عنها، محمد بن وضـاح القـرطبي، تحقيـق:بـدر بـن عبـد الله البـدر،ط١، ١٤١٦هـ ـ، دار الصميعي . الرياض ، ص(١١٦).

٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩/١).

**5**- مقدمة صحيح مسلم ، بترقيم شرح الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، دار العلم الصحيح- الجزائر.ص(١٢).



٦- الشريعة (٤٥١/١).

ا تمع وتيسيرها للعامة ويوضح الإمام اللالكائي هذه المفسدة وآثارها فيقول: ( فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة ،ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظـم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ ،كمدا ودردا،[1]ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلا.

حتى جاء المغرورون ،ففتحوا لهم إليها طريقًا ،وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً،حتى إذا كثرت بينهم المشاجرة،وظهرت دعو م بالمناظرة ،وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة ،حتى تقابلت الشبه في الحجج ).[2]

وهذا في حال لم تشتهر البدعة ،أما إذا اشتهرت وراجت وانتشرت انتشارا بينا ظـاهرا فلا بد من الرد والمناظرة، قال ابن قتيبة -رحمه الله- في السكوت: ( وإنما يجـوز أن يـؤمر ذا قبل تفاقم الأمر ووقوع الشحناء.وضـرب مـثلاً لـذلك مسـألة خلـق القـرآن وانتشار القول به وفزع الناس إلى العلمـاء فمـا كـان منـهم إلا أن أزالـوا الشـك باليقين وجلوا الحـيرة وكشـفوا الغمـة وأجمعـوا أمـرهم علـى أنـه غـير مخلـوق فأفتوهم بذلك وأدلوا بالحجج والبراهين،ونـاظروا وقاسـوا واسـتنبطوا الشـواهد مـن كتاب الله).[3]

وقد نص ابن تيمية على (النهي عن مجالسة أهل البدع ،ومناظر م ، ومخاطبتهم ، والأمر جرا م ؛ لأن ذلك قد يكون أنفع للمسلمين من مخاطبتهم ،فإن الحق إذا كان ظاهرا قـد عرفه المسلمون ، وأراد بعض المبتدعة أن يدعو إلى بدعته فإنه يجب منعه من ذلك ،فإن هجر وعزر،كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بصبيغ بن عسل التميمي وكما كان المسلمون يفعلونه ،أو قُتل كما قتل المسلمون الجعد بن درهم[4] ..........................................

---

١- الدرد:ذهاب الأسنان وفي الحديث( لزمت السواك حتى خشيت أن يدردني) ودردي الزيت وغـيره: مـا يبقـي في أسفله.

ينظر:مقاييس اللغة لابن فارس(٢٧٥/٢) لسان العرب لابن منظور(١٦٦/٣)،المعجم الوسيط (٢٧٨/١)

٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩/١).

٣- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة،١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، ص(٦١،٦٠).

٤- الجعد بن درهم هو أول من قال بخلق القرآن ،وينسب اليه مروان الجعدي أخر خلفاء بـني أمية،مبتـدع ضـال زنديق،زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى،تقلد عنه هذا القول الجهم بن صفوان،قتله حالد القسري=

وغيلان القدري[1] وغيرهما كان ذلك هو المصلحة ،بخلاف ما إذا ترك داعيا ،وهو لا يقبـل الحق :إما لهواه ،وإما لفساد إدراكه ،فإنه ليس في مخاطبته إلا مفسدة وضرر عليـه وعلـى المسلمين.

والمسلمون أقاموا الحجة على غيلان ونحوه، ،وناظروه ،وبينوا له الحق كما فعل عمر بن العزيز-رحمه الله- واستتابه ثم نكث التوبة بعد ذلك فقتلوه.

وكذلك علي بن أبي طالب بعث ابن عباس ﷺ إلى الخوارج فناظرهم ثم رجع نصـفهم ،ثم قاتل الباقين.

والمقصود أن الحق إذا ظهر وعرف ،وكان مقصود الداعي إلى البدعة إضرار الناس ،قوبل بالعقوبة. قال تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِن بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى:١٦]).[2]

ويقول ابن تيمية :( وإذا كان مبتدعا يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة أو يسلك طريقًا يخالف الكتاب والسنة ويخاف أن يضل الرجل الناس بذلك: يبين أمره للناس ليتقوا ضـلاله ويعلموا حاله ).[3]

ويظهر من كلام ابن تيمية أن المناظرة ليست ممنوعة بإطلاق فإن السلف الصالح ( ـوا عن المناظرة من لا يقوم بواجبها ،أو مع من لا يكون في منـاظرته مصلحة راجحة ،أو فيها مفسدة راجحة ).[4]

وقد ناظر إبراهيم خليل الرحمن المعطلين والمشركين ،كما ذكر الله تعالى محاجته لمن

---

= يوم عيد الاضحى بالكوفة.

ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣٣/٥)،البداية والنهاية لابن كثير(٣٥٠/٩)،لسان الميزان لابن حجر (١٠٥/٢).

١- غيلان بن مسلم القبطي المقتول في القدر ضال مسكين،كان قدريا داعية أخذ مذهب القدر عن معبد ،واسـتتابه عمر بن عبد العزيز ثم قتله هشام بن عبد الملك وصلب على باب الشام ، كان غير ثقة ولا مأمون وكان مالك ينـهى عن مجالسته،ناظره الأوزاعي وأفتى بقتله كان من بلغاء الكتاب ويعد من رجال الطبقة الرابعة من المعتزلة.

ينظر: التاريخ الكبير للبخاري(١٠٢/٧) ،الفرق بين الفرق للبغدادي(١٧) ،لسان الميزان لابن حجر(٤٢٤/٤)

٢- درء تعارض العقل والنقل (١٧٢/٧).

٣- مجموع الفتاوى (٢٢١/٢٨).

٤- درء تعارض العقل والنقل (١٧٤/١).

حاجه في ربه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾.[البقـرة:٢٥٨] ومحاجته لقومـه الذين كانوا يعبدون الكواكب.

قال المروذي: (قلت لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل- :يرى للرجل أن يشتغل بالصـوم والصلاة ويسكت عن الكلام في أهل البدع ؟ فكلح في وجهه ،وقال:إذا هو صام وصـلى واعتزل الناس ،أليس إنما هو لنفسه ؟ قلت بلى ،قال: فإذا تكلم كان له ولغـيره ؛ يـتكلم أفضل.

وعليه فإنه يجب إنكار البدع المضلة ،وإقامة الحجة على إبطالها، سواء قبلـها قائلـها أو ردها،ومن قدر على إ اء المنكر إلى السلطان أ اه،وإن خاف فوته قبل إ ائه أنكره هو).[1]

وبناء على هذا القول فقد ذهب جماعة من المحققين إلى جواز المناظرة في علـم الكـلام والمحاجة لأهل البدع ووضع الكتب في الرد عليهم وقد عبر شيخ الإسلام عن هـذا المعـنى بقوله: (الراد على أهل البدع مجاهد ).[2]

وهذا هو الصحيح من مذهب الإمام أحمد وذلك للضرورة والمصلحة قال أحمد: ( قـد كنا نأمر بالسكوت،فلما دعينا إلى أمر ما كان بد لنا أن ندفع ذلك ونبين من أمره ما ينتفي عنه ما قالوه، ثم استدل بقوله ﷻ : ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥])[3]

- **عدم النظر في كتبهم :**

يعد الكتاب من أهم الوسائل التي يتواصل من خلالها الأفراد ، يعبرون ا عن معتقدا م وأفكارهم وآرائهم مهما تقاربت أو تباينت واختلفت ، ولأهـل السنة والجماعة منهجيتهم الواضحة في التعبير عن معتقدهم ومصادر التلقي لديهم وأسلو م في التسليم بمـا جـاء في الكتاب والسنة،يسيرون في ذلك على خطا ثابتة وكأ م على قلب رجل واحد لا يحيـدون عنه.

---

١- الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي (٢٣٠/١)بتصرف يسير.

٢- مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٤).

٣- الآداب الشرعية،لابن مفلح المقدسي (٢٢٧/١).

وفي المقابل نجد أن أهل البدعة يعتمدون في التلقي على العقليات والأحـلام والرجـال وغيرها حسب مذاهبهم واتجاهاتهم مما يدفعهم إلى التخبط والتتلمذ على الأصاغر والقدح في العلماء الراسخين والتعمق في مسائل القدر والصفات والأمور الغيبية.

وبذلك يظهر الفرق بين أهل العلم وأهل البدعة فإن (أهل العلم يكتبـون مـالهم ومـا عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم ).[1]

هذا المنهج المختل لأهل البدع ظهر وبقوة في كتبهم التي عبرت عن اتجاهاتهم وفكـرهم المنحرف بأسلوب يثير الشبه والشكوك لدى العامة ؛ لذا نص بعض أهل العلم علـى أنـه (لا يجوز النظر في كتب أهل البدع، ولا النظر في الكتب المشتملة على الحق والباطـل ولا روايتها لما في ذلك من ضرر إفساد العقائد).[2]

ويورد ابن الجوزي من الأدلة على ذلك فيقول :(كنت أسمع عن ابن الريوندي بالعظائم حتى رأيت له ما لم يخطر على قلب ورأيت له كتاب نعت الحكمـة ،وقضـيب الـذهب، والزمردة ،والدامغ )[3] وجميعها قدح في الكتاب والسنة.

من هنا(كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البـدع،والنظر في كتبـهم، والاسـتماع لكلامهم).[4]

في ذلك يقول ابن عقيل:(إذا أردت أن تعلم محل الإسلام في أهل الزمان،فلا تنظـر إلى زحامهم في أبواب الجوامع ،ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك ،وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة،وضرب مثلاً لمن يعظم قبور كبـار المبتدعة أمثال ابن الريوندي وابن عربي ويشتري تصانيفهم مما يدل على برودة الدين في قلوبهم). [5]

---

١- اقتضاء الصراط المستقيم،لابن تيمية (٧٤،٧٣/١).

٢-كشاف القناع عن متن الإقناع،منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ، تحقيق:هـلال مصـيلحي،١٤٠٢هـ ـ، دار الفكر بيروت(٤٣٤/١).

٣- سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٩/١٤) قال ابن عقيل: عجبي كيف لم يقتل وقد صنف الدامغ يـدمغ بـه القـرآن والزمردة يزري فيه على النبوات؟!

٤- الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي (٢٥١/١).

٥- المصدر السابق نفسه (٢٥٥/١)بتصرف.

بل إن الأمر تعدى ذلك إلى المعاملات التجارية حيث يقول الإمام مالـك : (لا تجـوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم ... وكتب أهل الأهواء عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك).[1]

وقال ابن السبكي : (ومن حق ناسخ الكتب ألا يكتب شيئا من الكتب المضلة ؛ككتب أهل الأهواء )[2]وقال أيضا : (فمنهم دلال الكتب... ومن حقه أن لا يبيع شيئًا من كتـب أهل البدع والأهواء، وكتب المنجمين ،والكتب المكذوبة ).[3]

## عقـوبة المبتدعـة:

قال الإمام الشافعي-رحمه الله-:( وحكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويطـاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم هذا جزاء من تـرك الكتـاب والسـنة وأخـذ في الكلام).[4]

قال ابن تيمية في حق دعاة أهل البدع : (وأما قتل الداعية إلى البدع: فقد يقتل لكـف ضرره عن الناس ،كما يقتل المحارب وإن لم يكن في نفس الأمر كافرا ).[5]

(وأما المعروف بالأذى والفساد فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قصته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة ، لأن الستر على هذا يطمعه في الإيـذاء والفسـاد وانتـهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله).[6]

وقال ابن منصور لأبي عبد الله : ( إذا علم من رجل الفجور أنخبر به الناس ؟قال:لا ، بل يستر عليه إلا أن يكن داعية ويتوجه أن في معنى الداعية من اشتهر وعرف بالشر والفسـاد ينكر عليه وإن أسر بالمعصية ).[7]

---

١-جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر ،كتاب الإجارات،١٣٩٨هـ ،دار الكتب العلمية بيروت(٩٦/٢).

٢- معيد النعم ومبيد النقم ،تحقيق:محمد النجار وآخرون،ط٣، ١٤١٤هـ ١٩٩٦م،مكتبة الخانجي ، القاهرة،(١٣١).

٣- المصدر السابق نفسه ، ص (١٤٣).

٤- المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم،تحقيق:محيي الدين ديب مستو وآخرون ، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ،دمشق،بيروت(٦٩١/٦)،وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١١٦/٩)بلفظ قريب.

٥- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٤٩/٢٣،٣٥٠).

٦- الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي (٢٥٣/١).

٧- المصدر السابق نفسه (٢٥١/١).

## موقف المسلم عند تفشي البدع والمعاصي:

( عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، تعم الفتنة ويهلك الكـل، فـإذا لم تغيـر وجب على المؤمنين المنكرين لها بقـلوبهم هجران تلك البلدة،والهرب منها،وهـكذا كان الحكم فيمن قبلنا من الأمم كما في قصة السبت حين هجـروا العاصـين وقـالوا: لا نساكنكم،وبهذا قال السلف رضي الله عنهم ).[1]

وكذا في قصة الرجل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ويسأل هل له من توبة فقيـل لـه : (نعـم . ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ) .[2]

(فدل هذا الحديث على استحباب هجر واعتزال الأراضي والديار الـتي تظهـر فيهـا المعاصي والفتن والمنكرات،وذلك مأخوذ من أمر العالم لذلك الرجل حيث قال له (انطلق إلى أرض كذا وكذا)ونهيه عن العودة إلى أرضه وتعليله بأنها أرض سوء (ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ) .[3]

وجاء عن أبي هريرة عن رسول الله قال : (يهلك أمتي هذا الحي من قريش)قالوا: فما تأمرنـا ؟قال:( لو أن الناس اعتزلوهم ) .[4]

يقول ابن حجر: ( ويؤخذ من هذا الحديث استحباب هجـران البلدة التي يقع فيها إظهار المعصية فإنها سبب وقوع الفتن التي ينشأ عنها عموم الهلاك، قال : ابن وهب عن مالك:

---

١- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة،للقرطبي،خرج أحاديثه:الداني ابـن مـنير،ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، المكتبة العصرية،بيروت(٢/٢٤٥).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه(٤/٢١١٨)كتاب:التوبة، باب :قَبول توَبة القاتل وإن كثر قتله. رقم(٢٧٦٦) .

٣- موقف المسلم من الفتن في ضـوء الكتـاب والسنة،حسـين الحـازمي ،ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م،أضـواء السلف،الرياض ص(٥٢٤).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(٦/٧٠٨)كتاب:المناقب،بـاب: علامـات النبـوة رقـم(٣٦٠٤)مـع الفـتح، ومسلم في صحيحه(٤/٢٢٣٦)كتاب الفتن وأشراط الساعة،باب:لا تقوم الساعة حتى يمـر الرجـل بقـبر الرجـل رقم(٢٩١٧).

جر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارا، وقد صنع ذلك جماعة من السلف).[1]

نخلص مما سبق إلى أن هجرة أهل البدع والمعاصي تتدرج من الوجوب إلى الاستحباب حسب حال المبتدع والعاصي وأثرهما على ا تمع ومجاهر ما بالمعصية ودعو ما إليهـا،وفي أقوال العلماء الواردة في هذا المبحث وغيرها في بطون الكتب الكفاية الدالة على ضـرورة الحرص على سلامة ا تمع المسلم وتخليصه من هذه الفئات،والمحاولات المستمرة لتغيير المنكر وتصحيح المسار لنيل رضا الله تعالى والعمل على طاعته.

## خلاصة مبحث اعتزال البدع والمعاصي والمتلبسين ـا:

- ذم البدعة في القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح والتحذير منها ومن أصحا ا.
- أن الابتداع في الدين ينافي أصول العقيدة.
- اتفاق الصحابة والتابعين وأتباعهم وعلماء السنة على معاداة أهل البدعة.
- الأصل في هجر المبتدعة الكتاب والسنة.
- من صور هجر المبتدعة والعصاة:
  - عدم السلام والكلام.
  - عدم مجالستهم والاجتماع م.
  - عدم الصلاة خلف أهل البدع وترك الصلاة عليهم.
  - عدم النظر في كتبهم.
  - عدم ا ادلة والمناظرة معهم.

وأسباب عزوف السلف عن مناظرة المبتدعة هي :

- عدم رجاء رجوعهم إلى الحق.
- تحرزا من فتنتهم.
- منعا لشهر م.

---

١- فتح الباري (١٣/١٣) وينظر: التذكرة،للقرطبي(٢٤٥/٢).

## المبحث الثالث: اعتزال السلطان عند فساده

العقيدة الصحيحة تجمع القلوب وتوحد الكلمة وتؤلف بين الأفراد ،وحين اجتمع الناس على كلمة التوحيد بقيادة رسول الله ﷺ صاروا أمة واحدة ذات هيبـة ومكانـة وانتشـر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها قال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦ ﴾ [الأنفال:٤٥،٤٦]

و(لا دين إلا بجماعة،ولا جماعة إلا بإمامة،ولا إمامة إلا بسمع وطاعة)[١]لهذا قـال ﷻ :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ .[النساء:٥٩]

(فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمرالله بطاعتـهم، فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمور فأجره على الله ، ومن كان لا يطـيعهم إلا لمـا يأخذه من الولاية والمال ،وإن منعوه عصاهم فماله في الآخرة من خلاق).[٢]

وعلى ذلك فإن السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين أصل من أصول العقيدة التي لا تـتم إلا بالاجتماع والقوة والإمارة وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:( يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها فـإن بـني آدم لا تـتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ،ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي ﷺ (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) .[٣]

فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيها بـذلك علـى سائر أنواع الاجتماع ؛ ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنـهي عن المنكر ولا يتم

---

١- أخرجه الدارمي(٢٥١) عن عمر بن الخطاب.

٢- مجموع الفتاوى ،لابن تيمية (١٦/٣٥).

٣- أخرجه أبو داودفي سننه(٣٦/٣)باب:في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم رقـم (٢٦٠٨)،والبيهقـي في السـنن الكبرى(٢٥٧/٥) ،باب:القـوم يـؤمرون أحـدهم إذا سـافروا رقـم(١٠١٣١).قـال الألبـاني في السلسـلة الصحيحة(١٣٢٢):إسناده حسن رقم (١١٣٦٣٠).

ذلك إلا بقوة وإمارة وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجُمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة ؛ ولهذا روي أن (السلطان ظل الله في الأرض) [1]) [2]

واختلف أهل التفسير في أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ فقيل:الأمراء والسلاطين ، وقيل :أهل العلم والفقه وقيل غير ذلك.

(وأولى الأقوال بالصواب قول من قال :هم الأمراء والولاة،لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة وللمسلمين مصلحة).[3]

ومن هذه الأخبار ماجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله،ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني) .[4]

وقد بوب البخاري -رحمه الله- على هذا الحديث في كتاب الأحكام من صحيحه فقال:باب قول الله تعالى:﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾.

قال الحافظ ابن حجر:(وفي الحديث وجوب طاعة ولاة الأمور،وهي مقيدة بغير الأمر بالمعصية،والحكمة في الأمر بطاعتهم:المحافظة على اتفاق الكلمة؛لما في الافتراق من الفساد).[5]

فأمر بطاعته ﷻ أولاً وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله ثانيا فيما أمر

---

١- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(١٦٢/٨)رقم(١٦٤٢٧)،ومسند الشهاب(٢٠١/١)رقم(٣٠٤)، ومجمع الزوائد(١٩٦/٥)باب في العدل والجور)قال المنذري في الترغيب(١٨٦/٣):لايتطرق إليه احتمال التحسين رقم(٢٠٢٥١٥).

٢- مجموع الفتاوى (٣٩٠/٢٨).

٣- جامع البيان، لابن جرير الطبري(١٥٠/٥).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٦١١/٦)كتاب:الأحكام،باب:قوله تعالى:(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول)رقم (٦٧١٨)،واللفظ له، ومسلم في صحيحه(١٤٦٦/٣)كتاب:الإمارة،باب:وجوب طاعة الأمراء ،رقم(١٨٣٥).

٥- فتح الباري (١١٢/١٣).

به و ى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثًا.

وقد روى عن علي بن أبي طالب ﵁ أنه قال :(حق على الإمام أن يحكم بالعدل ويؤدي الأمانة فإذا فعل ذلك وجب على المسلمين أن يطيعوه ؛ لأن الله تعالى أمرنا بـأداء الأمانـة والعدل ثم أمر بطاعته).(١)

فالشرط هو العدالة والأمانة والالتزام بشرع الله من قبل الحاكم، وجواب الشرط وجوب الطاعة من قبل الرعية.

نستنتج مما سبق أن **طاعة الحاكم مقيدة بقيدين** :

١- الالتزام بالشريعة وهي تعبر عن حكم الله في الأرض.

٢- الأخذ بالشورى وهي تعبر عن رأي الأمة.

فحكم السلطان داخل في حكم الله،وطاعة السلطان مر نة بطاعة الله ورسوله ،لذا يقول الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﵁ حين ولي أمر المسلمين:( أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم).(٢)

وهذا مانص عليه رسول الله ﷺ في قوله:(على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يُؤمر بمعصية فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) .(٣)

والمراد من الحديث أن( سمع كلام الحاكم وطاعته واجب على كل مسلم ،سواء أمره بما يوافق طبعه أو لم يوافقه،بشرط أن لا يأمره بمعصية،فإن أمره ا فلا تجوز طاعتـه،ولكن لا يجوز له محاربة الإمام).(٤)

---

١- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي (٢٥٩/٥).

٢- الجامع في الحديث،لمعمربن راشد(٣٣٦/١١)باب:لا طاعة في معصية برقم(٢٠٧٠٢)،وينظر: السيرة النبوية لابـن هشام (٨٢/٦)، تاريخ الطبري(٢٣٨/٢)، الرياض النضرة لابن جرير الطبري(٢١٣/٢).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه(١٢١/١٣)كتاب الأحكام،باب:السمع والطاعة للإمام ما لم تكـن معصـية رقـم (٢٧٩٦)،ومسلم في صحيحه(١٤٦٩/٣)كتاب:الإمارة، بـاب:وجـوب طاعـة الأمـراء معصـية وتحريمهـا في المعصية،رقم(١٨٣٩).

٤- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،محمد عبد الرحمن المباركفوري ،دار الكتب العلمية – بيروت(٢٩٨/٥).

ومجموع(النصوص من السنة تبين المعنى،وتقيد إطلاق الآية بأن المراد:طاعتهم بالمعروف، ويجب على المسلمين طاعة ولاة الأمور في المعروف لا في المعاصي،فإذا أُمروا بالمعصية فـلا يطاعون في المعصية ،لكن لا يجوز الخروج بأسبا ا ).[1]

وحول **مسألة الخروج على السلطان** حال معصيته أو ظلمه( قال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين:لا ينعزل الإمام بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلـع ولا يجوز الخروج عليه لذلك بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك).[2]

( ويرى أصحاب الحديث الجمعة، والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كـل إمـام مسلم ؛ براً كان أو فاجراً .ويرون جهاد الكفرة معهم ، وإن كانوا جورة فجـرة.ويـرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح.

ولايرون الخروج عليهم بالسيف؛ وإن رأوا منهم العـدول عـن العـدل الى الجـور والحيف).[3]

وقال ابن تيمية: ( وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما ى الله عنه من معصية ولاة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجه من الوجوه.كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديما وحديثًا ، ومن سيرة غيرهم).[4]

وبذلك تجتمع أقوال العلماء على منع الخروج على السلطان عند وقوعـه في المعاصـي وارتكابه المظالم إلا بشرطين:

- أن يروا منه كفرا بواحا فيقول الشنقيطي:( والتحقيق الذي لا شك فيه أنه لا يجوز القيام لخلعه إلا إذا ارتكب كفراً بواحا عليه من الله برهان).[5]
- القدرة على التغيير.

---

١- حوار مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حـول(الفقـه في الـدين)أجرتـه جريـدة الشـرق الأوسـط في العدد(٥٢٨٩)بتاريخ ١٤١٣/١٢/١هـ ـ الموافق١٩٩٣/٥/٢٢م.

٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،تحقيق: المباركفوري(٢٩٨/٥).

٣- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الصابوني ص(٢٩٤).

٤- مجموع الفتاوى ( ١٢/٣٥).

٥- أضواء البيان (٢٩/١)

لاسيما وأنه قد غلب على أحوال السلاطين بعد عصر الراشدين ارتكاب المعاصي ووجـود شيء من الظلم والجور ، مصداقًا لما أخبر به النبي ﷺ من فساد السلاطين في آخر الزمـان وانحرافهم عن الحق والعدل.

ومن هؤلاء تعوذ النبي ﷺ ؛ من أمراء سفهاء يعدلون عن منهج النبوة ، فعن جابر بـن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة[1]: (أعاذك الله من إمارة السفهاء .

قال: وما إمارة السفهاء ؟ قال: أمراء يكونون بعدي ؛لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي،فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي) . [2]

وفي رواية:(فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأنا منه بريء) . [3]

- **كيفية التعامل مع السلاطين والأمراء:**

كما وضع ﷺ المنهجية المناسبة في التعامل مع الولاة من السلاطين والأمـراء الظلمـة والواجب تجاههم ؛والمتمثل في أمور:

**أولها** : السمع والطاعة لهم ماداموا مسلمين مصلين،وعدم قتالهم أو الخروج عليهم و(قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخـروج

---

١- هو كعب بن عجرة الأنصاري السالمي المدني من أهل بيعة الرضوان له عدة أحاديـث شـهد بيعـة الرضـوان، تأخر إسلامه ثم أسلم وشهد المشاهد مع رسول الله وهو الذي نزلت فيه بالحديبية الرخصة في فدية المحـرم إذا مسـه الأذى مات سنة (٥١هـ)أو (٥٢هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء(٥٢/٣) ، تهذيب الكمال(١٨١/٢٤)، الكاشف(١٤٨/٢).

٢- أخرجه أحمد في مسنده(٣٢١/٣)رقم(١٤٤٨١)،والمنذري في الترغيب والترهيب(١٣٤/٣)رقم(٣٣٨٩)،بـاب الترغيب في الامتناع عن الدخول على الظلمة والترهيب من الدخول عليهم وتصديقهم وإعانتهم.وقال:واللفظ لأحمد والبزار ورواتهما محتج بهم في الصحيح.قال الألباني في مشكاة المصابيح(٣٦٢٨) :إسناده حسن رقم(١٠٤٧٩٨).

٣- أخرجه ابن حبان في صحيحه(٥١٩/١)ذكر التغليظ على من دخل على الأمراء يريد تصديق كـذبهم ومعونـة ظلمهم،رقم(٢٨٦)،والمنذري في الترغيب والترهيب(١٣٦/٣)رقم(٣٣٩٣).قال المنـذري في الترغيـب والترهيـب (٢٠٤/٣) :إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما رقم(٢٠٢٦٦٩).

عليه؛ لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء وحجتهم في ذلك قوله ﷺ : (من رأى من أميره شيئًا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية) [1] [2]

ونقل الامام النووى-رحمه الله- الإجماع على ذلك فقال:(وأما الخروج علـيهم وقتـالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوافسقة ظالمين وقد تظاهرت الأحاديث على ماذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق).[3]

ويلاحظ هنا التشديد على عدم الخروج على الولاة وإن كانوا فُساقًا ؛ والسبب في ذلك يفسره أبو الوليد الباجي في قوله لولديه ينصحهما :( فالتزاما الطاعة وملازمة الجماعة، فإن السلطان الجائر الظالم أرفق بالناس من الفتنة وانطلاق الأيدي والألسنة )[4] وأحداث العراق أكبر شاهد على ذلك.

ولا يستثنى من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها ووجب خلعه واستبدال غيره به كما في الحديث عن عبادة بن الصامت قال: (دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال: فيما أخذ علينا أن بايعنا والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان) .[5]

**وثانيـهما**: الإنكـار عليهم فيما يأتون من معصية الله والنطق بكلمة الحق أمامهم لمن

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٨٨/٦)كتاب الفتن،باب: قول النبي ﷺ (سترون بعدي أمورا تنكرو ـا)رقـم (٦٦٤٥)،ومسلم في صحيحه(١٤٧٨/٣)كتاب:الإمارة،باب:وجوب ملازمة جماعة المسلمين ثم ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة رقم (١٨٤٩).

٢- فتح الباري،لابن حجر (٦/١٤).

٣- شرح النووى على صحيح مسلم (٢٢٩/١٢).

٤- النصيحة الوالدية / وصية أبي الوليد الباجي لولديه،أبوالوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: إبـراهيم بـاجس عبد ا يد ،ط١، ١٤١٧هـ ، دار الوطن – الرياض. (٣١/١).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٨٨/٦)كتاب الفتن،باب: قول النبي ﷺ (سترون بعدي أمورا تنكرو ـا)رقـم (٦٦٤٧)واللفظ له،ومسلم(١٤٧٠/٣)كتاب:الإمارة،باب:وجوب طاعة الأمراء ، رقم (١٧٠٩).

يستطيع ذلك،وترك مداهنتهم ومجاملتهم ،ويدخل في الإنكار كراهية ما هم عليه والبراءة منه ظاهرا وباطنا.

**ثالثـهما**: اعتزالهم وعدم مداخلتهم ،إلا في سبيل النصح والأمر والنهي.[1]

فإن( السلطان مسؤول أمام الأمة والناس الذين ائتمنوه على أنفسـهم وأمـوالهم ودينـهم وديارهم ، واختاروه لإدارة أمورهم ،ثم بايعوه على الطاعة ،مقابل تعهده بإقامـة العـدل وتنفيذ أحكام الشريعة واتخاذها دستورا له ، فلكل منهم حق النصح له،وعليهم واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).[2]انطلاقًا من قوله ﷺ: (ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله،ومناصحة أئمة المسلمين،ولزوم جماعتهم فإن الدعوة تحيط من ورائهم) .[3]

لاسيما أن فتنة الحكم والهيمنة والسيطرة والاستعلاء من أشد الفتن التي يتعـرض لهـا الإنسان في حياته،كما أن البطانة قد تعين وقد تخـذل؛ فـإن للسـلطان أعوانـا ووزراء ومستشارين يعاونونه في تسيير دفة الحكم إما بالحق أو بالباطل وهذا ما أشار إليه الـنبي ﷺ بأن لكل حاكم بطانة حيث قال:(ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه فالمعصوم من عصم الله تعالى) .[4]

وهنا تتحقق النصيحة لقولـه ﷺ :(الدِّين النَّصيحة ،قُلْنا: لمنْ؟ قال: للَّه ولكتابه ولرسُوله ولأئمة المُسلمين وعامَّتهم ) .[5]

---

١- ينظر: العزلة والخلطة ،سلمان العودة ص(٩١).

٢- ا تمع المسلم ، محمد علي الهاشمي ، ط١،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ،دار البشائر الإسلامية- لبنان. ص(٥٧).

٣- أخرجه الترمذي في سننه(٣٤/٥)باب:ماجاء في الحث على تبليغ السماع رقـم(٢٦٥٨)،والطـبراني في المعجـم الكبير(١٤٣/٥) رقم(٤٨٩٠)،و(١٥٤/٥)رقم (٤٩٢٥).قـال الألبـاني في صـحيح الترغيـب (٩٠):صـحيح رقم(٧٧٧٣٨).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٦٣٢/٦)كتاب:الأحكام،باب:بطانة الإمام وأهل مشـورته البطانـة الـدخلاء رقم(٦٧٧٣).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه(٣٠/١) كتاب:الإيمان،باب:قول النبي ﷺ الدين النصيحة،وقوله تعالى:(إذا نصحوا لله ورسوله)بدون رقم،ومسلم في صحيحه(٧٤/١)كتاب:الإيمان ،باب:بيان أن الدين النصيحة رقم(٥٥).

(ففي هذا الحديث أن من الدين النصح لأئمة المسلمين وهذا أوجب ما يكـون فكـل من واكلهم وجالـسهم وكل من أمكنه نصح السلطـان لزمه ذلك إذا رجـا أن يسـمع منه).[1]

وتكون النصيحة لهم من خلال : (معاونتهم على الحق ،وطاعتهم فيه ،وتذكيرهم به رفق ولطف ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك).[2]

- **شروط النصيحة للسلطان:**

إلا أن النصيحة للسلطان تستلزم أمورا عدة منها :

١- **القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**،ومعرفة قدره ومكانه وزمانـه وكيفيته بناء على فقه حديث التدرج في تغيير المنكر.

قال ابن الجوزي :( الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين : التعريف والوعظ،فأما تخشين القول نحو:ياظالم ، يامن لا يخاف الله،فإن كـان ذلك يحرك فتنة يتعدى شررها إلى الغير لم يجز،وإن لم يخف إلا على نفسه فهـو جائز عند جمهور العلماء .

وليس لأحد منع السلطان بالقهر باليد ، ولا أن يشهر عليه سلاحا،أو أن يجمع عليه أعوانا،لأن في ذلك تحريكًا للفتنة، و ييجا للشر، وإذهابا لهيبة السلطان من قلوب الرعية،وربما أدى ذلك إلى تجرئهم على الخروج عليه،وتخريب البلاد ).[3]

قيل لحذيفة:ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال:(إن الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر لحسن،ولكن ليس السنة أن ترفع السلاح على إمامك).[4]

---

١- التمهيد لابن عبد البر(٢٨٥/٢١).

٢- جامع العلوم والحكم ، لابن رجب (١٥١/١).

٣- الموازين مختصر تنبيه الغافلين ، للإمام محيي الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الشـهير بـابن النحـاس ، إختصار:رجائي بن محمد المصري المكي،ط١، ١٤٠٩هـ،مكتبة الفاروق-القاهرة ص(٣٤).

٤- السنن الواردة في الفتن وغوائلها ،لأبي عمـرو الـداني،تحقيق:المبـاركفوري،،ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م،دار العاصمة،الرياض. (٣٩١/٢)رقم(١٣٣).

وقال الإمام أحمد: (لا يتعرض للسلطان؛فإن سيفه مسلول).(١)

وللصحابي الجليل عبد الله بن عمر ﷺ موقف ناصح مع أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ أيام الفتنة حين( دخل عليه وعنده المغيرة بن الأخنس ، فقال عثمـان لابن عمر:هل تدري ما يقول هذا ؟ قال:وما يقول ؟ قال :يقول: تخلعهـا ولا تقتل،فقال عبد الله:أرأيت إذا خلعتها أمخلد أنت في الدنيا ؟ قال : لا.قال: وإن لم تخلعها قتلوك؟ قال:نعم.قال: فيملكون لك جنة أو نارا،أو بأيديهم ذلـك ؟ قال:لا.فإني لا أرى أن تخلع قميصا قمصكه الله فتكون سنة كلما كـره قـوم خليفتهم أو إمامهم قتلوه).(٢)

٢- **رجاء الداعي إجابة المدعو (السلطان)** فقد( سئل مالك بن أنس أيأتي الرجل إلى السلطان فيعظه وينصح له ويندبه إلى الخير؟ فقال: إذا رجا أن يسمع منـه وإلا فليس ذلك عليه).(٣)

**٣- الإسرار له بالنصح وعدم إظهارها على الملأ.**

لذا قال ﷺ :(من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يُبدِ له علانية،ولكن ليأخذ بيده فيخلو به،فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له) .(٤)

وبناء على هذا الحديث العظيم جاءت أقوال السلف وأفعالهم ؛ فحين سئل ابـن عباس رضي الله عنهما عن أمر السلطان بالمعروف و يه عن المنكر؟ قال : (فـإن كنت فاعلاً ولا بد ففيما بينك وبينه).(٥)

---

١- الآداب الشرعية،لابن مفلح المقدسي(١٩٧/١).

٢- تاريخ مدينة دمشـق،لابن عسـاكر،ترجمة عثمـان (٣٥٧/٣٩)،تحقيـق:محـب الـدين عمـر العمـروي، ط بدون،١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، دارالفكر بيروت.

٣- التمهيد لابن عبد البر(٢٨٥/٢١).

٤- أخرجه أحمد في سننه(٤٠٣/٣)رقم(١٥٣٦٩)،كتاب السنة لابن أبي عاصم(٥٢١/٢)باب:كيف نصيحة الرعيـة للولاةرقم(١٠٩٦)،قال الألباني:إسناده صحيح،وأخرجه الطبراني في الكبير(٣٦٧/٧).

٥- شعب الإيمان للبيهقي(٩٦/٦)،وينظر: جامع العلوم والحكم،لابن رجب (١٥٣/١).

كما وجه عمر بن الخطاب ﷺ رعيته إلى ذلك فقال: (أيتها الرعية ! إن لنا عليكم حقا ؛النصيحة بالغيب،والمعاونة على الخير).[1]

وقال الشوكاني معلقًا على الحديث: (ينبغي لمن ظهر له غلط الإمـام في بعـض المسائل أن يناصحه ،ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد).[2]

لما يترتب على ذلك من الوقوع في الفتنة حيث جاء عن أسامة بن زيد أنه قيل له: ألا تدخل على عثمان لتكلمه ؟ فقال: ألا أسمعتكم والله لقد كلمته فيما بيني وبينه دون أن أفتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه.[3]

والمراد من قول زيد :أن أفتح أمرا وفي رواية بابا ؛أي: (باب الإنكار على الأئمـة علانية؛خشية أن تفترق الكلمة ثم عرفهم أنه لا يداهن أحدا ولو كان أمـيرا بـل ينصح له في السر جهده. وذكر لهم قصة الرجل الذي يطرح بالنار لكونه كـان يأمر بالمعروف ولا يفعله ليتبرأ مما ظنوا به من سكوته عن عثمان في أخيه ...وقال عياض: مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك،بل يتلطف به وينصحه سرا ؛ فذلك أجدر بالقبول).[4]

فإن (لم يكن يتمكن من نصح السلطان فالصبر والدعاء له فإنهم كانوا ينهون عـن سـب الأمراء)،[5] لقوله ﷺ: (إذا كانت عليكم أمراء يأمرونكم بالصلاة والزكاة والجهاد ؛ فقد حرم الله عليكم سبهم ،وحل لكم الصلاة خلفهم) .[6]

---

١- أخرجه هناد بن السري في الزهد (٦٠٢/٢)،باب:الحلم والعفو ،رقم(١٢٨١)،وينظر:تاريخ الطبري(٥٧٨/٢).

٢- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار،تحقيق:محمود إبراهيم زايد،ط١،دارالكتب العلمية،بيروت (٥٥٦/٤).

٣- ينظر:فتح الباري،لابن حجر(٥١/١٣).

٤- المصدر السابق نفسه (٥٢/١٣).

٥- التمهيد لابن عبد البر(٢٨٧/٢١).

٦- أخرجه البخاري في التاريخ الصغير(٢٠٣/١)،وأبو نعيم في معرفة الصحابة من طريق الجريـري عـن أبي تميمـة الهجيمي،قال الحافظ في الإصابة (١٥٢/٧):وسنده صحيح،كما أخرجه البزار في مسنده (زوائد البـزار)الطـبراني في المعجم الكبير(٤٣/١٧)من رواية عمرو البكالي رقم(٩٠).

وقال ﷺ : (من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله) .[1]

وقد ابتلي كثير من الناس في هذا الزمان بهذا الأمر واستهانوا بأعراض الولاة بسبب وبدون سبب ،متغافلين عن حرمته وقد حذر العلماء المعاصرون من ذلك ومن هؤلاء الشيخ محمد العثيمين إذ قال : ( لقد ابتلي بعض الناس بغيبة صنفين من الأمة وهما ولاة الأمور فيها من العلماء والحكام ، حيث كانوا يسلطون ألسنتهم في المجالس على العلماء وعلى الدعاة وعلى الأمراء وعلى الحكام الذين فوق الأمراء ، وإن غيبة مثل هؤلاء أشد إثماً وأقبح عاقبة وأعظم أثراً لتفريق الأمة . إن غيبة ولاة الأمور من أمراء وعلماء ليست غيبة لهؤلاء بأشخاصهم ولكنها غيبة وتدمير لما يحملونه من المسئولية.

فإن الناس إذا اغتابوا العلماء قل قدر العلماء في أعين الناس ؛ وبالتالي يقل ميزان ما يقولونه من شريعة الله، وحينئذ يقل العمل بالشريعة بناء على هذه الغيبة ؛ فيكون في ذلك إضعاف لدين الله تعالى في نفوس العامة .

وإن الذين يغتابون ولاة الأمور من الأمراء والحكام إنهم ليسيئون إلى المجتمع كله ، لا يسيئون إلى الحكام فحسب ولكنهم يسيئون إلى كل المجتمع ، إلى الإخلال بأمنه ، واتزانه وانتظامه ، ذلك لأن ولاة الأمور من الأمراء والحكام إذا انتهك الناس أعراضهم قل قدرهم في نفوس العامة وتمردوا عليهم فلم ينصاعوا لأوامرهم ولم ينتهوا عما نهوا عنه ، وحينئذ تحل الفوضى في المجتمع ويصير كل واحد من الناس أميراً على نفسه ، وحينئذ ، تفسد الأمور ويصبح الناس فوضى لا سراة لهم ، وإن الغيبة من كبائر الذنوب ليست بالأمر الهين).[2]

بل الحق وما عليه سلف الأمة هو الدعاء للسلطان لأن في صلاحه صلاح للرعية؛وفي فساده بلاء على الأمة (وقد حذر السلف من الدعاء عليه فإنه يزداد شرا ويزداد البلاء

---

١- أخرجه الترمذي في سننه(٥٠٢/٤)أبواب الفتن باب(٤٧)رقم(٢٢٢٤)،وقال:حسن غريب،وأخرجه الإمام أحمد في مسنده(٤٢/٥) رواية أبي بكرة، قال الألباني في السلسلة الصحيحة(٣٧٦/٥):حسن.

٢- وجوب طاعة السلطان(٥١-٥٢) للعريني ، والفتاوى الشرعية (٥٩-٦٠) للحصين.نقلا عن: المدارج في كشف شبهات للخوارج،لأبي عمر أحمد بن عمر بازمول، ومسألة تكفير حكام المملكة العربية السعودية (دعوة للحوار لاتباع الحق،موقع/منتديات الساخر.

على المسلمين)[١]

وكان من نهجهم في ذلك الدعاء له فيقول الفضيل بن عياض: (لو أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام).[٢]

ويقول الإمام أحمد بن حنبل : (وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار،والتأييد، وأرى ذلك واجبا علي)[٣]

وقال البربهاري: (فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح،ولم نؤمر أن ندعو عليهم،وإن ظلموا، وجورهم على أنفسهم،وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين).[٤]

كما يقول الطحاوي : (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا،ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدا من طاعة ،ونرى طاعتهم من طاعة الله ﻷ فريضة ما لم يأمروا بمعصية،وندعو لهم بالصلاح والمعافاة).[٥]

## ٤- الأمن من فتنة الدين والدنيا.

فقد جاء عن ابن مسعود قوله: (إن على أبواب السلطان فتنا كمبارك الإبل، والذي نفسي بيده لا تصيبون من دنياهم إلا أصابوا من دينكم مثله).[٦]

ذلك أن الفتنة التي تعرض لملازم أبواب السلطان من أشد الفتن على المسلم فهي تجمع بين فتنتي الدين و الدنيا ؛فإن وافقه فيما يقول ويفعل من مخالفات شرعية فقد عرض دينه للبوار والهلكة؛ (وقد كان الفضيل بن عياض يشدد في هذا فيقول ربما دخل العالم على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه منه شيء قالوا:كيف ذلك؟ قال يمدحه في وجهه ويصدقه في كذبه.

---

١- فيض القدير، للمناوي (٣٩٩/٦).

٢- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني(٩١/٨).

٣- السنة ،أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: عطية الزهراني ، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م،دار الراية،الرياض (٨٣/١)

٤- شرح السنة (٥١/١).

٥- شرح العقيدة الطحاوية،ط٨، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م،المكتب الإسلامي، بيروت. ص(٣٧٩).
٦- الجامع في الحديث ،لمعمر بن راشد (٣١٧/١١)،وعبد الرزاق في مصنفه(٣١٧/١١).

وذكر أحمد بن حنبل عن ابن المبارك قال: لا تأتهم فإن أتيتهم فاصدقهم. قال: وأنا أخاف ألا أصدقهم).[1]

وعن حذيفة قال: ( إياكم ومواقف الفتن قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله ؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول له ما ليس فيه).[2]

لذا ينبغي على المرء ألا يغتر ويطلق الثقة بنفسه ؛ فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ولا يقول كما جاء عن أناس في حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (إنَّ ناسًا من أمتي سيتفقهون في الدين ويقرؤون القرآن يقولون نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يُجتنى من القتاد إلا الشوك كذلك لا يُجتنى من قربهم إلا . . قال كأنه يعني الخطايا) .[3]

من هنا كان تحذير الرسول ﷺ لأمته من الوقوف على باب السلطان فقال: (من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن) .[4]

هذا في حال الموافقة أما إذا خالفه فإنه يخشي على حياته التعذيب والهوان والسوط والجلاد،فعن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس:آمر إمامي بالمعروف؟ فقال ابن عباس: (إن خشيت أن يقتلك فلا...).[5]

---

١- التمهيد لابن عبد البر(٢٨٦/٢١).
٢- الجامع في الحديث، لمعمر بن راشد (٣١٦/١١).
٣- أخرجه ابن ماجه في سننه(٩٣/١)باب الانتفاع بالعلم والعمل به،رقم(٢٥٥)،والمنذري في الترغيب والترهيب(١٣٦/٣)كتاب القضاء وغيره والترهيب من تولي السلطة رقم(٣٣٩٤)وقال(٢٠٥/٣)رواته ثقات،رقم (٢٠٢٦٧٥)،.قال الألباني في السلسلة الضعيفة(١٢٥٠):ضعيف رقم(٩٧٦٥٤).
٤- أخرجه أبو داود (١١١/٣)كتاب الصيد،باب:اتباع الصيد برقم (٢٨٥٩)،والترمذي في سننه(٥٢٣/٤)كتاب الفتن،باب(٦٩)برقم(٢٢٥٦)قال أبو عيسى:هذا حديث حسن صحيح غريب،والنسائي في سننه(١٩٥/٧)كتاب الصيد،باب:اتباع الصيد،وأحمد في مسنده(٣٥٧/١)، والبيهقي في السنن الكبرى(١٠١/١٠)كتاب آداب القاضي،باب:كراهية طلب الإمارة،وقال الألباني في صحيح الجامع(٦٢١٤): صحيح رقم(٨٨٠٠).

٥- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(٧٥/١٥)،وسعيد بن منصورفي سننه(١٦٥٧/٤)،وابـن أبي الـدنيا في الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكرص(١١٣)،والبيهقي في شعب الإيمان(٢٧٣/١٣).

وقد جمع ميمون بن مهران التحذير من الفتنتين بقوله:( في صحبة السلطان خطـر ؛إن أطعته خاطرت بدينك،وإن عصيته خاطرت بنفسك،والسلامة أن لا يعرفك).[١]

وعليه (فلا بد لمن يغشى السلطان من أن يعرف المعروف من المنكر، فيأمر بذاك وينهى عن هذا،ويبرأ مما يتلبس به السلاطين من المنكرات،ويحذر من الرضا بفعلهم ،والمتابعة لهم علـى زيغهم وانحرافهم ،فإن فعل كان من الهالكين).[٢]

يؤكد ذلك قوله ﷺ: (من أرضى سلطاناً بما يُسخط ربه خرج من دين الله) .[٣]

## مشروعية اعتزال السلطان:

وفي حال فُقدت هذه الأمور فإن اعتزال السلطان الفاسد حينئذ يكون أمرا مطلوبا لـذا قيل:( إنما فر من فر من الأمراء لأنه لا يمكنه أن ينصح لهم ولا يغير عليهم ولا يسـلم مـن متابعتهم)، لاسيما إذا تلفظ بما يغضب السلطان أوبطانته من باب الأمر بالمعروف والنـهي عن المنكر، وهو أفضل الجهـاد لقولـه ﷺ : (أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند ذي سلطان جائر) .[٤]

وصدق ﷺ ففي الأزمات يكثر السؤال،والقيل والقال ،تتفرع الأسئلة..تتزايد، ويفجـر الموقف الواحد ألف سؤال..

وتتلفت الأمة إلى قامات العلماء ليسمعوا كلمة ..والكلمة هنا غالية؛ غالية لأ ا تكلف الإنسان رأسه ..أو ظهره..أو وظيفته،أو على الأقل ذما ونفـورا ، وغالية لأ ا قد تخـالف

---

١- العزلة والخلطة، سلمان العودة ص(٩٨).

٢- تنبيه الغافلين ، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي(٥٧٧/٢)باب:مخالطة السلطان،تحقيق:عبد العزيز الوكيل، ط٤، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م،دار الشروق - جده.

٣- أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٩/٣)كتاب القضاء،برقم(٣٤٠٥)وقال: رواه الحاكم وقال تفرد بـه علاق بن أبي مسلم عن جابر والرواة إليه كلهم ثقات.

٤- أخرجه أبو داود في سننه(٤/٣٣٣)كتاب الملاحم،باب الأمر والنهي،رقم(٤٣٤٤)،والترمذي في سـننه(٤/٤٧١) كتاب:الفتن،باب:ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر.قال الألباني في السلسـلة الصـحيحة(١/٨٧٧) :صحيح بشواهده رقم(١٥٠٥٣٠).

هوى من فوقه أو من تحته أو من معه ،أو حتى هوى نفسه.

## جهاد الكلمة:

وحينئذ فلا بد من القيام بجهاد الكلمة وتوضيح الدين؛خاصة إذا مست الأمة في عقيـدتها، وشوش التوحيد،وهمشت الثوابت،ونطق الرويبضة فهنا يقـول ﷻ:﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ .[النساء:١٣٥]

واللي: هو الكذب أو التحريف ،والإعراض كتمان الحق؛وهلكـة العلمـاء في أحـد هذين.قال عبدالله بن أحمد بن حنبل:(حدثني أبو معمرالقطيعي[١] قال: لما حضـرنا في دار السلطان أيام المحنة،وكان أبو عبد الله أحمد بن حنبل قد أحضر، فلما رأى النـاس يجيـؤن انتفخت أوداجه واحمرت عيناه وذهب ذلك اللين الذي كان فيه قلت إنه قد غضب لله قال أبو معمر فلما رأيت ما به قلت يا أبا عبدالله أبشر...وكان من أصحاب النبي ﷺ مـن إذا أريد على شيء من دينه رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون).[٢]

واعلم أن المعاني المجردة من التطبيق قد يتمدد العلماء-وأنصاف العلماء وأربـاعهم-في تنظيرها؛يرفعون ويخفضون،ويوجبون ويحرمون،ويحكمون ويرسمون المواقف،فـإذا وقعـت الأزمة ووجب أن تترجم تلك المعاني إلى مواقف، إلى حركة، إلى ثمن، إلى نعم أو لا ؛ فهنا تكع النفوس، ويتغير الموقف؛خوفًا أو ضعفًا أو جهالة إلا من شاء الله.

وقد تكون المسألة بغاية الوضوح وقت الرخاء؛فإذا وقعت الواقعة فأنما غشيتها غمامة![٣]

(وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم ؛لأن النية قد تحسن في أول الدخول،

---

١- إسماعيل بن إبراهيم بن معمر بن الحسن الهذلي أبو معمر القطيعي الهروي نزيل بغداد،صاحب سنة وفضل وخـير وهو ثقة ثبت صدوق،أخذ في المحنة فأجاب،روى له النسائي توفي سنة(٢٣٦هـ)

ينظر: التعديل والتجريح للباجي(١/٣٦٣) تهذيب الكمال للمزي (٣/١٩).

٢- حلية الأولياء ، للأصبهاني (٩/١٩٤).

٣- ينظر: واجب المسلم عند الفتن(سلسلة تصدر عن المنتدى)،باسل سعود الرشود،ط١، ٢٠٠٣م،١٤٢٤هـ، أضواء المنتدى،الرياض.

ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم ،أو بالطمع فيهم ،ولا يتماسك عن مداهنتهم ،وترك الإنكار عليهم .

وقد كان سفيان الثوري يقول : ما أخاف من إهانتهم لي، إنما أخاف من إكرامهم، فيلين قلبي إليهم.

كما كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء ؛لما يظهر من جورهم،فتطلبهم الأمراء لحاجتهم إليهم في الفتاوى والولايات ،فنشأ أقوام قويت رغبتهم في الدنيا ،فتعلموا العلوم التي تصلح للأمراء،وحملوها إليهم ؛لينالوا من دنياهم).[١]

وماحدث من هؤلاء إنما هو من الافتتان بالدنيا وزينتها والإقبال عليها، وبيع الآجل بالعاجل من خلال القول والإقرار للسلاطين على ماهم فيه.

**أما القول:**

فيكون بالثناء عليهم ومدحهم بما ليس فيهم ، وقد أورد البخاري بابا في كراهية ثناء السلطان لما يترتب على ذلك من وقوع المرء في النفاق، والسلطان في الغرور والتعالي والاستكبارعن قبول الحق وما دفعهم إلى ذلك إلا الثناء والمدح بما لم يفعلوا ؛ وقد نقل الخطابي قول بعض الحكماء في حقيقة هذا الأمر فقال :( إن الذي يحدث للسلاطين التيه في أنفسهم والإعجاب بآرائهم كثرة ما يسمعونه من ثناء الناس عليهم ،ولو أنهم أنصفوهم فَصدقُوهم عن أنفسهم لأبصروا الحق ،ولم يخف عليهم شيء من أمورهم ).[٢]

وهذا خلاف ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ من القوة في الحق، والقدرة على توجيه السلطان والتأثير عليه بما يحقق مصالح العباد وقضاء حوائجهم، فوصل بهم الحال أن قال أناس لابن عمر:( إنا ندخل على سلطاننا فنقول لهم خلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم قال:كنا نعدها نفاقًا).[٣]

---

١- المنتقى النفيس من تلبيس إبليس،لابن الجوزي،بقلم:علي حسن عبد الحميد ص(١٣٤)،ط٤، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م،دار ابن الجوزي،المملكة العربية السعودية.

٢- العزلة للخطابي ص(٢٣٣).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٦٢٦/٦)كتاب: الأحكام،باب: مايكره من ثناء السلطان،رقم(٦٧٥٦).

وعن عروة قال:(قلت لعبد الله بن عمر:يا أبا عبد الرحمن إنا ندخل على الأمراء فيقضي أحدهم بالقضاء جورا فنقول:وفقك الله وينظر إلى الرجل منا فيثني عليه. فقال: أما نحن معشر أصحاب رسول الله ﷺ فكنا نعده نفاقًا فما أدري ما تعدونه أنتم؟!)[١].

## كما يكون بالإقرار على الظلم والجور:

عن عروة بن الزبير قال أتيت عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت له: ( يا أبا عبد الرحمن إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء فيتكلمون بالكلام نحن نعلم أن الحق غيره فنصدقهم، ويقضون بالجور فنقويهم ونحسنه لهم فكيف ترى في ذلك؟ فقال يا بن أخي كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعد هذا النفاق فلا أدري كيف هو عندكم).[٢]

لذا تظافرت الأقوال في كراهة الوقوف على باب السلطان ومصاحبته وقد قيل:(إذا أردت أن تنجو فاجتنب ثلاثًا : لا تدخلن على السلطان،ولا تدخل في وصية ،ولا تحج عن ميت).[٣]

و( قال رجل لسفيان يا أبا عبد الله أوصني؟ قال: إياك والأهواء والخصومة وإياك والسلطان.

ويقول سفيان :المسلمون كلهم عندنا على حالة حسنة إلا رجلين صاحب بدعة أو صاحب سلطان).[٤]

وقال يونس بن عبيد[٥] : (لا تجالس سلطانا ولا صاحب بدعة).[٦]

---

١- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٣١/١٢)،رقم (١٣٢٦٥).

٢- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(١٦٥/٨)باب: ماعلى الرجل من حفظ اللسان، رقم(١٦٤٤٧)،والطبراني في المعجم الكبير (٣٣١/١٢)،رقم (١٣٢٦٥).

٣- العزلة للخطابي ص(٢٢٩).

٤- ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،للالكائي (١٥٤/١).

٥- يونس بن عبيد بن دينار العبدي أبو عبد الله ويقال أبو عبيد البصري مولى عبد القيس الإمام القدوة الحجة، من صغار التابعين وفضلائهم،كان ثقة كثير الحديث والاستغفار مات سنة(١٤٠هـ).

تهذيب الكمال للمزي(٥١٧/٣٢)، سير أعلام النبلاء للذهبي(٢٨٨/٦).

٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،للالكائي (١٥٣/١).

وتوعد النبي ﷺ المرائين بأعمالهم عند السلاطين بالعذاب الأليم فقـال:(تعوذوا بالله من جب الحزن، قالوا: يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال: واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة. قيل: يا رسول الله ومن يدخله؟ قال: أعد للقراء المرائين بأعمالهم، وإن من أبغض القراء إلى الله عز وجل الذين يزورون الأمراء). (1)

فجاءت الشريعة بصرف السلطان والمال في سبيل الله فإذا كان المقصود بالسلطان والمال هو التقرب إلى الله وإنفاق ذلك في سبيله كان ذلك صلاح الدين والدنيا وإن انفرد السلطان عن الدين، أوالدين عن السلطان فسدت أحوال الناس وإنما يمتاز أهل طاعة الله عـن أهـل معصيته بالنية والعمل الصالح كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ :(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). (2)

---

١- أخرجه ابن ماجه في سننه(٩٤/١)رقم(٢٥٦)باب:الانتفاع بالعلم والعمل به واللفـظ لـه ،المعجـم الأوسـط للطبراني(٢٠٢/٦)رقم(٢٥٦)قال المنذري في الترغيب والترهيب(٣٤١/٤): إسناده حسن رقم(٢٠٧٧٦١).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه(١٩٨٧/٤)كتاب:البر والصلة والآداب،باب:تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمـه وعرضه وماله،رقم(٢٥٦٤).

## خلاصة مبحث السلطان:

- لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بقيادة ولا قيادة إلا بسمع وطاعة.
- أولى الأقوال بالصواب في قولـه ﷻ :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[ النساء: ٥٩] أ م الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ.
- أن السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين أصل من أصول العقيدة.
- أن طاعة السلطان مقيدة بالمعروف ولا طاعة في معصية.
- لا يجوز محاربة السلطان إلا في حالتين:
  - أن يروا منه كفرا بواحا.
  - القدرة على التغيير.
- صدق نبوءة الرسول ﷺ حين استعاذ من إمارة السفهاء.
- وضع ﷺ المنهجية المناسبة في التعامل مع السلاطين والواجب تجاههم متـدرجا في ذلك من خلال :
  - وجوب السمع والطاعة.
  - الإنكار عليهم عند وقوع المعصية وعدم مداهنتهم.
  - اعتزالهم وعدم مداخلتهم إلا للنصيحة ومن شروطها :
    - القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
    - رجاء الإجابة.
    - الإسرار بالنصح وعدم إظهاره على الملأ.
    - الأمن من فتنة الدين والدنيا.

فإذا فقدت هذه الشروط وجب الاعتزال لئلا تقع الفتنة بالقول والإقرار.

- الوعيد للمفتونين بالدنيا وزينتها نتيجة التقرب للسلاطين.
- امتياز أهل الطاعة عن أهل المعصية بالنية والعمل الصالح.

## المبحث الرابع :عـزلة الفتن والحروب

### تعـريف الفتنة:

**لغـة :** جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد، فجاء تارة بمعنى العذاب، أو مـا يحصل عنـه العذاب، وتـارة بمعنى الاختبار نحو ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ ﴾ [طه: ٤٠] وجعلت الفتنة كالبلاء في أ نما يستعملان فيما يدفـع إليه الإنسان من شدة ورخاء وهما في الشدة أظهـر معنى وأكثر استعمالا. [١]

### اصطلاحـًا :

يقول ابن حجر: ( أصل الفتنة الاختبار ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبـار إلى المكروه ثم أُطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك). [٢]

وقال الراغب الأصفهاني: ( والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة ، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون ضد ذلك). [٣]

## التحذير من الفتن في الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح :

وهـذه الفتنة التي تكون من الإنسان وبفعله والتي تخالف أمـر الله مذمومة في الكتاب والسنة، وإنما ذُكرت في القرآن الكريم والسنة المطهرة من باب التحذير منها واتقاء شـرها

---

١- ينظر :المفردات في غريب القـرآن، للراغـب الأصـفهاني ص(٣٧٤) مـادة (فـتن)،لسـان العـرب لابـن منظور(٣١٧/١٣)،مختار الصحاح لأبي بكر الرازي(٢٠٥/١).

٢- فتح الباري (٣/١٣).

٣- المفردات في غريب القرآن ص(٣٧٤) مادة (فتن).

باتخاذ كافـة الأساليب والوسائل الكفيلة بدفعها، أو العمل على رفعها والتقليـل مـن مضارها وسلبيا ا؛ ولا يكون ذلك إلا بمعرفـة أسبا ا ونتائجها على الفرد والجماعة، ومن ثم بيان الموقف الشرعي تجاهها.

فأمـر الله ﷻ عباده باتقاء الفتنة والتحرز من الوقوع فيها فقال ﷻ ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [ الأنفـال:٢٥].

واختلف المفسرون في المعنيين ـذه الآية فمنهم من قال: ( إ ا نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ ومعناه: اتقوا فتنة تصيب الظالم وغير الظالم.

وقال الحسن: نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير ﭫ).[1]

قال الزبير بن العوام: ( لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون ا يعني ما كان يوم الجمل... وقال ابن عباس: أمر الله ﷻ المؤمنين أن لا يقروا على المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم ).[2]

( والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم - وإن كان الخطاب معهـم- هـو الصحيح ويدل عليه الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن ).[3]

---

١- وهذا مايراه الإمام أبو عمرو الداني وأن الآية خاصة فيمن أصابتهم الفتنة يـوم الجمـل وغـيره فيمـا شـجر بينهم،وحجته في ذلك أ ا كانت أول فتنة منيت ا الأمة الإسلامية،يقول المباركفوري معلقًا على ذلك:( إلا أنـه لا يلزم من ذلك أن حكم الآية خاص م ، بل حكمها ماض إلى يوم القيامة)السنن الواردة في الفتن وغوائلها(٢٠٧/١).
وقد عقد الإمام البخاري أول باب من كتاب الفتن في صحيحه ،وترجم له بالآية المذكورة إلا أنه زاد في الترجمة فقال: ( وما كان النبي ﷺ يحذر من الفتن) ينظر: صحيح البخاري(٢٥٨٧/٦).
٢- تفسير البغوي المسمى معالم الت يل،البغوي،تحقيق:عبد الرزاق المهدي،ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت(٢٨٣/٢).
وفي رواية أخرى ( لما نزلت هذه الآية ونحن يومئذ متوافرون قال: فجعلت أتعجب من هذه الآية أي فتنة تصيبنا؟ مـا هذه الفتنة ؟ حتى رأيناها ) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، في التفسير(٣٥١/٦)رقم(١١٢٠٦)، وأحمد في مسـنده (١٦٧/١) مسند الزبير.
٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣٠٠/٢).

حيث تنبأ النبي ﷺ بأن هذه الأمـة تبتلى بكثير من الفـتن فقـال ﷺ: (تُرسل عليهم الفتن إرسال القطر ).[1]

وجاء عن أسامة عن رسول الله ﷺ أنه قال:( فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم ).[2]

أي بيوت الصحابة ﷺ في المدينة النبوية (وانما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان ﷺكان ا ثم انتشرت الفتن في البلاد بعـد ذلك فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كذلك بسبب التحكيم بصفين وكل قتال وقـع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه... فأخبر ﷺ في حديث أسامة بوقوع الفتن خلال البيوت ليتأهبوا لها فلا يخوضوا فيها ويسألوا الله الصبر والنجاة من شرها).[3]

فأرشد النبي ﷺ أمته إلى التـأهب لها والتحرز منها من خلال إعلامهم بوقـوع فـتن فيهـم وبينهم، وأحوال الناس فيه إقبالٌ وإعراض ، والواجب عليهم عند وقوعهـا فقـال ﷺ :( ستكون فتن؛ القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به).[4]

( ومعنى تستشرفـه: أي لكه؛ بأن يشرف منها على الهلاك، فمن انتصب لها انتصبت له، ومن أعرض عنها أعرضت عنه، وحاصله أن من طلع فيها بشخصه قابلته بشرها.

فمن وجد ملجأ يلتجىء إليه من شرها،أو معاذًا فليعذ به بأن يعتزل فيه ليسلم من شرها،

---

١- أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(٤٥٩/٧) رقم(٣٧٢١٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٠٥/٢) رقـم(٢٢٧٢) (٣١٠/٢) رقم(٢٢٩٠).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(١١/١٣)كتاب الفتن، باب: قول النبي(ويل للعرب من شر قد اقترب) رقم(٧٠٦٠) ومسلم في صحيحه(٢٢١١/٤)كتاب:الفتن، باب: نزول الفتن، رقم(٩).

٣- فتح الباري لابن حجر(١٣/١٣).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(٣٠/١٣)كتاب:الفتن، باب: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم رقـم(٧٠٨٢)، ومسلم في صحيحه (٢٢١١/٤-٢٢١٢) كتاب الفتن، باب: نزول الفتن كمواقع القطر، رقـم(١٠) مـن حـديث أبي هريرة.

وفيه التحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها).[1]

وذلك لما يحيط بالفتنة في أوج انبعاثها من الأمور المشتبهة ما الله به عليم ؛ من اختلاط الحق بالباطل وتضارب الأقوال، وتصاعد المواقف وتباينها فتكون الأمور كغمامة سوداء لا يظهر ما وراءها.

وصدق الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيان حال الفتنة حين سئل عنها فقال:( إن الفتنة إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت أسفرت؛ وإنما الفتن نحوم كنحوم الرياح يصبن بلدا ويخطئن آخر، فانصروا أقواما كانوا أصحاب رايات يوم بدرٍ ويوم حنين تنصروا وتؤجروا، ألا إن أخوف الفتنة عندي عليكم فتنة عمياء مظلمة خصت فتنتها وعمت بليتها أصاب البلاء، من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمي عنها، يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتى تملأ الأرض عدوانا وظلما).[2]

بل جاء في الأحاديث ما هو غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها حيث يقول ﷺ: (ويل للعرب من شر قد اقترب، موتوا إن استطعتم)،[3] (فجعل الموت خيرا من مباشرة الفتن).[4]

## المنهجية الصحيحة في التعامل مع الفتن :

وعند تدبر الآيات والأحاديث الواردة في الفتن نجدها قد تضمنت المنهجية الصحيحة في التعامل مع الفتن وبيان الموقف الشرعي للمسلم حيال ذلك؛ فقد جاء ذكر المخرج منها في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه حيث يقول في آخره: (وأيم الله إني لأظنها مدركتي وإياكم

---

١- ينظر: فتح الباري لابن حجر (٣١/١٣).

٢- أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٢٨/٧).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه(١٣/١٣)مع الفتح من حديث أبي هريرة مرفوعا،وقد أخرجه كاملاً الحاكم في مستدركه(٤٨٦/٤)رقم(٨٣٥٧) وقال الحاكم:هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

٤- فتح الباري،لابن حجر(١٣/١٣).

وأيم الله مالي ولكم منها مخرج إن أدركتنا فيما عهد إلينا ﷺ إلا أن نخرج كما دخلنا فيها)[1]

قال الحسن -رحمه الله-:

( ما الخروج منها كيوم دخلوا فيها إلا السلامة ،فسلمت قلو م وأيديهم وألسنتهم).[2]

سلامة النية سلامة العمل سلامة القول

**أولاً- سلامة القلوب (الاعتزال القلبي):**

للإيمان حلاوته التي تستقر به القلوب،وللتقوى جتها ومكانتها السامية التي يتميز ـا المؤمنون الخُلص في أحوالهم العادية، فإذا وقعت الشدائد وتتابعت الفتن وجدوا ثمرة ذلـك الإيمان وتلك التقوى ثباتا وقربا وتعبدا؛ لأ م يعلمون أن السبب الأكبر للفتن هو البعد عن الله، ومخالفة الت يل، وعصيان النبي ﷺ قـال تعـالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٤]

فكل من( خالف أمر الله وما أنزله على رسوله أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه فإن له معيشة ضنكًا في الدنيا؛ فـلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صـدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبه يتردد فهذا من ضنك المعيشة)[3]

فإذا وقعت الفتنة وجبت التوبة والإنابة إلى الله، وصـدق الالتجاء إليه، والاستغاثة بـه، مصداق ذلك قولـه ﷺ: (بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم ،يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا أو يمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا ،يبيع دينه بعرض من الدنيا ).[4]

---

١- أخرجه ابن ماجه في سننه(١٣٠٩/٢)كتاب:الفتن،بـاب:التثبـت في الفتنـةرقم(٣٩٥٩)،وأحمـد في مسـنده (٤٠٦/٤)،وابن أبي شيبة في مصنفه(١٠٥/١٥)وذكره الألباني في الصحيحة (٢٤٨/٤)رقم(١٦٨٢).

٢- السنن الواردة في الفتن،لأبي عمرو الداني(٢٢٠/١).

٣- تفسير القرآن العظيم،لابن كثير(١٦٩/٣).

٤- أخرجه مسلم في صحيحه(١١٠/١)كتاب:الإيمان،باب:الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن=

ويرشد الحديث إلى ( الحث على المبـادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر.

ووصف ﷺ نوعا من شدائد تلك الفتن وهو أنه يمسى مؤمنا ثم يصبح كافرا أو عكسه، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان فى اليوم الواحد هذا الانقلاب).(١)

فلزم والحال هـذه أن يفر المرء بدينه من الفتنة إلى العبادة وهذا ما أراده النبي ﷺ حين قال: ( العبادة في الهرج كهجرة إليّ ).(٢)

( ووجه تمثيله ﷺ بالهجرة: أن الزمان الأول كان الناس يفرون فيه من دار الكفر وأهله، إلى دار الإيمان وأهله، فإذا وقعت الفتن تعين على المرء أن يفر بدينـه من الفتنة إلى العبـادة ويهجر أولئك القوم وتلك الحالة).(٣)

قال النووي-رحمه الله- عند شرحه لهذا الحديث: ( المراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولايتفرغ لها إلا الأفـراد).(٤)

فالمسلم إبـان الفتن أحوج ما يكون إلى تقوى الله وعبادته فبهما نجاته من كل فتنـة، وعصمته من أية محنة، وهذا شأن الصحابة والسلف الصالح الذين عاصروا الفتن؛ معتصمين بالعبادة متفرغين لها حتى انكشفت الغمة واجتمعت الأمـة.

ويعد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه أنموذجا فريدا في سلامة القلب وتقديم مصلحة الأمة على مصلحته الخاصة بل وعلى حياته أيضا؛ وذلك حين فزع إليه الصحابة يوم الـدار

---

= رقم (١١٨).

١- شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٣/٢).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه(٢٢٦٨/٤)كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: فضل العبادة في الهرج رقم(٢٩٤٨)

٣- عارضـة الأحـوذي ،محمـد بـن عبـد الله العـربي،ط بـدون ،١٤١٥هـ ـ ،دار الفكـر- بـيروت. (٥٣/٩).

٤- شرح النووي على صحيح مسلم(٨٨/١٨).

للدفاع عنه والقتال دونه فقال لهم عثمان ﷺ: ( أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعـا وطاعة إلاّ كف يده وسلاحه فإن أفضلكم غناء من كف يده وسلاحه). [١]

وبين لهم سبب طلبه إياهم الكف عن القتال وإن كان دفاعا عنه، ويقص أبـو هريـرة ماحدث من عثمان ﷺ حين جاء مقاتلاً دونه : ( يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعا وإياى معهم، فقلت: لا. فقال: والله لئن قتلت رجلاً واحدا لكأنما قتلت النـاس جميعـا. فرجعت فلم أقاتل). [٢]

فأراد ﷺ أن يكتفي هؤلاء الخارجون بقتله دفعا للفتنة وحماية للمسلمين ، ولكنها ثـارت فتنة وتتابعت بعدها فتن واحتدم الأمر بين علي ومعاوية ﷺ وقُتل علي ﷺ .

حينئذ خشي معاوية ﷺ أن يولي الناس ابن عمرﷺ: ( فقال: من أحق بهذا الأمر منا ؟ فقال عبد الله بن عمر ﷺ: فأردت أن أقول أحق منك من ضربك وأباك عليه،ثم ذكرت مـا في الجنان فخشيت أن يكون في ذاك فساد، وحين قيل له فهلاّ أجبته قال: خشـيت أن أقـول كلمة تفـرق الجمع ويسفك فيها الدم، وأُحمل فيها على رأيي ). [٣] هؤلاء مـن خلصـت قلوبهم لله فخلصهم الله ﷻ من الفتن.

**ثانيـًا- سلامة اللسان (الاعتزال القولي):**

للكلمة في هذه الحياة وقعها وقيمتها وأبعادها على كافة المستويات، وهي الخطوة الأولى إلى حروب طاحنة وصراعات دامية، والفتن غالبا إذا لم يكن دائما تبدأ بكلمة ولكنها تنتهي بدمـاء وأحوال لا يعلمها إلا الله تعالى، والمسلم الفطن هو الـذي يتنبه لهـذه المسألة من اللحظات الأولى لانبعاث الفتنة فلا يساهم في إيقاظها وتقوية شوكتها ولا ينساق وراء نزغ

---

١- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ومحمود مهدي الاستانبولي، ط٢،١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار الجيل- بيروت-لبنان(١٤٦/١).

٢- أخرجه سعيد بن منصور في سننه(٣٨٦/٢)رقم(٢٩٣٧).

٣- الطبقات الكبرى،محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري،دار صادر – بيروت(١٣٨/٤)،وينظر: تاريخ دمشق لابن عساكر(١٨٤/٣١).

الشيطان وخطواته بل يمتثل قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾[ الإسراء:٥٣]

قال الإمام النووي -رحمه الله- : ( اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه بل هذا كثير أو غالب في العادة والسلامة لا يعدلها شيء ).(١)

ثم أورد حديثًا عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت).(٢)

وعلق على الحديث قائلاً : ( فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في أنه لا ينبغي أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرا وهو الذي ظهرت له مصلحته ومتى شك في ظهور المصلحة فلا يتكلم.

ونقل كلام الإمام الشافعي -رحمه الله- في قوله: إذا أراد الكلام فعليه أن يفكر قبل كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم وإن شك لم يتكلم حتى تظهر ).(٣)

فإذا كان هذا الحال في الأحوال العادية فعند الفتنة تزداد الحاجة إلى حفظ اللسان وكفه عن اللغو والشطط، والقول بلا علم، ونقل الخبر بلا تثبت؛ وقد أمر النبي ﷺ بالتأني والتثبت عند الفتن وعدم الخوض في أمرها إلا بعلم صحيح، وإلا سكت واعتزلها كما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: ( بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال : (إذا

---

١- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الكتب العربي، بيروت. (٢٦٣،٢٦٢/١).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٣٧٦/٥)كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، رقم(٦١١٠)، ومسلم في صحيحه (٦٨/١) كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان رقم(٤٧).

٣- الأذكار ، للنووي(٢٦٣،٢٦٢/١).

رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه) **قال: فقمت إليه فقلت كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك ؟** قال: (الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة) .[1]

وما ذاك إلا لخطورة الكلام والفتوى حينها؛ فالقلوب في حـيرة وتلهف لكـل متصـدر، والآذان متهيئة لاستقبال كل شاردة وواردة، والعقول زائغة تائهة فقد قالﷺ حين أخبر عن قتلهم أنفسهم بين يدي الساعة فتساءلوا: ومعنا عقولنا ذلك اليوم ؟ قال ﷺ: (لا، تنزع عقول أكثر ذلك الزمان، ويُخلف له هباء من الناس لا عقول لهم ) .[2]

قيل: ( إن الله ﷻ إذا قذف قوما بفتنة لو كان فيهم أنبياء فتنوا، ي ع من كل ذي عقل عقله، ومن كل ذي رأي رأيه، ومن كل ذي فهم فهمه، ثم يدعهم يموجون في ذلك، فـإذا رد إليهم ما أخذ منهم وقعوا في التلهف والتلاوم على ما فا م).[3]

وهنا تكمن الخطورة ويحل الخطب فينقلون كل ما يقال بل ويزيدون عليه مما يزيد وهج الفتنة، وتعاظم المحنـة، فتكثر الأقاويل والإشاعات والأباطيل وهذا ما أشار إليه ابن عبـاس رضي الله عنه حين قال: ( إنما الفتنة باللسان، وليست باليد).[4]

وجاءت **النصوص من الكتاب والسنة** تحض **على وجوب حفظ اللسـان وكفـه** في **الفتن**؛ منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

١- أخرجه أبوداود في سننه(١٢٤/٤) كتاب: الملاحم باب: الأمروالنهي رقم(٤٣٤٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٥٩/٦)، وأحمد في مسنده(٢١٢/٢) رقم(٦٩٨٧) مسـند عبـد الله بـن عمـر.قـال المنـذري في الترغيـب والترهيب(٣٨٢/٣) :حسن رقم (٢٠٤٠٣٥).

٢- أخرجه ابن ماجه في سننه ص(٦٥٤) رقم(٣٩٥٩)واللفظ له وصححه الألباني في الصـحيحة بـرقم(١٦٨٢) ، والحاكم في مستدركه(٥٦٥/٤)كتاب: الفتن والملاحم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ونسب القول لأبي موسى الأشعري.

٣- السنن الواردة في الفتن وغوائلها لأبي عمرو الداني ( ٣٠٥/١).

٤- المصدر السابق نفسه (٤٤٦/٢).

- قول رسول الله ﷺ: ( تكون فتنة تستنظف[1] العرب، قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف)[2](لأن السيف إذا ضرب به أثر في واحد واللسان تضرب به في تلك الحالة ألف نسمة)[3]

- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ فأصبحت قريبا منه ونحن نسير فقلت: يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويبعدني عن النار؟ قال: ( لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه؛ تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال:ألا أدلك على أبواب الخير؛ الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[السجدة:١٦] ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؛قلت:بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؛قلت: بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه فقال: كف عليك هذا .قلت:يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به. قال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟ !)[4]

---

١- معنى نظف: تكلف النظافة واستنظفت الشيء أي أخذته نظيفا كله وفي الحديث (تكون فتنة تستنظف العـرب) أي تستوعبهم هلاكا من استنظفت الشيء إذا أخذته كله. ينظر: لسان العرب لابن منظور(٣٣٧/٩).

٢- أخرجه أبو داود في سننه(١٠٢/٤)كتاب:الفتن والملاحم،باب:في كف اللسان رقم(٤٢٦٥)، وابـن ماجـه في سننه(١٣١٢/٢)باب:كف اللسان في الفتنة (٣٩٦٧)،وأحمد في مسنده(٢١١/٢)رقم (٦٩٨٠)وقال أحمـد شـاكر (١٧٠/١١):إسناده صحيح رقم (١٣٩٦٨٥).

٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد المباركفوري(٣٣٥/٦).

٤- أخرجه الترمذي في سننه(١١/٥)كتاب: الإيمان، باب: ماجاء في حرمة الصلاة، رقـم(٢٦١٦) وقـال: حسـن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى(٤٢٨/٦) باب: قوله تعالى: (تتجافى جنو م عن المضاجع)وقوله تعالى:(فلا تعلـم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) رقم(١١٣٩٤)، وابن ماجه في سننه(١٣١٤/٢)كتاب: الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة، رقم (٣٩٧٣) ، وأحمد في مسنده(٢٣١/٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم(٢١١٠) وصحيح ابن ماجه رقم (٣٩٧٣)، والحاكم في مستدركه(٤٤٧/٢)وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ( إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفع الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم ) .[1]

وقد علّم النبي ﷺ صحابته المنهج في التعامل مع الفتن مبينا أثر الأقوال في إثار ا؛ لاسيما إذا صدرت ممن يحسن الكلام والفصاحة والبيان ويسحر عقول الناس برأيه ويزينه لهم، فقال رسول الله ﷺ: ( إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي منافق عالم اللسان ) .[2]

- وعن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: ( إنما أخاف على هذه الأمة كل منافق يتكلم بالحكمة، ويعمل بالجور ) .[3]

كما ظهرت آثار تعليمه لصحابته وأزواجه في حياته وبعد موته؛ ومن ذلك مافعلتـه أم المؤمنين زينب بنت جحش حين سئلت عن أم المؤمنين عائشة ﷺ في حادثة الإفك فما كان منها إلا أن اعتصمت بالورع ولاذت به؛ خوفًا وتحـرزا من الوقوع في محظور فسلم دينها بسلامة لسا ا وحفظها له وقالت: ( أحمي سمعي وبصري، والله ماعلمت عليها إلا خيرا)[4]

وعلى ذلك سار السلف الصالح ؛ فقد قيل لمحمد بن مسلمة ﷺ في زمان الفتنة: ( ألا تخرج فتصلح بين الناس، وتسعى في أمورهم ؟ قال:إن رسول الله ﷺ قال:( إذا رأيت فئتين يقتتلان على الدنيا فاضرب بسيفك حجراً من الحرة حتى ينكسر، ثم كن في بيتك، وعض على

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٣٧٧/٥)كتاب الرقاق، باب: حفظ اللسان رقم(٦١١٣).
٢- أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٨١/١) رقم(٨٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(١٨٧/١): رجالـه رجـال الصحيح، وصححه الألباني في (صحيح موارد الضمآن)(١٢٤/١)رقم(٩١).
٣- أخرجه أحمد في مسنده(٢٨٩/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(١٨٧/١):رجاله موثقون،وصححه الألبـاني في السلسلة الصحيحة(١١/٣)رقم(١٠١٣).
٤- سبق تخريجه ص (٥٤).

لسانك حتى يأتيك يمين خاطئة أو منية قاضية) [1]

لذا فإن حفظ اللسان في الفتنة من أوجب واجبات المسلم التقي، مع العمل بحديث رسول الله ﷺ : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) . [2]

وهذا الميزان عمل القاضي شريح إذ قال: ( ما أخبرت ولا استخبرت منذ كانت الفتنة)[3] وكانت الفتنة وقتئذ تسع سنين ،وهذا ما ينبغي للمرء فعله إذا جاءه خبر فعليه التثبت من صحته وسلامة مصدره،وهل يمكن نقله ؟ وإلى من ؟

وقد سئل الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ﷺ عن شيء من أمر الناس فقال:( أما أنا فلا أحدثك بشيء من وراء وراء، لا أحدثك إلا بما سمعت أذناي ووعاه قلبي )[4] ثم ذكر حديثًا عن رسول الله ﷺ.

ولقد أكد القرآن العظيم على هذه المسألة فقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٣]

يقول ابن كثير -رحمه الله-:( في هذه الآية إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها وقد لا يكون لها صحة).[5]

---

١- أخرجه ابن ماجه ص(٦٥٤)كتاب: الفتن، باب: التثبت في الفتنة رقم(٣٩٦٢)، وصححه الألباني في الروض النضير(٨٥١)والسلسلة الصحيحة(١٣٨٠).وهذا الأثر عن محمد بن مسلمة ورد في تاريخ دمشق لابن عساكر(٢١٥/٢٣).

٢- سبق تخريجه ص (١٧٤).

٣- السنن الواردة في الفتن وغوائلها،لأبي عمرو الداني(٤٤٥/٢).

٤- تاريخ دمشق لابن عساكر(٣٥٧/٢٠).

٥- تفسير القرآن العظيم (٥٣٠/١).

كما ى رسول الله ﷺ عن ( قيل وقال )[1] أي الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس بلا تثبت ولا تدبر ولا تبين.

فالنصوص توجب على المسلم التثبت والتبين عند سماع الأخبار والتأكد من صحة الخبر، وسلامة المصدر ، وتنكر المبادرة والإسراع في نقلها وإشاعتها.

وقد ابتليت الأمة اليوم بأقوام لا هم لهم إلا البحث عن الأخبار ونشـرها ؛صـحيحها وسقيمها،فيروون الأخبار عن مجلة كافرة أو إذاعـة نصرانية أو يهودية، أو موقع خـارجي يؤلب على ولاة الأمر وينشر سقطا م وزلا م ويحرض على الخروج عليهم، وآخر يفسـد على المسلمين عقائدهم، فهذا لا يكاد يسمع خبرا إلا وطار به ينشره في كل مكان ومجال، فتراه ينقله عن طريق شبكة المعلومات، والقنوات الفضائية ومجالس العامـة دون أدنى تثبت أو نظر أوعرض على كتاب الله وسنة رسوله، فرحين بذلك وما علموا أ م يوقعون الفتنـة والبلاء بالأمة، وإشغال الناشئة وعوام المسلمين بما لا فائدة فيه، ولا قدرة لهم علـى تحملـه ومعالجته.

ومن ثم لابد من رد هذا الخبر (إلى أولي الأمر منهم ؛أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطًا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن لم يروا فيـه مصـلحة أو فيـه مصلحة ولكن مضرته تـزيد على مصلحته لم يذيعـوه ولهذا قـال ﷻ: ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾: أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

## قاعدة أدبية:

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي: أنـه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولي

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٦٥٩/٦)كتاب:الاعتصام بالكتاب والسنة،باب:مايكره مـن كثـرة السـؤال وتكلف مالا يعنيه رقم(٦٨٦٢)، ومسلم في صحيحه(١٣٤٠/٣)كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسـائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات رقم (١٧١٥).

من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله ولا يتقدم بين أيديهم؛ فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ.

وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه هل هو مصلحة فَيقدم عليه الإنسان أم لا فيحجم عنه).[١]

وهذا مافعله الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ في آخر حجة له في كيفية معالجة الأخبار عند تلقيها بناء على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد فكان فعله من أعظم الشواهد على تطبيق السلف لهذه القاعدة ، فعن ابن عباس ﷺ قال: ( كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف فلما كان آخر حجة حجها عمر فقال عبد الرحمن بمنى: لو شهدت أمير المؤمنين أتاه رجل قال: إن فلانا يقول لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلانا فقال: عمر لأقومن العشية فأحـذر هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم قلت: لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس يغلبون على مجلسك فأخاف أن لا ينزلوها على وجهها فيطير بها كل مطير فأمهل حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة فتخلص بأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فيحفظوا مقالتك وينزلوها على وجهها. فقال: والله لأقومن به في أول مقام أقومه بالمدينة).[٢]

فهذا النص يبرز فقه الصحابة ﷺ وحرصهم على حماية الأمة من الفتن،وذلـك بحفـظ الأمور العظام عن العامة لعدم قدرتهم على حلها ومعرفة ملابساتها.

- **سـلامة اليـد ( الاعـتزال العمـلي ):**

والمسلم الحريص على دينه إذا كف لسانه في الفتنة فمن باب أولى أن يعتزل المشـاركة فيها بنفسه وماله وكل مـا يخصه ومن يعيله، مع ضرورة التمسك بالسنة ولـزوم جمـاعة

---

١- تيسير الكريم الرحمن ، عبد الرحمن السعدي ص (١٩٠).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٦٧٠/٦)كتاب:الاعتصام بالكتاب والسنة،باب:ما ذكر النبي ﷺ وحـض علـى اتفاق أهل العلم وما اجتمع عليه الحرمان مكة والمدينة وما كان بها من مشاهد النبي ﷺوالمهاجرين والأنصار ومصـلى النبي ﷺ والمنبر والقبر رقم(٦٨٩٢).

المسلمين وإمامهم إن كـان لهم إمـام لقولـه ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]

( فأمرهم سبحانه بالجماعة و اهم عن التفرقة وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنـهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف... وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ ، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف فقد وقع ذلك في هذه الأمة فـافترقوا علـى ثـلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار وهم الذين على مـا كـان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ).(١)

وتشتد الحاجة إلى الاجتماع والالتفاف على ولي الأمر حال الفتن،لما يترتب على ذلك من سلامة الفرد والجماعة، وهي وصية النبي الكريم ﷺ إلى حذيفة بن اليمـان ﷺ حيـث يقول: ( كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم . قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم ،وفيه دخن . قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم؛ دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها . قلت: يا رسول الله صفهم لنا . قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ،قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).(٢)

قال ابن بطال: ( في الحديث حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعـة المسـلمين وترك الخوارج على أئمة الجور؛ لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأ م دعاة على أبواب جهـنم ولم يقل فيهم تعرف وتنكر كما قال في الأولين. وهم لا يكونون كذلك إلا وهم حق وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة.

---

١- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٩٠/١).

٢- سبق تخريجه ص(٢٣).

وقال الطبري: والصواب أن المراد في الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة).[1]

وجاء في الحديث: ( ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله،ومناصحة أئمة المسلمين،ولزوم جماعتهم فإن الدعوة تحيط من ورائهم ) .[2]

كما جاء في حديث أبي هريرة ﵁: ( إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ) [3] وفي رواية ( وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تُنَاصحوا من وَلَّاه الله أمركم ) .[4].

( فجمع في هذه الأحاديث بين الخصال الثلاث: إخلاص العمل لله ومناصحة أولي الأمر ولزوم جماعة المسلمين، وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده وتجمع الحقوق التي لله ولعباده وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة.

وبيان ذلك أن الحقوق قسمان:حق لله وحق لعباده...أما الحقوق العامة فالناس نوعان رعاة ورعية فحقوق الرعاة مناصحتهم وحقوق الرعية لزوم جماعتهم؛ فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم وهم لا يجتمعون على ضلالة بل مصلحة دينهم ودنياهم في اجتماعهم واعتصامهم بحبل الله جميعا فهذه الخصال تجمع أصول الدين).[5]

وهذا الاجتماع يكون في حال وجود الإمام فـ( إذا لم يكن في الأرض خليفة فعلى المرء المسلم بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان).[6] كما جاء في آخر حديث حذيفة ﵁

---

١- فتح الباري لابن حجر(٣٧/١٣).

٢- سبق تخريجه ص(٢٨٢).

٣- أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٤٠/٣)كتاب الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل حاجة رقم (١٧١٥).

٤- أخرجه ابن حبان في صحيحه(١٨٢/٨)رقم(٣٣٨٨)،ومالك في الموطأ (٩٩٠/٢) رقم(١٧٩٦)كتاب الكلام، باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين.

٥- مجموع الفتاوى لابن تيمية(١٨/١، ١٩).

٦- فتح الباري لابن حجر (٣٦/١٣).

قوله: (قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).[1]

قال الطبري -رحمه الله-: (وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابا فلا يتبع أحدا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك؛ خشية من الوقوع في الشر وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف منها).[2]

## ومن الأمور التي ينبغي اعتزالها :

- **القتال:** فقد أخبر النبي ﷺ بحلول الفتن بأمته وتتابعها عليهم كالقطر، كما أخبر بما سيكون عليه حال الناس في آخر الزمان من تفشي القتل بينهم حتى لا يدري أحدهم فيم قُتل فقال:(يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج) قالوا: يا رسول الله أيما هو؟ قال: (القتل القتل).[3]

ونهى عن التقاتل والتناحر على الدنيا فقال ﷺ: (ألا إني فرطكم على الحوض،وإني مكاثر بكم الأمم، فلا تقتتلن بعدي).[4]

بل أعظم ﷺ دم المسلم وجعل الاعتداء عليه من ألوان الكفر فقال:(لا ترتدوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض).[5]

---

١- سبق تخريجه ص (٢٣).

٢- فتح الباري لابن حجر(٣٧/١٣).

٣- سبق تخريجه ص (٢٦).

٤- أخرجه ابن ماجه في سننه ص(٦٥٠)كتاب: الفتن، باب: لا ترجعوا بعدي كفارا رقم(٣٩٤٤)،قال الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٠٢):صحيح رقم(٧٦١٩١).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٩٤/٦)كتاب:الفتن، باب:قول النبيﷺ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض رقم(٦٦٦٨).

وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ من فتن القتال من بعده، ومن ذلك مارواه سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: (كنا عند النبي ﷺ فذكر فتنة فعظم أمرها، فقلنا: يارسول الله لئن أدركتنا هذه لتهلكنا ؟ فقال رسول الله: كلا إن بحسبكم القتل) .[1]

فإذا وقعت الفتنة جاء الأمر النبوي باعتزال هذه الفتن والحروب وعدم المشاركة في شيء منها، وتوعد ﷺ من حمل السلاح في وجه أهل ملته من المسلمين بأنه مخالف لسنته فقال: (من حمل علينا السلاح فليس منا) .[2]

يصدق ذلك ماجاء عن الحسن-البصري- قال: خرجت بسلاحي ليالي الفتنة[3] فاستقبلني أبو بكرة فقال: أين تريد؟ قلت: أريد نصرة ابن عم رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار قيل: فهذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحبه) .[4]

هذه الفتنة كانت نتيجة لمقتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه بل( كل قتال وقع في ذلك العصر- وما بعده- إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه).[5]

وصدق حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حين قال: ( والله لئن كان قتله خيرا لتحلبنه لبنا، ولئن كان قتله شرا لتمتصن ا دما).[6]

---

١- أخرجه أبو داود في سننه(١٠٥/٤)كتاب:الفتن والملاحم،باب:ما يرجى من القتل رقم(٤٢٧٧)،وابن أبي شيبة في مصنفه(٤٥٠/٧) كتاب الفتن،باب القتل رقم(٣٧١٣١) قال الألباني في صحيح أبي داود (٤٧٢٢):صحيح رقم(٥٣٧٠٩).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٢٠/٦)كتاب:الديات،باب:قوله تعالى(ومن أحياها) رقم(٦٤٨٠)،ومسلم في صحيحه(٩٨/١)كتاب: الإيمان، باب: قول النبي من حمل علينا السلاح رقم(١٠٠).

٣- المراد بالفتنة هنا: الحرب التي وقعت بين علي ومن معه وعائشة ومن معها،ينظر:فتح الباري(٣٢/١٣).

٤- أخرجه البخاري (٢٥٩٤/٦)كتاب:الفتن، باب: إذا التقى المسلمان بسيفيهما رقم(٦٦٧٢).

٥- فتح الباري،لابن حجر(١٣/١٣).

٦- تاريخ دمشق لابن عساكر(٤٧٨/٣٩).

فلم يوضع السيف منذ رفع في تلك الفتنة قال عبد الله بن سلام ﷺ: ( كفـوا عـن هـذا الشيخ، لا تقتلوا -يعني عثمان- فإنما بقي من أجله اليسير، فأقسم بالله لئن قتلتموه ،ليسـلن الله تعالى سيفه، ثم لايغمد إلى يوم القيامة ).(١)

وقد أخبر النبي ﷺ عثمان بما سيكون من فتنة، وأنه سيقتل مظلوما وأمره بالصبر، فأطاع ﷺ ورفض كل المحاولات للدفاع عنه، وأمر بفتح الباب حقنا لدماء المسلمين لعلمه بأنـه المقصود بذلك، ومع أنـه قُتل ﷺ إلا أن الأمرلم يقف عنـد هذا الحد بل تتابعت الفـتن والحروب بعـد مقتله ولا تزال، لذا **حذر الرسول ﷺ أمته من الانخراط** في **الفتن** في عـدة روايات منها:

- عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : ( كيف أنت يا أبا ذر وموتاً يصيب الناس حتى يقوم البيت بالوصيف؟ يعني القبر. قلت: ما خار الله لي ورسوله، أو قال: الله ورسوله أعلم . قال: تصبر. قال: كيف أنت وجوعا يصيب الناس حتى تأتي مسجدك فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك ولا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، أو ما خار الله لي ورسوله. قال:عليك بالعفة،ثم قال:كيف أنت وقتلاً يصيب الناس حتى تغرق حجارة الزيت بالدم؟ قلت:ما خار الله لي ورسوله. قال: الحق بمن أنت منه. قال:قلت:يا رسول الله أفلا آخذ بسيفي فأضرب به من فعل ذلك. قال:شاركت القوم إذاً،ولكن ادخل بيتك. قلت:يا رسول الله فإن دخل بيتي ؟قال:إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار).(٢)

وقد احتـج ذا الحديث - وماشا ه من الأحاديث المتضمنة الإمساك عن القتال-كل من لم ير القتال في الفتنة من الصحابة، وترتب على ذلك اعتزالهم القتال الذي دار بين علي ومعاويـة ﷺ ، ورفضهم الدخـول في كل قتـال يقع بين المسلمين ؛ لأن القضايا كانت

---

١- الفتن ،نعيم بن حماد(١٦٥/١).

٢- أخرجه أبو داود في سننه (٤٥٨/٤)كتاب:الفتن والملاحم،باب:النهي عن السعي في الفتنة رقـم(٤٢٦١)،وابـن ماجه في سـننه(١٣٠٨/٢)رقـم(٣٩٥٨)، وابـن حبـان في صـحيحه(٢٩٣/١٣)رقـم(٥٩٦٠)،والحـاكم في مستدركه(١٦٩/٢)رقم(٢٦٦٦)قال الألباني في صحيح ابن ماجه(٣٢١٢):صحيح رقم(١٠٦٥٤٢).

مشتبهة مما جعلهم في حيرة وعدم تيقن للصواب. ومع ذلك فإن ( مذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والامساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا)[1]

و( وجوب منع الطعن على أحد منهم بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطىء في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا وأن المصيب يؤجر أجرين).[2]

ومما لا شك فيه أن ماحصل بين الصحابيين الجليلين علي ومعاوية رضي الله عنهمالم يكن أحدهما يريده، بل كان في الجيشين من أهل الأهواء متغلبون يحرضون على القتال مما أدى إلى نشوب تلك المعارك الطاحنة، وخروج الأمر من يد علي ومعاوية رضي الله عنهما لاسيما وأن ( أكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون لا عليا ولا معاوية، بل كانا رضي الله عنهما أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين لكن غُلبا فيما وقع، والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها).[3]

لذا تمنى عدد من الصحابة الذين خاضوا في الفتنة أن لو كانوا في موقف المعتزلين، ومن كبار قادة الفئتين الذين تمنوا ذلك:

عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث قال لابنه عبدالله يوم صفين: ( يابني انظر أين ترى عليا ؟ قال: أراه في تلك الكتيبة القتماء ذات الرماح، عليه عمامة بيضاء، قال: لله در ابن عمر وابن مالك! لئن كان تخلفهم عن هذا الأمر خيرا مبرورا، ولئن كان ذنبا كان ذنبا مغفورا ).[4]

وكان علي بن أبي طالبرضي الله عنه يقول: ( لله منزل نزله سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر،

---

١- شرح النووي على صحيح مسلم (١١/١٨)

٢- فتح الباري لابن حجر(٣٤/١٣)

٣- منهاج السنة النبوية،لابن تيمية(٤٦٧/٤)بتصرف يسير.

٤- العزلة للخطابي ص(٧٤)

إن كان ذنبا إنه لصغير مغفور، وإن كان حسنا إنه لعظيم مشكور ).[١]

وذلك لما أصابهم من الندم على ماحدث في الفتنة من قتل المسلمين بعضهم بعضا، وماترتب على ذلك من تفرق للمسلمين وانشقاق بعد انقضائها حتى قال علي رضي الله عنه : ( لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة ). [٢]

قال الطبري: ( اختلف السلف فحمل ذلك بعضهم على العموم. وهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقًا كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبي بكرة رضي الله عنهم،[٣] وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها، ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيوت وقالت طائفة بل بالتحول عن بلد الفتن أصلاً ).[٤]

**واستدل المعتزلون** في **البيوت بالأحاديث والآثار التالية** :

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذكرالفتنة فقال: (إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل ثم ذلك جعلني الله فداك قال: الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة) . [٥]

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كسروا قسيّكم[٦] ، وقطّعوا

---

١- تاريخ دمشق لابن عساكر(٣٥٧/٢٠) ، وينظر: الفتاوى لابن تيمية(٤٤٠/٤).

٢- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج،ط١، ١٣٥٨هـ، دار صادر – بيروت(٩٣/٥).

٣- واسمه (نفيع بن الحارث)، وممن اعتزل أيضا أبو موسى الأشعري،وسلمة بن الأكوع، وأسامة بن زيد، وأبو مسعود الأنصاري وغيرهم من الصحابة. ينظر: العزلة للخطابي ص(٧١) وما بعدها.

٤- فتح الباري لابن حجر(٣١/١٣).

٥- سبق تخريجه ص(٣٠٣).

٦ - القسي صفة من قسا والقسي الشديد ويقال قرب قسي شديد وسار القوم سيرا قسيا سيرا شديدا. ينظر: لسان العرب لابن منظور(١٨١/١٥)، المعجم الوسيط(٧٣٥/٢).

أوتاركم[1] يعني في الفتنة- والزموا أجواف البيوت،وكونوا فيها كالخير من ابني آدم) .[2]

- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال:قلت: يارسول الله ! ماالنجاة ؟ قال: (املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك) .[3]

- عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(يا محمد بن مسلمة !ستكون فرقة واختلاف،فإذا كان ذلك فاكسر سيفك ونبلك،واقطع وترك،واجلس في بيتك،واتخذ سيفاً من خشب) .[4]

وقد طبق ذلك عمليا الصحابي الجليل أهبان بن صيفي رضي الله عنه فيما ترويه عنه ابنته عديسة إذ قالت: ( لما جاء علي بن أبي طالب ها هنا بالبصرة دخل علي أبي فقال: يا أبا مسلم ألا تعينني على هؤلاء القوم ؟ قال: بلى، فدعا جاريته، فقال : ياجارية؛ أخرجي سيفي. قالت: فأخرجته فسل منه قدر شبر، فإذا هو خشب، فقال : إن خليلي وابن عمك عهد إلي إذا كانت فتنة بين المسلمين فاتخذ سيفًا من خشب، فإن شئت خرجت معك. قال: لا حاجة لي فيك ولا في سيفك).[5].

---

١- الوتر بفتحتين وتر القوس ، والوتر شرعة القوس ومعلقها والجمع أوتار وأوتر القوس جعل لها وترا. ينظر: لسان العرب(٢٧٨/٥)،ومختار الصحاح(٢٩٥/١).

٢- أخرجه أبو داود في سننه(٤٥٧/٤)كتاب الفتن،باب:في النهي عن السعي في الفتنة رقم(٤٢٥٩)، والترمذي في سننه (٤٩٠/٤)كتاب الفتن، باب: ماجاء في اتخاذ سيف من خشب في الفتنة رقم(٢٢٠٤)، وابن ماجه في سننه (١٣١٠/٢) كتاب الفتن، باب: التثبت في الفتنة رقم(٣٩٦١)، وأحمد في مسنده(٤١٦/٤)قال الألباني في السلسلة الصحيحة(٢٤٨/٤):إسناده صحيح رقم(١٥٢٥٣٤).

٣- سبق تخريجه ص (١٢٨).

٤- أخرجه ابن ماجه ص(٦٥٤) كتاب الفتن،باب: التثبت في الفتنة رقم(٣٩٦٢)،وصححه الألباني في الروض النضير (٨٥١) والصحيحة (١٣٨٠).

٥- أخرجه ابن ماجه ص(٦٥٤)رقم(٣٩٦٠) كتاب الفتن، باب التثبت في الفتنة، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٨٠).

- عن حذيفة ﷺ قال: ( لوددت أني وجدت من يقوم لي في مالي، فـدخلت بـيتي ، فأغلقت بابي، فلم يدخل علي أحد أبدا، ولم أخرج إلى أحد حتى ألحق بالله تعالى ).[١]

( وقد اختلف العلماء فى قتال الفتنة:

- فقالت طائفة: لا يقاتل فى فتن المسلمين وإن دخلوا عليه بيته وطلبوا قتله فلا يجوز له المدافعة عن نفسه لأن الطالب متأول وهذا مذهب أبى بكرة الصحابي ﷺ وغيره.

- وقالت أخرى: لا يدخل فيها لكن إن قُصد دفع عن نفسه وهذا ماذهب إليه ابن عمر وعمران بن الحصين ﷺ وغيرهما.

فهذان المذهبان متفقان على ترك الدخول فى جميع فتن الاسلام )[٢]

كما **استدل الفارون بدينهم من الفتن** إلى **بلد آخر بالأحاديث التالية** :

- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: قال رسـول الله ﷺ: ( يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن) .[٣].

- قال رسول الله ﷺ: ( ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره ) .[٤]

ومن هؤلاء سلمة بن الأكوع ﷺ وكان قد خرج إلى الربذة حين قتل عثمان ﷺ.[٥]

وجاء عن أبي هريرة ﷺ قوله: ( يا أيها الناس أظلتكم فتن كأ ا قطع الليل المظلم، أنجى الناس فيها- أو قال: منها- صاحب شاء يأكل من رسل غنمه، أو رجل من وراء الدرب،

---

١- أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(٣٧٩/١٣)وأبونعيم في حلية الأولياء (٢٧٨/١)وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن وغوائلها(٣٦٩/٢).

٢- شرح النووي على صحيح مسلم(١٠/١٨)، بتصرف يسير.

٣- سبق تخريجه ص(٣٠).

٤- سبق تخريجه ص(٢٥).

٥- سبق تخريجه ص (١٢٣).

آخذ بعنان فرسه، يأكل من سيفه).[1]

## حالات الاعتزال:

ومن مجموع الأحاديث الناهية عن القتال استنبط العلماء الحالات التي يكون فيها الاعتزال مطلوبا وهي:

١- ( أن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان؛ حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما هي في طلب الملك).[2]

فجاء عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: (خرج علينا عبد الله بن عمر فرجونا أن يحدثنا حديثًا حسنا،قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن حدثنا عن القتال في الفتنة والله يقول: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾. [البقرة:١٩٣] فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك ؟! إنما كان محمد ﷺ قاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة وليس كقتالكم على الملك).[3]

والحديث ( القاتل والمقتول في النار ) .[4] (يبين أن القتال إذا كان على جهل من طلب الدنيا أواتباع هوى فهو الذي أريد بقوله القاتل والمقتول في النار، ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عددا من الذين قاتلوا وكلهم متأول مأجور إن شاء الله بخلاف ما جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا ).[5]

---

١- سبق تخريجه ص (٩٦).

٢- فتح الباري،لابن حجر (٣١/١٣).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٩٨/٦)كتاب الفتن، باب: التعوذ من الفتن رقم(٦٦٨٢) وقوله تعالى: ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة)، رقم (١١٢٠٧).

٤- أخرجه مسلم في صحيحه(١٣٠٨/٣)كتاب: القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: صحة الإقرار بالقتل وتمكين ولي القتيل من القصاص واستحباب طلب العفو منه رقم(١٦٨٠).

٥- فتح الباري لابن حجر (٣٤/١٣).

٢- عدم وجود إمام للجماعة المسلمة ( فكل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ ممنوع، وتنزل الأحاديث التي في هذا الباب وغيرها على ذلك وهو قول الأوزاعي).[١]

يؤيد ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلته جاهلية) .[٢]

٣- (حمل جمهور الصحابة والتابعين الأحاديث الواردة في العزلة على من ضعف عن القتال أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق، فلم يظهر له المحق، أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما).[٣]

وقد شبه عبدالله بن عمر رضي الله عنه حالهم في الفتنة التي وقعت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم وما حدث بينهما في معركتي الجمل وصفين بقوله:( إنما كان مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها، فبينما هم كذلك إذ غشيتهم سحابة وظلمة فأخذ بعضهم يمينا وشمالاً فأخطأ الطريق، وأقمنا حيث أدركنا ذلك حتى جلى الله أوراقها طريقنا الأول فعرفناه وأخذنا فيه).[٤]

قال الطبري: ( والصواب أن يقال أن الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه؛ فمن أعان المحق أصاب ومن أعان المخطىء أخطأ وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها). [٥]

لذا ( قال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الاسلام: يجب نصر الحق في الفتن

---

١- فتح الباري لابن حجر (٣١/١٣).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٧٦/٣)كتاب: الإمارة،باب:وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة رقم(١٨٤٨).

٣- فتح الباري لابن حجر (٣٤/١٣) ، وينظر: شرح النووي على صحيح مسلم(١٠،٩/١٨).

٤- حلية الأولياء للأصبهاني(٣١٠/١)، وينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٧/٣)ونسبه الخطابي في كتابه العزلة ص (٧٢) إلى سعد بن أبي وقاص.

٥- فتح الباري لابن حجر(٣١/١٣).

والقيام معـه بمقاتلة الباغين حيث قال تعالى: ﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي ﴾ [ الحجرات:٩] وهذا هـو الصحيح). [١]

قال الطبري: ( لوكان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منـه بلـزوم المنازل وكسر السيوف؛ لما أقيم حـد، ولا أبطل باطل، ولوجـد أهل الفسوق سـبيلاً إلى ارتكاب المحرمات؛ بأن يحاربوهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم؟ بأن يقولوا: هذه فتنـة، وقد نهينا عن القتال فيها! وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء). [٢]

## - بيـع السلاح والدواب:

للفتنة أدواتها التي تستعر بها، وإنما حطبها الرجال والمال، والعدد والعدة، فإذا نزه المـرء المسلم لسانه عن الخوض في الفتن، ونفسه عن المشـاركة فيها وما يترتب عليها من حروب ومواجهات طاحنة، وجب عليه أن يمسك ماله عن المساهمة في دعم هذه الفتن والحروب؛ فإذا ما اعتزل الرجال، وقل الدعم بالسلاح ونحوها من أدوات الحرب ومايعين عليها خمدت الفتنة، ووضعت الحرب أوزارها، وتوفرت الفرصـة لإعادة ترتيب الأوراق في هذه المسألة، والنظر في المصالح والمفاسد التي تعود على الأمة.

لذا (نهى رسول ﷺ عن بيع السلاح في الفتنة)[٣] لعلمهﷺ بالآثار السلبية المترتبة على ذلك؛ من تأجيج للفتنة واحتـدام للموقف بين المتقاتلين،وإعمال لغـة القوة والسلاح دون الشرع والعقل ولقد كره عدد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمة بيع السـلاح في الفتـنة[٤] ( كـعمران بن حصين والحسن وعطـاء وابن سيرين

---

١- شرح النووي على صحيح مسلم(١٠/١٨).

٢- فتح الباري لابن حجر(٣٤/١٣).

٣- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(٣٢٧/٥)كتاب: البيوع، باب:كراهية بيع العصير ممن يعصر الخمر والسيف ممن يعصي الله ﷻ به رقم(١٠٥٦٢،١٠٥٦١). والطبراني في المعجم الكبير(١٣٦/١٨)رقم(٢٨٦).

٤- والمراد بالفتنة هنا مايقع بين المسلمين من الحروب، ينظر: فتح الباري لابن حجـر(٣٢٣/٤)،عمـدة القـاري للعيني(٢١٩/١١).

وقتادة رضي الله عنهم وغيرهم).[1]

بل إن كل ما يعين على استمرار حروب الفتنة منهي عنه، فـ( لا يصح بيع السلاح ونحوه كفرس ودرع في فتنة ).[2]

وقـد جاء عن الحسن وابن سيرين رضي الله عنهم: ( أ نهما كانا يكرهان بيع السلاح والدواب في الفتنة).[3]

وقد بوب ابن أبي شيبة رضي الله عنه في مصنفه باب: "ما يكره أن يحمل إلى العدو فيتقوى به"، وأورد تحته ماروى عن إبراهيم: ( أنه كان يكره أن يحمل إلى عدو المسلمـين سـلاح أو منفعة ).[4]

وقاس العلماء على بيع السلاح ونحوه في الفتن بيعه لأهل الحرب أو قطّاع الطرق، لأنـه عقـد على عين معصية الله تعالى ا، فإذا علم البائع من المشتري إعانته للفئة الباغية ولـو بقرائن لزمه عدم البيع، وهذا المذهب نقله الجماعة وعليه الأصحاب.[5]

قال الحسن رضي الله عنه: ( لا يبعث إلى أهل الحرب شيء من السلاح والكراع ولا ما يستعان بـه على السلاح والكراع ).[6]

أما العلة من النهي فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة:٢]

-----------------------------

١- مصنف ابن أبي شيبة(٥٠٨،٥٠٧/٦).

٢- كشف المخدرات، عبد الرحمن بن عبد الله البعلي ط١، تحقيق:محمـد بـن ناصـر العجمـي،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م،دارالبشائرالإسلامية، لبنان/ بيروت. (٣٧٠،٣٦٩/١).

٣- السنن الواردة في الفتن، لأبي عمرو الداني(٤١٨/٢).

٤- مصنف ابن أبي شيبة(٥٠٨/٦)رقم(٣٣٣٦٩).

٥- ينظر:كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي( ١٨١/٣) والإنصاف للمرداوي،تحقيق: محمد حامـد، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت(٣٢٧/٤)،وكشف المخدرات(٣٦٩،٣٧٠/١)،ومنارالسبيل في شرح الدليل لابن ضويان تحقيق: عصام القلعجي،ط٢، ١٤٠٥هـ، مكتبة المعارف،الرياض(٢٩١/١).

٦- مصنف ابن أبي شيبة(٥٠٨/٦)رقم(٣٣٣٧٢).

فجاء النهي عن بيع السلاح في الفتنة، ( لأن في بيعه إذ ذاك إعانة لمن اشتراه وهذا محله إذا اشتبه الحال...قال ابن بطال: إنما كره بيع السلاح في الفتنة لأنه من باب التعاون على الإثم ).[1]

إلا أن هذا المنع ليس مطلقًا فقد جاء في الحديث عن أبي قتادة ﷺ قال: (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَامَ حُنَيْنٍ فَأَعْطَاهُ يَعْنِي دِرْعًا فَبِعْتُ الدِّرْعَ فَابْتَعْتُ بِهِ مَخْرَفًا فِي بَنِي سَلِمَةَ فَإِنَّهُ لَأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ فِي الإِسْلامِ) .[2]

ذلك أن أبا قتادة ﷺ قتل رجلاً من الكفار فأعطاه النبي ﷺ سلبه وكان الدرع من سلبه؛والدرع من أنواع الأسلحة المستخدمة آنذاك فباعه واشترى بثمنه بستاناً.

( ويحتمل أن المراد بإيراد هذا الحديث جواز بيع السلاح في الفتنة لمن لا يخشى منه الضرر؛ لأن أبا قتادة ﷺ باع درعه في الوقت الذي كان القتال فيه قائما بين المسلمين والمشركين وأقره النبي ﷺ على ذلك، والظن به أنه لم يبعه ممن يعين على قتال المسلمين فيستفاد منه جواز بيعه في زمن القتال لمن لا يخشى منه).[3]

بناء على ما سبق نستنتج: أنه **يصح بيع السلاح أيام الفتنة** في **الحالتين التاليتين**:

١. بيع السلاح لمن لا يخشى ضرره على المسلمين، كمن لايعين على قتال المسلمين ، أو لا يعين الفئة الباغية في حال كانت الحرب بين فئتين من المسلمين، ( فإذا تحقق الباغي فالبيع للطائفة التي في جانبها الحق لا بأس به).[4]

٢. (بيع السلاح لأهل العدل لقتال البغاة وقطاع الطرق لما في ذلك من معونة على البر والتقوى).[5]

---

١- فتح الباري لابن حجر(٣٢٣/٤).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٧٤١/٢)كتاب البيوع،باب:بيع السلاح في الفتنة رقم(١٩٩٤).

٣- فتح الباري لابن حجر(٣٢٣/٤).

٤- المصدر السابق نفسه (٣٢٣/٤)،وينظر:عمدة القاري(٢١٩/١١).

٥- كشف القناع للبهوتي (١٨١/٣).

## نماذج من مواقف الصحابة في الفتن

**- عبد الله بن عمر ﷺ:**

تربى في مدرسة محمد ﷺ ، وتعلم معالجة المواقف والفتن على أيدي كبار الصحابة ، وكيف خلصوا منها كالذهب المصفى وقضوا عليها في مهدها،وعاصر ظهور الفتن، وتجلى ذلك في الأحداث التي جرت على خليفة المسلمين آنذاك عثمان ﷺ، فكان لابن عمر ﷺ موقف واضح في التعامل مع هذه الفتنة حيث أشار عليه بعدم التنحي عن الخلافة لئلا يكون ذلك سنة وقال: (فإني لا أرى أن تخلع قميصا قمصكه الله فتكون سنة كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم قتلوه)[(١)].

وأعطى بذلك أحد مؤشرات القوة والنجاة من الفتن ألا وهي التمسك بالكتاب والسنة ، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

ولما قتل عثمان وقامت الفتنة اعتزل، وتجنب القتال مع كلتا الطائفتين، وكف لسانه ويده وولده وحشمه، وأبى أن يدخل في أمر الخلافة من أول وهلة فقد جاؤوا إليه وقالوا: ( إنك سيد الناس، وابن سيد، فاخرج نبايع لك الناس.قال: إني والله لئن استطعت لا يهراق في سببي محجمة من دم، فقالوا: لتخرجن أو لنقتلنك على فراشك. فقال لهم مثل الأول).[(٢)]

بل رفض الولاية حين عرضت عليه في هذا الوقت وخرج إلى مكة فارا بدينه وجاء عنه قوله:( بعث إلي علي فقال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع في أهل الشام فقد أمرتك عليهم. فقلت: أُذكرك الله وقرابتي من رسول الله ﷺ وصحبتي إياه إلا ما أعفيتني. فأبى علي فاستعنت عليه بحفصة فأبى، فخرجت ليلاً إلى مكة فقيل له: إنه قد خرج إلى الشام فبعث في

---

١- تاريخ مدينة دمشق،لابن عساكر (٣٥٧/٣٩).

٢- الطبقات لابن سعد (١٥١/٤).

أثري فجعل الرجل يأتي المربد فيخطم بعيره بعمامته ليدركني. قال: فأرسلت حفصة إنه لم يخرج إلى الشام إنما خرج إلى مكة فسكن).[١].

وهكذا حفظ دينه ونفسه في الفتنة، ولم يعن على قتل مسلم بولاية أوإمارة، فاعتزل هذا كله، ولكن إذا اجتمعوا وبايعوا اجتمع معهم وبايع من ارتضوه، وإذا تفرقوا اعتزلهم حتى يعودوا.

فبايع معاوية رضي الله عنه حين اجتمع الناس على إمامته وارتضى خلافته ودخل في جماعة المسلمين ظاهرا وباطنا، ولما مات معاوية وأوصى لابنه يزيد رضي الله عنه من بعده وبايعه الناس قال ابن عمر رضي الله عنه لما بلغه ذلك: ( إن كان خيرا رضينا وإن كان بلاء صبرنا).[٢]

وكان ابن عمر رضي الله عنه من المبادرين إلى البيعة حرصا على سلامة الأمة، وحفظًا لجماعتها، وحقنا لدمائها، وكان صادقًا في بيعته حافظًا لعهده آمرا أهله ومن أطاعه بذلك ، محذرا من خلافه، فحين سمع أن البعض يقعون في يزيد اهم ونصحهم مذكرا إياهم النصوص الشرعية في وجوب السمع والطاعة لعلهم أن يرجعوا عن خلع بيعة يزيد، فلمالم يقبلوا نصيحته، وحدثت الفتنة وخلع أهل المدينة يزيد، اعتزل في داره، وأغلق بابه على خاصته محذرا إياهم.

وقد روي عن نافع رضي الله عنه أنه قال: ( لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال إني سمعت النبي ﷺ يقول: (ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة)[٣]، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرا أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحدا منكم خلعه ولا تابع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه).[٤]

---

١- سير أعلام النبلاء للذهبي(٢٢٤/٣).

٢- المصدر السابق نفسه (٢٢٥/٣).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه(٦٨/١٣)كتاب الفتن، باب: إذا قام عند قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه رقم(٧١١١)، ومسلم في صحيحه(١٣٦١،١٣٥٩/٣)كتاب الجهاد والسير، باب: تحريم الغدر، رقم (١٧٣٦،١٧٣٥). واللفظ للبخاري.

٤- السنن الواردة في الفتن، لأبي عمرو الداني(٣٩٧/٢).

وتتابعت الفتن بعد موت يزيد وتفرق الناس، ففي كلٍ طالب للخلافة فاعتزل ابن عمر وتركهم وبيعتهم؛ طلبا للسلامة لدينه وفي هذه الشدة أتاه مروان بن الحكم فقال:( هلم يدك نبايعك فإنك سيد العرب وابن سيدها، قال: كيف أصنع بأهل المشرق؟ قال: نضر م حتى يبايعوا. قال: والله ما أحب أ ا دانت لي سبعين سنة وأنه قتل في سيفي رجل واحد).[1]

وهكذا كلما رفعت الفتنة رأسها قمعها بالكتاب والسنة، فضرب ابن عمـر ﵁ أروع الأمثلة في الحرص على الدين، والبعد عن مواطن الفتن واعتزالها والتحذير منها.

إلا أن اعتزاله لم يمنعه الخروج إلى الجُمع والجماعات ومشاركة المسلمين في العبـادات، وإفشاء السلام، وغيرها من حقوق المسلم على المسلم؛ ( فكان في زمان الفتنة لا يأتي أمـير إلا صلى خلفه وأدى إليه زكاة ماله، وكان يقـول: لا أقاتـل في الفتنة وأصـلي وراء من غلب).[2]

وقد ( قيل لابن عمر﵁ زمن ابن الزبير والخوارج والخشبية[3] أتصلي مع هؤلاء ومـع هـؤلاء ؟ وبعضهم يقتل بعضا، قال: من قال حي على الصلاة أجبته، ومن قال حي علـى الفلاح أجبته، ومن قال حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت: لا).[4]

**- الحسن بن علي ﵁:**

قال ﷺ: ( ابني هذا سيد ،ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين).[5]

---

١- سير أعلام النبلاء ، للذهبي (٢١٦/٣).

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد (١١١/٤).

٣- الخشبية: طائفة من الشيعة والخشبي:هو الرافضي في عرف السلف فالخشبية صنف من الرافضة قاتلوا مرة بالخشب فعرفوا بذلك قلت وقيل بل هم يزعمون أ م لا يقاتلون بالسيف إلا مع الإمام المعصوم فمع غيره يقاتلون بالخشب فلذا قيل لهم الخشبية.

ينظر: تاريخ واسط للواسطي(١٧٣/١) توضيح المشتبه للقيسي(١٢٠/٣).

٤- حلية الأولياء،للأصبهاني (٣٠٩/١).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه(٩٦٢/٢)كتاب الصلح، باب: قول النبي للحسن ابني هذا سيد رقم(٢٥٥٧).

وصدق ﷺ فقد كان للحسن موقفًا عظيما حقن به دماء المسلمين وجمع كلمتهم،فقد كان الحسن رضي الله عنه كارها لكل خلاف بين المسلمين سباقًا لنصرة الحق فكان مبادرا إلى نصرة عثمان رضي الله عنه كثير الذب عنه[1]وخاصة يوم الدار فقد (جاء الحسن بن علي إلى عثمان فقال: أخترط سيفي؟ قال: لا، أبـرأ الله إذًا من دمك ولكن ثُم سيفك وارجع إلى أبيك).[2]

وقـد عاوده أكثر من مرة للدفاع عنه، ولكن عثمان رضي الله عنه أبى عليه كما أبى على غـيره وعزم عليه ألا يقاتل.

ولما قُتل عثمان رضي الله عنه؛ حدثت الفتنة، وتفرقت الكلمة، وعزم علي بن أبي طالب رضي الله عنه على المسير إلى العراق ولكن الحسن كان يشير عليه بترك القتال والتروي في ذلك.

جـاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ( خرجنـا إلى الجمل ست مائة فأتينـا الربذة فقـام الحسن فبكى فقال علي تكلم ودع عنك أن تحن حنين الجارية قال: إني كنت أشرت عليك بالمقام وأنا أشيره الآن إن للعرب جولة ولو قد رجعت إليها عوازب أحلامها قـد ضـربوا إليك آباط الإبل حتى يستخرجوك ولو كنت في مثل جحر ضب).[3]

وهكذا خرج ؛كارها للقتال محبا للسلام، متطلعا إلى استقرار أحوال المسلمين وتوحيد صفوفهم، وجاء عنه أنه قال: ( لا أقاتل بعد رؤيا رأيتها، رأيت رسول الله ﷺ واضعا يده على العرش، ورأيت أبا بكر واضعا يده على النبي ﷺ ، ورأيت عمر واضعا يده على أبي بكر، ورأيت عثمان واضعا يده على عمر، ورأيت دما دو م، فقلت: ماهذه الدماء؟ قيل : دم عثمان يطلب بـه).[4]

فلما قُتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبايع أهل العراق الحسن بالخلافة نظر إلى كتائب المسلمين يحمل كل منهم السيف على إخوانه في الدين، فآثر مصلحة الأمة وسد باب الفتنة وعقد صلحا تاريخيا مع معاوية حتى سمي ذلك العام عام الجماعة.

---

١- ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٦٠/٣).
٢- مصنف ابن أبي شيبة(٥٢٣/٧)رقم(٣٧٦٩٤).
٣- سير أعلام النبلاء، للذهبي(٢٦١/٣).
٤- تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨٥/٣٩).

ولما سار الحسن بن علي ﷺ إلى معاوية بالكتائب قال عمرو بن العـاص لمعاويـة ﷺ: ( أرى كتيبة لا تولي حتى تدبر أخراها قال معاوية ﷺ من لذراري المسلمين ؟ فقال: أنـا. فقال عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة : نلقاه فنقول له الصلح ).[1]

و( كان معاويـة يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة فلما توفي علي ﷺ بعث إلى الحسن فأصلح ما بينه وبينه سرا، وأعطاه معاوية عهدا إن حدث به حدث والحسن حي ليسـمينه وليجعلن الأمر إليـه، فلما توثق منه الحسن قال ابن جعفر: والله إني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب بثوبي وقال: يا هناه اجلس فجلست فقال: إني قـد رأيت رأيـا وإني أحب أن تتابعني عليه.قلت: ما هو ؟ قال: قد رأيت أن أعمـد إلى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هـذا الحديث فقد طالت الفتنة وسفكت الدماء وقطعت الأرحـام والسـبل وعطلت الفروج، فقام الحسن فقال: أيها الناس إني كنت أكره الناس لأول هذا الأمـر وأنا أصلحت آخره إلى أن قال إن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك أو لشر يعلمه فيك وقرأ ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء:١١١] ثم نـزل).[2]

وضرب مثلاً حيا لتقديم محبوب الله ورسوله على محبوبـه، وتقديم الآخرة على الـدنيا، فحفظ دينه بحفظه دماء المسلمين وقمعه الفتنة والقضاء على أسبابها، فعقد الصلح مع معاوية واعتزل الخلافة، وأصاب السنة.

( وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين ﷺ وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث؛ ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابته عن النبي ﷺ.

وصاروا يذكرون هذا في عقـائدهم ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم ، ومن

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٦٠٢/٦)كتاب:الصلح، باب: قول النبي للحسن ابني هذا سيد رقم(٦٦٩٢).
٢- سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٦٤/٣،٢٦٥).

خالف ذلك متعمدا أو مخطئًا لم يحصل بفعله صلاح بل فساد، ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن بقوله: ( ابني هذا سيد ،ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين).[1] ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة ولا بخروج على الأئمة ولا نزع يد من طاعة ولا مفارقة للجماعة.

وهذا يبين أن الإصلاح بين الطائفتين كان محبوبا ممدوحا يحبه الله ورسوله ﷺ وأن ما فعله الحسن من ذلك كان من أعظم فضائله ومناقبه التي أثنى بها عليه النبي ﷺ. ولو كان القتال واجبا أو مستحبا لم يثن النبي ﷺ على أحد بترك واجب أو مستحب؛ ولهذا لم يثن النبي ﷺ على أحد بما جرى من القتال يوم الجمل وصفين وغيرها، وهذا الحديث من أعلام نبوة نبينا محمد ﷺ حيث ذكر في الحسن رضي الله عنه ما ذكره وحمد منه ماحمده فكان ما ذكره وما حمده مطابقًا للحق الواقع بعد أكثر من ثلاثين سنة).[2]

**سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :**

أحد العشرة المبشرين بالجنة، مات النبي ﷺ وهو عنه راض، وأحد المرشحين للخلافة ( فلما أصيب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال له ابنه عبد الله : ( ألا تستخلف يا أمير المؤمنين ؟ قال: ما أجد أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. فسمى عليا، وعثمان،وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقال: ليشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء، فمن استخلفوه فهو الخليفة بعدي، فإن أصابت سعدا وإلا فليستعن به الخليفة بعدي، فإني لم أنزعه من ضعف ولا خيانة).[3] وتمت البيعة لعثمان رضي الله عنه، ثم حدث ماحدث من أمر الفتنة ثم مقتله وما أعقب ذلك من فتن وحروب، فاعتزل سعد الفتنة وما يتعلق بها وخرج من المدينة فارا بدينه و( لما دعوه إلى الخروج معهم - في القتال- أبى عليهم وقال: لا، إلا أن تعطوني سيفًا له عينان بصيرتان، ولسان ينطق بالكافر فأقتله ، وبالمؤمن فأكف عنه، وضرب لهم سعد رضي الله عنه مثلاً

---

١- سبق تخريجه ص (٣٢٥)

٢- منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية (٥٢٩/٤، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢).

٣- تاريخ دمشق لابن عساكر(٣٥٤/٢٠).

فقال: مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينا هم كذلك يسيرون هاجت ريح عجاجه فضلّوا الطريق والتبس عليهم، فقال بعضهم: الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال آخرون: الطريق ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال آخرون كنا في الطريق حيث هاجت الريح فنيخ فأناخوا فأصبحوا فذهب الريح وتبين الطريق فهؤلاء هـم الجماعة قالوا نلزم ما فارقنا عليه رسول الله ﷺ حتى نلقاه ولا ندخل في شيء من الفتن).[1]

حتى ( إن ابنـه عمر ذهب إليه وهو بالعقيق معتزل في أرض له فقال: يا أبتاه لم يبق مـن أصحاب بـدر غيرك ولا من أهل الشورى، فلو إنـك انبعثت بنفسك ونصبتها للناس ما اختلف عليك اثنان، فقال: ألهذا جئت أي بني ؟! أقعدت حتى لم يبق من أجلي إلا مثل ظمأ الدابة ثم أخرج فأضرب أمـة محمد ﷺ بعضها ببعض، إني سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: (خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي) .[2])[3]

وقد تأسى به عدد من الصحابة رضي الله عنهم فجاء عن حسين بن خارجة رضي الله عنه قال: ( لما كانـت الفتنة الأولى أشكلت علي فدعوت الله أن يريني طريقًا من الحق أتمسك به قال: فأُريت الدنيا والآخرة، وبينهما حائط ليس جد طويل، وإذا حبر فقلت: لو تشبثت من هذا الحائط لعلي أهبط إلى قتلى أشجع فيخبروني. فهبطت إلى أرض ذات شجر، فإذا أنا بنفر جلوس، فقلت: أنتم الشهداء؟ قالوا: نحن الملائكة، فقلت: فأين الشهداء؟ قالوا: تقـدم، أمامك الـدرجات العلى، فتقدمت أمامي وإذا أنا بروضـة، الله أعلم ما ا من الحسن، فدنوت فإذا أنا بمحمد

---

١- العزلة للخطابي ص(١٣/١)، وينظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر(٤٩٦/٣٩).

٢- أخرجه أحمد بن حنبل في مسـنده(١٧٢/١)رقـم(١٤٧٧)و(١٨٠/١)رقـم(١٥٥٩)، وابـن أبي شـيبة في مصنفه(٨٤/٧)رقم(٣٤٣٧٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٨١/١٠) رواه أحمد وأبو يعلى وفيه محمد بن عبدالرحمن بن لبينة وقد وثقه ابن حبان وقال روى عن سعد بن أبي وقاص، وضعفه ابن معين وبقية رجالهما رجال الصحيح.

٣- مسند الإمام عبد الله بن المبارك، عبد الله بن المبارك بن واضح، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ط١، ١٤٠٧، مكتبة المعارف – الرياض.(١٥٤/١).

وإبراهيم عليه السلام وإذا محمد يقول لإبراهيم: استغفر لأمتي، فقال إبراهيم عليه السلام: إنك لاتـدري ما أحدثوا بعدك، إنهم أراقوا دماءهم، وقتلوا إمامهم، ألا فعلوا كما فعل خليلـي سـعد ؟ قـال: قلت:قد رأيت رؤيا، لألقين سعد ولأنظرن في أي الفريقين هو فأكون معه. قـال: فغدوت إلى سعد فلقيته فقصصت عليه، فوالله ما أكبر بها فرحا قال: خاب من لم يكن لـه إبراهيم خليلاً، فقلت: مع أي الفريقين أنت ؟فقال؛ ما أنا مع واحد منهما. قلـت: فمـا تأمرني؟ قال: لك غنما ؟ قلت: لا، قال: فاشتر غنما فكن فيها حتى تنجلي هذه الفتنة ).[1]

وكان كارها لإراقـة الدماء وصرح بذلك كلما سنحت الفرصة، وحين دخل على معاوية سلم عليه وكان من قوله: ( والله ما يسرني أني على الذي أنت عليه وأني هرقت محجمة من دم... وقد اعتزل في آخر عمره في قصر بناه بطرف حمراء الأسد واتخذ بها أرضا ومات بها وحمل إلى المدينة فدفن فيها). [2]

**محمد بن مسلمة رضي الله عنه:**

وكان محمد بن مسلمة ممن اعتزل أيام الفتنة بفسطاط خارج المدينة وكان مقامه آنـذاك فيها.حفظًا لدينه وعملاً بوصية النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعل إذا حدث قتال بين المسلمين.

فجاء عن حذيفة رضي الله عنه قوله: ( إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتنة، فأتينا المدينة فإذا فسطاط مضروب وإذا هو محمد بن مسلمة، فسألناه فقال: لا يشتمل علي شيء من أمصارهم حتى ينجلي الأمر عما انجلى. قالوا: ومات حذيفة بعد عثمان بأربعين يوما).[3]

وقـد طلبه علي بن أبي طالب رضي الله عنه للمشاركة معه في حربه، وسؤاله عن تخلفه عنـهم؛ فبعث إليه و قال: ( ما خلفك عن هذا الأمـر ؟ قال: دفع إلي ابن عمك يعني النبي صلى الله عليه وسلم سيفًا فقال: قاتل بـه ما قوتل العدو فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضا فاعمد بـه إلى صخرة

---

١- تاريخ دمشق لابن عساكر(٣٧٢/٢٠).
٢- المصدر السابق نفسه (٣٦٥،٣٥٩/٢٠).
٣- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور(٢١٥/٢٣).

فاضربه ا ثم الزم بيتك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة، قال: خلوا عنه).[1]

ولزم مكانه في تلك الفترة ولم يخرج لأي شيء حتى أنه قيل له: ( لو خرجت إلى الناس فأمرت و يت،فقال: قال النبي ﷺ: ( يا محمد بن مسلمة ستكون فرقة وفتنة واختلاف فاكسر سيفك واقطع وترك واجلس في بيتك)[2] ففعلت الذي أمرني به النبي ﷺ).[3]

وهكذا كل من لزم الحق، وتمسك بالكتاب والسنة، وخاف على دينه فاعتزل عند الفتنة حتى تتبين الأمور وتتضح الصورة، بل من هؤلاء من فـرح بالبلاء لمنعه إياه المشـاركة في الفتنة؛ فهذا الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول في مرضه الذي هلك فيه وكـان عنده رجل من إخوانه وهو يناجي امرأته،ففتح عينيه فسألهما،فقالا: خيرا، فقال:( إن شـيئًا تسرانه دوني، ماهو بخير، قال: قتل الرجل- يعني عثمان- قال: فرجع ثم قال: اللهم إن كنت من هذا الأمر بعزل،فإن كان خيرا فهو لمن حضره، وأنا منه بريء، وإن كان شرا فهو لمـن حضره وأنا منه بريء؛ اليوم نفرت القلوب بأنفارها، الحمد لله الذي سبق بي الفتن قادـا وعلوجها، الحظي من تردى بعيره، فشبع شحما وقل عمله).[4]

وقال أبو أسيد[5] وكان قد عمي بصره حين قُتل عثمان رضي الله عنه: ( الحمد لله الذي مـتعني ببصري حياة رسول الله ،أنظر ما إليه،حتى إذا قبض الله نبيه وأراد الفتنة بعباده كف علي بصري).[6]

وعن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال لما وقعت فتنة عثمان قال رجل لأهله :( أوثقوني

---

١- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٢٤/٢٣).

٢- سبق تخريجه رقم (٣١٦) بلفظ آخر.

٣- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٢١٥/٢٣).

٤- المصدر السابق نفسه (٤٧٩/٣٩).

٥- هو مالك بن ربيعة بن البدن الساعدي، من كبراء الأنصار شهد بدرا والمشاهد،له أحاديث، وقد ذهب بصـره في أواخر عمره (ت:٤٠هـ) وله(٧٨)سنة.

ينظر: ذيب الكمال للمزني(١٣٩/٢٧)،سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٣٨/٢)،الكاشف للذهبي(٢٣٥/٢).

٦- تاريخ دمشق لابن عساكر(٤٧٩،٤٨٢/٣٩)،وينظر:سير أعلام النبلاء للذهبي(٥٤٠/٢).

بالحديد ،فإني مجنون،فلما قتل عثمان قال:خلوا عني،فالحمد لله الذي شفاني مـن الجنـون وعافاني من قتل عثمان).[1]

---

١- تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٩٢/٣٩).

## خلاصة مبحث اعتزال الفتن والحروب :

- أن أصل الفتنة الاختبار والامتحان والابتلاء.

- أن الفتنة تكون من الله على وجه الحكمة، وتكون من الإنسان بمعصيته لله ضد تلـك الحكمة وهي مذمومة.

- تحذير الأمة من الفتن من خلال النصوص الشرعية وكيفية مواجهتها والتغلب عليها.

- بناء المنهجية الصحيحة في التعامل مع الفتن وبيان الموقف الشرعي للمسلم حيالها.

- النجاة من الفتن من خلال:

١. سلامة القلب وذلك بصدق التوبة والإنابة إلى الله واللجوء إليه لقوله ﷺ : (العبادة في الهرج كهجرة إليّ)[١]..

٢. سلامة اللسان بأن يعزل نفسه عن القول فيما لايعنيه ونقل الأقاويل والإشاعات لقوله ﷺ : (اللسان فيها أشد من وقع السيف)[٢]لما فيه من تأجيج للفتنـة وإضـرام نارها.

٣. سلامة اليد وذلك بعزل نفسه وماله وولده وكل ما يخصه عن الفتن مـع لـزوم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعة فعليه بالعزلة والصبر على تحمل المشاق لقوله ﷺ لمن سأله: ( فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[٣].

---

١- سبق تخريجه ص (٣٠٠).

٢- سبق تخريجه ص (٣٠٤).

٣- سبق تخريجه ص (٢٣).

- من الأمور التي ينبغي اعتزالها:

١- القتال ، وجاء عن السلف الصالح الاعتزال في البيوت أو التحول عن بلد الفتن أصلاً؛ مع الاستدلال من السنة الشريفة ووصية رسـول الله ﷺ في الفتن؛ مع بيان الحالات التي يكون فيها الاعتزال مطلوبا.

٢- بيع السلاح والدواب وما شا ها من المراكب الحديثة مـن طـائرات وحاملات ودبابات ونحوها.

- تم في هذا المبحث عرض صور ومواقف للسلف الصالح الذين اعتزلوا الفتن؛ مثل عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وسعد بن أبي وقاص،والحسن بن علي بن أبي طالب وغيرهم.

.................................................

**ويتبع ا لمد الثاني**

# الباب الثالث

# العزلة عند أهل البدعة

ويتضمن ثلاثة فصول:

الفصل الأول: العزلة عند الصوفية .

الفصل الثاني : العزلة عند الخوارج .

الفصل الثالث:العزلة عند المعتزلة .

# الفصل الأول: العزلة عند الصوفية.

- تعريف الصوفية.
- تطور الزهد الصوفي.
- مؤسسات التعبد الصوفية.
- تأثر الصوفية بالنصرانية.
- موقف الإسلام من مؤسسات العبادة الصوفية.
- منزلة العزلة عند الصوفية.
- أنواع الخلوات عند الصوفية.
- تعريف العزلة عند الصوفية والفرق بينها وبين الخلوة.
- مشروعية الخلوة عند الصوفية من الكتاب والسنة.
- الرد على دعواهم.
- طريقة الخلوة عند الصوفية.
- شروط الخلوات الصوفية.
- أخبار مجاهدات الصوفية في الخلوات.
- موقف الصوفية من جهاد الكفار.

# الفصل الأول :العزلة عند الصوفية

## تعريف الصوفية:

يعرف التصوف اصطلاحا: ( بأنه حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري تدعو للزهد وشدة العبادة تعبيرا عن فعل مضاد للانغماس في الترف، ثم تطور حتى صار طرقًا مميزة، تبنت مجموعة من العقائد المختلفة، والرسوم العلمية المخترعة، تكونت من مناهج كثيرة )[1]

## تطور الزهد الصوفي:

وحول قضية الزهد وتطوره في العصور الوسطى يقول المستشرق الإنجليزي "نيكلسون" الذي عرف باختصاصه في الدراسات عن التصوف: (لم يخرج الصوفية كثيرا على الحديث القائل:(لا رهبانية في الإسلام) .[2] إلا بعد مضي عدة قرون ، إلى أن يقول: وإننا لا نعلم إلا القليل عن نظام الزهد الرهباني ونشأته في العصور الإسلامية الأولى ).[3]

وكان من أسباب هذا الزهد الرهباني كما أطلق عليه أن ( اختلطت التعاليم الإسلامية بالتقاليد الفارسية والهندية، فضاع الناس ولم يعودوا يعرفون أين هي الحقيقة، فأدى بهم هذا الضياع إلى النفور من الدنيا، وتحريم أطايبها، ومن ثم الركض وراء الحرمان والقهر والفقر، والجوع والعذاب، معتمدين لذلك طرقًا عديدة ملتوية عرفت بالرياضات والمجاهدات، أو بالعبادات والخلوات.

---

١- الطرق الصوفية، نشأتها وعقائدها وآثارها، عبدالله بن دجين السهلي، ط١،١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، دار كنوز إشبيليا، ص(١٠،٩).

٢- قال ابن رجب في فتح الباري (١٠٢/١): مرسل برقم (٤٩٦٦٩).

٣- في التصوف الإسلامي وتاريخه، رينولد ألن نيكولسون، ترجمة وتعليق: د. أبي العلاء العفيفي، ١٣٦٦هـ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، ص(٥٦-٥٨).

ولقد زعم دعاة تلك ا اهدات بأ ا تؤمن الاتصال بالله، وتتيح فرصـة مشاهدته بـأم العين، و ا يمكن تلقي العلم عن الله مباشرة، بما أسموه " العلم اللّدني".[1] ومن أجـل هـذا اندفع الزاهدون-كما كانوا يدعون بينما هم في الحقيقة غلاة صوفيون- وراء مجاهدة النفس وتعذيبها بالجوع والسهر والخلوة، ولبس المرقعات والمواظبة على الأوراد والصلوات، كمـا أشاعوا في صفوفهم ضرورة ترك الغنى وكل وسائل الفرح والبهجة، فراح عديد منهم يسوح في البراري والفلوات ويعاشر الوحوش والبهائم،كما تروي كتب الصوفية وغـير ذلك من الأساليب والطـرق التي ظنوا فيها تحقيق أهدافهم الصوفيـة، وأغراضهم الدينية ).[2]

وحول الأماكن التي يرتادها الصوفية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :( وهذه الخلـوات قـد يقصد أصحا ا الأماكن التى ليس فيها أذان ولا إقـامة ولا مسجد يصـلّى فيـه الصلوات الخمس؛ إما مساجد مهجورة وإما غير مساجد: مثل الكهوف والغيران التى في الجبال ومثل المقابر لا سيما قبر من يحسن بـه الظن، ومثل المواضع التى يقال أن بـها أثر نبى أو رجل صالح، ولهذا يحصل لهم في هذه المواضع أحوال شيطانية يظنون أنـها كرامـات رحمانيـة. فمنهم من يرى أن صاحب القبر قد جاء إليه وقد مات من سنين كثيرة ويقول: أنـا فلان، وربما قال له: نحن إذا وضعنا في القبر خرجنا.

والشياطين كثيرا ما يتصورون بصورة الإنس في اليقظة والمنام ، وقد تأتى لمن لا يعرف فتقول أنا الشيخ فلان أو العالم فلان ، وربما قالت أنا أبو بكر وعمر وربما أتى في اليقظـة دون المنام وقال: أنا المسيح ، أنا موسى ، أنا محمد... ).[3]

إضافـة لذلك فقد مارس الصوفية على مـدى قرون متتابعة أنواعـًا من ا اهـدات

-----------------------------------

١- العلم اللدني هو إدعاء الصوفية أن للشريعة ظاهر وباطن، وأ م أهل الباطن الذين يتنـزل عليهم العلـم وعلـى شيوخهم من لدن الله مباشرة وبلا واسطة مستغنين به عن الوحيين. ينظر: موقع صيد الفوائد /الجولة الثالثة: ابن عربي يقول: إنه يتلقى علومه رأساً من الله، د.محمد جميل غازي.

٢- الصوفية في نظر الإسـلام، سميح عاطف الزين، ط٣، ١٤٠٥هـ ـ١٩٨٥م، دار الكتـاب اللبناني-بـيروت/دار الكتاب المصري- القاهرة، ص(١٢٧،١٢٩،١٣٠).

٣- مجمـوع الفتـاوى (٤٠٦/١٠).

والعبادات وعبروا عنها بألوان من العزلة والخلوات تطورت مع مرور الوقت من البيوت إلى البراري وصولاً إلى الزوايـا والخانقاوات والتكايا والأربطة فقد كان الصوفيون في البدايـة أفرادا عاشوا حياة بسيطة وأقاموا في معتكفات للتعبـد وذكر الله، مثل بشر الحـافي ،وذي النون المصري[1]، وإبراهيم بن أدهم ، وسري السقطي[2] ويطلق على هـذه المعتكفـات الزوايا وهي مؤسسات شخصية، غير مرتبطة في جميع الأحيان بالصوفية إذ الزاوية هي مقـر رجل من الأتقياء أو بيته، يجمع فيها حوله جماعـة من التلاميذ، وفيها مصلى ولهذا السبب كانت الزوايا أصغر من الخوانق والربط وأكثر منها عددا، كما أنها أقـدم منها عهدا، فقد كان الاعتكاف في غرفة صغيرة أو منارة في المسجد أمرا عاديا للزهاد والعباد منـذ فجـر الإسلام.

ولعل من قبيل الاستثناءات النادرة، بقاء الزاوية الأدهمية في القدس، التي تنسب إلى الصوفي إبراهيم بن أدهم المتوفي سنة مائة وإحدى وستين للهجرة.[3]

وبالتالي (لم يكن ظهور الربط والزوايـا المنظمة إلا في عصر متأخر، لأن القارئ للكتب

---

١- هو ذو النون المصري الزاهد شيخ الديار المصرية ثوبان وقيل فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي، من موالي قـريش وكان أبوه نوبيا،لا يتقن رواية الحديث،وكان رجلاً صالحًا زاهدا ورعا واعظًا عالمًا فصيحا حكيما متقنـا في العلـوم واحدا في عصره، أول من تكلم في ترتيب الأحوال ومقامات الأولياء فأنكر عليه وهجر وشاع أنه أحدث علمـا لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة توفي سنة(٢٤٥هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(٥٣٢/١١) لسان الميزان لابن حجر (٤٣٧/٢).

٢- هو أبو الحسن البغدادي ولد في حدود الستين ومئة،كان أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد وتكلـم في علـوم الحقائق وهو إمام البغداديين في الإشارات، تتلمذ عليه الجنيد، طريقته قوامها الورع والزهد واشتهر بطيـب قوتـه، ومجلسه مجلس علم، مات: سنة(٢٥٣هـ) وقيل غير ذلك.

ينظر: طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي(٤٨)، سير أعلام النبلاء للذهبي(١٨٥/١٢) الموسـوعة الصـوفية، د.عبد المنعم الحفني (٢٠٣).

٣- ينظر: الزوايا والخوانق، المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة المعلومات الالكترونية، .htm٧http://www.palestine-info.info/arabic/books/beet_maqdes/maqdes

التي أُلفت في التصوف حتى منتصف القرن الخامس الهجري، مثل "كتاب قوت القلـوب" لأبي طالب المكي[1]، و"حلية الأولياء" لأبي نعيم[2]، و"الرسالة القشيرية" للقشيري[3]، قلما يجد فيها إشارة إلى هـذه الربط والزوايـا، ومع ذلك نجد أن كبار الصوفية مـن رجـال القرنين الثالث والرابع[4] قـد اجتمع حولهم المريدون ليأخذوا عنـهم الطريـق ويتـأدبوا بآدابـه.

ومن الطبيعي أن هؤلاء المريـدين أقاموا في بيـوت دينية نوعـًا ما كلما وجـدوا إلى ذلك سبيلا).[5]

---

١- هو محمد بن علي بن عطية الواعظ المذكر الزاهد المتعبد الرجل الصالح سمع الحديث وروى،كان رجـلا صـالحا مجتهدا في العبادة وصنف كتاب "قوت القلوب" وذكر فيه أحاديث لا أصل لها، قال الخطيب: ذكر في القوت أشـياء منكرة في الصفات، وكان قد وعظ ببغداد وخلط في كلامه وحفظ عنه أنه قال ليس على المخلوقين أضر من الخـالق فبدعوه وهجروه فبطل الوعظ مات سنة(٣٨٦هـ).

ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣١٩/١١)، لسان الميزان لابن حجر (٣٠٠/٥).

٢- أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني الصوفي الجامع بين الفقه والتصوف والنهاية في الحفظ والضبط، سبط محمد بن يوسف البنا الصوفي أحد مشايخ الصوفية ،وأحد عصره في فضله وجمعه ومعرفته وأحد الأعلام الذين جمع الله لهم بين العلو في الرواية والنهاية في الدراية رحـل إليـه الحفـاظ مـن الأقطار،توفي سنة(٤٣٠هـ).

ينظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور للصيرفيني(٩٥/١)،،طبقات الشافعية الكبرى للسبكي(١٨/٤).

٣- هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري وكنيته أبوالقاسم،كان أشعريا فقيها شافعيا صوفيا مدافعا عـن التصوف عامة في كتابه "الرسالة القشيرية" كما كان متكلما حافظًا محدثًا نحويا أديبا شاعرا فارسا، تعرض لمحنة شديدة ولعن في المساجد، له عدة مصنفات منها: " أحكام الشرع "والجواهر" و"بلغة المقاصد في التصوف" وغيره كثير، مات سنة ٤٦٥هـ في نيسابور.

ينظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨٣/٢)، طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي(٢٤٣/٣).

٤- ومن هؤلاء: أبوإسحاق إبراهيم الخواص (ت:٢٩١)، أبو عمرو الدمشقي(ت:٣٢٠)، أبو يعقوب النـهرجوري (ت:٣٣٠)، أبو إسحاق إبراهيم المولد.

ينظر: طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي.

٥- في التصوف الإسلامي وتاريخه ، نيكولسون، ص(٥٦،٥٧،٥٨).

ثم تجمعوا في منظمات منذ القرن الثالث الهجري، إلا أن الطرق الصوفية راجت في القرن السادس الهجري، وانتشرت انتشارا كبيرا ابتـداء من القـرن السابع الهجري، فيما بلغت قمتها في القرن الثامن حيث لقي الصوفيون تشجيعا من الحكام المماليك.

ومع أن تعبيرات الزوايا والخانقاوات والتكايا والأربطة كانت تطلق على أماكن لإيـواء الصوفية، إلا أ ا مختلفة وكل منها تعني نمطًا مختلفًا من هذه المؤسسات.

## مؤسسات التعبد الصوفية :

### ١. الخانقـاه:

وأبرز هذه المؤسسات الخانقاه[1] وهي: ( بناء ديني أقيم على نظام الصحن الذي يحيطـه إيوان واحـد أو أكثر فبعضها تضم بابا واحدا وبعضها أربعة، وهي بلا مئذنة وبـلا منبر وتضم مسجدا لا تقام فيه صلاة الجمعة، ويلحق أحيانـًا بـه ضريح أو مدرسة أو سبيل، تدرس في مدرسة الخانقاه العلوم الدينية على المذاهب الأربعـة، قامت الخانقاه أحيانـًا بـدور أوسع من المدرسة في نشر الوعي الديني الموجه.[2]

و( يعود تاريخ الخانقاه إلى مطلع القرن الثاني الهجري حسب بعض الروايات التي تقول إن أول خانقاه أقيمت بمدينة الرملة بفلسطين، إلا أن هذه الروايـة لم تؤكد، وأغلب الظن أ ا وجدت في القـرن الخامس الهجري وكان أول من أسسها السلاجقة ونالت إهتمامـا خاصا في العهد الأيوبي واستمرت تؤدي دورها في العهد المملوكي.

---

١- وهو رباط الصوفية ومتعبدهم فارسية أصلها خانه كاه هذا محل ذكرها واشتهر بالنسبة إليها أبو العباس الخانقاهي من أهل سرخس زاهد ورع مقرئ، وخانقاه سعيد السعداء بمصر وذكرها المصنف في خ ن ق.
ينظر: تاج العروس(٣٧٤/٣٦)، الخانقاه، بالقاف والكاف، جمعها خوانق، لفظة فارسية تعني البيت - دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، (٤٥٩/١٦)، مطابع دار الشعب- القاهرة، موسوعة العمارة الإسلامية للـدكتور عبـد الرحيم غالب في مادة "خانقاه" غروس برس - بيروت .

٢- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متنر، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريده، ١٩٧٥م، لجنة التأليف والنشر- القاهرة. نقلاً عن موقع على شبكة المعلومات الالكترونية http://www.arabiancreativity.com/shshaath٢.htm

... ويعتقد أن أقدم مثال للخانقاه ما يزال قائما في مصر على مخطط المدرسة هو خانقـاه الجاشنكير التي تأسست عام ٦٠٦هـ / ١٣٠٧م ، ويليها خانقاه الفرافرة بحلب التي عرفت بالربـاط الناصري والتي تأسست عام ٦٣٥هـ / ١٣٣٧م في العهد الأيوبي،[١] وأما عن أول دار للصوفية بنيت فى مصر والتى عرفت باسم (الخانقاه) يقول المقريزى: ( أن صـلاح الدين الأيوبى أمـر بتحويل دار سعيد السعداء أحـد الأستاذين المحنكين خدام قصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمى إلى خانقاه لفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم سنة ٥٦٩ هـ وولى عليهم شيخا ووقف عليهم بستانا وجعل لها أوقافًا خارج القاهرة).[٢]

## ٢.الربـاط:

ومن مؤسسات الصوفية أيضا ما يعرف بالرباط الذي كان مهمته الأساسـية التعبئـة للجهاد ثم تحول ليكون مأوى للكسالى والبطالين، ويتحدث ابن جبير في رحلتـه في ايـة القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي عن الشام في العهد الأيوبي قائلاً: إن الرباطات التي يسمو ا الخوانق كثيرة ويؤمها الصوفية، ويضيف بأ ا كانت قصورا فخمة لأن الصوفية كانوا هم الملوك في تلك البلاد، أما في العراق فقد غلب اسم الرباط على اسم الخانقاه،[٣] ثم (تغير اسم الخانقاه في العهد العثماني ليصبح " التكية " كما تغيرت الوظيفة الأساسية الـتي أقيمت من أجلها، فجعلت لطائفة أُطلق عليها اسم الدراويش التي أدخلت بدعـًا لم تكـن مألوفة سابقًا ولا تمت للإسلام بصلة على حد تعبير البعض، وخصت التكايا بالعهد العثماني بأوقاف كثيرة مما جعل الكثير من الناس يدخلون في هذه التكايا والتمتع بما تقدمه الأوقاف

---

١- الخانقاه ( الخانكاه) في التراث الحضاري الإسلامي، د.شوقي شعث. نقـلاً عن موقـع على شبكة المعلومـات الالكترونية http://www.arabiancreativity.com/shshaath.htm٢

٢- الخطط التوفيقية، المقريزي، ١٩٦٥م، بيروت، ٢/ نقلا عن: الخانقاه ( الخانكـاه) في التـراث الحضـاري الإسلامي، د.شوقي شعث، الشبكة الالكترونية موقع / http://www.arabiancreativity.com/shshaath.htm٢

٣- ينظر: رحلة ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبر الكناني الأندلسي، تحقيق: تقديم / د.محمـد مصـطفى زيـادة، دار النشر: دار الكتاب اللبناني / دار الكتاب المصري - بيروت / القاهرة، (١٩٩/١).

من أكل ولباس وخيرات أخـرى، وهي في هـذا شا بت الرهبانيات التي كانت منتشـرة في أوروبا، وربما تسربت تلك الأساليب إلى الدولة العثمانية عن طريق جنوب أوروبا الـتي احتلها العثمانيون لينشروها بدورهم في سائر البلاد العثمانية).[١]

**تأثر الصوفية بالنصرانية:**

وهذه المؤسسات على اختلاف أسمائها( تشبه تمامًا أديرة الرهبان النصـارى ذات الأسـوار العاليـة البعيدة عن عالم الناس والعمران؛ نتيجة للهروب من عالم الترف المادي إلى عـالم الترف الروحي ).[٢]

وقد صرح الدكتور قاسم غنى: ( أن المسيحية استطاعت أن تعلم صوفية المسلمين آدابا وعادات كثيرة عن طريق زمـرة المتقشفين وفـرق الرهبان المتجولين، ولاسيما الجماعات السورية المتجولة في كل مكان ممن كانوا على الأغلب من فـرق النصارى النسطوريين، في حين أن تأثير كنائس المسيحية في المسلمين كان في نطاق محدود جدا وأن الحياة في الصوامع والخانقاوات كانت أيضاً مقتبسة من المسيحية إلى حد كبير )[٣].

وبذلك يظهر أن اتخاذ الصوفيـة الخانقاوات والتكايا والزوايا، وانعزالهم عن الدنيا،لم تكن مأخوذة إلا من الرهبنة المسيحية.

( ومن الأشياء اللافتـة للأنظار أن كل من حاول تبرئـة التصوف عن كونه مـأخوذًا ومقتبسا من الرهبنة المسيحية لم يسعه الإنكار عن كـون المسـيحية إحــدى مصـادر التصوف، وأنـه استفاد منها).[٤]

---

١- الخانقاه ( الخانكاه) في التراث الحضاري الإسلامي، د.شوقي شعث.ص(٣) نقـلاً عن موقـع علـى شـبكة المعلومات الالكترونية http://www.arabiancreativity.com/shshaath.htm٢

٢- التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، بدون طبعةوتاريخ، إدارة ترجمان السنة، باكستان/ مكتبـة بيـت السلام ، الرياض ص(٨٥).

٣- تاريخ التصوف في الإسلام ، د. قاسم غنى ، ترجمة عن الفارسية: صادق نشأت، مراجعة: أحمد ناجي القيسـي، محمد مصطفى حلمي،١٩٧٠م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.ص(١٠٣).

٤- التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير ص(٩٣).

ومما يؤكد ذلك أيضا تلك المصطلحات التي روجوها بين الناس واستعملوها فيما بينهم، فلا يشك أحـد في كو ا أجنبية في الإسلام ولغـة الإسلام العربية، ومقتبسة مأخوذة من المسيحية بحروفها وألفاظها، معانيها ومدلولا ا مثل: ( ناموس، رحموت، رهبوت، لاهوت، جبروت، رباني، روحاني، نفساني، جثماني، شعشعاني، وحدانية، فردانية، رهبانية، عبودية، ربوبية، ألوهية،كيفوفية ).[1]

**موقف الإسلام من مؤسسات العبادة الصوفية:**

وفي هذا دلالة واضحة على الانحراف العقدي والشرعي الذي انتهجته الصوفية في أماكن عباد ا وألفاظها بعيدا عن كتاب الله وسنة رسولهﷺ، ويلاحظ ( أنـه لا يوجد في تعـاليم القرآن والسنة رسم ولا أثر لهذه التكايا والزوايا والخانقاوات والربط، بل أُمر المسلمون ببناء المسجد للعبادة، كما أمـروا بتعمير بيو م بقراءة القرآن فيها والعبادة.

وأما بنـاء الأمكنة الخاصـة للتعبد والذكر والأوراد فليس إلا تقليـلاً لشأن المساجد، وصرف الناس عنها، وإعطاء التكايا والزوايا والربط مكانتها وشأ ا، وفي هذا مخالفة لأوامر الله وتعاليم رسوله ﷺ).[2]حيث يقول ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [ التوبة ] ففي الآيـة: ( ي له ﷺ والأمـة تبع له في ذلك على أن يصلي في مسجد الضرار أبدا، ثم حثه على الصلاة بمسجد قباء الذي أُسس من أول يوم بنائـه على التقوى؛ وهي طـاعة الله وطاعة رسـوله ﷺ وجمعـا لكـلمة المؤمنين ومعقـلاً وموئلاً للإسلام

---

١- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى اية القرن الثاني، عبد الرحمن بدوي،١٩٧٥م، وكالـة المطبوعـات- الكويت، ص(٣٣٣).

٢- ينظر: التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير ص(٨٧).

وأهله).[1]

( قال علماؤنـا: وكل مسجد بني على ضـرار أو ريـاء وسمعة فهو حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة فيه).[2]

فـإذا كانت الصلاة في مساجد الضرار ممنوعة، فمن باب أولى منع إقامة الدور- أيـا كانت مسميا ا- والتي تقام فيها شعائر تعبـدية، أو تجمعات للأوراد والأذكار، وتخصيصها بأمـور تنسب للإسلام وهو منها بـريء، بل هي على حساب الإسلام والمسلمين والطعن فيهم.

وقد بين ابن الجوزي جوانب الخطأ في بناء الأربطة فقال : ( أما بناء الأربطة فإن قومـًا من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفـراد بالتعبد، وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على خطأ من ستة أوجه:

الأول: أ م ابتدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد.

والثاني: أ م جعلوا للمساجد نظيرا يقلل جمعها.

والثالث: أ م فوتوا على أنفسهم نقل الخطى إلى المساجد.

والرابع: أ م تشبهوا بالنصارى بانفرادهم في الأديرة.

والخامس: أ م تعزبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح.

والسادس: أ ـم جعلوا لأنفسهم علمـًا ينطق بأ م زهـاد فيوجب ذلك زيار م والتبرك م.

---

١- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير(٢/ ٣٨٩،٣٩٠).

٢- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/٢٥٤).

وإن كان قصدهم غير صحيح، فإ م قد بنوا حوانيت للكوبة[1] ومناخا للبطالة وأعلاما لإظهار الزهـد.

وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس.[2]

وأكثر أربطتهم قـد بناها الظلمة، ووقفوا عليها الأموال الخبيثة. وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع فهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد فأين جوع بِشر؟ وأين ورع سري ؟ وأين جِد الجنيد؟[3]

وهؤلاء أكثر زما م ينقضي في التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا، فإذا أفلح أحـدهم أدخل رأسه في زرمانقته[4] فغبت عليه السوداء فيقول:حدثني قلبي عن ربي.

ولقد بلغني أن رجلاً قـرأ القرآن في رباط فمنعوه، وأن قوما قرأوا الحديث في ربـاط، فقالوا لهم: ليس هذا موضعه).[5]

---

١- المراد بالكوبة: الشطرنجة و الكوبة الطبل والنرد. ينظر: لسان العرب لابن منظور(٧٢٩/١).

٢- المكس الجباية، والماكس الذي يأخـذ الضريبة، والماكسة في البيع انتقاص الثمن واسـتحطاطه والمنابـذة بـين المتبايعين، وتماكس البيعان تشاحا وماكس الرجل مماكسة وهو أن تأخذ بناصيته ويأخذ بناصيتك. ينظر: لسان العرب (٢٢١،٢٢٠/٦).

٣- هو الجنيد بن محمد أبو القاسم الخزاز، وكان يعرف بالقواريري والزجاج، ولد ونشأ في العراق،كان فقيها، مـن أئمة القوم وساد م، يلقب بالأستاذ، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، قيد مذهبه بالكتاب والسنة، وطريقته تقوم على الصحو.

ينظر: طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي(١٥٥)، الموسوعة الصوفية، د.عبد المنعم الحفني(١٠٧).

٤- الزرمانِقَـةُ بالضـم جبـةٌ صـوف نقَلـه الجَـوهري ومنـه الحَـديثُ أن موسـى عليـه السـلام لمّا أتى فرعون أتاه وعليه زرمانِقَة يعنِي جبةَ صوف.

ينظر: تاج العروس، للزبيدي (٤٠٢/٢٥).

٥- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص(١٧٦،١٧٥).

## منـزلة العزلة عند الصوفية:

مما سبق يتضح أن العـزلة والخلوات المبتدعة من الملامح المميزة لمنهج الصوفية وأساس المريدين؛ حيث يقول أبو طالب المكي : ( واعلم أن المريد لا بـد له من خصال سـبع... ويستعين على هذه السبع بأربع هن أساس بنيانه و ا قوة أركانه؛ أولها الجوع،ثم السـهر ثم الصمت ثم الخلوة، فهذه الأربع سجن النفس وضيقها، وضرب الـنفس وتقييـدها، ـن تضعف صفـا ا وعليهن تحسن معـاملا ا، ولكل واحدة من الأربع صـنعة حسـنة في القلب ).[1]

كما يصفها القشيري فيقول: ( إن الخلوة صفة أهل الصفوة؛ والعـزلة مـن إمـارات الوصلة، ولابد للمريد من ابتداء حاله من العـزلة عن أبناء جنسه، ثم في ايتـه من الخلوة لتحققه بأنسه ).[2]

بل إن علماء الصوفية يـرون ( أن الخلوة هي السبيل العلمي والعملي الذي سنه النبي ﷺ كي يقَوى إيما م وتصفو نفوسهم وتتطهر قلو م وتتأهل لتجليات الله تعالى).[3]

وهذا يفسر( ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسـة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة بل قـالوا الطريق تقديم ا اهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة علـى الله تعالى ومهما حصل من ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بـأنوار العلم وإذا تولى الله أمـر القلب فاضت عليه الرحمـة وأشرق النور في القلب وانشـرح

---

١- كتاب قـوت القلوب(الكتاب الجامع في التصوف وتربية المريدين) ضـمن الموسـوعة الإسـلامية الكـبرى، للإمام أبي طالب المكي، تحقيق: عبد المنعم الحفني، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، دار الرشاد، القاهرة.(٢٠/٢).

٢- الرسـالة القشيرية، للقشيري ص(١٠١).

٣- التصوف الأنوار الرحمانية، للكسنزاني، في الطريقة القادرية الكسنزانية، عبد الكريم الكسنزاني،مكتبة مدبـولي، القاهرة. ص(١٦٣).

الصـدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمـة وتلألأت فيه حقائق الأمـور الإلهية فليس على العبـد إلا الاسـتعداد بالتصـفية المجـردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقـة والتعطش التام والترصـد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمـة فالأنبياء والأوليـاء انكشف لهم الأمـر وفاض على صـدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى). [1]

ويحتجون لذلك بأقوال أعلام أهل السنة والجماعة مدعين مشاركتهم لهم في مفهـومهم تجاه الخلوة وما يترتب عليها، فيحتجون بقول الإمام النووي-رحمه الله-: ( مـن أحـب أن يفتح الله قلبه أو ينوره فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه واجتناب المعاصي ويكون له خبئة فيما بينه وبين الله تعالى من عمل.

وفي روايـة فعليه بالخلوة وقـلة الأكل وترك مخالطة السفهاء، وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب).[2]

ويذكر يحيى بن معاذ[3] بعضا من أحوال الصوفية وما ينبغي عليهم فعله فيقول: ( ليكن بيتك الخلوة، وطعامك الجوع، وحليتك المناجاة، فإما أنك تموت في دائـك أو تصـل إلى دوائك).[4]

---

١- إحياء علوم الدين، للغزالي (١٩/٣).

٢- تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسـات، ط١،١٩٩٦م، دار الفكر- بيروت.(٧٥/١) وقد نسب الكسنزاني هذا القول إلى الشافعي.

٣- هو أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، أحد رجال الطريقة، ذكره أبو القاسم القشيري في الرسالة وعده من جملة المشايخ وقال في حقه نسيج وحده في وقته له لسان في الرجاء خصوصا وكلام في المعرفة خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة (٢٥٨هـ).

ينظر: طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي(١٠٧)،وفيات الأعيان لابن خلكان (١٦٥/٦).

٤- قواعد الصوفية، محمد بن عمر بن أحمد الغمري، دراسةوتحقيق: د.عادل محمد علي، (د،ط)، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة. ص(١٤٤).

وقال سري السقطي: ( خمس خصال فيهن الراحـة وترك الخلطاء والزهـد وحـلاوة العمل إذا غاب عن أعين الناس وترك الإزدراء على الناس، حتى لا يرى أن أحدا يعصي الله تعالى،ويسقط عن نفسه الرياسة والجدل والمراء، والتصنع وحب المنـزلة، ويسـتريح مـن خمسة من البخل والحرص والغضب والطمع ).[١]

ويبين الإمام الغزالي-رحمه الله- فوائد العزلة قائلا:( وأما حياة الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر، فإنهما دهليز القلب، والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس، ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومـن الطـين الحاصل منها؛ ليتفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر، وكيف يصح أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص ؟ فلابد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة).[٢]

ويقول أيضا: ( وانكشفت لي أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذي أذكره لينتفع به أني علمت يقينـًا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وسيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطـرق وأخلاقهم أزكى الأخـلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء ليغيروا شيئًا من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه لما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به ).[٣]

ويشير الغزالي في كلامه السابق إلى علم الباطن الذي يعتقده الصوفية ويعدونه أهـم وأول مصادر التلقي معرضين عن الوحيين الكتاب والسنة.

-----

١- التصوف الأنوار الرحمانية، الكسنزاني ص(١٤٣).

٢- إحيـاء علوم الدين، للغزالي (٧٦/٣).

٣- شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، تحقيق: سـعيد بـن نصـر بـن محمـد ، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، مكتبة الرشد، الرياض. ص(١٩٠).

وفي هذا ا ال من علم الباطن وما يتبعه من المكاشفة والمشاهدة، ومن ثم الحلول والاتحـاد يشرح ابن عجيبة[١] قول ابن عطاء[٢]: ( ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل ا ميـ ـدان فكره. فيقول : العزلة انفراد القلب بالله وقد يراد ا الخلوة التي هي انفراد القالـب عـن الناس).[٣]

وقال الغمري[٤] في بيـان صفات المحب: ( سئل بعضهم عن صفات المحب فقال: قليل الخلطة، دائم الفكرة، كثـير الخلوة، ظاهر الصمت، لا يبصر إذا نظـ ـر، ولا يسـمع إذا نودي، ينظر إلى الله تعالى في خلواته ويأنس به ويناجيه ولا ينازع أهل الدنيا في دنياهم، تراه حزينا يخشى حرمان مايرجو ويخاف فوت ما يطلب، قد دهش عقله فهو يـذوب من غير مرض، ويضنى من غير ألم...فمن حصل له المحبة خرج من الروح والبدن فيكون روحا بلا بدن، وبدن بلا روح ).[٥]

---

١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي ، الحسني الأنجري(١١٦٠-١٢٢٤هـ) ويبدو أن اسمه ابن عجيبة كان تعبيرا من أهل زمنـه عن سعة اطلاعه وتمكنه من ثقافته وقـدرته على شرح آراء غيره واستيعا ا، جمع بين النحـو والتصوف، وله تصانيف كثيرة منها "شرح صلوات بن مشيش" و "الفتوحات الإلهية في شـرح المباحث الأصـلية" و" إيقاظ الهمم في شرح الحكم".

ينظر: الموسوعة الصوفية، عبد المنعم الحفني ص(٢٨٥).

٢- هو أحمد بن محمدبن عبد الكريم بن عطاء الله وكنيته تاج الدين وينسب إلى الإسكندرية كانت له اليد الطولى في العلوم الظاهرة والمعارف الباطنة، وطريقته الشاذلية ودعا إليها، اشتهرت عنه خصومته لشيخ الإسلام ابن تيمية له عدة مصنفات منها: "الحكم العطائية" و"المناجاة العطائية"والتنوير في إسقاط التدبير".

ينظر: الموسوعة الصوفية، عبد المنعم الحفني، ص (٢٩٥).

٣- التصوف الأنوار الرحمانية، للكسـ اني ص(١٦٣،١٦٢).

٤- هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عمر الواسطي الغمري المحلي، وشهرته الغمري، من فقهاء الشافعية، أصـله من واسط ومولده بمصر، تعلم بالأزهر، وانقطع للدرس والعبادة، وأنشأ الكثير من الجوامع أو أصلحها، له العديد من المؤلفات أشهرها: "قواعد الصوفية"، "النصرة في أحكام الفطرة"، "جواهر الأسـرار في معرفـة الأحجـار" مـات سنة(٩٠٥هـ).

ينظر: الأعلام للزركلي ص(٣١٥)،الموسوعة الصوفية عبد المنعم الحفني، ص(٣٠٩).

٥- التصوف الأنوار الرحمانية، محمد الكسنزاني، ص(١٩٨).

ويؤكد هـذا القول السهروردي[1] الذي يـرى أن المقصد الأقصى من الخلـوة هـو: المشاهدة والمكاشفة والمعاينة، وذلك ( أن العبد في خلوته لايزال يكرركلمة (لا إلـه إلا الله) على لسانه مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة في القلب مزيـلة لحديث الـنفس، ينـوب معناها في القلب عن حديث النفس؛ فـإذا استولت الكلمة وسهلت على اللسـان يتشربها القلب، فـلو سكت اللسان لم يسكت القلب، ثم تتجوهر في القلب وبتجوهرهـا يستكن نـور اليقين في القلب، حتى إذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يـزال نورها متجوهرا ويتخذ الذكر مع رؤيـة عظمة المذكور ﷻ، ويصـير الذكر حينئذ ذكـر الذات، وهـذا الذكر هو المشاهدة والمكاشفة والمعاينـة).[٢]

وهذه المشاهدة والمعاينة المزعومة ناتجة عن اعتقادهم في منهج التلقي وتقسيم الإسـلام إلى شريعة وحقيقة، وأنهم أهل الباطن الذين يتلقون علومهم عن الله مباشرة من خلال الخلوات وتأهلهم لتجلي الله تعالى عن ذلك عـلوا كبيرا،كما أن الصوفيـة لم يكتفوا بهذا التقسيم العجيب والمريب الذي ابتدعوه بل دفعهم إيمانهم بهذا الوهم والضلال إلى السخرية من علماء الشريعة جميعاً، والاستعلاء عليهم قائلين: ( أخذتم علمكم ميتـًا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت). متعللين بقوله تعالى في الآيـة الكريمة:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾.[ البقرة: ٢٨٢]

بينما يرى آخرون أن مقصود العزلة والخلوة هي: ( الانقطاع عن البشر لفترة محـدودة، وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة؛ كي يتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي ويستريح

---

١- هو عمر بن محمد بن عبد الله،شيخ الصوفية ببغداد كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين كان شيخ وقتـه في علم الحقيقة وانتهت اليه الرئاسة في تربية المريدين ودعاء الخلق الى الله تعالى وظهر له قبول عظيم من الخـاص والعـام واشتهر اسمه وقُصد من الأقطار، مات سنة(٦٣٢) ببغداد.
ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣٨/١٣)، طبقات الشافعية لأبي شهبة (٨٢/٢).

٢- عوارف المعارف، للسهروردي ، ضمن ملحق إحياء علوم الدين للغزالي، بدون طبعـة وتـاريخ، دار المعرفـة، بيروت- لبنان. ص(١٢٥).

الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع، ثم ذكر الله بقلب حاضر خاشع، وتفكر في آلائـه تعالى أناء الليل وأطـراف النهار، وذلك بإرشاد شيخ عارف بالله يعلمه إذا جهل ويذكره إذا غفل وينشطه إذا فتر، ويساعده على رفع الوساوس وهواجس النفس ).[١]

## أنواع الخلوات عند الصوفية:

وهكذا نجد أن الخلوات عنـد الصوفية تختلف وتتباين حسب الغايـة المنشودة فمنـها مايكون للذكر فقط، ومنها مايكون للفكر، ومنها دون ذلك وتفصيل هذه الأنواع علـى النحو التالي:

**الأول:** أن تكون خلوا م لطلب مزيد علم الحق، من الحق لا بطريق النظر والفكر وهذا غايـة مقاصد أهل الحق.

قال شخص من طلاب الطريق لبعض الأكابر: اذكرني عند ربك في خلوتك. قـال: إذا ذكرتك فلست معه في خلوة- ومن ثم يعلم سر: أنا جليس من ذكرني.وشروط هذه الخلوة أن يذَكر بنفَسه وروحه لا بنفسه ولسانه.

**الثاني:** أن تكون خلوا م لصفاء الفكر؛ كي يصبح نظرهم في طلب المعلومات، ومثـل هذه الخلوة لقوم يطلبون العلم من ميزان العقل- وطلاب الحق لا يدخلون مثل هذه الخلوة.

**الثالث:** خلوة يفعلها لدفـع الوحشة من مخالطة غير الجنس والاشتغال بما لا يعني فإ م إذا رأوا الخلق انقبضوا، ولذلك اختاروا الخلوة.

**الرابع:** خلوة لطلب زيادة لذة توجد في الخلوة )[٢]

---

١- التصوف الأنوار الرحمانية، للكسـ اني، ص(١٥٦).

٢- المرجع السابق ص(١٦١).

**ومن النوع الأول الخلوات التالية:**

١- ( الخلوة المعلومة المشهورة التي هي خلوة الأربعين الكليمية .

٢- خلوة فاتحة الكتاب، وكيفيتها أن تصوم أربعين يوما وتحترز فيها من أكل الحيوان وما يخرج منه، وتقرأ الدعاء الذي يأتي ذكره بعد كل فريضة أربعين مرة، وأما الفاتحة فلا تفتر عنها ليلاً و اارا إلا لغلبة نوم، أما الدعاء فهو هذا الدعاء المبارك- ولا حاجة لذكره؛ لما يتضمنه لما يخالف الشرع والعقل والفطرة السليمة.

٣- خلوة الفاتحة أيضا وهي أن يلازم قـراء ا بالخلوة يوما .

٤- خلوة البسملة وخلو ا تسعة عشر يوما ومن فاته سـر بسم الله الرحمن الرحيم فلا يطمع أن يفتح عليه بشيء ... وتتلى كل يوم في الخلوة تسعة عشـر ألفًا.

٥- خلوة الياقوتة الفريدة وخلو ا عشرون يوما تتلى كل يوم في الخلوة ألفي مـرة وهذا العدد لا بد منـه وبعد تمامه يقرؤها دواما على حسب الطاقة ).[١]

ولنا الآن أن نتعرف على معنى العزلة عند الصوفية والفـرق بينها وبين الخلوة وملاحظة المقصود بكل منهما.

**تعريف العـزلة عند الصوفية والفـرق بينها وبين الخلوة:**

العـزلة عند الصوفية هي: الابتعاد عن الناس وعدم مخالطتهم والانقطـاع لعبـادة الله، فإذا صاحبها انفراد في بيت مظلم سميت خلوة.

قال الشيخ أحمد زروق: ( الخلـوة أخص من العـزلة وهي بوجههـا وصولا ا نوع من الاعتكاف ولكن لا في المسجد وربما كانت فيه).[٢]

---

١- رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي، امش/جـواهر المعـاني، الفصل (٤٥) في ذكر بعض خلوات هذه الطريقة.
٢- التصوف الأنوار الرحمانية، للكسـ اني، ص(١٥٥).

## مشروعية الخلوة عند الصوفية من الكتاب والسنة :

يقول الكسـ اني[١]: ( ليست الخلوة ابتداعا من الصوفية وإنما امتثال لأمـر الله تعالى في كتابه العزيز وتأسٍ واقتداء برسول الله ﷺ، فقد كان يخلو بغارحراء يتعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يـ ع إلى أهله، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء واستشهد بحديث عائشة رضي الله عنها أ ا قالت: ( إن أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ويتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ).[٢] و ذا تكون قد ثبتت مشروعيتها[٣]

يقول السهروردي عن خبر تحنث النبي ﷺ في الغار وغيره من الأخبار: ( فهذه الأخبـار المُنبئة عن بدء أمر رسول الله ﷺ هي الأصل في إيثار المشايخ الخلوة للمريـدين والطـالبين؛ فإ م إذا أخلصوا لله تعالى في خلوا م يفتح الله عليهم ما يؤنسهم في خلو م تعويضـًا من الله تعالى إياهم عما تركوا لأجله ).[٤]

ويحتج الكسـ اني من القرآن العظيم بقوله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾ [المزمل]، وتفسير العلامة أبو السعود في قوله : ( وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ) (أي انقطع إليه)[٥] أي

---

١- هو محمد عبد الكريم ،ولد سنة ١٣٥٨هـ في قرية كربجنة ونشأ نشأة صوفية،وتولى أمـور الطريقـة القادريـة الكسـ انية بعد والده،دخل عدة خلوات وقام بإعادة بناء الأضرحة ،وبناء عدة تكايا للرجال والنساء لممارسة شـعائر الطريقة ومأوى للدراويش والفقراء. ينظر:التصوف الأنوار الرحمانية،للكسـ اني ص(٥) ومابعدها.

٢- سبق تخريجه ص (٦٤).

٣- التصوف الأنوار الرحمانية، للكسـ اني، ص(١٥٧).

٤- عوارف المعارف، للسهروردي الفصل (٢٦) ص(١٢٣).

٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (٥١/٩).

انقطاعًا.ولا يتم ذلك إلا بجمع الهمة والانفراد في مكان معزول عن الخلق كي تصفو المناجاة، وتتجرد النفس عن العوالق الصادرة المانعة عن مراقبة الله وقطع العلائق عما سواه.

ويحتج من السنة بعدة أحاديث عن الرسول ﷺ منها :

قول رسول الله ﷺ : ( إن من خير معايش الناس كلهم رجلاً آخذاً بعنان فرسه في سبيل الله، إن سمع فزعه أو هيعة كان على متن فرسه يبتغي الموت أو القتل في مظانه، أو رجلاً في غنيمة له في رأس شعفة من هذه الشعاف، أو بطن وادٍ من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير ) .[1]

وقوله ﷺ: ( سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . . . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ) .[2]

ويقول معلقًا على الحديث الثاني: إن هذا الحديث دليل قاطع على مشروعية الخلوة لذكر الله تعالى، وفي هذه الخلوة يذكر الصوفي ربه خاليا فيعمره بأنواره ويحظى بمجالسته.[3]

ويذْكُر إشكالاً ويرد عليه مستشهدا بأقوال بعض العلماء قائلاً:

( فإن قيل أمر الغار قبل الرسالة فإن المحدث القسطلاني قال: ( إنه أول ما بدأ به عليه الصلاة والسلام الرؤيا الصالحة ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء كما مر، فدلّ على أن الخلوة حكم مرتب على الوحي؛ لأن كلمة (ثم) للترتيب وأيضًا لو لم تكن من الدين لنهى عنها.

---

١- سبق تخريجه ص (٣٤).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٤/١) كتاب:الجماعة والإمامة،باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد رقم(٦٢٨)، و(٥١٧/٢)كتاب: الزكاة،باب الصدقة باليمين رقم(١٣٥٧)،و مسلم في صـحيحه(٧١٥/٢) كتاب: الزكاة،باب فضل إخفاء الصدقة رقم(١٠٣١).

٣- ينظر: التصوف الأنوار الرحمانية، للكسـ اني، ص(١٥٧) ومابعدها.

وقال المحدث الكشميري[١]-رحمه الله- معلقًا على هـذه الفقرة من الحديث:" ثم حبـب إليه الخلاء" وهذا على نحو مجاهدات الصوفية وخلوا م.

وقال الإمام النووي-رحمه الله-في شرح حديث عائشة عند قوله:(حُبِّبَ إليه الخلاء )،أمـا الخلاء فهو الخلوة وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين ).[٢]

**الرد على دعواهم مشروعية الخلوة :**

والجواب على أدلتهم، جـاء في كلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية حين ذكر بعـض الخلوات البدعية، وحجج أصحا ا مع الرد عليهم فقال :

( أجناس عبادات غير مشروعة حدثت في المتأخرين كالخلوات، فإ ا تشتبه بالاعتكاف الشرعي، والاعتكاف الشرعي في المساجد كما كان النبي ﷺ يفعله هو وأصـحابه، مـن العبادات الشرعية.

وأما الخلوات فبعضهم يحتج فيها بتحنثه ﷺ بغار حراء قبل الوحي، وهـذا خطأ ؛ فإن ما فعله النبي ﷺ كان قبل النبوة، فإن كان قـد شرعه بعد النبوة، فنحن مأمورون باتباعـه فيه، وإلا فـلا.

- وهو من حين نبأه الله تعالى لم يصعد بعد ذلك إلى غـار حـراء ولا خلفـاؤه الراشدون.

- وقد أقام بمكة قبل الهجرة بضع عشرة سنة، ودخل مكة في عمرة القضاء، وعام الفتح

١- هو يعقوب بن حسن الكشميري الاديب الحنفي، ولد سنة(٩٠٨هـ) وتوفي سنة(١٠٠٣هـ) صـنف "تفسـير القرآن" "حاشية على التوضيح والتلويح" و"شرح الجامع الصحيح للبخاري"

ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين للقسطنطيني (٥٤٧/٦)

٢- التصوف الأنوار الرحمانية، للكسـ اني .ص(١٦٢،١٦١) وينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٩٨/٢)

أقام ا قريبا من عشرين ليلة، وأتاها في الوداع وأقام ا أربع ليالٍ، وغار حراء قريب منـه ولم يقصده.

وذلك أن هذا كانوا يأتونه في الجاهلية، ويقال: إن عبد المطلب سن لهم إتيانه، لأنه لم تكن لهم هذه العبادات الشرعية التي جاء ا بعـد النبوة صلوات الله عليه، كالصلاة والاعتكاف في المساجد، فهذه تغني عن إتيان حراء بخلاف ما كانوا عليه قبل نزول الوحي. فإنه لم يكن يقرأ بل قال له الملك عليه السلام: اقرأ. فقال صلوات الله عليه: " فقلت ما أنا بقارئ ". ولا كانوا يعرفون هذه الصلاة! ولهذا لما صلاها النبي ﷺ اه عنها من اه من المشركين كـأبي جهل، قال الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾[ العلق ])[1]

أما احتجاجهم بقوله تعالى: ( وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ) فلا وجه لذلك لأن المراد بالتبتل هنا؛أي أكثر من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمـور دنياك كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ ﴾[ الشرح ]، ( أي إذا فرغت مـن مهماتك فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال).[2]

وفي كلام ابن كثير إشارة إلى أن الانقطاع إنما يكون في جزء من الوقت وبضوابط معينة مشروطة بالفراغ من الأشغال وما تحتاج إليه أسرته ومن يعول.

والقرآن العظيم يفسر بعضه بعضا،والنص من الكتاب والسنة لايتم فهمه مالم تجمع طرقـه، ونصـوص القرآن العـظيم تدحض قـولهم في التبتل والترهـب حيـث جـاء قـولـه تعـالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

-----------------------------------

١- مجموع الفتاوى، (٢٢٧،٢٢٦/١٠)
٢- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٣٨/٤).

يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [ المائدة:٨٧ ].

وذكر السيوطي في سبب نزول هذه الآية أقوال عديدة منها: ماجاء عـن سـعيد بـن المسيب أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ فيهم علي بن أبي طالبِ وعبد الله بن عمروٍ لما تبتلـوا وجلسوا في البيوت واعتزلوا وهمّوا بالخصاءِ وأجمعوا على قيام الليل وصيام النهار فبلغ ذلك النبي ﷺ[1] (فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عليه فقال: ما بَالُ أَقْوَامٍ قالوا كَذَا وَكَذَا ؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتزوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) .[2]

**والشواهد العاضدة للنهي عن التبتل والترهب كثيرة منها:**

- ماجاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (أن رسول الله ﷺ نهى عن التبتل) [3]

- سعد بن هشام أنـه دخل على أم المؤمنين عائشة قال: قلت : ( إني أريـد أن أسألك عن التبتل فما ترين فيه؟ قالت: فلا تفعل، أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ ﴾[ الرعد: ٣٨] فلا تبتل.[4]

---

١- الدر المنثور (١٣٩/٣).
٢- أخرجه مسلم في صحيحه(١٠٢٠/٢)كتاب:النكاح،باب:استحبابِ النكاحِ لمن تاقَت نفْسه إليه ووجـد مؤنـه واشتغالِ من عجز عن المُؤن بالصومِ رقم(١٤٠١)

٣- أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٢٦٣/٣) كتاب: النكاح،باب:الحث على النكاح، رقم(٥٣٢٢)،وفي المجتبى (٥٨/٦) كتاب:النكاح،باب:النهي عن التبتل رقم(٣٢١٣) ،وأحمد في مسنده (١٢٥/٦)، وقال الألباني في صحيح النسائي(٣٢١٣) صحيح لغيره رقم(٢٧٢٧٥) ، وجاء الحديث في كتب السنن كالترمذي وابن ماجه بألفاظ أخرى.
٤- أخرجه أحمد في مسنده (٩٧/٦)رقم(٢٤٧٠٢) واللفظ له ،وأخرجه النسائي في السنن الكبرى بلفظ آخر في (٢٦٤/٣)كتاب: النكاح،الحث على النكاح، برقم(٥٣٢٥) قال الألباني في صحيح النسائي(٣٢١٦):صحيح رقم (٢٧٢٨٩).

- وعن سعيد بن المسيبِ عن سعد بن أبي وقاصٍ قال : (رَدَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ على عُثْمَانَ بنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ وَلَوْ أَذِنَ له لَاخْتَصَيْنَا) . (١)

- كما ذكر النبي ﷺ العلة التي من أجلها نهى عن التبتل، فعن أنس بن مالك قال: (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم) . (٢)

وقد جاء النهي عن الانفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو، فجاء عن أبي أُمامةَ قال خرجنا مع النبي ﷺ في سرية من سراياه، فَمر رجلٌ بِغارٍ فيه شيءٌ من ماءٍ فَحِدَّثته نفْسه أنْ يقيم في ذلك الْغارِ فَيقُوت ما فيه من ماءٍ ويصيب مما حوله من الْبقْل، ويتخلى من الدنيا، ثُم قال: لو أني أتيت نبي الله ﷺ فَذكَرت ذلك له فَإنْ أذن لي فَعلْت وإلا لم أفْعلْ، فَأتاه فقال يا نبي الله إني مررت بِغارٍ فيه مايقُوتني من الْماءِ والْبقْلِ فحدثتني نفْسِي بِأنْ أُقيم وأتخلى من الدنيا، فقال النبي ﷺ : (إني لم أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ ولا النَّصْرانِيَّةِ وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَغَدْوَةٌ أو رَوْحَةٌ في سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها وَلَمَقَامُ أَحَدِكُمْ في الصَّفِّ خَيْرٌ من صَلَاتِهِ سِتِّينَ سَنَةً) . (٣)

فدل الحديث على نبذ العزلة والترهب؛ وأن ذلك شأن اليهود والنصارى، والشريعة قائمة على مخالفتهما.

والجواب على احتجاجهم بقوله (ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) . (٤)

فهذا النص يفسره حديث عن ابن عباسٍ قال: سمعت رسولَ الله يقول: (عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ

١- أخرجه مسلم في صحيحه(١٠٢٠/٢)كتاب:النكاح،باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ،رقم(١٤٠٢).

٢- سبق تخريجه ص(١٩٦)

٣- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(٢١٦/٨) رقم(٧٨٦٨) وأحمد في مسنده(٢٦٦/٥)، رقـم(٢٢٣٤٥)، قـال الألباني في السلسلة الصحيحة(٢٩٢٤): جاء مفرقًا عن جمع من الصحابة رقم(٦٢٥٨٠).

٤- سبق تخريجه ص (٣٤٢)

عَيْنٌ بَكَتْ من خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) . [1]

وسبب هـذا الفضل أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، هو الخوف من الله والبكاء لذلك،مخلصا بعيدا عن الرياء وعبر عن ذلك بقوله: ( خاليـًا ) وليس المقصود هو الخلوة في حـد ذا ا؛ ذلك أن الخـوف من الله ﷻ هو من المقامات العليـة وهو من لوازم الإيمان قال الله تعالى: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾[ آل عمران ].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[ المائـدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[ فاطر : ٢٨].

وما يفعله الصوفية في خلوا م وما يبتكرونه من مراسيم وبروتوكولات سابقة للخلوة تـدل على حقيقة أحوالهم وتمام بعدهم عن الإخلاص.

أما احتجاجهم بقول رسول الله ﷺ: (إن من خير معايش الناس لهم رجلاً آخذاً بعنان فرسه في سبيل الله، إن سمع فزعة أو هيعة ، أو رجلاً في غنيمة له في رأس شعفة من هذه الشعاف، أو بطن وادٍ من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير) . [2]

ففي قوله: ( يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة )، دليل على أن هذا الرجل يعيش ضمن جماعة يقيم معهم الصلاة، وله مال ينفقه في الزكاة على أفراد داخل مجتمعه مما يـدحض احتجـاجهم بالحديث على الخلوات وفق منهجهم ومخالفته لهم.

---

١- أخـرجه الترمذي في سننه(١٧٥/٤)كتاب: فضائل الجهاد،باب:ما جـاء في فَضـلِ الحَـرسِ في سـبِيلِ اللـه رقم(١٦٣٩)، والحاكم في مستدركه (٩٢/٢)،رقم(٢٤٣١)وقال الألباني في صحيح الجامع(٤١١٢): صحيح.
٢- سبق تخريجه ص(٣٤)

يظهر مما سبق أن استدلالهم بالحديث على مشروعية الخلوة إنما هو دليل وحجـة عليهم وليس لهم.

**مـدة الخلوة عند المتصوفة :**

حجتهم في تحديد مدة الخلوة مواعدة موسى عليه السلام أربعين ليلة ،ومجاورة محمد ﷺ حـراء شهرا لحديث عن جابر بن عبد الله: (جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي ) [1] وكذا اعتزل نساءه ، وشهر الصوم واحد.

أكثرها عنـد القوم لا حـد له لكن السنة تشير للأربعين بمواعدة موسى عليه السلام، والقصد في الحقيقة ثلاثون، إذ هي أصل المواعدة.

فيكون أكثر الخلوة أربعون وأقلها عشر ليال وحجتهم اعتكاف النبي ﷺ للعشر.[2]

أما الأربعينية فيرى السهروردي أن الله عز وجل قـد خصها بالذكر في كتابه العزيز والسنة المطهرة، واستشهد لذلك من القرآن العظيم بقوله تعـالى: ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾[ الأعراف:١٤٢].

ومن السنة ماجاء عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال:(من أخلص أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) .[3]

-------------------------------------

١- أخرجه البخاري في صحيحه(١٨٧٥/٤)كتاب:التفسير، باب:تفسير سورة المزمل، رقم(٤٦٤٠) والنص الوارد في صحيح البخاري لم ينص على أن ا اورة كانت شهرا والنص صحيحا قوله ﷺ (جاورت في حـراء فلمـا قضـيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي).

٢- ينظر: التصوف الأنوار الرحمانية،عبد الكريم الكسـ اني ص(١٥٥،١٥٦).

٣- أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(٨٠/٧) رقم (٣٤٣٤٤)، ومسند الشهاب(٢٨٥/١) رقم (٣٢٥)، قال الألباني في ضعيف الجامع(٥٣٦٩): ضعيف برقم(٩٤٣٦٤)، وضعيف الترغيب(٦)، رقم(٧٢٤٤٣).

ويقول: ( والعلوم اللدنية في قلوب المنقطعين إلى الله تعالى ضرب من المكالمة: ومن انقطع إلى الله أربعين يوما مخلصا متعاهدا نفسه بخفة المعدة، يفتح الله عليه العلوم اللدنية كما أخبر رسول الله ﷺ بذلك .

ويتابع قوله في سـر هذه الأربعين، ويبين أن تعيينها ـذه المدة في قول رسـول الله ﷺ وفي أمـر الله موسى بذلك والتحديد والتقييد بالأربعين لحكمة فيه؛ فيقول: إن في ذلك سـرا لا يعلم حقيقته إلا الأنبياء أو من يخصه الله بتعريف ذلك من غيرهم؛ وهذا السر يكمـن في أن الله خمـر طينة آدم أربعين صباحا ليبعد بالتخمير أربعين صباحا بأربعين حجابـًا مـن الحضرة الإلهية... وعلى قدر زوال كل حجاب ينجذب ويتخذ ﻣ لاً في القـرب مـن الحضرة الإلهيـة التي هي مجمع العلوم ومصدرها، فإذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابا.

فالعبد بانقطاعه إلى الله تعالى واعتزال الناس يقطع مسافات وجوده، ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم، ففي كل يوم بإخلاصـه في العمل لله يكشف طبقـة مـن الطبـاق الترابيـة الجبلية المبعدة عن الله تعالى إلى أن يكشف باستكمال الأربعين أربعين طبقـة، في كل يوم طبقًا من أطباق حجابه ).[1]

## الرد على دعواهم مشروعية الأربعينية :

ويدحض ابن تيمية حجتهم في الأربعينية ومشروعيتها عنـدهم فيقـول: ( وطائفـة يجعلون الخلوة أربعين يومـا، ويعظمون أمـر الأربعينية ويحتجون فيها بأن الله تعالى واعد موسى عليه السلام ثلاثين ليلة وأتمها بعشر.

وقد روي أن موسى عليه السلام صامها وصام المسيح أيضا أربعين لله تعالى وخوطب بعدها. فيقولون يحصل بعدها الخطاب والتنزل، كما يقولون في غار حراء حصل بعده نزول الوحي.

وهـذا أيضا غلـط ، فإن هذه ليست من شريعة محمد ﷺ بل شرعت لموسى عليه السلام كما

---

١- ينظر: عـوارف المعارف ، للسهروردي ص(١٢٢)

شرع له السبت، والمسلمون لا يسبتون، وكما حرم في شـرعه أشياء لم تحرم في شرع محمد ﷺ، فهذا تمسك بشرع منسوخ، وذاك تمسك بما كان قبل النبوة.

وقد جرب أن من سلك هذه العبادات البدعية أتته الشياطين، وحصـل لـه تنـزل شيطاني، وخطاب شيطاني، وبعضهم يطير بـه شيطانه، وأعرف من هؤلاء عددا طلبوا أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التنـزل، فـ لت عليهم الشياطين؛ لأ م خرجوا عن شريعة النبي ﷺ التي أمـروا ا. قال تعـالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا ﴾[ الجاثية:١٨ ].

وكثير منهم لا يحد للخلوة مكانـا، ولا زمانـا، بل يأمر الإنسان أن يخلو في الجملة).[١]

علاوة على ذلك فإن حديث (من أخلص أربعين صباحًا . . . . الحديث) هو من الأحاديـث الضعيفة التي لايحتج ا في العقائد.

ولو سلّمنا بصحة الحديث فإن فهم هؤلاء للنصوص مخالف لما جاء عن السلف الصالح، فإن المراد بالحديث هو( من يحضر العشاء والفجر في جماعة ومن حضرهما أربعين يوما يـدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق)[٢] وليس المراد بـه مـن

عمل بالخلوة المذكورة على النهج الذي أرادوه، وبذلك لايكون هـذا الحديث حجة لهم في الخلوة الأربعينية.

**طـريقة الخلوة عند الصوفية:**

يقول الغزالي: ( ا اهدة تكون بأن يلزم الشيخ المريد زاويـة ينفرد ا، ويوكل به مـن يقوم له بقدر يسير من الرزق الحلال، ويلقنه ذكرا من الأذكار.

---

١- مجموع الفتاوى (٣٩٥،٣٩٤/١٠).
٢- مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد ا يـد السـلفي، ط٢، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة – بيروت.(٢٨٥/١) رقم (٣٢٥).

ومن ا اهدة: دفـع الوساوس التي تترتب على وجود المرء في الخلوة، وقفل باب الفكر، والتجرد للذكر مع ملازمـة هذه الحال.

ومن ا اهدة تـأديب النفس بتثقيل الأوراد والوظائف وإجهادها بالأذكار والصلوات، والسهر وقـلة الطعام!! ). [١]

وزعم الغزالي أن سلوك الطريق لايكون إلا: ( بانقطاع علائق الدنيا بالكلية، وتفريـغ القلب منها، وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن، وعن العلم والولاية والجاه، بـل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمـه، ثم يخلو بنفسه في زاويـة مـع الاقتصار على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب مجموع الهم، ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره ). [٢]

وأية طريق هذا الذي يتفرغ له القلب ويجتمع عليه الهم ؟ وأي خير يرجى بعيدا عن القرآن والتفسير والحديث ؟ والله تعالى يقول: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

ورسول الرحمة يقول لأبي بن كعب حين سأله عن الصلاة عليه فقـال : (إذاً تكفى همك ويغفر لك ذنبك). [٣]

ثم يحدد أبو حامد مكان الخلوة: ( إ ا لا تكون إلا في بيت مظلم، ومن لم يكن له بيت مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتـ ـدثر بكساء أو إزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية).[٤]

( إذن فالغاية عند أبي حامد من (العزلة) و (الخلوة) وقوامهما ا اهدة هي في اية المطاف

---

١- إحياء علوم الدين،للغزالي ( ٣/ ٧٧ ).

٢- المصدر السابق نفسه (١٩/٣).

٣- سبق تخريجه ص (١٤٦).

٤- إحياء علوم الدين للغزالي (٧٦/٣).

سماع نـ ـداء الحق، ومشاهدة جلال الحضرة الإلهيـ ـة.

أوليست هذه الغاية ضربـ ـا من المحال حقـ ـًا ؟

بل أليست ضربا من الجنون؟ لا يمكن لمؤمن بالله، وبقدرته، وعظمته، وسناء جلاله أن يقبل ا. ويكفي أن يكون في هذه الدعوة للمجاهدة التخلي عن كل شيء، عن الأهل والولـ ـد، وعن المال والوطن، وعن العلم وحتى عن قـ ـراءة القرآن والتفكر في تفسيره.

وإذا كان الأمر كذلك فماذا بقي للإنسان في دنياه؟! ولماذا كانت هذه الحياة؟ ولماذا كـ ـان خلق الإنسان في الأصل ؟

على أنه وإن كانت هذه أغراض ا اهدة الجسدية، ومجاهدة النفس عند إبراهيم بن أدهـ ـم، وعند الشيخ الأكبر أبي حامد الغـ ـزالي، فإن الجوع والسهر وإرهـ ـاق البدن، والاعتـ ـزال، والانفراد، والاختلاء لم تكن كافية لكبح جماح النفس عند الصوفية، ولذلك نجدهم يفرون إلى التكايا والزوايـ ـا بعيـ ـدا عن الناس، بقصد التوثب على حرب النفس، ومغالبتها باسم ا اهـ ـدة كما يزعمون.

أما الجهاد بالنفس والمال لمناصرة الدين والحق، أو دفاعا عن الوطن والعرض، وغير ذلك من المقاصد السامية التي يعتبر الموت في سبيلها علامة على الصدق والانطـلاق في الحيـاة بحسب الشرع الإسلامي الصحيح، فلا تسمر إليه همم الصوفية في صميم العقيدة، ولا تتعلق به إراد م العاجزة..

فالصوفية مع تحقيرهم الدنيا وترك كل ما فيها، مع ادعائهم كراهية هذه الحياة، نجـدهم أحرص الناس على الحياة، ولذلك تراهم عند المصيبة أو الغارة عليهم أشـد النـاس هلعـا وجزعا، يهرعون إلى قبـور أشياخهم يلتمسون منها الغوث ودفـع المكروه، أما أن يبرزوا لعدوهم، أو يخرجوا لملاقاته، فليس هذا من شأ م ).[1]

---

١- الصوفية في نظر الإسلام، سميح الزين، ص(١٢٧،١٣٠،١٢٩).

ويعلق ابن القيم على كلام الغزالي السابق في تحديده مكان الخلوة فيقـول:( انظـر إلى هـذه الترتيبات والعجب كيف تصدر من فقيه عالم، ومن أين له أن الذي يسـمعه نـداء الحق، وأن الذي يشاهده جلال الربوبية، وما يؤمنـه أن يكون ما يجـده مـن الوسـاوس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل في المطعم فإنه يغلب عليه الماليخوليا.

وقد يسلم الإنسان في مثل هذه الحالة من الوساوس، إلا أنه إذا تغشى بثوبـه وغمـض عينيه تخايل هذه الأشياء ... فإن أطرق الإنسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فـيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبيـة إلى غير ذلك نعوذ بـالله مـن هـذه الوساوس والخيالات الفاسدة).[1]

و(هل تنفع بعد ذلك معارضته لمن يقولون بالحلول أو الاتحاد أو بالوحدة، طالمـا أن مجـرد الاختلاء بالنفس في مكان مظلم، يؤدي إلى سماع نـداء الحق ومشاهدة الله ﷻ؟!

أوليس الله نور على نورا، وأنه نور السموات والأرض؟! فأي فضل للظـلام إلا أن يظلـم البصر والبصيرة ؟!

ومتى رأينا عالـما يحصل علما، أو عارفـًا يقع على معـرفة وهو في دياجير الظـلام ؟! ومتى أذن الله تعالى للصوفية أن يشاهدوا جلاله، وهو الذي لا تراه العيون والأبصار؟!

هل إن تلك الخلوة الملبدة بالجباه والدثار والأغطية الصفيقة هي التي تحقق ذلك ؟

ونحن ما وجدنا في كتاب الله، ولا وصل إلينا من السنة الشريفة، أن أحـدا يقدر على مشاهدة الله تعالى ؟! بل على العكس فإن القرآن الكريم أورد ذكر قصـة موسـى عليه السلام وقومه في حادثة الجبل الذي خر صعقًا لتكون دليلاً قاطعـا للبشرية كافة، بألاّ يتوهم أحد أنه بقدرته وفضله أيا كانت تلك القدرة وأيا كان ذلك الفضل أنه يمكن أن يرى الله تعالى.

فليت أبو حامد وقف عند حدود كتاب الله وسنة رسوله، ولم تغره الصوفية بأباطيلـها

---

١- تلبيس إبليس ص (٢٨٨).

حتى يقول لنا؛ بأن خلوة في رحاب التصوف تؤدي إلى (سماع نداء الحق ومشاهدة جـلال الحضرة الربوبية)، والله سبحانه يقـول لنبيـه موسـى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعـراف: ١٤٣]وهذا ( يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هـذه الدار ، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى ... كما أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف) (١)

وهكذا نلاحظ وبوضوح شدة تأثـر الصوفية بالديانات النصرانية والهندوسية والبوذية، والفلسفة اليونانية وغيرها من ترهب وتبتل، وكبت للغرائز، وخنوع واستسلام وانهزاميـة، واتخاذ وسائط من دون الله وعبوديـة ،وحجر على العقول والحقوق ،وتجـاوز للأحكـام والتشريع.

وللخلوة عنـد الصوفية شـروط كثيرة، تتضمن في طياتها إشارات واضحة للانحراف العقدي والمخالفات الشرعية، والمفاهيم المنكوسة التي تحول الإنسان إلى مجـرد آله منفـذة ،مقلدة ليس لها من الأمر شيء ،فالأمر كله من قبل ومن بعد بيد الشيخ، مع ضرورة التعلق

بالشيخ؛ فخياله يجب أن يكون بين عينيه طوال مـدة الخلوة لا تفارقه بحال من الأحـوال، وكل ما يحـدث للمريد من وساوس وخواطر وكل مايرى من خيالات وصور لابـد وأن تعرض على الشيخ ليفتي في ذلك، وينطق بما أجمعت عليه شياطينه وهذه الشروط عـددها ستة وعشرون شرطـًا وهي :

**شـروط الخلوات الصوفية:**

١- أن يعود نفسه قبل دخولها إذا أراد الشروع السهر والذكر وخفة الأكل والعزلة حتى يتمرن على ذلك.

٢- أن يكون دخول الخلوة بحضور الشيخ وأمره الظاهر وأمره الباطن، فإن المريـد

---

١- العقيدة الطحاوية ،لأبي العز الحنفي ص (١٩١).

٣- إذا صحت رابطته مع شيخه في حضوره وكان مسلما لأوامره وإشاراته حصلت له البركة المنشودة.

٤- أن يعتقد في نفسه أنـه إنما يدخل الخلوة كي يستريح الناس من شره.

٥- أن يدخلها كما يدخل المسجد مبسملاً متعوذًا بالله تعالى من شر نفسه، مستعينا مستمدا من أرواح مشايخه بواسطة شيخه، مخلصا لله تعالى، منقطعا عما سـواه إليه، يجعل الخلوة كأ ا قبره يدخل فيها ذاهبا إلى الله تاركًا ما سواه.

٦- أن يدخل الشيخ الخلوة ويركع فيها ركعتين قبل دخول المريد ويتوجـه إلى الله تعالى في توفيق المريد وتسهيل الأمر عليه؛ فإنـه إذا فعل ذلك قرب الفتح على المريـد وعجل خيره.

٧- أن يعتقد عنـد دخوله الخلوة أن الله تعالى ليس كمثله شيء فكل ما يتجلى لـه في خلوته من الصـور ويقول له أنا الله، فليقل سبحان الله آمنت بالله الذي ليس كمثله شيء وليحفظ صـورة مارأى حتى يذكرها لشيخه وليشتغل بالـذكر؛

حتى يتجلى له مذكوره فإذا أفناه عن الذكر به فتلك المشاهدة والنومـة والفرق بينهما أن المشاهدة تترك في المحل شاهدها فتقع اللذة عقبها، والتيقظ والنومـة لا تترك شيئا فيقع عقبها النـدم والاستغفار.

٨- أن لا يعـلق الهمة بكرامة تحصل، ولو عرض عليه جميع ما في الكون فليأخـذه بأدب ولا يقف معه وليحذر من التعشق به ويحفظه فإنه يحتاج إليه إذا أربى.

٩- أن يكون غير مستند إلى جـدار الخلوة ولا متكيء على شيء، مطرقـًا رأسه تعظيما، مغمضا عينيه ملاحظًا قوله تعالى[١]: (أنا جليس من ذكرني) [٢] ثم يجعل

١٠- خيال شيخه بين عينيه فإنه رفيقه في طريقه وهو معه بمعناه وروحانيته.

---

١- وهذا ليس حديثًا قدسيا وإنما هم الجهل الذي تميزوا به.

٢- ذكره السمهودي في الغماز على اللماز ص(٤٢) رقم(٢٤٢٧٦٢) وقال طرقه ضعيفة، ومحمد جار الله الصعدي في النوافح العطرة(٥٨): وارد بطرق ضعيفة برقم(٢١٩٥٨٢) .

١١- أن يشغل قلبه بمعنى الذكر على قدر مقامـه مراعيا معنى الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه.

١٢- دوام الصوم يؤثر في تقليل الأجزاء الترابية والمائية؛ فيصفو القلب مـن الكـدر ويفطر قبل صلاة المغرب، ويؤخر الأكل إلى أن يصلي العشاء الأخيرة، والأحسن أن يؤخر إلى السحور إلا إن شوشته نفسه.

١٣- أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخل فيها شعاع الشمس وضوء النهار؛ فيسد على نفسه طرق الحواس الظاهرة وسدها شرط لفتح حواس القلب.

١٤- دوام الوضـوء فإنه نور ساطع تنور الخلوة بـه، فإذا داوم على الوضوء يوشك أن تتلألأ فيه الأنوار.

١٥- دوام السكوت إلا عن ذكر الله تعالى لا ينبغي أن يتكلم الذاكر المتبتل في خلوته كلامـًا إلا إذا تعين عليه في الشرع أو يحتاج إليه في أمر.

١٦- أن تكون الخلوة بعيدة عن كلام الناس مع دوام الذكر .

١٧- إذا خرج للوضوء والصلاة يخرج مطرقًا رأسه إلى الأرض غير ناظر إلى أحد، ويحذر كل الحذر نظر الناس إليه مغطيا رأسه ورقبته بشيء خوفًا من الضرر.

١٨- المحافظة على صلاة الجماعة والجمعة وترك المحافظة عليها خطأ وغلط، وإن وجد تفرقة في خروجه فليتخذ له شخصا يصلي معه في خلوته ولا يرضى بالصلاة منفردا؛ فإن تارك الصلاة يخشى عليه آفات، قال السهروردي: قد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك لشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه يخرج لصلاة الجماعة ذاكرا لا يفتر عن الذكر ولا يكثر إرسال الطرف إلى ما يرى، ولا يصغي إلى ما يسمع؛ فيكثر لذلك الوسواس وحديث النفس والخيال، ويجتهد أن يحضر مع الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيرة الإحرام فإذا سلم انصرف إلى خلوته.

١٩- المحافظة على الأمر الوسط في الطعام؛ لا فوق الشبع ولا الجوع المفرط.

٢٠- أن لا ينام إلا عن غلبة؛ وحد الغلبة أن يتشوش عليه الذكر؛ فإذا لازم العبادة وترك النوم والاستراحة ذهبت عليه الأركان الأربعة، من الترابية والمائية والهوائية والنارية، فيعري القلب عن الحجب فحينئذ ينظر إلى عالم الملكوت بعين قلبه فيشتاق إلى ربه.

٢١- نفي الخواطر خيرا كان أو شرا دون الاشتغال بالتمييز.

٢٢- دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم، ويكون في اعتقاده أن هذا المهر هو الذي عينه الحق سبحانه للإفاضة علي ولا يحصل لي الفيض إلا بواسطته دون غيره.

٢٣- ترك الاعتراض على الله تعالى وعلى الشيخ، ودوام الرضا بقضاء الله تعالى على ما قدر من المدد والفتح والقبض والبسط والصحة والمرض.

٢٤- أنهم في أوان خلوتهم لا يفتحون أبواب خلوتهم لمجيء الناس إليهم وزيارتهم والتبرك بهم، ولينظروا إلى حال رسول الله ﷺ في ابتداء أمره وإرادته تكميل

جمعيته على الله تعالى كيف كان يتحنث في غار حـراء بمكة ولا يستصـحب أحـدا.

٢٥- إنـه إذا شـاهدوا أشياء في الواقعـة التي في اليقظة أو بين النـوم واليقظـة لا يستحسنون ذلك، ولا يستقبحونه، ولا يزيـدون، ولا ينقصون، ويعرضون جميع ذلك على شيخهم من غير طلب تأويل .

٢٦- الإخلاص وحسم مادة الرياء وطلب السمعة بالكلية فإن صحة الخلوة؛ مبنية على ذلك ولا يدخل الخلوة لقصد كشف كوني وتحصيل كرامات عيانية.

٢٧- أن لا يعين مدة يخرج بعد كمالها فإن النفس يصير لها بذلك تطلع إلى انقضـاء المدة.ويوصي بعضهم بعض بقولهم:( إذا دخلت الخلوة فـلا تحـدث نفسـك بأنك تخرج بعد الأربعين فإن من حدثها خرج من اليوم الأول ولكن حدثها بأن هذا قبرك إلى يوم القيامة).[1]

---

١- رماح حزب الرحيم، عمر الفوتي، ص(١٥٣) وما بعدها.

ومما يلاحظ على شـروط الخلوة تشبعها بالأفكار الهندوسية والبوذيـة وروح التنصر ومن ذلك:

١. جـاء في الشرط الثاني قوله: ( أن يكون دخول الخلوة بحضور الشيخ وأمره الظاهر وأمره الباطن ) وهذا يدل على تأثـر الصوفية بالباطنية بما أسموه ( الكشف الصوفي ). حيث يكشف للصوفي معاني جديـدة في القـرآن والسنة لا يعلمها علماء الظاهـر، والمراد م علماء الشريعة، ويدعون أن هذه المعاني إنما يأخذو ا عن الله مباشرة.

٢. يلاحظ في الشرط الثاني والخامس والثامن قضية تقديس الأئمـة والتبرك بالاشخاص وهذه من العلامات المميزة لمنهج التلقي عند الصوفية.

ومن المعلوم أن البركة إما بـركة ذات أوبركة عمل؛ وبـركة الـذات لاتكـون إلا للأنبياء بالنصوص الشرعية الدالة على ذلك والمقيدة له.

٣. جـاء في الشرط الرابـع قوله:( أن يدخلها كما يدخل المسجد) والكاف للتشبيه فجعلوا الزوايا والتكايا وأماكن الخلوات كالمساجد في المكانة والمهابة والتعظيم.

وفي قصة مسجد الضرار جـاء قوله تعالى: ﴿ وَكُفْرًا ﴾ أي: ( لما كان اعتقادهم أنه لا حرمة لمسجد قبـاء ولا لمسجد النبي ﷺ كفروا ذا الاعتقاد )[1].

٤. كما يظهر في الشرط الرابع من قوله: ( مستمدا من أرواح مشايخه) الإيمان بعقيـدة التناسخ المعروفـة في الديانات الهندوسية والبوذية وغيرهما.

٥. وفي قوله: (بواسطة شيخه) اتخاذ الوسائط بين الأحياء والأموات والاستعانة م.

٦. ويتضح في الشرط السادس أن دخول الخلوة عنـد هؤلاء مقصودها التجلي الإلهي؛

-------------------------------------

١- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٥٧/٨).

حيث يقع الشهود القلبي بكثرة الذكر كما يدعون ،ثم يستغني عن الـذكر بمشـاهدة المذكور حسب تخيلا م الإلحاديـة ، وهذا مايقوله علي حرازم عندما سئل عن حقيقة الشيخ الواصـل فقال: ( أما حقيقة الشيخ الواصـل فهو الذي رفعت له الحجب عن كمال النظـر إلى الحضرة الإلهية نظـرا عينيا وتحقيقًا يقينيا ).[1]

ويقول السهروردي: ( فليعلم أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقعـد في الخلـوة أربعين يومـًا أو أكثر فمنهم من يباشر باطنـه صفو اليقين، ويرفع الحجاب عـن قلبـه ويصير كما قال قائلهم: ورأى قلبي ربي ).[2]

٧. ظهور روح التبتل والتعذيب للنفس؛ فالنوم ممنوع إلا عند الغلبة عليـه، والإتكـاء كذلك، والبقاء في الظلام دون أي مبررات معقولة ومقبولة.

**ومن أخبار تلك ا اهدات في الخلوات:** ماجاء عن أعلام الصوفية الذين يزعمون أن ما يحدث أثناء تلك الخلوات وا اهدات أو بعدها إنما هو من باب الكرامات والفتوح الربانية

الخاصة م، ونذكر هنا نبذ عن بعض خلوات هؤلاء تبين حجم الإنحراف العقدي والتعبدي في سلوكهم، وإغراقهم في الكذب والافتراء على الله ورسوله ودين الإسلام ومنها:

-كان أبو عبيد التستري[3] إذا كان أول يوم من شهر رمضان، يدخل البيت ويقول لامرأته: ( طيني باب البيت وألقي إليّ كل ليلة من الكوة رغيفًا، فإذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفًا في الزاوية، ولا أكل ولا شرب ولا يتهيأ لصلاة ويبقى على طهر واحد إلى

---

١- جواهر المعاني وبلوغ الأماني، في فيض سيدي أبي العباس التجاني،الشيخ علي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي، الطبعة الأخيرة ،١٣٨٠هـ ١٩٦١م، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-القاهرة /مصر (١٣٥/١).
٢- عوارف المعارف، للسهروردي ص(١٢٤).
٣- هو سهل بن عبد الله التستري من رجال الطبقة الثانية،أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص، وتسمى طريقته السهلية وأساسها المجاهدة ورياضة النفس وكان قوته خبز الشعير، توفي سنة (٢٨٣) وقيل(٢٩٣).
ينظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص(٢٠٦)، الموسوعة الصوفية، عبد المنعم حنفي(٧٩).

آخر الشهر ثم قال المصنف-رحمه الله: (هذه الحكاية عندي بعيدة عن الصحة من وجهين:

أحدهما: بقاء الآدمي شهر لا يحدث بنوم ولا غائط ولا ريح.

والثاني: ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهي واجبة؛ لا يحل تركها فإن صحت هذه الحكاية فما أبقى إبليس لهذا في التلبيس بقية).[1]

ويعلق د.سميح الزين على هذه الحكاية فيقول: ( فكيف كان للتستري أن يحيا وهو صائم بدون طعام لمدة شهر كامل؟! أليس ذلك من باب الأساطير والكذب والأباطيل؟!)[2]
وهل كان ذلك ج نبي الأمة محمد ﷺ الذي يزعمون تقديسه، ويلقون كل ترهاتهم باسمه والتعلق به وادعاؤهم حضوره مزاراتهم ومشاهدهم واجتماعاتهم ؟!

وأين قصائد الحب في الله والنبي عن مواطن الإخلاص والمتابعة والاقتداء في سلوكهم ، فضلا عما تتضمنها من شركيات وانحرافات عقدية وسلوكية، والتي يتنافسون في نظمها مدعين الحب والقرب.

وإذا كان التستري قد أغلق عليه بابـه وترك الجمع والجماعات في الوقت الذي يتنافس فيه المسلمون على الصف الأول في المساجد، فـإن آخرين لزموا المسجد الحرام متناسين أو متجاهلين أبسط آداب الاعتكاف؛ من نظافة للبدن والملبس وفي ذلك يروي النهرجوري[٣] عن مجاهـدات الحلاج[٤] يقول: ( دخل الحسين بـن منصـور إلى مكـة، وكـان أول

-------------------------------------

١- تلبيس إبليس ، لابن الجوزي، ص(٢٨٩).

٢- الصوفية في نظر الإسلام ص(١٣٤)

٣- هو أبو يعقوب إسحاق بن محمد من علماء مشايخ الصوفية، صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكي وغيرهم، أقام بالحرم سنين كثيرة مجاورا وبه مات سنة (٣٣٠هـ)

ينظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص(٣٧٨) الموسوعة الصوفية، عبد المنعم حنفي(٣٩٧).

٤- هو الحسين بن منصور وكنيته أبو مغيث الشاعر الصوفي صاحب المأساة المشهورة في تاريخ الفكـر والتصـوف وهو من أهل بيضاء فارس ونشأ بواسط والمشايخ في أمره مختلفون رده أكثرهم ونفوه ونفوا أن يكـون لـه قـدم في التصوف وقبله آخرون قُتل ببغداد سنة(٣٠٩)

ينظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص(٣٠٧) الموسوعة الصوفية،عبد المنعم حنفي(١٢٦).

دخلته،فجلس في صحن المسجد سنة لا يبـرح من موضعه إلا لطهارة أو طواف، وكان لا يبالي بالشمس ولا بالمطر، يحمل إليه كُل عشية كوز مـاء للشرب، وقرص مـن أقـراص الخبز، فيأخذ القرص ويعض أربع عضات من جوانبه، ويشرب شربتين من الماء، شربة قبـل الطعام وشربة بعده، ثم يضع باقي القرص على رأس الكوز، فيحمل من عنده.

وعن إقامة الحلاج تلك يقول الكتاني[١]:( دخل الحسين بن منصور مكة في ابتداء أمره، فجهدنا حتى أخـذنا مرقعته، قال السوسي[٢]: (أخذنا منها قملة فوزناها فإذا وز ا نصف دانـق من كثر رياضته وشدة مجاهدته).[٣]

وأية طهارة تلك التي ينتج عنها قـذر إلى هذه الدرجـة، وأية عبـادة تلـك ؟! والله ﷻ يقول:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[ البقرة:٢٢٢]،بينما يـرى الصوفية ذلك من المحامد التي يثنى عليه ا ودليل على قوة ا اهدة وكثـرة الرياضـة، وأي اهتمام لدى هؤلاء الذي يدفعهم إلى وزن قملة ،وهل انتهت اهتماما م عند هذه المرحلـة ،وتوقفت هموم الأمة الإسلامية عند هذا الحد.

والأمر لا يعـد غريبا عند الصوفية لأن همومهم تجاوزت حـ ـدود الكـرة الأرضـية وأصبحت حركة الكون من أولى اهتماما م ومسؤوليا م، فهم مـن خـلال ا اهـدات والخلوات يتأهلون لهذا العمل ويكشف لهم ماوراء الغيب حيث يحكى: ( أن الشيخ شـرف الدين بن عبدالله العركي لما ذهب إلى أحد شيوخ زمانه للاستمداد أعطاه سبحة ألفية وأمره بدخول خلوة مدة ثمانية أيام، وأعطاه كلمتين يذكرهما خمسين ألف مـرة دبركل صلاة،

-------------------------------------

١- هو محمد بن علي بن جعفر الكتاني،كنيته أبو بكر أصله من بغداد صحب الجنيد، والخزاز والنوري، وكان أحـد الأئمة أقام بمكة مجاورا إلى أن مات فيها سنة(٣٢٢هـ)

ينظر: طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ص(٣٧٣).

٢- هو محمد بن إبراهيم السوسي شيخ الصوفية بدمشق روى عن أبي علي محمد بن شعيب وأبي عبد الله الروذبـاري روى عنه محمد بن الحسين بن الترجمان.

ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١٢٥/٢٧).

٣- الصوفية في نظر الإسلام، سمير عاطف الزين، ص(٧٨)

قال العركي:( فجاءني في الخلوة شخص يحمل عصا من حديد فضربني ا فما تركـت وردي، وفي ار اليوم الثامن جاءني فقير فقال: الشيخ يناديك فوجدته توضأ لصلاة الظهـر فأحرم لها، فلما أحرمت خلفه رأيت العالم من العرش إلى الفرش ورأيت جميع ما في عقـول الناس )[١]

وأي هـراء هذا الذي يقولون؟ وأي افتراء على الله يدعون؟ والله تعالى يقول:

﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ ﴾[ البقرة ].

وإذا كان رسول الله ﷺ لم يطلع على قلوب الناس وعقولهم، أيكون ذلك لهذه الجماعة التي تطاولت وبالغت فيما ليس لها به علم؟!، أم ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا ﴾ [ مـريم:٧٨]

إن التناقض الذي تعايشه هذه الفئـة لهو تناقض عجيب يـدل على مـدى الخلـل في منهج التلقي؛ ففي الوقت الذي يكون فيه الشيخ أو الولي صاحب السلطة والأمر والنـهي، نجده يقف متحيرا شاكًا في دينه، بل إن الشك في قلبه يصل إلى كلمة التوحيد كما جـ ـاء عن أحدهم قال: ( رأيت أبا بكر بن المعلم بأنطاكيـة يقول:( طولبت شهادة أن لا إله إلا الله بعـد ستين سنة، فسئل عن ذلك فقال: كنت ستين سنة أدعـو الخلق إلى الله تعـالى، فلما انفردت ودخلت اللكام[٢] إذا أردت أن أقوم إلى أورادي التي كانت عادتي بين الناس لم يتهيأ لي، فوقع في قلبي أني ما آمنت بالله تعالى بعد فجددت إيماني، وأقمت هناك عشر سنين حتى صفا لي في الخلوة أورادي كما كانت تصفو لي في الأوقات التي كنت بين المعارف).[٣]

---

١- تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، لمحمد أحمد لوح(٢٠٩/١).

٢- اللكام: بالضم والتشديد جبل بالشام، و ملكوم اسم ماء بمكة شرفها الله تعالى. ينظـر: لسـان العـرب لابـن منظور(٥٤٧/١٢) ، مختار الصحاح لأبي بكر الرازي(٢٥١/١)

٣- اللمع ،لأبي نصر الطوسي،تحقيق وتعليق:عبد الحليم محمود ،مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة ص(٢٧٧)باب في ذكر آداب من يتفرد ويختار الخلوة.

فأصبح طـوق النجاة عندهم هو الخلوة، فمن أراد اليقين بزعمهم فليس لـه إلا الخلـوات ليتجدد اللقاء بالشياطين وتتنـزل عليهم الخزعبلات والأساطير المكذوبة.

وحول هذه الترهات يعلق شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: ( يحكى أن ابن منده كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبى عن ذلك فأجابه، وآخر مـن أهل المغرب حصل له مثل ذلك وجعل ذلك من كراماته حتى قال ابن عبد البر لمـن ظـن ذلك: ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فهل في هـؤلاء من سأل النبى ﷺ بعد الموت وأجابه؟!

وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبى فأجا م وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألته فأجا ا ).[١]

ولقد (كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبـد، إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيـام بحق، وإنما هي عـزلة عن الشر وأهـله ومخالطة البطالين).[٢] حتى خـرج هؤلاء الصـوفية عن الطريق المستقيم ولبس عليهم الشيطان فاتخـذوا الخلوات والعزلة ذريعـة لتحقيـق أطماعهم الدنيوية متجاهلين أبسط حقوق العبودية.

وظنوا أن كمال المحبـة أن يحب العبد كل شيء حتى الكفـر والفسـوق والعصـيان، ولا يمكن أحد أن يحب كل موجود بل يحب ما يلائمه وينفعه، ويبغض ما ينافيه ويضـره، ولكن استفادوا بهذا الضلال اتباع أهوائهم؛ فهم يحبون ما يهوونـه كالصور والرئاسـة وفضول المال والبدع المضلة زاعمين أن هذا من محبة الله؛ ومن محبـة الله بغض ما يبغضه الله ورسوله وجهاد أهله بالنفس والمال[٣] ولكن هؤلاء يـرون الجهاد نقصا لما فيه مـن قتـل النفوس وسبى الذريـة وأخـذ الأموال.[٤]

---

١- مجموع الفتـاوى (٤٠٧/١٠).

٢- تلبيس إبليس، لابن الجوزي ص(٢٨٨).

٣- ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢١٠/١٠).

٤- ينظر: المصدر السابق نفسه (٥١٠/١٠).

**موقف الصوفية من جهاد الكفار:**

وفي تفضيلهم جهاد النفس على جهاد الأعداء وتقديمهم إيـاه يقول الفـوتي:( انعقـد إجماع الأمة على وجوب جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها وردها إلى الله تعالى أكبر مـن جهاد الكفار بلا ريب لوجوه :

١. إن جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها السيئة فرض عين وجهاد الكفار فرض كفاية.

٢. إن النفس أعدى من كل عدو لصاحبها لأن المجاهد جهاد الكفار إن قتـل الكـافر دخل الجنة وإن قتـله الكافر كان شهيدا، بخلاف النفس فـإن غلبها صاحبها استولى عليها وكان الحكم للروح وسعد وسعدت سعادة الأبـد، وإن غلبت وتسلطت على الروح تسلط عليه الكفر والمعاصي فيهلك.

٢. إن ضرر الكفار مقصور في الدنيا وهي فانية ولذلك كان جهادهم أصغر.

٣. إن جهاد الكفار قد لا يكون فرضاً في بعض السنين وجهاد النفس، وردها عن مقتضى هواها والهجرة عن مألوفاتها الباطلة واجب متعين على كل مسلم ومسلمة في كل لحظة.

٤. إن بعض فروض الكفاية أفضل من جهاد الكفار.

إن فرض جهاد الكفار يسقط بمنع الأمر والنهي من الوالدين لوجوب طاعتهما ويحرم طاعتهما في مجاهدة نفسه.

٥. إن جهاد الكفار يقدر عليه كل أحد وجهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها ... لا يقدر عليه إلا الموفقين.

٦. إن شهيد جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها المخزية شهيد قطعا في الآخرة، وأكثر شهداء الكفار شهداء الدنيا فقط دون الآخرة.

٧. إن القائم بجهاد نفسه والهجرة عن مألوفاتها المضلة قائم لإصلاح نفسه وساع في تخليصها من الدنيا وعذاب الآخرة، والقائم بجهاد الكفار قائم لإصلاح غيره.

٨. إن شهيد جهاد النفس والهجرة عن مألوفاتها المبعدة عن الله تعالى أفضل من شهيد الكفار بدرجات.[١]

والمتأمل لكلام الفوتي السابق يدرك مدى الانحطاط الفكري والانحراف العقدي، وعمق الهاوية التي يتسابق إليها هؤلاء والبون الشاسع بين مايقولون ويفعلون ويعتقدون ومعالم الشريعة السمحة.

فأين هم من نصوص الكتاب والسنة الداعية إلى الجهاد، وفضل المجاهدين والشهداء في سبيل الله ؟!

ومتى انعقد إجماع الأمة على تقديم جهاد النفس على جهاد الكفار إذا كانوا في الأصل غافلين عن النصوص الشرعية التي يرتكز عليها الإجماع؟!

وعن أية أمة يتحدثون؟

وهل يعدون أنفسهم كافة الأمة ؟

إن ذلك من تمام الجهل المركب الذي يظن صاحبه أنه على الحق وهو بخلافه تمامـًا، فهو لا ينطق إلا بما توحيـه إليه الشياطين؛ مدعين بتلك الترهات حب الله وتقديمهم بين يديـه (وقد سلك كثير منهم فى دعوى حب الله أنواعـًا من أمور الجهل بالدين:

- إما من تعدى حدود الله.
- وإما من تضييع حقوق الله.

وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التى لا حقيقة لها كقول بعضهم: أى مريد لي ترك فى النـار أحدا فأنا منـه برىء، فقال الآخر: أى مريد لي ترك أحدا من المؤمنين يدخل النار فأنا منه برىء، فالأول جعل مـريده يخرج كل من فى النار والثانى جعل مريده يمنع أهل الكبائر

---

١- ينظر: رماح حزب الرحيم، للفوتي، ص(٢١٧) إلى آخر الفصل(٥١).

من دخـول النار، ويقول بعضهم إذا كان يـوم القيامـة نصبت خيمتى على جهنم حتى لا يدخلها أحد، وأمثال ذلك من الأقوال التى تؤثر عن بعض المشايخ المشهورين، وهي إمـا كذب عليهم وإما غلط منهم، ومثل هذا قد يصدر فى حال سكر وغلبة وفناء يسقط فيهـا تمييز الانسان ؛ أو يضعف حتى لا يدرى ما قال، و"السكر" هو لذة مع عدم تمييز ولهذا كان بين هؤلاء من إذا صحا استغفر من ذلك الكلام.

والذين توسعوا من شيوخ الصوفية فى سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللـوم والعذل والغرام كان هذا أصل مقصدهم ؛ ولهذا أنزل الله للمحبة محنة يمتحن ا المحب فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [ آل عمـران: ٣١] فـلا يكون محبا لله إلا من يتبع رسوله وطاعة الرسول ومتابعته تحقيق العبودية.

وكثير ممن يدعى المحبة يخرج عن شريعته وسنته ويدعي العديد من الخيالات، حتى قـد يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول ﷺ وسنته

وطاعته، بل قد جعل محبة الله ومحبة رسول الله ﷺ الجهاد فى سبيله.والجهاد يتضمن كمـال محبة ما أمر الله به، وكمال بغض ما ى الله عنـه ولهذا قال فى صفـة من يحبهم ويحبونه: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.[ المائـدة: 54]

ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها، وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم، وأكمل هذه الأمة فى ذلك أصحاب محمدﷺ ومن كان م أشبه كان ذلك فيـه أكمل فأين هذا من قوم يدعون المحبة ؟! ).[1]

وللصوفية أهداف خبيثة من تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة، والعلم إلى ظاهر وباطن ، والذي لا شك فيـه أن للقوم من وراء وضع هذا الأصل أهدافـًا يهدفون إليها ويريدون

---

١- مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٠٩/١٠،٢١٠).

تحقيقها والوصول إليها، وهي تتلخص في النقاط الآتية:

١- تحويل أمة الإسلام إلى أمة سلبية، لا تأمـر بمعروف ولا تنهى عن منكر، تعيش علـى التزهـد والاتكال حتى تبيد وتفنى، وهـذا الهدف الرئيس الذي من أجله وضع التصوف، وشارك في وضعـه ونشره والدعوة إليه أكبر خصوم الإسلام وأعدائه من زنادقـة اليهود، وساعدهم على ذلك أغرار المسلمين وجهالهم مع شديد الأسف.

٢- استباحة المحرمـات وغشيان كبائر الإثم والفواحش، وبخاصة المشائخ من رؤساء الطرق تسترا تحت شعار قولهم: الحقيقة غير الشريعة، إذ يجوز لصاحب الحقيقة ما لا يجوز لصاحب الشريعة في حكمهم وما تقتضيه أصولهم.

٣- صرف المسلمين عن العلوم الشرعية وتزهيدهم فيها، وشغلهم بما يسمونه بالعلوم الباطنية الخيالية، ويدل على صحة هذا قول الجنيد ، وهو إمام المتصوفة في زمانه: أحب للمبتـدئ-

المريد- أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله: الكسب، وطلب الحديث، وأحب أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه. فما معنى لا يقرأ ولا يكتب؟ أنه لا يتعلم، فإذا لم يتعلم فكيف يعبد الله تعالى عبادة تزكي نفسه وتؤهله لولاية الله تعالى ؟

كأنهم يقولون إن المريد ليس في حاجة إلى العلم ولا إلى العبادة، إذًا يكفيه الذكر والأوراد يلازمها حتى يصبح من أهل الكشف والعلم اللدني، وبذلك يستغني بعلم الباطن عن العلم الظاهر، وبعلم الحقيقة عن الشريعة. (1)

وخلاصة القول: أن الخلوات التي يعتمدها الصوفية سواء المتعلقة بحياة الفرد الواحد في صومعته، أم العامة في حال الجهاد ضد الأعداء ليست مبنية على أسس وضوابط شرعية، بل إنها تفتقد تلك الضوابط وتتعارض مع أصول العقيدة ومصالح الفرد والجماعة الدينية والعقلية والجسمية والاجتماعية.

---

١- ينظر: إلى التصوف يا عباد الله ، أبو بكر جابر الجزائري،١٤٠٤هـ - ١٩٩٠م، دار البصيرة - الإسكندرية ص(٣٢،٣٣)

ومن ظن أن الخلوة والتجرد من المشاغل الفكرية والبدنية هي طريق الوصول إلى الولاية الخاصة فقد خاب وخسر، فلا الشرع ولا العقل يقبل أن يحيا الإنسان في ظلام دامس من الجهل والخيالات والأحلام بعيدا عن الواقع القائم على شرع الله ومنهاج النبوة.

## خلاصة الفصل الأول: العزلة عند الصوفية:

- يعتقد الصوفية بما يطلقون عليه العلم اللدني وبالتالي يحذرون من العلم والانشغال بالقرآن والحديث والتفسير ونحو ذلك من العلوم الشرعية.
- أن استدلال الصوفية بالنصوص الشرعية قليل جدا ؛وفي حال الاستدلال قد يكون الحديث ضعيفًا أو موضوعا ، ووجه الدلالة غالبا تكون خاطئة لأنها تقوم على قاعدة اعتقد ثم استدل مما يؤدي إلى ليّ عنق النصوص وتوجيهها إلى معنى غير مقصود من الشارع الحكيم.

- أن الصوفية ابتدعت مايسمى بالعلم اللدني من خلال تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة والعلم إلى ظاهر وباطن لتحقيق أهدافها الخبيثة في تحويل أمة الإسلام إلى أمة سلبية.
- أن الصوفية استغلت الزهد كوسيلة إلى القول بالعزلة والخلوات التي تمارس فيها المجاهدات والمكاشفات بعيدا عن المنهج الرباني القويم.
- أن عبأ ظهور الخانقاوات والزوايا والتكايا كمؤسسات للعبادة يعود إلى الصوفية التي تحولت فيما بعد إلى مأوى للكسالى والبطالين والدراويش.
- أن الصوفية تأثرت وبشكل كبير جدا بالنصرانية واقتبست منها ألفاظها وأسلوب بناء أديرة الرهبان.
- أن اتخاذ الخانقاوات والزوايا والتكايا مكانا للعبادة مخالفة صريحة للكتاب والسنة وينطبق عليها حكم مسجد الضرار.
- أن علماء الصوفية يعتبرون الخلوة هي السبيل العلمي والعملي لتقوية الإيمان وطهارة القلوب والتأهل لتجليات الله تعالى.
- أن الخلوات عند الصوفية تختلف وتتباين حسب الغاية المنشودة منها.
- أن للخلوات الصوفية شروط تدل على الانحراف العقدي والمخالفة الشرعية والمفاهيم المنكوسة التي تحول الإنسان إلى مجرد آلة.
- أن الصوفية اعتزلت جهاد الكفار بحجة جهاد النفس وتفضيلهم إياه بحجج واهية لا أساس لها من كتاب ولا سنة.

# الفصل الثاني: العزلة عند الخوارج

- تعريف الخوارج وسبب الخروج.

- صفات الخوارج.

- الجذور التاريخية للخوارج.

- الآراء الاعتقادية المشتركة بين الخوارج الأوائل والمتأخرين.

- الأباضية ومسالك الدين.

- جماعة التكفير والهجرة.

- العزلة عند جماعة التكفير والهجرة.

- كيفية تطبيق المفاصلة الشعورية.

- أبرز أنواع عزلة المجتمع عند أصحاب المفاصلة الكاملة (الصريحة):

- اعتزال المساجد.

- اعتزال التعليم.

- اعتزال العمل في الوظائف الحكومية.

# الفصل الثاني: العزلة عند الخـوارج

تعد فـرقة الخوارج من أول الفرق نشأة في تاريخ المسلمين وأكبرها وأكثرهـا عنفـًا وغلوا،وهي(أول البدع ظهورا فى الإسلام وأظهرها ذما فى السنة والآثار ).[١]

وحسب وقائع نشأ ا وظهورها كان لها العديد من التعريفات التي ارتبطت بالحدث آنذاك، فأُطلقت كلمة الخوارج على أولئك النفر ( الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب ﵁ بعـد قبوله التحكيم )[٢] عقب معركة صفين.

إلا أن هذا الاتجاه الخارجي لم يتوقف عند الخوارج الأُول؛ بل كان نموذجا يتكرر بناء على قضايا وعناصر مشتركة بين الخوارج وغيرهم من الطوائف التي خرجت على الحاكم قديما وحديثًا، الأمر الذي أدى ببعض مؤرخي الفرق إلى اعتبار الخروج تيارا عاما يشير إلى (كلّ من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه ويسمى: خارجيا، سواء كان الخروج في أيـام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان).[٣]

ومما يلاحظ أن القاسم المشترك في التعريفين السابقين هو الخروج على الحاكم والسبب في ذلك يعود إلى مسألتين:

المسألة الأولى: التحكيم، فحين اتفـق المسلمون على تحكيم الحكمين اعترض الخوارج وقال أشقاهم عروة بن حدير: أتحكمون في دين الله الرجال ؟ وكان شعارهم ( لاحكم إلا لله)،وهو الشعار الذي فارقوا بـه الإمام وجماعـة المسلمين، حتى قال علي ﵁ :( الله أكبر كلمة حق يـراد ا باطل ). ذلك أن عليـا ومن معـه من الصحابة والتابعين، لم يكونوا يخالفُون الخوارج في كُفر من نـازع الله الحكم ، بل كل اختلافهم في كون التحكيم نفسه

---

١- مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٧١/١٩).
٢- الملل والنحل، للشهرستاني (٩٢/١).
٣- المصدر السابق نفسه (٩١/١).

مخالفًا لقوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [ الأنعام:٥٧]

ونتج عن هـذه المقولة المسألة الثانيـة: وهي التكفير، فكفروا علي ومعاوية والحكمين ﭬ ومن رضي بحكمهما، أخذًا بظاهر قوله ﻷ: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾. [الأنعـام:٥٧] ورتبوا على ذلك جميع لوازم الكفر، والتي منها أن عليا ﭬ حين حكم الرجال فلا إمامة له، فاعتقدوا أ م في حل من إمامته وبيعته، وأنه يجب عليهم أن يؤمروا عليهم أميرا للمـؤمنين منهم دون بقية المسلمين الذين صاروا في رأيهم كفارا مالم يلحقوا م، وأن كل من حكم الرجال أو رضي بالتحكيم فهو كافر[1].

وبذلك يتضح أن التكفير عنـد الخوارج في بداية الأمـركان مبناه على التحكيم، فقد اعتقدوا أن عليـًا ﭬ قد حكم بغير ما أنزل الله، وأنه بقبوله التحكيم قد حكم الرجال في أمر الله الذي يقول الله فيه: (إن الحكم إلا لله).فأخطأ ذا وكان ينبغي أن يستمر في القتال حتى يظهر حكم الله. فكانت ( بدعة الخوارج لها مقدمتـان:

الأولى: أن من خالف القرآن بعمل أو رأي أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: أن عثمان وعليا ومن والاهما كذلك).[2]

ورغم اتخاذ الخوارج هـذا الموقف العدائي من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وجماعة المسلمين إلا أنه حاول أن يبين لهم الصواب ومدى قصور عقولهم في فهم كتاب الله، فبعث إليهم عبدالله بن عبـاسﭭ ليناظرهم في المسائل التي أخرجتهم على جماعة المسلمين، ومنها قضية التحكيم فبين لهم ابن عبـاس خطأهم وأن الله أوجب التحكيم في أمور هي أهون من حقن دمـاء المسلمين، كحالة الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما إذ ورد في القرآن قولهﻷ: ﴿ فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾[ النساء:٣٥].

-----

١- ينظر: تاريخ الطبري (١١٤/٣)، تلبيس إبليس لابن الجوزي (٩٣)، البداية والنهاية لابن كثير(٢٧٩،٢٧٨/٧) والخوارج والحكم بغير ما أنزل الله، عبد الله بن ناصر الرشيد، ص(٢) عن مجلة البتار/ العدد الثاني عشر، ربيع الآخر/ ١٤٢٥ هـ .

٢- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣١/١٣).

كما أمر ﷻ: أن يحكم في الصيد بجزاء وذلك في قوله تعالى: ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة:٩٥].[١]

وعلى ذلك ( فمن أنكر التحكيم مطلقًا فقد خالف كتاب الله، وأن التحكيم في أمر أميرين لأجل حقن دماء المسلمين أولى من التحكيم في أمر الزوجين ولأجل الصيد)،[٢] وبهذه الحجج استطاع ابن عباس ﷺ أن يرد طائفة كبيرة من الخوارج إلى الحق والصواب.

وحين ( بلغ ذلك عليًا ﷺ جمع الناس ودعا بمصحف عظيم فجعل يضربه بيده ويقول أيها المصحف حدث الناس فقالوا: ماذا إنسان إنما هو مداد وورق؟! ونحن نتكلم بما روينا منه. فقال كتاب الله بيني وبين هؤلاء يقول الله في امرأة رجل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [ النساء:٣٥] وأمة محمد ﷺ أعظم من امرأة رجل )[٣].

فهو ( يرد بذلك على الخوارج الذين أنكروا أن يحكم رجلٌ، وعدوه من الحكم بغير ما أنزل الله، فأفهمهم أن المصحف لايمكن أن يتكلم وإنما يحكم الحكام بما يأخذونه منه)[٤]

بناء على قضية التحكيم والتكفير ولوازمهما تشكلت أصول وآراء الخوارج الاعتقادية والتي منها:

**أولاً :** تكفير مرتكب الكبيرة، فـ( هم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه هم من الذنوب، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك فكانوا كما نعتهم النبي ﷺ ( يقتلون أهل

---

١- ينظر: البداية والنهاية ، لابن كثير (٢٧٩،٢٧٨/٧).
٢- مجموع الفتاوى،لابن تيمية (٩١،٩٠/١٩).
٣- فتح الباري، لابن حجر (٢٩٦/١٢).
٤- الخوارج والحكم بغير ما أنزل الله ،عبد الله بن ناصر الرشيد ص(٣).

الإسلام ويدعون أهل الأوثان )[1])[2]

كما ( يكفرون من خالفهم في بدعتهم ويستحلون دمه وماله)[3].

والشبهة التي اعتمدوا عليها في التكفير مسألة عقلية محضة قائمة علـى قاعـدة ضـرورية صحيحة وهي أن النقيضان لا يجتمعان مثل حي وميت، ساكن ومتحرك. وطبقوا ذلك على الإيمان؛ فقالوا: الإيمان نقيض الكفر إذن لا يجتمعان فإن وجد أحدهما انتفى الآخر.

وبالتالي فلا يمكن أن يكون الإيمان شعب ثابتـة وشعب منتفية؛ لأن فيـ ـه جمـع بـين النقيضين وللتخلص من هذا قالوا: الإيمان شعبة واحدة لا يزيد ولا ينقص.

فكان أصل الشبهة عندهم هي: أن الإيمان شعبة واحدة وترتب على ذلك أن قالوا:

- ( قـد علمنا يقينا أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمـان، وإذا زال بعضه زال جميعه لأن الإيمان لا يتبعض، ولا يكون فى العبد إيمان ونفـ ـاق فيكـون أصحاب الذنوب مخلدين فى النار إذا كان ليس معهم من الإيمان شيء)[4].

- ( ما الناس إلا مؤمن أو كافر؛ والمؤمن من فعل الواجبات وترك جميع المحرمات؛ فمن لم يكن كذلك فهو كافـر، مخلد في النار )[5].

ونتيجة لهذين الأصلين: فإن مرتكب الكبيرة لا يبقى معـ ـه شيء من الإيمان.

فما دام الإيمان شعـ ـبة واحدة فيها الإثبات أو النفي إذن هو كافـر؛ لاستحـالة أن يكون

---

١- أخرجه البخاري فى صحيحه(١٢١٩/٣)كتاب: الأنبياء، باب: قول الله ﷻ: (وأما عاد فَأُهلكُوا بِرِيحٍ صرصـرٍ) رقم(٣١٦٦)، و(٢٧٠٢/٦)كتاب: التوحيد، باب قول الله تعالى:(تعرج الْملَائكةُ والروح إليه) رقم(٦٩٩٥) واللفظ له،ومسلم في صحيحه(٧٤١/٢)كتاب: الزكاة، باب ذكْرِ الْخوارِجِ وصفَاتهم رقم(١٠٦٤).

٢- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨١/٧).

٣- المصدر السابق نفسه (٢٧٩/٣).

٤- المصدر السابق نفسه (٤٨/١٣).

٥- المصدر السابق نفسه (٤٨٢/٧).

مؤمنا وكافرا لأنه جمع بين نقيضين .

وبذلك عزلوا النصوص الشرعية عن الحكم وتجاهلوها في الوقت الذي اتهموا فيه عليا بن أبي طالب بالحكم بغير ما أنزل الله وقدموا فهمهم للنصوص الموافق لأهواءهم.

**ثانيا :** الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم ومعاملتهم معاملة الكفار في الدار والأحكام، والبراءة منهم وامتحانهم، واستحلال دمائهم.[1]

وترتب على تكفيرهم أن قطعوا السبيل وسفكوا الدم الحرام، ( ولذلك اتفق على قتالهم الصحابة والأئمة)[2]بناء على أنهم المعنيون في الخبر عن النبي ﷺ.

## - بعض صفات الخوارج :

والذي أدى بالخوارج إلى هذه الآراء والمعتقدات مجموعة من السمات المشتركة بينهم التي تنبأ بها النبي ﷺ وعلمها صحابته ليحذروهم ويقتلوهم، وأنهم شر الخلق والخليقة وأن قتلاهم (كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه) [3]

ومن هذه السمات الواردة في أحاديث رسول الله ﷺ:

- وصف النبي ﷺ الخوارج بأنهم: (يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم) .[4]فهم حفَظَةٌ للقرآن الكريم وقُراء ولكن من غير فهم، فقد ( كانوا أعرابا قرأوا القرآن قبل أن يتفقهوا في

---

١- ينظر: الملل والنحل ،للشهرستاني (٩٧/١).

٢- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨١/٧).

٣- أخرجه الترمذي في سننه(٢٢٦/٥)كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب: ومن سورة آل عمران رقم(٣٠٠٠)وقال الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٠٠): حسن صحيح رقم(٤٦٨٥٥)،وأحمد بن حنبل في مسنده (٣٥٥/٤) رقم (١٩١٥٣) واللفظ للترمذي.

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٢١/٣)كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٤)، ورقم(٦٥٣٥)رقم (٧١٢٣)،ومسلم في صحيحه(٥٦٣/١)كتاب:صلاة المسافرين وقصرهم،باب: ترتيل القراءة واجتناب الهذّ ، رقم(٨٢٢)، (٧٤٤/٢)كتاب: الزكاة، باب :ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم(١٠٦٤).

السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد من الفقهاء ولا من الصحابة أو التـابعين ... ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضا عنـد أقل نازلة تنـزل م من دقائق الفتيا وصغارها فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم ).[1]

يقول ابن تيمية: ( بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضـته لكن فهموا منـه ما لم يدل عليه فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب إذا كان المؤمن هو البر التقي، قالوا فمن لم يكن بـرا تقيا فهو كافر وهو مخلد في النار).[2]

وهـذا الوصف النبوي يشير إلى الخلل في طريقـة فهم هؤلاء للقرآن، فهم سـطحيون في فهمهم؛ لا يفرقون بين ما نـزل في الكفار وبين ما نزل في المسلمين، كما قـال ابـن عمر رضي الله عنه: ( انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين).[3] ولا يحملون نصـا مطلقًا على مقيد، ولا عاما على خاص، ويتمسكون بظاهر الآية ولا ينظرون إلى ما عارضها مما يبين معناها، فهم يتعاملون مع القرآن بسذاجة ممزوجة بغرور يدفعهم إلى رد أي توجيه أو إرشاد لهم، الأمر الذي جعلهم في معزل عن الانتفاع بأي نقد يوجه إليهم، يصلحون به طريقهم، فقد ناظرهم علي وابن عباس رضي الله عنهم واستمرت المحاورة الفكرية معهم على مر العصور إلا أن طبيعة تفكيرهم تأبى أن تقبل نقدا أو نقضا لأقوالها .

فجمعوا بين قـلة الحصيلة من العلم الشرعي والجهل بالسنة فهم ( لا يتمسكون من السـنة إلا مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم).[4]

ويفصل ابن تيمية في ذلك فيقول: (ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم:

- **أحـدهما:** خروجهم عن السنة وجعلهم ماليس بسيئة سيئة أو ماليس بحسنة حسنة،

---

١- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، مكتبة الخانجي– القاهرة (١٢١/٤).

٢- مجموع الفتاوى (٣٠/١٣).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه (٢٥٣٩/٦)كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم،باب: قتل الخوارج والملحدين بعـد إقامة الحجة عليهم.بدون رقم.

٤- مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨/١٣).

وهذا هو الذي أظهروه فى وجه النبي ﷺ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي[1]:(يا محمد! اعدل فإنك لم تعدل،فقال :( ويحك ! ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل)[2] فقوله: فإنك لم تعدل جعل منه لفعل النبي ﷺ سفها وترك عدل وقوله اعدل أمـر له بما اعتقده هو حسنة من القسمة التى لا تصلح، وهـذا الوصف تشترك فيه البـدع المخالفة للسنة فقائلها لابد أن يثبت ما نفتـه السنة وينفى ما أثبتته السنة ويحسن ما قبحته السنة أو يقبح ما حسنت السنة؛ وإلا لم يكن بدعة، وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأً فى بعض المسائل لكن أهل البـدع يخالفون السنة الظاهـرة المعلومة، والخوارج جوزوا عـلى الرسول ﷺ نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التى تخالف بزعمهم ظاهر القرآن، وغالب أهل الخوارج يتابعو م فى الحقيقة على هذا أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه.

- **الثانى:** أ م يكفرون بالذنوب والسيئات ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة وجمهور المعتزلة والجهمية وطائفة من غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم فهذا أصل البدع التى ثبت بنص سنة رسول الله ﷺ وإجماع السلف أ ا بدعة وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفرا.

---

١- واسمه حرقوص بن زهير التميمي وذُكر أن لذي الخويصرة هذا في فتوح العراق أثرا وأنه الـذي افتـتح سـوق الأهواز، وصار بعد ذلك من رؤوس الخوارج، والذي بال في المسجد هو ذو الخويصرة اليماني، وقد ذكرته هنا للتفريق بينهما.ينظر: الإصابة لابن حجر(٤١١/٢)، فتح الباري لابن حجر(٣٢٣/١) نيل الأوطارللشوكاني(٣٤٥،٣٤٦/٧).
٢- أخرجه البخاري في صحيحه(١٥٨١/٤)كتاب:المغازي،باب:بعث علي بن أبي طالب عليه وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع،والنص كما ورد في الصحيح هو : ( فقال: يا رسول الله اتق الله قال ويلـك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله قال ثم ولى الرجل قال خالد بن الوليد يا رسول الله ألا أضرب عنقه قال لا لعلـه أن يكون يصلي فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه قال رسول الله ﷺ إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطو م قال ثم نظر إليه وهو مقف فقال إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وأظنه قال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود).

فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم).[1]

- ومن صفا م ما قاله ﷺ: (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام)[2]، فهم صغار في السن، ضـعفاء في العقل، فجمعوا بين أمرين: صغر السن المتصف صاحبه بعدم تقدير الأمور ووز ا بميزا ا الصحيح، وبين ضعف العقل مما يدل على السفه، وهذا يـراه الدارس لمذاهبهم ومواقفهم، ويظهر ذلك من خـلال سرعة تقلبهم، واختلاف رأيهم، وكثـرة تنازعهم وافتراقهم فيما بينهم، والتعجل في إطلاق الأحكام عـلى المخالفين بلا تثبت، واستعجال النتائج.

- ظهور سيما الصالحين عليهم مع اجتهاد في العبادة من صلاة وصيام وأثر السجود وتشمير الثياب، يكثر فيهم الورع والصدق والزهد ومع ذلك يتصفون بمروق من العقيدة وصـدق النبي ﷺ في وصفهم إذ قال: (يحقر أحدكـم صلاته مع صلاتهـم، وصيامه مع صيامهـم).[3]

- الخوارج حرب على المسلمين وسلْم على الكافرين، وهذه الصفة مأخوذة من قول الـنبي ﷺ في وصفهم: (يقتـلون أهل الإسلام ويَدَعُـون أهل الأوثـان).[4] وهذه علامـة من علامـات نبوته، وأمارة من أمارات صدقه ﷺ.

## - الجذور التاريخية للخوارج:

### المرحلة الأولى:

لقـد ظهر الغلو الاعتقادي في ا تمع الإسلامي مبكراً، فقد أخرج البخاري وغيره عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: ( بينا النبي ﷺ يقسم جاء ذو الخويصرة التميمي فقال:اعدل يا رسول الله!

-----

١- مجموع الفتاوى (١٩/٧١،٧٣،٧٤).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٣/١٣٢١)كتاب:المناقب،باب:علامات النبوة في الإسلام،رقم(٣٤١٥)،ومسلم في صحيحه(٢/٧٤٦)كتاب:الزكاة،باب:التحريض على قتل الخوارج.

٣- سبق تخريجه ص(٤١).

٤- سبق تخريجه ص (٣٨٧).

فقال: (ويحك ! ومن يعدل إذا لم أعدل؟!) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ائـذن لي فأضرب عنقـه، قال: (دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون[1] من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه[2] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نصله[3] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه [4] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيّه[5] فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه -أو قال: ثدييه- مثل ثدي المرأة -أو قال: مثل البضعة- تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس. قال أبو سعيد رضي الله عنه: أشهد أني سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن عليًّا رضي الله عنه قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ) . [6]

---

١- أي: يجوزونه ويخرقونه ويتعدونه كما يخرق السهم المرمي به ويخرج منه وفي حديث علي رضي الله عنه أمرت بقتال المارقين يعني الخوارج، ومنه سميت الخوارج مارقة، و المروق الخروج من شيء من غير مدخله و المارقة الذين مرقوا من الدين- لغلوهم فيه و المروق سرعة الخروج من الشيء، وقيل المروق أن ينفذ السهم الرمية فيخرج طرفـه من الجانب الآخـر وسائره في جوفها. ينظر: النهاية في غريب الأثر لأبي السعادات (١٤٩/٢)، لسان العرب لابن منظور (٣٤١/١٠).

٢- القذة: ريش السهم وجمعها قذذ، والقذذ ريش السهم كل واحدة منها قذة أراد أنه أنفذ سهمه في الرميـة حـتى خرج منها ولم يعلق من دمها بشيء لسرعة مروقه. ينظر: النهاية في غريـب الأثـر(٢٨/٤)،لسـان العـرب،لابن منظور(٥٠٣،٥٠٤/٣).

٣- النصل: نصل السهم والسيف والسكين والرمح والجمع نصول و نصال و المنصل بضم الصاد وفتحها السـيف، وهو حديدة السهم والرمح وهو حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض حكاها ابن جني قال فإذا كان لها مقبض فهـو سيف، وهو من الأضداد. ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس(٤٣٢/٥)، لسان العرب لابن منظـور(٦٦٢/١١)،مختـار الصحاح لأبي بكر الرازي (٢٧٦/١).

٤- الرصف: ضم الشيء بعضه إلى بعض ونظمه،وتراصف القوم في الصف أي قام بعضـهم إلى لـزق بعـض، وفي حديث الخوارج (ينظر في رصافه)الرصفة واحدة الرصاف،والرصفة عقبة تلوى على موضع الفوق من الوتر وعلى أصل نصل السهم وسهم مرصوف فلا يوجد فيه شيء،وجمعه رصف. ينظر: العين للخليل بـن أحمـد (١١١/٧) لسـان العرب(١٢١،١١٩/٩).

٥- النضي: نصل السهم وقيل هو السهم قبل أن ينحت إذا كان قدحا قال ابن الأثير وهو أولى لأنـه قـد جـاء في الحديث ذكر النصل بعد النضي قالوا: سمي نضيا لكثرة البري والنحت فكأنه جعل نضوا و نضي الرمح ما فوق المقبض من صدره والجمع أنضاء .ينظر :النهاية في غريب الأثر (٧٢/٥) ، لسان العرب لابن منظور (٣٣١/١٥).

٦- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٥٤٠/٦)كتاب:استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم،باب:من ترك قتـال الخـوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه،رقم(٦٥٣٤).

فذو الخويصرة ( أول خارجي خرج في الإسلام وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ ).[١]

فكان بذلك النواة الأولى للخوارج حيث ( بلغ من ضعف عقله وقلة دينه تجويره رسول الله ﷺفي حكمه والاستدارك، ورأى نفسه أورع من رسول الله ﷺ، هذا وهو يقر أنه رسول اللهﷺ إليه وبه اهتدى وبه عرف الدين )[٢].

وهذا ما اتصف به الخوارج من بعد، لذا ( أمر النبي ﷺ بقتال الخوارج المبتدعين مع كثرة صلا م وصيامهم وقراء م، و ى عن الخروج على أئمة الظلم وأمر بالصبر عليهم، وكـان يجلد رجـلاً يشـرب الخمر فلعنـه رجل، فقال: (لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله)[٣] وجاءه ذو الخويصرة التميمي وبين عينيه أثر السجود، قائلاً: (يا محمد ! اعدل فإنك لم تعدل، فقال: ويحك ! ومن يعدل إذا لم أعدل؟ ! لقد خبت وخسرت إن لم أعدل، ثـم قال: يخرج من ضئضىء[٤] هذا أقوام يحقر أحدكـم صلاته مع صلاتهـم، وصيامه مع صيامهـم، وقـراءته مع قـراءتهـم، يقـرءون القرآن لا يجاوز حناجرهـم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهـم من الرمية، أينما لقيتموهـم فاقتلوهـم؛ فإن في قتلهـم أجراً عند الله لمن قتلهـم يوم القيامة)[٥].

فهذا المبتدع الجاهل لما ظن أن ما فعله الرسول ليس بعدل كان ظنه كاذباً وكان في إنكاره ظالماً )[٦].

---

١- تلبيس إبليس، لابن الجوزي(١١١/١).

٢- الفصل في الملل، لابن حزم (١٢٢/٤).

٣- أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٨١/٧) باب حد الخمر رقم (١٣٥٥٢)،ورقم(١٧٠٨٢) والبـزار في مسـنده (٣٩٣/١)رقم (٢٦٩)قال أحمد شاكر في قتل مدمن الخمر(٤٥):مرسل رقم (٢٠٨٩٤٣).

٤- معنى ضئضىء: الضئضىء الأصل والعقب، ومعنى قوله يخرج من ضئضئي هذا أي من أصله ونسله. ينظر: لسـان العرب لابن منظور (١١٠/١).

٥- سبق تخريجه ص(٣٩٠).

٦- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية،(١٨٠/٧،١٨١).

فقد كان من شأنه في باديء الأمر الإنكار على رسول الله والاستدراك عليه وتقبيح فعله مع علمه أنه رسول الله الصـادق المصدوق، ثم كان مع علي في حروبـه، وانشق عنه فصـار مع الخوارج ومن رؤوسهم فقُتل معهم[١].

وهكذا خلفه من الخوارج الاتفاق ثم سرعة الانشقاق.

## المرحلة الثانيـة:

على الرغم من هذا الارتباط الفعلي بين ذي الخويصرة والخوارج إلا أن هناك ارتباطـًا عقديا أقوى من ذلك فإذا (كان مبدأ البدع هو الطعن في السنة بالظن والهوى)[٢] كما طعن ذو الخويصرة في حكم رسول الله ﷺ وقسمه؛ فإن خلفه من الخوارج ( اعتقدوا أن عليا على الخطأ ومن معه من المهاجرين والأنصار، وأ م على الصواب... ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم واعتقادهم أ م أعلم من علي)[٣]. ( فالطاعن في شيء من حكمه ﷺ أوقسـمه - كالخوارج- طاعن في كتاب الله مخالف لسنة رسول الله ﷺ مفارق لجماعـة المسلمين).[٤]

من هنا كان ظهور الخوارج كفرقة مستقلة ذات آراء واعتقادات خاصة ا؛ مبناها الطعن في السنة بعد حادثة التحكيم فكان أول من بويع بالإمامة من الخوارج هو: عبدالله بن وهب الراسبي[٥] وذلك في عام سبع وثلاثين وهو تاريخ أول افتراق معلن في الأمة[٦].

-----------------------------------

١- ينظر: فتح الباري لابن حجر(٣٢٣/١)، نيل الأوطارللشوكاني (٣٤٥/٧).

٢- مجموع الفتاوى،لابن تيمية (٣٥٠/٣).

٣- تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص(٩٥).

٤- مجموع الفتاوى،لابن تيمية (٨٨/١٩).

٥- هو عبد الله بن وهب الراسبي بن مالك بن ميدعان بن الأزد،شهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص ،ثم كـان مع علي في حروبه ولما وقع التحكيم أنكره وكان من رؤوس الخوارج الحرورية زائغ مبتـدع واجتمـع الخـوارج بالنهروان وأمروه عليهم،وكان عجبا في كثرة العبادة حتى لقب ذا الثفنات لكثرة سجوده، وقُتل بالنهروان.
ينظر: الإصابة لابن حجر(١٠٠/٥) ،لسان الميزان لابن حجر (٣٧٦/٣).

٦- ينظر: تاريخ الطبري (١١٥/٣)،ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين،علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر ، ط٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت،(١٢٨/١).

ومع افتراق الخوارج إلا أنهم اجتمعوا على مجموعة من الآراء الاعتقادية منها: ( القول بالتبري من عثمان وعلي؛ ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقًا واجبًا ).[1] إلا أنه سرعان ما **دب الخلاف والانشقاق** في **صفوفهم نتيجة لأمرين**:

- الصفات التي اتصفوا بها من الجهل وضعف الفقه، والخلل في منهج الاستدلال والتعجل في إطلاق الأحكام وقصر النظر وسرعة التقلب.
- لوازم الآراء التي اعتقدوها ومنها تكفير المخالف لهم.

فكان ( أول من أحدث الخلاف بينهم نافع بن الأزرق الحنفي[2] والذي أحدثه البراءة من القعدة، والمحنة لمن قصد عسكره، وإكفار من لم يهاجر إليه)[3].

وعندما علم نجدة بن عامر[4] بما أحدثه نافع خالفه في أن التقية جائزة، والقعود جائز وخرج عليه وبويع إمامًا في اليمامة وسموه أمير المؤمنين، ثم اختلفوا على نجدة فأكفره قوم منهم لأمور نقموها عليه، وهكذا تتابعت صور الانشقاق في صفوف الخوارج حتى بلغت فرق الخوارج نحو عشرين فرقة[5]. إلا أن ( أصل قول الخوارج إنما هو قول الأزارقة والأباضية والصفرية والنجدية، وكل الأصناف سوى الأزارقة والأباضية

---

١- الملل والنحل، للشهرستاني(٩٢/١).

٢- هو نافع بن الأزرق الحنفي الحروري من رؤوس الخوارج وإليه تنسب طائفة الأزارقة وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية ،إمام سوق الأهواز وكان يطلب العلم،توفي سنة(٦٥هـ).

ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٦/٧)، لسان الميزان لابن حجر (١٤٤/٦).

٣- مقالات الإسلاميين ،للأشعري (٨٦/١).

٤- هو نجدة بن عامر بن عمير اليمامي الحروري من رؤوس الخوارج،خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية وقدم مكة، زائغ عن الحق وله مقالات معروفة واتباع انقرضوا ووقع ذكره في صحيح مسلم وأنه كاتب ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربي وعن قتل الأطفال الذين يخالفونه وغير ذلك وأجابه ابن عباس واعتذر عن مكاتبته له قُتل سنة سنة(٦٩هـ).

ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال(١١/٧) ، تاريخ الإسلام للذهبي (٢٦٠/٥)،لسان الميزان لابن حجر(١٤٨/٦).

٥- ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي (٧٨).

والنجدية فإنما تفرعوا من الصفرية).[1]

وجميعها انقرضت عـدا الأباضية فهي باقية إلى يومنـا هذا لأسباب ستذكر لاحقـًا بإذن الله تعالى.

## المرحـلة الثالثة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعـد أن ساق الأثر الذي فيه أن علامة الخوارج ذ الثدية: ( وهذه العلامة التي ذكرها النبي ﷺ هي علامة أول من يخرج منهم ليسوا مخصوصين بأولئك القوم، فـإنه قد أخبر في غير هـذا الحديث أ م لا يزالون يخرجون إلى زمـن الـدجال، وقـد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكر).[2]

**ومن الأحاديث الدالة على خروجهم إلى زمن الدجال :**

- قول عليﷺ: ( إذا حدثتكم عن رسول اللهﷺ فلأن أخر من السماء أحب إلي مـن أن أكذب عليـه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خـدعة. سمعـت رسول الله ﷺ يقول: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة) .[3]
- ومن حديث أبي بـرزة ﷺ حين سئل، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر الخوارج؟ فقال: نعم سمعت رسول الله ﷺ بأذني ورأيتـه بعيني؛ (أتي رسول الله ﷺ بمال فقسمه فأعطى من عن يمينه ومن عن شماله ولم يعط من وراءه شيئًا، فقام رجل من ورائه فقال: يا محمد ماعدلت في القسمة رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان فغضب رسول الله ﷺ غضبًا

---

١- مقالات الإسلاميين، الأشعري (١٠١/١).

٢- مجموع الفتـاوى (٤٩٥/٢٨،٤٩٦).

٣- سبق تخريجه ص (٣٩١).

شديـــداً وقال: والله لا تجدون بعدي رجلاً هو أعدل مني، ثم قال: يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال فإذا لقيتموهم فاقتلوهم هم أشر الخلق والخليقة) .[(١)]

وقد أجمع كثير من العلماء والكتاب المعاصرين على الارتباط الوثيق بين الخوارج الأول وخوارج العصر مثل جماعة المسلمين والمعروفة إعلاميا بجماعة التكفير والهجرة، ويعلق د.عبد السلام السحيمي على كلام لسيد قطب[(٢)] في كتابه "العدالة الاجتماعية" فيقول : ( وسلفه في ذلك هم الخوارج الضـلال كما يقول: إن بعض كتب سيد قطب قـد وضعت الأساس للفكر الخارجي الإرهابي التدميري في هذا العصر، وأ ا خلاصة لما كان يعتقده الخوارج قديمـًا ).[(٣)]

كما يقول سالم البهنساوي: ( إن أصول هذا الفكر كانت عن الخوارج ).[(٤)]

ومما دفع الكُتاب لهذه النسبة التوافـق الواضح بين منهج الخوارج الأوائل والجماعـات المتطرفة الغالية في هذا العصر في كثير من الآراء والاعتقادات والأفكار، وإن اختلفت الدوافع والأهداف.

---

١- أخرجه النسائي في السنن الكبرى(٣١٢/٢) باب:من شهر سيفه ثم وضعه في الناس،رقم(٣٥٦٦)قال الألباني في ضعيف النسائي(٤١١٤):ضعيف رقم(٣٧٨٧٧).

٢- هو المفكر الثاني في جماعة الإخوان بعد حسن البنا ،له العديد من المؤلفات الأدبية والفكرية أبرزها "العدالة الاجتماعية في الإسلام"وفي ظلال القرآن "و"معالم في الطريق" وغيرها.ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة،الندوة العالمية للشباب الإسلامي،ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م،الرياض- المملكة العربية السعودية.ص(٢٥).

٣- فكر التكفير قديما وحديثًا، وتبرئة اتباع مذهب السلف من الغلو والفكر المنحرف، عبد السلام بن سالم بن رجاء السحيمي،ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م،دار الإمام أحمد-القاهرة/مصر.ص (١٧٢).

٤- الحكم وقضية تكفير المسلم،سالم البهنساوي،ط٣، ١٤١٥هـ-١٩٨٥م،دار البحوث العلمية-الكويت/دار البشير-عمان، ص(٧٧).

**ومن الآراء الاعتقادية المشتركة بينهما مايلي:**

١. التكفير بالمعاصي وهو من أبرز الآراء الاعتقادية التي جمعت بين الخوارج الأوائل والغلاة المعاصرون التي شكلت منهج كل منهما فيما بعـد، واعتمدوا على الشبهة ذا ا في أن الإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض، فمن وقـع في المعصية عندهم كان كافرا، بناء على اعتقادهم( أن كلمة عاصي هي اسم من أسماء الكافر، وتساوي كلمة كافر تماما، ومرجع ذلك إلى قضية الأسماء، وإنه ليس من دين الله أن يسمى المرء في آن واحد مسلما وكافرا).[1]

كما اشترط جماعة التكفير والهجرة حدا أدنى للإسلام،وضرب قائدهم مثـلاً لذلك بالشجرة؛وأن غياب فرض واحد من فروض إحداث الإنبات كاف لعـدم حدوث الإنبات ثم قال: ( وكذلك الفروض أو التكاليف الشرعية، لابـد أن تكون شرطًا في وجود الإيمان، وإن غياب فرض واحد كاف لغياب الإيمان كله ).[2]

ونتج عن التكفير كثير من اللوازم منها:

٢. الخروج على الحكام والأئمة،وهي سمة عـامة لدى الفريقين، والقضية الأم التي دفعتهم إلى تكفير الحكام هي اعتقـادهم حكم الأئمة والرؤسـاء بغير ما أنـزل الله (حيث ذهب بعض الشباب إلى أن حكام المسلمين كفروا؛ لأ م لا يحكـمون بما أنزل الله ).[3]

( وترتب على تكفيرهم الحكام تكفير المحكومين،ورتبوا ذلك على مقدمات عقليـة أكثر من الاستناد إلى الأدلة الشرعية ومنها قولهم: أن المسلمين كفروا لأ م ينطقون بالشهادة دون علم بمعناها أوعمل بمقتضاها.

---

١- كتاب الهجرة ، ماهر بكري ص(٧٢)(مخطوط) نقلاً عن كتاب الغلو في الدين،عبد الرحمن اللويحق ص (٢٧٣).

٢- التكفير والهجرة وجها لوجه، رجب مدكور(٦٨،٦٩) نقلاً عن: ضوابط التكفير، عبد الله القرني ص(١٠٦).

٣- الـتكفير(جـذوره، أسـبابه، مبرراتـه)، نعمـان عبـد الـرزاق السـامرائي، ط١، ١٤٠٤هـ ـ١٤٨٤م، المنارة- دمشق، ص (١٣٩).

وزادوا على ذلك أن الحكـام لا يحكمون بالإسلام، وشـؤون المجتمع كلهـا غير إسلامية وقد رضي الأفـراد بذلك.

فالسبب في تكفير المحكومين هو اعتقادهم:

- عدم العلم بمدلول الشهادة.
- والرضى بفعل الحكام في عدم الحكم بغير ما أنزل الله ).[1]

٣. يرى كل منهما أن دار مخالفيهم دارحرب؛ حيث ( زعم نافع وأتباعه أن دار مخالفيهم دار كفر ويجوز فيها قتل الأطفال والنساء )[2] لأنهم يكفرون المخالفين لهم ويقولون:(إن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون).[3]

وتابعهم الغلاة المعاصرون حيث ترى جماعة التكفير والهجرة أن مجتمعات المسلمين مجتمعات جاهلية،وبالتالي قالوا: ( إن المجتمعات القائمة في العالم العربي والإسلامي كافرة...فقد نصب بعض الشباب نفسه قاضيا وحاكما وأصدر حكمه بكفر المسلمين وأمر باعتزالهم وباعتزال مسـاجدهم ومعاهـدهم كمـا أمـر بتـرك الوظـائف والهجـرة إلى الجبـال).[4] كما ( يستحل بعض هؤلاء إتلاف ما أمكن من الأموال العامة،وإيقاع المظالم بمن خرج عن جماعتهم ومحاربتهم في أرزاقهم وإيذائهم بشتى أنواع الإيذاء ويعدون ذلك من الإيمان).[5]

٤. الهجرة: أوجب الفريقان الهجرة بنـاء على تصورهم لمجتمعات المسلمين بأنها كافرة وحكمهم عليها بأنها دار حرب، ووجوب مفاصلتها وقد (اعتزل من جيش علـي بـن أبي طالب قـريب من اثنى عشر ألفا وهم الخوارج،وأبوا أن يساكنوه في بلده ونزلوا بمكان يقال له حروراء).[6]

---

١- التكفير(جذوره، أسبابه، مبرراته)، نعمان عبد الرزاق السامرائي ص (١٤١) بتصرف.
٢- الفـرق بين الفـرق،للبغدادي ص(٨٨).
٣- المصدر السابق نفسه ص(٨٧).
٤- الحكم وقضية تكفير المسلم،سالم البهنساوي ص(١٩٦)(٢٢١).
٥- المرجع السابق نفسه ص(٢٣٣).
٦- البداية والنهاية،لابن كثير(٢٧٩/٧).

وشبهوا هجرتهم من الكوفة إلى حروراء بهجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، أما جماعة التكفير والهجرة فقالوا: بوجوب ( الهجرة إلى الصحراء والكهوف والجبال لأن ذلك هو السبيل الذي سلكه النبي لإقامة دولة الإسلام).[1]

٥. من أبرز سمات الفريقين سرعة التقلب واختلاف الآراء والتعصب لها دون مستند، فترتب على ذلك تكفيرهم بعضهم لبعض وتنازعهم وكثرة الانشقاق في صفوفهم، مع العلم أن معظم المنازعات لم تكن في أمور مهمة أو مصيرية وإنما اختلافات فرعية.

٦. يشترك الفريقان في قضية التبين حيث أوجب الأزارقة ( امتحان من قصد عسكرهم إذا ادعى أنه منهم: بأن يدفع إليه أسير من مخالفيهم ويأمروه بقتله، فإن قتله صدقوه في دعواه أنه منهم، وإن لم يقتله قالوا: هذا منافق ومشرك، وقتلوه).[2]

وحول قضية التبين والتوقف وضرورته يقول شكري مصطفى[3]: ( والامتحان طلب من المؤمنين بالطبع لمعرفة ظاهر الإيمان، يعني ظاهر الإسلام لا حقيقة الإيمان، إذ لا يوجد امتحان لمعرفة حقيقة الإيمان... ومعنى أننا نعمل امتحانًا، يعني ذلك يقينا أننا نجهل الحكم فيهن قبله سلبًا وإيجابًا وذلك هو عين التوقف).[4]

ويقول: ( إن الادعاء بالدخول في الإسلام وإظهار الانتماء إليه بقولة أو شعيرة لا يكفي بمفرده للحكم بإسلام المتلبس به إلا بشرط انتمائه للجماعة الإسلامية ).[5]

وعلى ذلك فهم يكفِرون كل خارج عن جماعتهم، وهذا عين ما أراده الأزارقة حين قالوا:

---

١- الحكم وقضية تكفير المسلم ، البهنساوي(١٩٥).

٢- الفرق بين الفرق، للبغدادي ص(٨٧).

٣- هو قائد جماعة التكفير والهجرة وأمر بخروج أعضاء الجماعة إلى المناطق الجبلية إنطلاقا من مفهوم الهجرة لديهم،تم القبض عليه بعد مواجهات عديدة مع السلطات المصرية وحكم عليه بالإعدام سنة ١٩٧٨م.

ينظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: مانع الجهني، ط٤، ١٤٢٠هـ، دار الندوة العالمية، الرياض ص (٣٣٤).

٤- التكفير والهجرة وجها لوجه رجب مدكور ص(١٢٩) نقلا عن ضوابط التكفير عبد الله القرني ص(١٢٧).

٥- المرجع السابق نفسه ص(١٨١) نقلا عن ضوابط التكفير عبد الله القرني ص(١٢٣).

( إن القعدة ممن كان على رأيهم عن الهجرة إليهم مشركون وإن كانوا على رأيهم ).[1]

٧. عمل الفريقان بمبدأ التقية في بعض فرقهم، حيث نجد أنـه في الوقت الذي قال فيـه الأزارقـة والنجدات والصفرية بأن دار مخالفيهم دار حـرب وحكموا بشرك من خالفهم، وأحلوا سفك دمائهم، إلا أن الأباضية لا يقولون بأن دار مخالفيهم دار كفـر ولا يحكمون بالشرك على من خالفهم ولا يجيزون قتال من لم يقاتلهم ولا يرون الخروج على مجتمعا م، فقد ( كان قادة الأباضية أكثر فهما وموضوعية لإدراك طبيعة الكيانات السياسية التي تعاملوا معها؛كالدولة الأموية والعباسية فاتبعوا الأساليب المناسبة بما يعزز استمرار وجودهم وانتشار دعو م وأخيرا قيام دولتهم في المشرق والمغرب).[2]

- **الأباضية ومسالك الدين:**

ولتحقيق ذلك ( اتبع قادة الدعوة الأباضية سبيلاً جديدا ظاهره القعود وعدم التدخل في شؤون السياسة والحرب ليبعدوا عن الدعاة أنظار السلطة الأموية والعباسية).[3]

فأباحوا لأفـراد جماعتهم العيش في ظل حكام طغاة من وجهة نظرهم؛تقية للضرورة في جو من السرية الشديدة ( ولقد أفاد العمل السري الدعوة الأباضية إذ تمكن الدعـاة بما لهم من قابليات علمية، ومراكز اجتماعية مرموقة من جـذب الناس إلى حظيرة المذهب الإباضي دون مضايقة كبيرة من الولاة... وفي الجانب الآخر كانت التنظيمات السرية تعـد نفسها إعدادا ثوريا وتخرج الدعاة لممارسة الثورة المسلحة عند سنوح الفرصة المؤاتية).[4]

وطبقوا ذلك من خلال ما ابتدعوه بما يعرف عندهم بمسالك الدين ويـراد ا ( الطرق التي

---

١- الفـرق بين الفرق، للبغدادي ص(٨٧).

٢- الحركة الأباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم ، ط٢، ٢٠٠٣م، دار الحكمة- لندن. ص(٢٧١،٢٧٢) وينظر: الإباضية مذهب إسـلامي معتدل، علي يحيي معمر، ط٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، مكتبة الضامري، السـيب/ سلطنة عمان، ص(٢٢-٢٨).

٣- المرجع السابق نفسه ص(٨١).

٤- الحركة الأباضية في المشرق العربي،مهدي طالب هاشم،ص(٨١).

يتوصل  ا إلى إنفاذ الأحكام الشرعية).[1]

وهي عدة أنماط تمكنهم من التعايش في ا  تمع المخالف،وتتناسب مع ظروف الإباضـية الصعبة على مر التاريخ وتمثل نموذجـًا للمراحل التي مرت  ا الدعوة الأباضية.

و( مسالك الدين أربعة : الظهور، والدفاع، والشراء، والكتمان).[2] ولكل مسلك إمامة خاصة به تزول بزواله، وهي على النحو التالي:

- إمـامة الظهور: وهي المرحلة التي (يكون فيها ا  تمع الإسلامي ظاهرا على أعدائه ، حرا في أراضيه، مستقلاً بأحكامه، عاملاً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، منفذًا لأحكام الدين لا يخضع لأجنبي بوجه من الوجوه، ولا يستبد به حاكم، ولا يطغى عليه ذو سلطان). [3]

ويتم فيها اختيار إمام من قبل فقهاء الدعوة وأهل الرأي من الأباضية وهـذا مرهـون بالظهور والانتصار وقيام حكومة أباضية تحكم وفقًا لتعاليم المذهب الأباضي، وهذه الإمامة واجبة والوجوب يفيد السعي والكفاح لإقامة مثل هذه الإمامة.[4]

ويكون ( الظهور بالإمامة الكبرى لإنفاذ حقوق الله، وحقوق العباد، ولايزول إمامها إلا بالإحداث في الإسلام، أو زوال عقل، أو عدم نفع به).[5]

- إمامـة الدفاع: وهذه الإمامة وليدة ظروف تفاجيء الدعوة الأباضية،وذلك في حال انحدرت الأمـة فسيطر عليها عدو أجنبي أو خائن لله ورسوله؛فتلجأ حينها إلى اختيار إمام يقود الجماعة في معاركهم.

---

١- شرح عقيدة التوحيد، محمد بن يوسف اطفيش، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، وزارة التراث القومي والثقافة - سلطنة عمان، ص(٧٦).

٢- الأباضية في موكب التاريخ، علي يحيى معمر، ط٢، ١٩٩٣م، مكتبة الضامري-سلطنة عمان(٩٣/١).

٣- المرجع السابق نفسه (٩٣/١).

٤- ينظر: الحركة الأباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم (٢٧٠).

٥- شرح عقيدة التوحيد، محمد بن يوسف اطفيش، ص(٧٦).

( والدفاع في مسالك الدين يرادف ما يعبر عنه في العصر الحاضر بالثورة... والزعيم الـذي يقود هذه الثورة يسمى "إمام الدفاع"وله على الأمـة الثائرة حق الطاعة والامتثال مادامت الثورة قائمة، فإذا استقرت الأمور ورجعت إلى الهدوء والاستقرار أصبح واحدا من أفـراد الأمـة).[1] وبذلك يكون مسلك الدفاع هو المرحلة التي يتم فيها الخروج علـى الأئمـة والحكام الظلمة والأمة التي ترضى بذلك.

- إمامة الشراء: وهي المرحلة التي يكون فيها أوضاع الأباضية أقل وأضعف من الحالتين السابقتين ومن أهم خصائص هذه الإمامة الموت في ساحة المعركة ؛ فلا يجوز للإمام الشاري الهرب أو التخلي عن ميـدان المعركة حتى ينتصر أويقتل في سبيل الله، ( لذلك فقد اشترط لهذا التنظيم شروط قاسية لا يقبلها إلا الفدائيون).[2] وإذا كان معه أكثر من أربعين فيجب عليه تطبيق الأحكام الشرعية في جباية الأموال وإقامة الحدود.

- إمامـة الدين: وتكون هذه الإمامة في مرحلة الكتمان والتقية وهو ( التنظيم الأخير، وعنـدئذ يجب أن يبتعد المؤمنون عن مساعدة الظالمين بتولي الوظائف الظالمـة، وأن تتولى شؤو م جمعيات تبث فيهم هداية الله).[3]

ومن سمات إمامة مسلك الكتمان ظهورها في فترة الصراع مـع الحكـام المغتصـبين للخلافة من وجهة نظر الإباضية، ويـراد ا: ( المحافظة على الدين، بحيث لو أُظهر لعطـل عنه ومنع منه فمن ضيع دينه فليس جاريـًا على حكم الكتمان).[4]

( فالكتمان بحاجة إلى طريقة أو أسلوب في العمل وخاصـة بالنسـبة إلى جماعـة لهـا أهداف ونظـرات في السياسية والحكم، ويمكن تعريف الكتمان لدى هذه الدعوة بأنـه يمثل أدنى مراحل الضعف، وبسبب هـذا الضعف تلجـأ الدعوة إلى الكتمان لبناء نفسها

---

١- الأباضية في موكب التاريخ، علي يحيي معمر(٩٤/١).
٢- المرجع السابق نفسه (٩٥/١).
٣- المرجع السابق نفسه (٩٦/١).
٤- شرح عقيدة التوحيد، محمد بن يوسف اطفيش، ص(٧٦).

والاستعداد للظهور).[1]

ويمثل ابن اطفيش لمرحلة الظهور بالنبي ﷺ في المدينة وفي مكة بعد إسلام عمر وبأبي بكر وعمر يصليان الجمعة، ويجلدان، ويقطعان، ويغزوان ويقيمان الثغور، ويجمعان الزكوات، والغنائم.

ولمرحلة الدفاع بعبدالله بن وهب الراسبي إمام المُحكمة القائلين لا حكم إلا لله. والشراء بأبي بلال مرداس بن حدير[2]، والكتمان كمسلك النبي ﷺ في دار الأرقم قبل تمام الأربعين فردا.[3]

ويتبنى هذه المرحلة عدد من الفقهاء المجتهدين، ولهم مجالس خاصة للتعليم والتوجيه في إطار الجماعة الواحدة بما يكفل ابتعادها وانعزالها عن غيرها من المجتمعات المخالفة لها.

( وتطلق المصادر الإباضية على هذه المجالس اسم الحلقة وفيها يتلقى الأتباع الأصول والفروع والسير والتوحيد والشريعة وآراء الفرق، إلى جانب علوم اللغة والفلك والرياضيات. هذا فضلاً عن تبصيرهم بفنون الحكم، وأساليب السياسة، وإعدادهم لتقلد المناصب والاضطلاع بأعبائها في مرحلة الظهور. وبعد ذلك يشرعون في المجاهرة بالعمل إذا ما توفر لهم ما يوجب به التولية عليهم من العدة والعدد من الرجال).[4]

ومن الأساليب التي ابتكروها للحفاظ على أفراد جماعتهم من الانحلال والذوبان في المجتمعات الأخرى مايعرف باسم ( نظام العزابة وهي هيئة تتولى شئون مجتمعهم التعليمية

---

١- الحركة الأباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص(٦٣).

٢- أبو بلال هو مرداس بن أدية تابعي يعد من كبار الخوارج ، أنكر على الأمير وقال: يلبس الرقاق ويتشبه بالفساق ورد عليه أبو بكرة.

ينظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر(٢٥٥/٢٩)،لسان الميزان للذهبي (١٤/٦)، سير أعلام النبلاء للذهبي(٢٠/٣).

٣- ينظر: شرح عقيدة التوحيد، محمد بن يوسف اطفيش، ص(٧٦،٧٧).

٤- الإباضية، عامر النجار، بدون طبعة وتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة ص(٧٥).

والدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية تسمى "حلقة العزابة").[1]

( والعزابـة: جمع (عزاب) بفتح العين مأخوذ من عزب عن أهـله انفرد عنهم، سمـوا بذلك لانقطاعهم إلى الله بالاشتغال بأمر دينه...وهيئة العزابة هي الهيئة العليا في البلد علـى الإطـلاق، لها النفوذ الروحي على ا تمع الأباضي، والسلطة المطلقة في كل ماله علاقـة بالدين. أو هي بعبارة أوجز: الهيئة الشرعية الحاكمة القائمة مقام الإمامة العظمى في مرحلة الكتمان،وهي تتركب من اثني عشر عضوا يكونون ا لس الديني غالبـًا ولا يتجاوزونه إلا إذا اقتضت الضرورة العملية ذلك، مثل التوسع الديمغرافي وتنـوع مصالح الناس مما يتطلب التفرغ لكل هذه المهام).[2]

( وأعضاء هذه الهيئة أو الحلقة يختارون من أفضل عناصر ا تمع الإباضي علما وإدارة، وهـذه الهيئة هي التي تقوم بـإدارة وتنظيم شئون مجلس الشورى في زمن الظهور، أما في زمن الكتمان فإ ا تقوم بعمل الإمام وتمثله في سائر شئونه المختلفة.

وهناك منظمة أخرى تساعد حلقة العزابة فتمثل ا لس الاستشاري المسـاعد للحلقـة).[3] (وهي القوة الثانية في البلد بعد العزابة ،ولها نظم وتقاليد وحقوق خاصة ا،وتسمى بمنظمة "إيروان").[4]

و ذا يتبين أن الدعوة الأباضية اتبعت أسلوبـًا سياسيا ظاهره المهادنة، وباطنه الاستعداد من خلال مرحلة الكتمان التي تميزت ا عن بقية فـرق الخوارج وكانت من عوامل بقائها واستمرارها حتى يومنـا هـذا، فهي تحقق هدفين **أحـدهما:** المحافظة على جماعتهم ونشر

---

١- الإباضية، عامر النجار،ص(١٦١).

٢- حلقة العزابة ودورها في بناء ا تمع المسجدي، محمد ناصر، ،١٤١٠هـ-١٩٨٩م، مكتبة الضـامري- سـلطنة عمان، ص(١٢،١١).

٣- الإباضية، عامر النجار، ص(١٦١).

٤- الأباضية في موكب التاريخ،علي يحيي معمر (١٠٩/١).

تعاليمهم من خلال ا الس سابقة الذكر، **والثاني:** الابتعاد عن ا تمعات التي تخالفهم المنهج فـلا يتولون وظائفهم، ولا يعينوهم في أعمالهم وهكذا تكون علاقتهم بالظالمين في نطـاق ضيق وبحسب ما تمليه الضرورة القصوى.[١]

وعلى الرغم من الايجابيـات التي حققها مسلك الكتمان للأباضية والتي من أهمها نجاح الدعوة الأباضية وانتشارها في بعض مناطق الجزيرة العربية؛ مثل عمان وكذا زنجبار وبـلاد المغرب في إقليم طرابلس وجبل نفوسة، ونشـر الإسلام في بعض أنحـاء أفريقيا جنـوب الصحراء،ونشر اللغة العربيـة، والمحافظة على وحدة الجماعة.[٢] إلا أن العديد من السلبيات كان لها مردودها السيء على الأفـراد ؛حيث عزل أتباعه عن بقية إخوا م من المـذاهب الإسلامية بدعوى السرية والمحافظة على تراثهم مما أوجد فجوة بينـهم وبـين المـذاهب الأخرى.[٣]

تلك الفجوة التي حاول الأباضية المعاصرون التغلب عليها وسدها من خـلال عـرض أفكارهم في إطار جديد من المودة والصداقـة التي تربطهم مع غيرهم في المذاهب الأخرى، وتبرير بعض آرائهم بما يوافق أهل السنة، وإنكارهم نسبتهم إلى الخوارج رغم اعترافهم بأ م ينتسبون للمحكمة، ولهم في ذلك عدة مؤلفات تناقش آراء بعض العلماء القدماء والمعاصرين في الأباضية، وتدحض أقوالهم وتنكر الكثير من الآراء المنسوبة للأباضية، وتتهم بعض العلماء بمحاولة تشوية تاريخهم وعقيد م،[٤] ولعل ذلك بدافع التقية حيث يعدون أنفسهم في بعض ا تمعات في مرحلة الكتمان.

---

١- ينظر: الأباضية في موكب التاريخ،علي يحيي معمر ص(١٠٥،١٠٦)،ودراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين(الخوارج والشيعة)، أحمد محمد أحمد جلي،ط٢، ١٤٠٨هـ،١٩٨٨م،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات- الرياض/المملكة العربية والسعودية. ص(١٠٠).

٢- ينظر: الإباضيـة مذهب إسـلامي معتدل، علي يحيي معمر ص(٢٢-٣٠) ، والحركـة الأباضـية في المشـرق العربي، مهدي طالب هاشم، ص(٧٧).

٣- ينظر: دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين ، أحمد محمد جلي ص(٩١).

٤- ينظر: الإباضية مذهب إسلامي معتدل، علي يحيي معمر،ص(٣٢) ومنهج الدعوة عند الإباضية، محمـد صـالح ناصر. ص(٥٦) وما بعدها.

يؤكد ذلك ( أن الواقـع المعاصر يعكس صورة مخالفة للأحكام التي تحفل ـا بطـون أمهات كتب المذهب، فعلى سبيل المثـال الدولة المعاصرة في سلطنة عمـان يعيش فيهـا المسلمون من الأباضية والسنية والشيعة في وئـام وانسجام وطني وأخوي سـواء كـانوا عمانيين أم غير عمانيين، لكن هذه الصورة للمجتمع العماني المعاصر لا تعـني أن مشـيخة الاباضية أو لنقل المتعصبين منهم قد تخلوا عن آرائهم ومعتقدا م بشأن المخالفين لهم، فهـم يرون أن الدولة المعاصرة ليست "دولة إمامة" بمفهومهم السياسي، وبالتالي يمكن القول بأ م يعتبرون أنفسهم في مرحلة كتمان والتي يكتفى فيها بالتنكيل في مخالفيهم... ذلك أن بعض غلاة الأباضية أو بعض المتنفذين منهم في مراكز الأمر والنهي في ا تمع يحاولون أن يتسلطوا على المخالفين بأنـواع من المضايقات والأذى؛ مثل منع الدروس والحلقات التي يتعلم فيها أبنـاء أهل السنة معتقدهم وعبادا م، ومثل اضطهاد بعض أئمـة المساجد من أهل السنة وتقَصد إهانتهم أو عـزلهم، ومثل تخصيص الجزء الأكبر من المقاعد الدراسية في المعاهـد والكليات الشرعية والتربويـة للأباضية، ومثـل اختـلاق التهم والأباطيل ونسجها حول المخالفين والوشاية م بعد ذلك عند المسؤولين لإلحاق الضرر م، إما بعزلهم من وظائفهم أو سجنهم أو تشويه سمعتهم في مجتمعهم).[1]

وهكذا أحفاد الخوارج يعتمدون السرية في العمل والتنظيم واستعمال وسائل ناجحة في ضبط العمل السري، ولديهم صلابة وقدرة شديدة على التخفي داخل الصفوف.

وإذا كان الأباضية أكثر فرق الخوارج تعقلاً ودهـاء، وأعمقهم فهما وإدراكًا لأوضاع السياسات وا تمعات بحيث استطاعت الاستمرار خلال عدة قـرون، إلا أن الجماعـات التكفيرية المعاصرة لم تحظ بذلك؛ لأ ا تلبست بآراء وأصول الخـوارج الأوائـل الـذين انقرضوا، واتصف أفـرادها بصفات مطابقة لأولئك مما حدا م إلى نتائج متشا ة ستنتهي م إلى نفس النهاية بإذن الله.

---

١- الإباضية مذهب لا دين، هاني الطعيمات، ط١، ٢٠٠٣م ، دار الشروق، عمان- الأردن، ص (١٨١).

### - جماعة التكفير والهجرة:

وهذه (جماعة غالية نهجت نهج الخوارج في التكفير بالمعصية، نشأت داخل السجون المصرية في باديء الأمر، وبعد إطلاق سراح أفرادها، تبلورت أفكارها، وكثُر أتباعها في صعيد مصر، وبين طلبة الجامعات خاصة ).[1]

(وقد صاغ قائدها الشيخ علي اسماعيل[2]مباديء العزلة والتكفير لدى الجماعة ضمن أُطر شرعية، حتى تبدو وكأنها أمور شرعية لها أدلتها من الكتاب والسنة، ومن حياة الرسول ﷺ في الفترتين المكية والمدنية، متأثرا بأفكار الخوارج ).[3]

ولو نظرنا إلى تاريخ الخوارج قديماً وحديثاً فإننا نجدهم ( ينقسمون إلى قسمين:

- جناح يحمل السلاح حسيا.
- جناح يحمل السلاح فكريا.

**فالجناح الأول:** متى سنحت له الفرصة مع وجود القوة، ولو جزئية أظهر الخروج، وحمل السلاح والتفجيرات، وأقام العمليات البدعية الانتحارية التخريبية.

**والجناح الثاني:** يتفاوض في السياسة، ويتداخل مع الحكومة، ويظهر اللين والتسامح والاستنكار للتفجيرات أحيانا ويتناسى أحيانا! وهو في الحقيقة ظهر ومحرض للجناح الأول)[4]

وعلى هذين الجناحين عملت الجماعات الحزبية التكفيرية المعاصرة وعلى رأسها جماعة

---

١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مانع الجهني (٣٣٣/١).

٢- هو إمام هذه الفئة من الشباب داخل المعتقل وهو أحد خريجي الأزهرتأثر بأفكار الخوارج ووضع مباديء العزلة والتكفير إلا أنه رجع إلى رشده وأعلن براءته من تلك الأفكار.

ينظر: المرجع السابق نفسه ص(٣٣٤).

٣- المرجع السابق نفسه (٣٣٤/١).

٤- الخوارج دعاة على أبواب جهنم، محمود لطفي عامر، ، ط٣ ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، دار المحجة البيضاء، مصر، ص(٩٧).

الإخوان، وكأ ا بذلك تتتبع خطوات الأباضية في مسالك الدين، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال قول أحد رجالهم: ( في هذه المرحلة ينبغي على الأفراد المنتظمين للحركة أن ينفصلوا شعوريـا عن ا تمع وألا يشاركوا في شيء بينهم وبين أنفسهم، ولا يجهـرون بذلك حتى يكتمل نضجهم، وتتم تربيتهم، وتتم توسعة رقعتهم، وزيادة أعدادهم على قدر الإمكان، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة أخرى، هي مرحلة المفاصلة، وهي: أن يقف رجالات هـذه الدعوة ويفاصلوا ا تمع ويقولوا: إن هـذه طريقنا، وهـذه طريقكم، فمن أراد أن يلحق بنا فهو مسلم ومن وقف ضدنا فقد حكم على نفسه بالكفر، ولكل أن يتخذ ما يراه من موقف في هـذه الحالة).(١)

ويعول العديد من أهل العلم أسباب وجود هذا الفكر الضال وما أفـرزه من عمليـات إرهابيـة إلى التأثر بالفكر التكفيري الخارجي، ووجود الكثير من المؤلفات المعاصرة، والتي اتخذت مسميات عديدة، وأساليب متنوعة.(٢)

وبعد أن يسرد فضيلة الشيخ د: إبراهيم بن عامـر الرحيلي أستاذ العقيدة بكلية أصول الدين/ الجامعة الإسلامية عناوين عدد من الكتب لقادة الإخوان وماتحويه من تكفير لحكـام المسلمين وللمجتمعات الإسلامية اليوم يقول: ( فمن هذه الكتب وأمثالهـا تلقـى بعـض التكفيريين المعاصرين منهجهم وفكرهم القائم على تكفير ا تمعات الإسلامية، وماترتـب على ذلك من اغتيالات وتفجيرات وسفك للدمـاء المعصومة في كثير من أقطار المسـلمين وخارجها).(٣)

كما يقـول أحد قـادة الإخوان المسلمين: ( إن الإخـوان كانـت أُم التنظيمـات الإسلامية في العالم العربي وهي التي فرخت بقية التنظيمات بعـد ذلك، وبدايـة الانحرافات

---

١- التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، علي عشماوي ص(٩٤،٩٥،٩٩) نقـلاً عن فكر التكفير،عبد السلام بن رجاء السحيمي ص(١٢٦).

٢- ينظر: فكر التكفير، عبد السلام بن رجاء السحيمي، ص(٩١).

٣- الخوارج دعاة على أبواب جهنم، محمود لطفي عامر، ص(٨٦).

جاءت من داخل الإخوان أنفسهم).[1]

ويشهد يوسف القرضاوي عـلى سيد قطب وتكفيره المجتمعات الإسلامية من خـلال كتاباته فيقول: ( في هـذه المرحلة ظهرت كتب سيد قطب التي تمثل المرحـلة الأخيرة من تفكيره التي تنضح بتكفير المجتمع ... وتدعو إلى العـزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة).[2]

ويقول فريد عبد الخالق أحد كبار الإخوان المسلمين: ( ألمحنا فيما سبق إلى أن نشأة فكر التكفير بـدأت بين شباب بعض الإخوان في سجن القناطر في أواخـر الخمسينات وأوائل الستينات، وأنهم تأثروا بفكر الشهيد سيد قطب وكتاباته، وأخذوا منها أن المجتمع في جاهلية وأنه قـد كفر حكامه الذين تنكروا لحاكمية الله بعـدم الحكم بما أنزل الله، ومحكوميه إذا رضوا بذلك).[3]

يتضح مما سبق أن الجماعات التكفيرية المعاصرة تتبنى نوعـًا آخر من العزلة مشابهًا لما فعلته الأباضية ؛ لتحافظ على نفسها من القمع والقتل والتنكيل ولكنها تحمل أفكارا شاذة بعيدة كل البعد عن منهج أهل السنة والجماعة ، خلافًا للأباضية الذين يعتبرون أكثر الفرق قربـًا من منهج أهل السنة.

## العـزلة عند جماعة التكفير والهجرة:

تعتبر هـذه الجماعة إفـرازا مقيتا لأفكار ضالة مضلة وفئـة باغية قادها مجموعـة من ( التلاميذ الذين يؤمنون بكفر المسلمين في عصرنا ؛ لعدم مفاصلتهم للحكام الذين يحكمون

-----------------------------------

١- التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين ص(٤،٣) نقـلاً عن فكر التكفير، عبدالسـلام بن رجاء السحيمي ص(٩٠).

٢- أولويات الحركة الإسلامية ص(١١٠) نقـلاً عن فكر التكفير، عبدالسلام بن رجاء السحيمي ص(١٧٥).

٣- الإخوان المسلمون في ميزان الحق، ص(١١٥)نقـلاً عن كتاب سيد قطب هـو مصـدر تكفـير المجتمعـات الإسلامية، ربيع بن هادي المدخلي ، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، دار الإمام أحمد، القاهرة ص(٦١).

بغير ما أنزل الله، ثم خرجـوا على أساتذ م وكونوا جماعتهم ... ولكن قبـل الانفصـال كان يضمهم فكر واحد وجماعة واحدة تسمى عندهم جماعة المسلمين وعقيد م تستند إلى:

**أ- الحاكمية**: وهي ترجمة عملية للنطق بالشهادتين، وتعني عندهم مقاطعة ا تمع بجميع صـوره وهيئاته، والخضوع لحاكمية الله وحده، لأن المسلمين في عصرنا لا يدركون معاني شهادة أن لا إله إلا الله، وبالتالي لم يدخلوا بعد في الإسلام فلم يخصوا الله بالولاء.

**ب- الجماعة**: وهي شـرط في الإيمان عندهم، ولكنها ليست كل جماعـة إسلامية بل الجماعة التي ينتمي إليها هؤلاء، فمن لم يبايع إمامهم وينخرط في جماعتهم فهـو كافـر وإن صلى وصام وكان في جماعة أخرى، وذلك اعتقادا منهم بأن جماعتـهم هـي جماعـة المسلمين، أما غيرها فهي تساعد على استمرار الجاهلية بسبب عدم مفاصلة ا تمع وإعـلان كفره.

واستلزم الإيمان ذا المعتقد فسخ عقود الزوجات اللائي لايدخلن في هـذه الجماعـة، وتحريم الذبائح الواردة من البلاد الإسلامية لأ ا ارتـدت عن الإسلام حسب تصورهم،كما يستلزم اعتزال المساجد.

وعندما طلب الإخوان المسلمون من هؤلاء أن يحددوا موقفهم من هذه الأمور مع بيان سندهم الشرعي ، وما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ انقسموا إلى طائفتين :

- **الطائفـة الأولى**: أظهرت عـدم تكفيرها لمن خالفهم، وجـواز الصلاة خلفهـم، وزوجات أصحاب فكر التكفير لسن كافـرات ولا ضـرورة لفسخ عقود زواجهن، وآثـرت عدم إظهار منهاجها عملاً بقاعدتين عنـدها هما: المفاصلة الشعورية، وعهد الاستضعاف "العهد المكي"، ويطلق عليهما لدى هـذه الجماعة اسم:"نظـام الحركـة بالمفهوم" التي عـرفوها بكتم بعض شرائع الإسـلام وإظهار بعضها في الوقت الـذي تتظاهر بعـدم اعتزال ا تمع.

- **الطائفة الثانيــة:** وهي( جماعــة التكفير والهجرة ): ( تمسكت بالمفاصلة الصريحة، وأعلنت كفر إخوا م الذين لا يقولون بكفر من خالفهم، فهي تعتزل ا تمع كلية ).[1]

## أولاً: المفاصلة الشعورية :

ومعنــاها: ( مجاراة المسلمين في عبادا م ومعاملا م مــع الاعتقاد بكفــرهم).[2] دون إظهار ذلك الاعتقاد للمجتمع المسلم الذي يعيشون فيه، مؤكدين ( أ م لم يغيروا عقيد م، ومازالوا يؤمنون بكفر ا تمع).[3]

ويعلل أحــد أئمتهم والمُنظر الأساسي للمفاصلة الشعورية العمل ا قائلا: ( هناك ضرورة حركية توجب مراعاة شعور من يصلي من الشعب فلا يصدم بأنه كافر، بل نطبق عليه مبدأ المفاصلة الشعورية).[4]

ونظرا لهذه المفاصلة ولإيجاد مبرر لتحركا م وحفظًا لأرواحهم ذهبوا إلى القول بمبدأ مرحلية الأحكام أو بدعة القول ، إننا نعيش في العهد المكي معللين ذلك بكفر ا تمع.

بمعنى أن الواجب تطبيقه حاليــًا من الأحكام ماورد فقط في العصر المكي وهو عصــر الاستضعاف فقالوا: ( من العقيدة أن يؤخــذ الدين على صورتــه التي نزلت على النبي ﷺ فنأخــذ الأحكام على مراحل كما كان متبعا في أول الإسلام، وهو البــدء بما نزل في مكة بالنسبة لعهد الاستضعاف الذي نعيش فيــه حاليا، فــإذا تمكنت الجماعة من الوصول إلى السلطة، وحكمت بالإسلام أخذت بما نزل في المدينة؛ لأ ا في عهد التمكين أما العصر الذي نعيش فيه فهو عصر استضعاف).[5]

---

١- الحكم وقضية تكفير المسلم، سالم البهنساوي ص(٣٦،٣٤،٣٣) بتصرف يسير.

٢- المرجع السابق نفسه ص(١٦).

٣- المرجع السابق نفسه ص(٣٥).

٤- المرجع السابق نفسه ص(٣٥).

٥- المرجع السابق نفسه ص(٣٦).

## - كيفية تطبيق المفاصلة الشعورية:

ويتم تطبيق المفاصلة الشعورية في جوانب عديدة مخلة بعقيدة المسلم ودالة على جهل بأصول الشريعة الإسلامية ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

- الصلاة في المساجد مع عامة المسلمين وخلف الإمام بنية الانفراد مـع الاعتقاد بكفر الإمام والمأمومين ، وفي ذلك يقول أحدهم: ( نصلي خلفهم في الظاهر فقط؛ بـأن ينـوي أحـدنا الصلاة منفردا خلف الجماعة، فيتبع إمامها في الظاهر ويقوم ويقعد، ولكنه في نفسه ليس متبعا له إذ لم ينو الصلاة خلفه، ولابد من مفاصـلته وجماعتـه في أنفسـنا مفاصـلة شعورية).[1]

- ( استباحة الكذب والتظاهر بأمور تخالف عقيد م :

- فيمكن الصلاة خلف من يرون كفره.
- ويمكن استمرار عقود الزواج رغم القول بكفر هؤلاء الزوجات.
- ويمكن أكل ذبائح من يرون كفره )
- (...حل الخمر وغير ذلك من الأمور التي ابتدعوها والتي نجد بعضها عند الخوارج).[2]

حول هـذه الآراء حدثت بينهم وبين علماء الإخـوان المسلمين مواجهات ومحاولات ومناظرات كثيرة وذلك أثنـاء وجودهم في المعتقلات، وكانت بين محاولة إقناع من طرف الجماعة وبين رد على أقوالهم من طرف الإخوان.

نتيجة لهذه المناظرات تراجع أصحاب هذا الفكر عن القول بعدم وجوب الصيام والزكاة والحج كو ا فُرضت في المدينـة، مع تمسكهم بأن عهد الاستضعاف الذي يعيشون فيه وهو

-----------------------------------

١- الحكم وقضية تكفير المسلم، سالم البهنساوي ص (٣٥).

٢- المرجع السابق نفسه ص (١٧٨)(٢٢٦).

عهد الحكم بغير ما أنزل الله يوجب العودة إلى الأحكام المكية في زعمهم ، ولكنهم عجزوا عن تعليل اللوازم التي التزموها نتيجة لهذا القول.[1]

## ثانيا: المفاصلة الكاملة (الصريحة):

إن بدعة مرحلية الأحكام وما نتج عنها من العمل بالمفاصلة الشعورية كانت سببا في انقسام فكر التكفير إلى عدة فرق فيما بعد.

( فالطائفة التي أطلقت على نفسها الجماعة المؤمنة، خرجوا على أصحاب فكرة المفاصلة الشعورية واتهموهم بالكفر )[2]وكان قائدهم شكري مصطفى الذي أكد أنه وجماعته لا يرون المفاصلة الشعورية فيقول: ( إننا لا نقول بما أسموه بالعزلة الشعورية ثم السلوكية، ولا نؤمن بهذا الترتيب بل ننكره بشدة ولا نعرف بينهما فاصلاً زمنيا، وإنما الذي نؤمن به وجوب الأخذ في العزلة شعورا وسلوكًا من أول يوم قدر الطاقة وجهد الاستطاعة بما لا يضر مع هدفنا النهائي وأهدافنا المرحلية ).[3]

بناءً على ذلك تولدت لديهم فرضية اعتزال المجتمع ومفاصلته مفاصلة تامة، حيث يذكر الرجل الثاني في الجماعة وهو ماهر بكري[4] علة اعتزال المجتمعات الإسلامية وأنها مجتمعات كافرة فيقول: ( لا نختلف في أن المجتمعات التي تزعم زورا وبهتانًا الانتساب إلى الإسلام اليوم لا تحكم بما أنزل الله، وإن طبق البعض جزءًا من الإسلام وأخذ بعض المظاهر الإسلامية، ولكن نجده يجمع معها في الوقت نفسه مظاهر من الكفر تكفي للحكم بجاهليته وتكفير من يحكمه).[5]

-----------------------------------

١- ينظر: الحكم وقضية تكفير المسلم، سالم البهنساوي ص(١٧٨).

٢- المرجع السابق نفسه (١٨١).

٣- كتاب الخلافة، شكري مصطفى (٢٠/٣) نقلاً عن كتاب الغلو في الدين، عبد الرحمن اللويحق ص(٤٩٧).

٤- هو ابن شقيقة شكري مصطفى ونائبه في قيادة الجماعة بمصر،وكان يشغل منصب المؤول الإعلامي للجماعة ،أعدم مع شكري في قضية الشيخ محمد الذهبي سنة ١٩٧٨م،له كتاب الهجرة.ينظر: الموسوعة الميسرة، مانع الجهني ص(٣٣٥).

٥- الهجرة، ماهر بكري ص(٦٢) نقلاً عن الغلو في الدين، عبدالرحمن اللويحق، ص(٥١١).

بل اعتبروا ذلك هجرة في سبيل الله يجب القيام به لتحقيق الإيمان في أحد شقيه وهو" الولاء والبراء". فلا بد من تحقيق الولاء لله بالبراءة من هذا ا تمع عمليـا ومن أقوالهم في هـ ـذا المعنى: ( إن الولاء لله تعالى ولرسوله لا يتمثل من الناحية العملية إلا في الدخول في ولائهـا، وإن الله تعالى إنما أوجب تـرك موالاة جماعات الكفر للوقوع في ولائه، وولاء حزبه).[1]

معتقدين أن النجاة من مجتمع الطاغوت لا تكون إلا بالهجرة حيث يقول مـاهر بكري: ( نريد أن ننجو بأنفسنا ونبلغ الحق للعالمين... وتظهر كلمة الله في الأرض. ولا يتحقق كل ذلك ونحن مكوث في دار الكفر. ولتكون النقطة التي ننطلق منها "بسم الله وفي سبيل الله"، هي الهجرة والتحول من دار الكفر إلى أرض الله الواسعة ).[2]

ويعتبرون هذه الهجرة هي( المخرج الوحيد، والطريق الذي لا ثاني له، والذي لا بديل عنـه للخروج من حالة الاستضعاف التي يقع فيها المسلم في ا تمع الجاهلي).[3]

ويستدلون لذلك جرة النبي ﷺ إلى المدينة معللين ذلك بقولهم: ( وإذا كان الدليل التاريخي ليس دليلاً شرعيا. فإن رواية التاريخ من الممكن أن نستأنس ا، ولتكون لنا فيها عبرة).[4]

من هنـا ( فكرت هذه الجماعة في أن تعتزل ا تمع ويسكن أفرادها في قرى منعزلة في الصحراء بعيـدا عن ا تمع الجاهلي كي يعبدوا الله وحـده حتى تتيسر لهـم الهجـرة إلى أرض الله الواسعة فرارا من سلطان الجاهلية ).[5]

لذا رأى هؤلاء أنه (لا بد أن يسعى المسلمون سعيا حثيثًا ، ولكي يكون لهم الانفصـال

---

١- الخلافة، شكري مصطفى (٢٨/٣).

٢- الهجرة، ماهر بكري ص(٧) نقـلاً عن الغلو في الدين، عبدالرحمن اللويحق ص(٥٠٩).

٣- المرجع السابق نفسه ص(٣١) نقـلاً عن الغلو في الدين، عبد الرحمن اللويحق ص(٥١٠).

٤- المرجع السابق نفسه ص (١٦) نقـلاً عن الغلو في الدين، عبد الرحمن اللويحق ص(٥٠٩) .

٥- ذكرياتي مع جماعة المسلمين، عبد الرحمن أبو الخير ، (التكفير والهجرة)،ط١٩٨٠،،١م،دار البحـوث العلميـة- الكويت.ص(٨٤).

التام عن المجتمع الجاهلي حتى يكون للمسلمين أرض ليس للطاغوت سلطان عليها).[1]

وحول قضية اعتزالهم في البراري والصحاري ونوع تلك الأرض التي يريدون يقول ماهر بكري: ( هي الأرض التي يمكن فيها إقامة دين الله وعبادة الله كما أمر أن نعبده وتطبيق شريعته وإقامة حدوده، تلك الأرض التي لا يكفر فيها بآيات الله ولا يستهزأ بها، ولا يحارب فيها أهل الدين. تلك هي أرض الله الواسعة ولو كانت قمة جبل أو كهف أو أصل شجرة).[2]

**المأزق الذي وقع فيه أصحاب المفاصلة الكاملة:**

وخروجًا من المأزق الذي وقعوا فيه من قولهم بكفر الناس ووجوب اعتزالهم، مع عدم قدرتهم الانفصال عن الناس وعدم معايشتهم، قالوا بوجوب التدرج في العزلة يقول شكري مصطفى: ( إننا إذ نقرر وجوب الانفصال والاستقرار... نعلم في ذات الوقت أننا مازلنا غير منفصلين ولا مستقلين... وأن علينا بحكم قدر الله وقدراتنا أن نبقى مع الكافرين، وفي أرضهم أو في أرض معهم نبيع ونشتري ونبلغ وندعو ونكره ونضطر ونتقي ونعاهد ونعفو ونصفح ونخالق الناس، ونصل الرحم ونكرم الجار ونغيث الملهوف).[3]

ويستدل على هذا بعدة أحاديث تحكي تعامل النبي ﷺ مع الكفار كإجابته ﷺ على اليهود إذا سألوه وأنه ابتاع منهم، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي[4]،وغير ذلك من الوقائع.[5]

في هذا الصدد يحدد ماهر بكري مهام الجماعة المسلمة في المرحلة السابقة للهجرة والتي

---

١- الهجرة ،ماهر بكري ص(٦)نقلاً عن عن الغلو في الدين، عبدالرحمن اللويحق ص (٥٠٩،٥٠٨).

٢- المرجع السابق نفسه ص(٢٩) نقلاً عن الغلو في الدين، عبد الرحمن اللويحق ص(٥١٠).

٣- الخلافة، شكري مصطفى (٢٠،٢١/٣)، نقلاً عن الغلو في الدين، عبد الرحمن اللويحق ص(٢٥٠).

٤- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى(٣٦/٦)كتاب الرهن ،باب جواز الرهن رقم (١٠٩٧٤) أن رسول الله ﷺ توفي وأن درعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير طعاما أخذها لأهله.وقال أحمد شاكر في مسند الإمام أحمد(٢٥٦/٤) إسناده صحيح.(١٣٦٣٦٧).

٥- ينظر: الخلافة، شكري مصطفى (٣/٢٠،٢٥).

ينبغي التزامها فيقول: ( هذه هي الهجرة، ولكن ما حال المسلمين قبلها ؟ ماذا يعملون في فترة ما قبل الهجرة ؟

في هذه الفترة سيكون للمسلمين مهام يسعون إلى تحقيقها منها: اعتزال الكفار بقدر ما أمكن الجهد وبقدر ما تستوعب طاقاتهم في كل شيء.

- في **العبادة:** لا يغشى المسلمون معابد أهل الجاهلية التي يكذبون فيها على الله ويكتمون ما أنزل الله ويدعون مع الله آلهة أخرى ويلبسون الحق بالباطل ويزعمون زورا وبهتانًا أنهم حماة الإسلام.وكذلك لا يصلى معهم ولو خارج هذه المعابد ولا يأتم المسلمون بإمام من أهل الجاهلية الزاعمين كذبًا الانتساب للإسلام .

- **وفي التصور:** فتصور المسلمين وفكرهم لا تستمد من مصدر آخر غير كتاب الله وسنة نبيهﷺ ، معتزلين بذلك تصورات الجاهلية الفاسدة وعقائدهم الباطلة.

- **وفي السلوك:** اختلاف تام عن سلوك الكفار من أهل الجاهلية في مأكلهم ومشربهم، في قيامهم وقعودهم أي شغلهم وفراغهم، وفي نومهم ويقظتهم، في جميع الأخلاق والتعاملات، وكل شيء - يحاول المسلمون- وهم مازالوا في المجتمع الجاهلي أن يخالفواالمشركين فيها ما أمكنهم ذلك).[1]

- **أبرز أنواع عزلة المجتمع عند أصحاب المفاصلة الكاملة (الصريحة):**

بناء على القول بالمفاصلة الصريحة قالوا بما يلي:

١- ( عدم الترشيح للانتخابات وعدم الاشتراك فيها بصوت أو بنصح أو رأي؛ لأن المجالس النيابية تشرع من دون الله والمساهمة في ذلك كفر بواح؛ لأنه اتباع للكفر أو رضى به.

---

١- كتاب الهجرة ،ماهر بكري ص (٩٧) نقلاً عن كتاب الغلو في الدين ،عبد الرحمن اللويحق ص(٤٩٧).

٢- مقاطعة المساجد لأن الصلاة فيها خلف أئمتها تتضمن الشهادة لهم بالإيمان وهم كافرون.

٣- الهجرة إلى الصحراء أو الكهوف والجبال لأن ذلك هو السبيل الذي سلكه النبي ﷺ لإقامة دولة الإسلام.

٤- التوقف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن المجتمعات كافرة وليس بعد الكفر ذنب، بل عدم المساهمة في أي إنتاج لأن ذلك يؤدي إلى تماسك المجتمع الجاهلي.

٥- مقاطعة المدارس والجامعات وإخراج أولادهم منها.

٦- ترك الوظائف في الحكومة والشركات وممارسة أعمال التجارة أو الزراعة).[1]

٧- اعتزال المساجد وعدم الصلاة فيها،لأنها معابد الجاهلية بزعمهم.

٨- تزويج بعض من يرى المفاصلة الصريحة والدته وأخته المتزوجة دون أن يطلقها بسبب زواجها من كافر بزعمهم.[2]

ويأتي تفصيل بعض أنواع العزلة على النحو التالي:

**١- اعتزال المساجد:**

إن فكر التكفير عند هذه الجماعة ( يقوم على دعامتين :

**الأولى:** حتمية التسليم بأن مجتمعات المسلمين في عصرنا مجتمعات جاهلية.

**الثانية:** أن النتيجة هي حتمية اعتزال المجتمعات وفي مقدمتها المساجد لأنها معابد هذه الجاهلية).[3]

وبذلك حكم هؤلاء على المجتمعات بأنها مجتمعات كافرة، وقالوا إن الناس قد فسدوا وارتدوا عن الإسلام ، وأن مساجدهم هي مساجد الضرار ويجب اعتزالها واعتزال

---

١- الحكم وقضية تكفير المسلم، سالم البهنساوي ص(١٩٥).

٢- ينظر: المرجع السابق نفسه ص (١١٣).

٣- المرجع السابق نفسه ص(٢٠٥).

ا تمع كله.

كما ( قالوا بترك صـلاة الجمعة والجماعة بالمساجد؛ لأن المساجد كلها ضرار وأئمتها كفار إلا أربعـة مساجد: المسجد الحـرام والمسجد النبوي وقبـاء والمسجد الأقصى ولا يصلون فيها أيضاً إلا إذا كان الإمام منهم).[1]

وقد اتخذ هؤلاء من تدبر الأديب/ سيد قطب لقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧﴾ [يونس:٨٧] ذريعة إلى القول باعتزال المساجد وأثاروا اللبس في قوله: ( وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لها فيها أسوة، ليست خاصة ببني إسرائيل، فهي تجربة إيمانية خالصة، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في ا تمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت، وفسد الناس، وأنتنت البيئة-وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة - وهنا يرشدهم الله إلى أمور:

- اعتزال الجاهلية بنتنها وفسادها وشرها-ما أمكن ذلك-وتجمع العصبة المؤمنة الخـيرة النظيفة على نفسها، لتطهرها وتزكيها، وتدر ا وتنظمها حتى يأتي وعد الله لها.

- اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد. تحس فيها بالانعزال عـن ا تمع الجاهلي؛ وتزاول فيها عباد ا لر ا على ج صحيح، وتزاول بالعبادة ذا ـا نوعـًا من التنظيم في جو العبادة الطهور ).[2]

فاستنتج أصحاب فكر التكفير من هذه النقاط في كلام سيد قطب ( قاعدة عامـة هي: أن اعتزال معـابد الجاهلية ليس خاصـا ببني إسرائيل في زمن نبي الله موسى عليه السلام، بل هو موجه إلى المؤمنين في عصرنا لاعتزال المساجد لأ ا معابد الجاهلية).[3]

---

١- الموسوعة الميسرة، إشراف: مانع الجهني ص(٣٣٧).

٢- في ظلال القرآن ، سيد قطب(١٨١٦/٣) .

٣- الحكم وقضية تكفير المسلم، البهنساوي ص(٢٠٩).

## - دحض شبهة اعتزال المساجد:

ويمكن دحض هذه الشبهة وما ترتب عليها من خلال النقاط التالية :

أ- إن اعتـزال بني إسرائيل الصلاة في البيع والكنائس لم يكن قـرارا صادرا من قبـل أنفسهم، بل كان بنـاء على أمـر ووحي من الله تعالى حيث فسر ابن عباس قوله تعالى: ﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً ﴾ بقوله: ( أُمروا أن يتخذوها مساجد)[١]والأمـر يقتضي الوجوب، فكان واجبا شرعيا يلزم تنفيذه.

ب- إن هذا الأمر من الله ﷻ كان رحمة لبني إسرائيل مما وقع علـيهم مـن تعسـف واضطهاد، فيقول ابن عباس في تفسير هذه الآية: ( قالت بنو إسـرائيل لموسـى عليه السلام : لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنـة، فأذن الله تعالى لهم أن يصلوا في بيوتهم وأُمـروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة).[٢]

وعـدم قدرتهم على إظهار عبادتهم كان لسببين :

- الخوف من الفتنة في الدين والنفس قال مجاهد: ( واجعلوا بيوتكم قبلة). لما خـاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا في الكنائس الجامعة أُمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سـرا ).[٣]وذلك لما ( اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومـه وضيقوا عليهم أُمروا بكثرة الصلاة كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [ البقرة:١٥٣]. وفي الحديث: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى ) .[٤] )[٥]

- العجز عن إقامة الصلاة في البيع والكنائس التي كانوا يصلون فيها (قال أكثر المفسرين

---

١- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٢٩/٢).

٢- المصدر السابق نفسه (٤٣٠/٢).

٣- جامع البيان،لابن جريرالطبري (١٥٥/١١).

٤- أخرجـه أبو داود في سننه(٣٥/٢)باب: وقت قيـام النبي ﷺ من الليل رقـم (١٣١٩) ، وأحمـد في مسـنده (٣٣٨/٥) رقم (٢٣٣٤٧) قال الألباني في مشكاة المصابيح(١٢٧٦): حسن رقم(١٠٢٧٨٠).

٥- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٢٩/٢).

المفسرين كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا في مساجدهم وكنائسهم وكانت ظاهرة ، فلما أرسل موسى عليه السلام أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلاة ، فأوحى الله إلى موسى وهارون -عليهما السلام- أن اتخذا وتخيرا لبني إسرائيل بيوتا بمصر؛ أي مساجد ولم يرد المنازل المسكونة هذا قول إبراهيم وابن زيد والربيع وأبي مالك وابن عباس وغيرهم).[1]

وذكر قتادة نفس السبب فقال: ( وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وأن يوجهوا نحو القبلة).[2]

لهذه الأسباب وما شابهها يمكن للمسلم أن يعتزل المساجد وذلك ( إذا ظهرت فتنة أدت إلى اضطهاد من يغشون المساجد وتعقبهم في أنفسهم بالاعتقال والحبس أو في أموالهم بالمصادرة وأعمالهم بالفصل، فلا تثريب على الفئة المضطهدة أن تعتزل المساجد وتصلي في البيوت لا تأسيسا على أن المساجد هي معابد الجاهلية، بل استنادا إلى الرخص المخولةللمسلم عند الضرورة والإكراه).[3]

وقد يكون هذا ما قصده سيد قطب في قوله:( وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت، وفسد الناس، وأنتنت البيئة... وهنا يرشدهم الله إلى أمور منها اعتزال معابد الجاهلية).[4]

( فوصف الأستاذ سيد المعابد بكلمة معابد الجاهلية يتطلب أن يكون هناك اضطهاد ومطاردة للمؤمنين، وأن يكون المجتمع قد نتن وفسدت بيئته مع تجبر الطاغوت كما كان الأمر في عهد فرعون ).[5] وعدم وجود أمل في الإصلاح والتغيير.

---

١- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٧١/٨).

٢- جامع البيان، الطبري(١٥٥/١١).

٣- الحكم وقضية تكفير المسلم، البهنساوي ص(٢٠٩).

٤- في ظلال القرآن ،سيد قطب(١٨١٦/٣).

٥- الحكم وقضية تكفير المسلم،البهنساوي ص (٢١٠).

جـ - إن النبيﷺ في عهد الاستضعاف قام بنشر الدعوة على كافة الأصعدة وتلمس قلوب الناس بالوعظ والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يعطلها بحجة وجوده في حال الاستضعاف.

د - أما وصف المساجد في هذه ا تمعات بأ ا مساجد الضرار فخطأ فادح يترتب عليه لوازم خطيرة، كما أن قياس مساجد المسلمين على مسجد الضرار قياس فاسد للأمور التالية:

- إذا كان هؤلاء يعتزلون المساجد بدعوى أ م في عهد الاستضعاف فإن النبي ﷺ في عهد الاستضعاف بمكة كان يطوف حول الكعبة، ويصلي قبلها وهي محاطة بأكثر من ثلاثمائة صنم ووثن، ويذهب إلى ا امع، ويغشى المواسم، ويقابل الحجيج في منازلهم وفي الأسواق ولم يعتزل ا تمع الجاهلي.

- إن أمر النبي ﷺ صحابته اعتزال مسجد الضرار ثم هدمه كان بناء على توجيه وأمر من الله تعالى مسبوق بأسباب الاعتزال ودواعيه وذلك حين أنزل عليه قوله ﷻ: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ ﴾ [ التوبة:١٠٨ ] أما النبي ﷺ فلم يشق عن قلوب الناس ليعلم الظالم من غيره لقوله: (إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم)(١)

يؤكد ذلك أن أصحاب مسجد ضرار ( أتوا النبي ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يارسول الله قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة والمطيرة، ونحب أن تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة. فقال النبي ﷺ: إني على سفر وحال شغل، فلو قدمنا لأتيناكم وصلينا لكم فيه. فلما انصرف النبي ﷺ من تبوك أتوه وقد فرغوا منه وصلوا فيه الجمعة والسبت والأحد، فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن بخبر مسجد الضرار فدعا النبي ﷺ

- - - - - - - - - - - - - - - - - - -

١- أخرجه البخاري في صحيحه(١٥٨١/٤)كتاب: المغازي، باب: بعثُ علي بن أبي طالبٍ عليه السلام وخالد بن الوليد ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع رقم(٤٠٩٤) ومسلم في صحيحه (٧٤٢/٢)كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفا م رقم (١٠٦٤) واللفظ للبخاري.

مالك بن الدخشم[1]ومعن بن عدي[2] وعامر بن الموطأ ووحشيا[3] قاتل حمزة فقال انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه).[4]

( وقد أجمع العلماء على أن من صلى في كنيسة أو بيعة على موضع طـاهر أن صـلاته ماضية جائزة وقد ذكر البخاري أن ابن عباس كان يصلي في البيعة إذا لم يكن فيها تماثيل)[5]

فماذا نقول بعد هذا لهؤلاء ؟!

وهل المساجد أسوأ حالاً من البيع والكنائس لتمنع فيها الصلاة وتقام في غيرها ؟!

## ٢- اعـتزال التعليم من خلال:

- الدعوة إلى الأميـة .
- هجر المدارس والمعاهد والجامعات.

---

١- هو مالك بن الدخشم بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي مختلف في نسبته وشهد العقبة وبدرا وما بعدها مـن المشاهد وهو الذي أسر سهيل بن عمرو يوم بدر وكان يتهم بالنفاق وهو الذى أسر فيه الرجل إلى رسول الله صـلى الله عليه وسلم.

ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٣٥٠/٣)،الإصابة لابن حجر (٧٢١/٥).

٢- معن بن عدي بن الجد بن العجلان الانصاري، من حلفاء بني مالك بن عوف من سادة الانصار كـان يكتـب العربية قبل الاسلام ،عقبي بدري مشهور وحديثه في السنن الاربعة،آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن الخطاب بـن نفيل وقتلا جميعا يوم اليمامة شهيدين في خلافة أبي بكر سنة(١٢هـ)وله عقب وشهد معن بدرا وأحـدا والخنـدق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد(٤٦٥/٣) سير أعلام النبلاء للذهبي(٣٢٠/١).

٣- هو وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم النوفلي القرشي، كنيته أبو دسمة، قاتل حمزة أسلم وقدم على رسول الله مع وفد أهل الطائف،وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يغيب وجهه عنه ، صحابي، وشهد اليمامة وقتل مسيلمة نزل حمص وكان أول من ضرب في الخمر ولبس المعصفرات بالشام.

الثقات لابن حبان (٤٣٠/٣) ،مشاهير علماء الأمصار لابـن حبـان (٥٣/١) ، ،تـاريخ مدينـة دمشـق لابـن عساكر(٤٠٠/٦٢) الكاشف للذهبي (٣٤٨/٢) الإصابة لابن حجر(٦٠١/٦).

٤- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٢٥٣/٨).

٥- المصدر السابق نفسه (٢٥٥/٨).

فقد كان من لوازم تكفير المجتمع حكاما ومحكومين ومفاصلته مفاصلة تامة نشــوء فكــرة اعتزال التعليم ومؤسساته بنــاء على مجموعة من التأويلات البعيدة عن تفسير أهل العلــم، ومقدمات عقلية استهوت فكرهم المنحرف وولدت العديد من الشبهات التي أوقعتهم بعــد ذلك في حيرة واضطراب.

فقد ابتدع مؤسس هذه الجماعة وغيره ممن وافقه في منهج التكفير سندا شرعيا لاعتزال المؤسسات التعليمية لإضفاء صفة شرعية على هذه الفكرة وإقناع الجهلة من العامة بها.

ومن النصوص الشرعية التي أولوها لتوافق هواهم وفسروها تفسيرا مخالفًا لأقوال العلماء من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن هم على منهج أهل السنة مايلي:

١- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [ الجمعة ].

( فادعوا أن هذه الآيــات تفيد التالي:

- أن المسلم يجب أن يهجر المدارس والتعليم ليتحقق فيه وصف الأمية لأنه وصف لهذه الأمــة .
- أن صفة الأميــة ليست قاصرة على عصر البعثة النبوية بل ممتدة إلى يومنا، فنحن المشار إلينا في قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ ﴾ .أي وآخرين من الأميين لما يلحقوا بالصدر الأول للإسلام ،وبالتالي يجب أن تتحقق فينا كلمة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ .وهــذه لاتكون إلا لمن كان أميــًا.
- ويدعي أمير الجماعــة أن لديه علما بتأويل جميع معاني القرآن بل وحروفه ويستمد هذا من قــوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ .

وهـذا ضرب من تفسير القرآن بغير علم ).[1]

٢- قول النبي ﷺ: ( إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا، يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين ) .[2]

يقول شكري مصطفى عن النبي ﷺ: ( أمته كلها أمـة أمية لا تكتب ولا تحسـب... ويقصد بالأمـة الأمية عموم هذه الأمة وغالبيتها، ولا مانع من وجود قراء وكتاب في هذه الأمة ولكن بقدر الضرورة ).[3]

كما يقول شكري مصطفى في سياق عرضه لجماعة آخر الزمان (... إن جماعة الحق في آخر الزمان خير أمة سوف تخرج للناس مرة ثانية. سيمتها وعمومها أ ا أمة أمية لأ ا تدخل في قول النبي ﷺ: (نحن أمة أمية) وتدخل في قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾.[ الجمعة ])[4]

٣- حديث تأبير النخل فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ مـر بقوم يلقحون فقال: ( لو لم تفعلوا لصلح ) قال: فخرج شيصا، فمر م فقال (ما لنخلكم) قالوا: قلت: كذا وكذا قال: (أنتم أعلم بأمر دنياكم) .[5]

---

١- الحكم وقضية تكفير المسلم، البهنساوي ص(٢٢٧،٢٢٨) .

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٦٧٥/٢)كتاب الصوم، باب: قول النبي ﷺ لانكتب ولا نحسب رقـم(١٨١٤) ، ومسلم في صحيحه (٧٥٩/٢) كتاب: الصوم، باب:وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال رقم(١٠٨٠)والفظ للبخاري.

٣- التوسمات ، شكري مصطفى ص (١٦) نقـلاً عن كتاب الغلو في الدين ، عبد الرحمن اللويحق ص (٤٥١).

٤- المرجع السابق نفسه ص (١٦) نقـلاً عن كتاب الغلو في الدين ، عبد الرحمن اللويحق ص (٤٤٩).

٥- أخرجه مسلم في صحيحه(١٨٣٥/٤)كتاب الفضائل،باب:وجوب امتثال ماقاله شرعا دون ما ذكره من معـايش الدنيا على سبيل الرأي رقم(٢٣٦٣) .

وفي إنكار هذه الجماعة لتعلم العلوم الدنيوية معتقدين تعارض تعلمها وتعليمها مع القيام بالواجبات الشرعية، يقول شكري مصطفى في كتابة الخلافة: ( والذي يظن أن هذه الحشود من الجهد والعلوم والمبتكرات التي تغـرق الأرض الآن أ ا قامت لعبادة الله، أو أنـه يمكن التوفيق بين بذل العمر في صنع هذه المدنية الرائعة، والدنيا العريضة المزخرفـة، وبين عبـادة الله بالصوم والصلاة والدعاء والذكر والحج والبلاغ والجهاد في الله حق جهاده، والتـلاوة لكتاب الله حق تلاوته وذكر الله تسبيحا له بكرة وأصيلاً... أقول من يظن أن تكاليف بناء المدنية الحديثة لا تتعارض مع تكاليف العبادة وأنـه كان يمكن لعلماء الغرب وبنـاة المدنية أن يكونوا عبادا لله في نفس الوقت ... من كان يظن ذلك فليشهد على نفسـه أولا بقلـة الحياء وصفاقة الوجه ثم ليفعل بعد ذلك ما شاء ).[١]

( وجملة القول فقضية منع شكري لأتباعـه من الانتساب إلى المدارس والمعاهد العلمية معروفة عند كل من تربطه ذه الجماعة أدنى صلة. وقد اعترف بذلك معظم الذين تخلوا عن هذه الجماعة ... ومما يجدر ذكره أن تحريم الدراسة ليس قاصرا على كليات الطب والهندسة، واللغـات الأجنبية، إنما يشمل الجامعات، والمعاهـد الإسلامية التي لا تدرس غير العلـوم الإسلامية لأ ا من مؤسسات الطاغوت وتدخل ضمن إطـار مساجد الضرار، فأسـاتذ ا منافقون على الإطـلاق بل مرتدون لأ م لا يؤمنون بأن هناك كفرا يخرج من الملـة، أما العلم المشروع فلا يكون إلا في الشقق التابعة للجماعة، ولا يصح تقرير منهج غير المنـهج الذي وضع أصوله وفروعه قائد هذه الجماعة ).[٢]

## - دحض شبهة اعتزال التعليم :

١- أما احتجاجهم بالآيات من سورة الجمعة فمردود عليهم من عدة أوجه منها:

-----------------------------------

١- الخلافة ، شكري مصطفى نقلاً عن الغلو في الدين ،عبد الرحمن اللويحق ص (٤٤٩)ودراسة عـن الفرق،أحمـد جلي، ص (١٣٦)وكلاهما نقل عن كتاب الحكم بغير ما أنزل الله ،نايف سرور زين العابدين، ص(٢٣٧).

٢- الحكم بغير ما أنزل الله ،محمد سـرور نـايف زيـن العابـدين ص(٢٣٨) نقـ ـلاً عـن الغلـو في الـدين، عبد الرحمن اللويحق ص(٤٥٠).

أ- عدم فهمهم أساليب القرآن الكريم حين فهموا أن المقصود بقوله تعالى: (الأميين) الأمية المحضة المرادفة للجهل، ( وأن ذلك من صفات المسلم، وتعني عندهم اعتزال الثقافات والعلوم طبقا للمفهوم الشائع والدارج لمعنى الأمية في عصرنا).[(١)]

ومعلوم خطأ هذا المفهوم ومدى مخالفته لما ورد عن المفسرين من أهل العلم والصحيح أن المراد بالأميـين ماذكره ابن عباس ﷺ حيث يقول: ( الأميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لأ م لم يكونوا أهل كتاب).[(٢)]

وقال الطبري: ( والأميين الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب).[(٣)]

فالقرآن الكريم استخدم لفظ الأميين كاصطلاح مغاير للفظ أهل الكتاب،كما جمع العرب قبل الإسلام بين وصفي:

- عدم القراءة والكتابة.
- عدم نزول كتاب عليهم، وكو م ليسوا أهل كتاب.

ب- أن الأمـة التي بعث فيها النبي ﷺ أولاهم العـرب، وبواسطتهم حصلت الدعوة لسائر الأمم؛ لأنـه إنما بعث بلسا م فكانوا أميين عامة ليست فيهم مزية علم ولا كتـاب ولا غيره ... فلما بعث فيهم ووجب عليهم اتباع ما جاء به من الكتاب وتـدبره وعقلـه والعمل به ... صاروا أهل كتاب وعلم، وصـاروا أعلم الخلق، وأفضلهم في العلوم النافعة، وزالت عنهم الأميـة المذمومة الناقصة وهي: عدم العلم والكتاب المنـزل.[(٤)]

جـ- في تفسير ابن عباس لقوله تعالى:(الكتاب) رد عليهم قولهم تقديم الجهـل على العلم

---

١- الحكم وقضية تكفير المسلم، البهنساوي ص(٢٢٨).
٢- الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي (٩١/١٨).
٣- جامع البيان لابن جرير الطبري (٢١٤/١٣).
٤- ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية(١٦٩،١٦٨/٢٥).

حيث يقول: ( الكتـاب الخط بالقلم لأن الخط فشا في العرب بالشرع لمـا أمـروا بتقييده بالخط).[1]

وفي هذا القول إشارة قوية إلى أن الإسلام كان سببا مباشرا في التعليم قراءة وكتابة وليس العكس كما يدعي هؤلاء، بل إنه ينقض قولهم في العودة إلى الجهل والأمية التي كان عليها الناس قبل الإسلام.

والتي أشـار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبۡلُ لَفِی ضَلَـٰلࣲ مُّبِینٍ﴾ [ آل عمران:١٦٤]، فهذا نص صريح أن الناس كانوا ( قبل أن يرسل إليهم الرسول في ضلال مبين أي في ذهاب عن الحق )[2] مما يؤكد أن الإسلام والعلم متلازمان وإنما بعث النبي ﷺ ليدعو إلى الله بالعلم فقال تعالى:﴿ قُلۡ هَـٰذِهِۦ سَبِیلِیۤ أَدۡعُوۤا۟ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِیرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِیۖ﴾[ يوسف:١٠٨].

د- فإذا احتجوا بأن النبيﷺ لم يتعلم ويعلم صحابته إلا القرآن والسنة. فهل لنا أن نسألهم وما هو مضمون الكتاب والسنة ؟

أليس دستور حياة شامل واف لكل متطلبات النفس البشرية والجماعة عامة ؟

أليس هذا هو المنهج الذي سار عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومن بعدهم من الخلفاء الصالحين ممن قاد الأمة في الفتوحات الإسلامية،والمكتشفات العلمية ؟

ألم تنص الآية الكريمة التي استشهدوا ا على أن التعليم من أولى وأهم مسئوليات النبي الكريم فقال ﷻ: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾[ البقرة: ١٣٩] .

والأمية بمعنى عدم القراءة والكتابة مذمومة فقـال تعـالى: ﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّیُّونَ لَا یَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ إِلَّاۤ أَمَانِیَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا یَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .[ البقـرة ]

-----------------------------------

١- الجامع لأحكام القرآن،القرطبي (٩٢/١٨).

٢- المصدر السابق نفسه (٩٢/١٨).

كما ذم الله تعالى اليهود في الآيـات التالية لما استشهدوا بـه في سورة الجمعة فقال ﷻ:
﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ . [ الجمعة:٥ ]
ولولم تكن الأمية مذمومة لم يأت النبي ﷺ لمحوها واعتبار العلم أساس الإيمان وأول شروط كلمة التوحيد (لاإله إلا الله) .

كما أعلن ارتباط الإسلام بالعلم من أولى لحظاته في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [ العلـق:١ ].

**الأميـة الممدوحـة خاصـة بالنبي ﷺ:**

ولكنها ممدوحة في حق النبي ﷺ حيث (كان أميا لم يقرأ من كتاب ولم يتعلم ﷺ قال الماوردي: فإن قيل ما وجه الامتنان فإن بعث نبيا أميـًا ؟

فالجواب عنه من ثلاثـة أوجـه:

**أحدها:** لموافقته ما تقدمت به بشارة الأنبياء .

**الثاني:** لمشاكلة حاله لأحوالهم فيكون أقرب إلى موافقتهم.

**الثالث:** لينتفي عنـه سوء الظن في تعليمه ما دعى إليه من الكتب التي قـرأها والحكم التي تـلاها.

ثم يقول القرطبي معلقـًا: ( وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته).[1]

ولبيان الفرق بين أميـة النبي ﷺ وأمية غيره يقول ابن تيمية: ( وأُميته لم تكن من جهة فقد العلم والقراءة عن ظهر قلب، فإنه إمام الأئمة في هذا، وإنما كان من جهة أنه لا يكتب ولا يقرأ مكتوبا كما قال تعالى فيه:﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾
[ العنكبوت: ٤٨].

---

١- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(٩٢/١٨).

... وصارت أميته المختصة به كمالاً في حقه من جهة الغنى بما هو أفضل منـها وأكمـل، ونقصا في حق غيره من جهة فقده الفضائل التي لا تتم إلا بالكتابة).[1]

هـ- تدعي هذه الجماعة أ م المعنيون ذه الآية في قوله تعـالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ وأن أميتهم ستجعل منهم الآخـرين الذين يدركون الأوائل السابقين، ولكن هذه الآيـة نفسها ترد عليهم بأن عدم سيرهم على نفس المنهج في التعليم يفقدهم هذه المكانة ويتضـح ذلك في تفسير القرطبي لهذه الآيـة حيث يقول في تفسير قوله تعالى:(﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ ﴾ هو عطف على الأميـين أي بعث في الأميين وبعث في آخـرين منهم ، ويجوز أن يكـون منصوبا بالعطف على الهاء والميم في يعلمهم ويزكيهم أي يعلمهم ويعلم آخرين من المؤمنين؛ لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مسندا إلى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه لما يلحقوا م أي لم يكونوا في زما م وسيجيئون بعدهم).[2]

٢- أما احتجاجهم بحديث رسول الله ﷺ(نحن أمة أمية. . .الحديث) فمردود عليه من أوجـه:

أ- أن ( قوله (نحن أمة أمية) ليس على سبيل الطلب، فإ م أميون قبل الشريعة كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾.[ الجمعة ] وقال: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ [ آل عمران: ٢٠] فإذا كانت هذه صفة ثابتة لهم قبل المبعث لم يكونوا مأمورين بابتدائها وإن أمروا بالبقاء على بعض أحكامها).[3]

ب- أن الأمية في هذا الحديث ليس على سبيل الإطلاق والعموم ولو كان كذلك لكان

---

١- مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٢/٢٥).

٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩٣/١٨).

٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦٦/٢٥).

لهؤلاء حجة، ولكن الحديث جـاء بالتقييد المخصص حيث قرن ﷺ بين الأمية في الكتابـة والحساب وعدة الشهور فقال: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا، يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين) .[1]

فبين أن المراد به أنا لا نحتاج في أمر الهلال إلى كتاب ولا حساب إذ هو تارة كـذلك وتارة كذلك ، والفرق بينهما هو الرؤية فقط وبذلك يظهر أن الأمية المذكورة في الحديث صفة مدح وكمال من وجوه :

- الاستغناء عن الكتابة والحساب بما هو أبين وأظهر وهو الهلال.

- أن الكتابة والحساب يدخلهما الغلط بعكس الرؤية.

- أن في الكتابة والحساب تعبا كثيرا بلا فائدة، وشغلاً عن المصالح إذ هو مقصود لغيره لا لنفسه.[2]

جـ -ومما يدحض قولهم في اعتزال العلوم غير الشرعية مثل التطبيقية والتجريبية:

- أن أخبر الله ﷻ في كتابه العزيز عن تعلم الحساب في موضعين فقال: ﴿ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾ [ يونس: 5]
- ( أن النبي ﷺ قـد بعث بعلم الفرائض – وهو فقه المواريث- التي فيها مـن الحساب مافيها.
- ثبت عنهﷺ أنه حاسب عامله على الصدقة فعن أبي حميـد السـاعدي قـال: (استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية[3]، فلما

---

١- سبق تخريجه ص(٤٢٥) .

٢- ينظر:مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٧٤،١٧٣/٢٥) .

٣- هو عبد الله بن اللتبية بن ثعلبة الأزدي، ذكر في حديث أبي حميد الساعدي في الصحيحين غير مسمى وذكر اسمه جمع من العلماء. ينظر: الإصابة لابن حجر(٢٠٢/٦).

جاء حاسبه ) .[1]

وكان له كُتاب عدة، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد ومعاوية- يكتبون الوحي والعهود، وكتبه إلى الناس ).[2]

- كما حرص النبي ﷺ على تعلم بعض أفراد أمته لغة غير العربية لتحقق الكفاية عند المسلمين، ويستغنوا عن غيرهم فقد جاء عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمره بأن يتعلم كتاب اليهود قال: (حتى كتبت للنبي كتبه، وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه ).[3]

٣- واحتجاجهم بحديث تأبير النخل وما شابه من الأحاديث ؛ فهو حجة عليهم وليس حجة لهم فقوله:(أنتم أعلم بأمر دنياكم )[4] وإقرارهم على ذلك صريح في جواز تعلم المسلم شؤون حياته الدنيوية مالم تتعارض مع أصول شرعية .

## - الجماعة التي أطلقت على نفسها اسم(الجماعة السلفية) :

ويؤيد جماعة التكفير والهجرة في بعض أفكارها ونظرا للتعليم النظامي الجماعة التي أطلقت على نفسها اسم"الجماعة السلفية"، وهي الجماعة التي ظهرت في بلاد الحجاز ودخلت المسجد الحرام عنوة، واعتصمت به في أول المحرم سنة واحد وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق العشرين من نوفمبر سنة ألف وتسعمائة وتسع وسبعين من الميلاد، وكان من مبادىء هذه الجماعة كره المدارس والمعاهد والجامعات : ففي رسالة "دعوة الإخوان " تحت عنوان " المفاسد والتلبيسات في المدارس والمعاهد والجامعات" يقول الكاتب: ( إن المدارس والمعاهد والجامعات مليئة بجلساء السوء وأن الطلاب يحصلون على الشهادات العلمية

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه (٥٤٦/٢)كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى (والعاملين عليها) رقم (١٤٢٩)، ومسلم في صحيحه مطولا(١٨٣٢/٣)كتاب: الإمارة، باب: تحريم هدايا العمال رقم (١٨٣٢) اللفظ للبخاري.

٢- ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦٦/٢٥،١٦٧).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤/٩)كتاب: الأحكام، باب: ترجمة الأحكام بدون رقم.

٤- سبق تخريجه ص(٤٢٥).

ليحصلوا بها على الوظيفة لا لينصروا دين الله، وأن المدرسين أكثرهم فسقة؛ لأنهم يحلقون لحاهم ويتركون الصلاة ويشربون الدخان، ولا يشغل المدرس وظيفة إلا إذا قدم من مسوغات التعيين صورا فوتوغرافية له والصور محرمة؛ فهو قد اجترأ على الإثم من قبل أن يقوم بواجب العلم ويصرح الكاتب بما نصه: ( أنا أجزم أن الدارسين والمدرسين والمدراء آثمون).[1]

ومن آثار عزلتهم أخذ العلم من الكتب دون العلماء حيث يقول رئيسهم جهيمان[2]: ( إن التعليم يكون على يد داعية كما كان الحال في الأزمان الأولى من قبل المدارس النظامية، وإذا تفقه الطالب وقدر على تحصيل العلم بنفسه فليقرأ من الكتب وليأخذ منها الحق بدليله من غير تعصب ولا تحيز إلى مذهب أو طائفة أو مسلك إلا ما كان عليه رسول الله ﷺ .

ويقول مصرحا باكتفائهم في العلم بالكتب دون العلماء: ( فنظرنا في طلبة العلم في القصيم فوجدناهم قراء وليسوا بعلماء، وينصرون المذهب وما عليه أهل المذهب، ويجهلون من خالف ذلك ولو كان على سنة ...عند ذلك عزمنا واستعنا بالله فأخذنا نجمع من كتب أهل العلم والمتون والشروح والتفاسير وكتب اللغة ، فنأخذ منها الحق بدليله من غير تعصب و لا تحيز إلى مذهب أو طائفة أو مسلك إلا ما كان عليه رسول الله ﷺ ، ونعلم أن الخير والنصر في اتباعه). [3]

---

١- الخوارج الحروريون ومقارنة مبادئهم بمباديء الفرق الإسلامية،أحمد حجازي السقا،مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة. ص(٧٣،٧٤).

٢- هو جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي،قائد جماعة سلفية الحرم،ذم الحاكم وعلماء الدين وسخر منهم،وادعى خروج المهدي ،دخل المسجد الحرام مع جماعته عنوة بالسلاح فقتل وجرح،حكم عليه بالإعدام سنة١٤٠١هـ ، له عدة كتب ورسائل منها:"الإمارة والبيعة والطاعة"و"الميزان لحياة الإنسان"و"دعوة الإخوان" ينظر:الخوارج الحروريون،أحمد حجازي السقا ص (٦٨).

٣- الخوارج الحروريون، أحمد حجازي السقا ص(٧٦).

### ٣- اعتزال العمل في الوظائف الحكومية :

من آثار الغلو الذي مارسته هذه الجماعات على اختلاف مناهجها ومسميا ا اعتـزال العمل الحكومي زاعمين أن المشاركة فيها خدمة للحكام والحكومات الكافرة وا تمعـات الجاهلية،فيقول ماهر بكري: ( كل الأعمال حلالها وحرامها في هذا ا تمع الجاهلي لابد أن تصب في النهاية في مصب واحد ، هو خدمـة ودعم بناء هذا ا تمع الكافر، فانظر مبلـغ إثم الذي رضي بمعايشة الكفار والمكوث في ظهرانيهم، وقد أخـذ على نفسه أن يعمل أتفه الأعمال وأقلها قيمة ).[١]

ويقول شكري مصطفى بعد أن سرد مجموعة من الأعمال التي يقوم ا الناس: ( كـل ذلك... إنما هو سلطان الطاغوت ودائرة اختصاصه ومواد ألوهيته. والداخلون في نظامه هم عبيده وسدنة محرابه. وإنه لا شيء مما ذكرنا - ولا قشة ترفع في الطرق بأمر البلدية- في بلد الطاغوت إلا وهي داخلة في إلاهيته).[٢]

ويصرح جهيمان بأن جماعته فارقت وظائف الحكومة قائلاً: (فارقنا أهـل الوظـائف والمتعلقين بأذيال الحكومة وبقينا مع الحق... ويعلل السبب في ترك وظائف الحكومة بقوله: إن مخالطة الناس لا بـد فيها من إنكار المنكر، فإن سكت وأنت تستطيع أن تنكر بلسانك فسكوتك منكر لا يجوز لك. وهذا يستلزم منك عدم حضور المنكر لئلا تراه وتسكت عنه فتقع في منكر وهو السكوت).[٣]

والحق أن إنكار المنكر أمر مطلوب شرعا كما أن الحماس للدين والغيرة عليه إيمان، والمؤمن يغار أن تنتهك حرمات الله، والله أغير من عباده، وبئس الرجل لا يغار على حرمات الله ولا يتحرك قلبه إذا رأى معصية لا يستطيع تغييرها ، وكان من منهج السلف الصالح عند رؤيـة

---

١- الهجرة ، ماهر بكري ص(١٠) نقـلاً عن الغلو في الدين، عبد الرحمن اللويحق، ص(٥٢٥).
٢- الخلافـة ، شكري مصطفى (١٣/٦) نقـلاً عن الغلو في الدين، عبدالرحمن اللويحق ص(٥٢٦).
٣- الخوارج الحروريون،أحمد حجازي السقا (٧٣،٧٢).

المنكر ضبط النفس والتروي في الحكم وعـدم الاستعجال المفضي إلى المنازعة يقول سفيان الثوري-رحمه الله- :(إني لأرى الشيء يجب علي أن أتكلم فيه فـلا أفعل،فأبول دمـًا).[1]

فيا لله أين حالنا من حال سفيان ﷺ ؟! وما حدث من هاتين الطائفتين إنما هو من الجهل والحماس الزائف والتعصب الذي يتعدى فيـه المؤمن ويطغى فيقع في الحرام من تكفير وتفسيق وقتل وتفجير وهو يظن أنه يحسن صنعا.

ونختم بهذه الكلمات للإمام الشوكاني حيث يقول: ( هنا تسكب العبرات وينـاح على الإسلام وأهله بما جنـاه التعصب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر لا لسنة ولا لقـرآن ولا لبيان من الله ولا لبرهـان، بل لما غلت مراجـل العصبية في الدين وتمكن الشيطان الرجيم من تفـريق كلمة المسلمين ، لقنهم إلزامـات بعضهم لبعض بما هو شبيه الهباء في الهواء والسراب البقيعة ، فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة التي هي من أعظم فواقر الدين والرزية التي ما رزىء بمثلها سبيل المؤمنين ... وبعد ذكره للعديد من الأدلة المشـتملة على الترهيب العظيم من تكفير المسلمين والأدلة الدالة على وجـوب صيانة عرض المسـلم واحترامه يقول : وهذا يدل بفحوى الخطاب على تجنب القدح في دينه بأي قادح فكيـف إخراجـه عن الملة الإسلامية إلى الملة الكفرية؛ فإن هـذه جنايـة لا تعدلها جناية وجـرأة لا تماثلها جرأة، وأين هذا المجترىء على تكفير أخيه من قـول رسـول الله ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) .[2] وهو ثابت في الصحيح ومن قول رسول الله ﷺ الثابت عنه في الصحيح أيضا (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) . [3]

---

١- سير أعلام النبلاء ، للذهبي (٢٤٣/٧).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(١٤/١)كتاب: الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه رقم (١٣).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه (٨٦٢/٢)كتاب: المظالم، باب لا يظلم المسلم المُسلم ولا يسـلمه ،رقـم(٢٣١٠) و(٢٥٥٠/٦)كتاب: الإكـراه، باب يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل، رقم(٦٥٥١)، ومسـلم في صحيحه (١٩٩٦/٤)كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم رقم(٢٥٨٠) واللفظ للبخاري.

ومن قول رسول الله ﷺ الثابت عنه في الصحيح أيضا (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر).[1]

ومن قول رسول الله ﷺ (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام).[2] وهو أيضا في الصحيح ).[3]

## خلاصة الفصل الثاني: العزلة عند الخوارج :

- تعد فرقة الخوارج أول البدع ظهورا فى الإسلام وأظهرها ذما فى السنة والآثار.
- يطلق اسم الخوارج على كل خارج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه،وليس قاصرا على المُحكمة الأولى.
- من أبرز صفا م التي ساهمت في نشأة الفرقة كثرة قراءة القرآن مع سطحية في الفهم،وتفسير النصوص على جهل،وظهور سيما الصالحين عليهم،مع كثرة الصلاة،ويقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.
- الجذور التاريخية للخوارج بدأت في زمن النبي ﷺ وما كان من ذي الخويصرة وطعنه في قسم النبي ﷺ .

- ثم تلا ذلك خروج جماعة على علي بن أبي طالب في معركة صفين،وتكفيره وتكفير من خالفهم ومن هنا كان ظهور الخوارج كفرقة مستقلة ذات آراء واعتقادات خاصة ا مبناها الطعن في السنة بعد حادثة التحكيم.

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٧/١)كتـاب:الإيمان،بـاب:خـوف المـؤمن مـن أن يحـبط عملـه وهـو لا يشعر،رقم(٤٨)، و(٢٢٤٧/٥)كتاب: الأدب،باب:ما ينهى من السباب واللعن رقم(٥٦٩٧) و(٢٥٩٢/٦)كتاب: الفتن،باب قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض رقم(٦٦٦٥)، ومسـلم في صـحيحه (٨١/١) كتاب: الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم رقم(٨) واللفظ للبخاري.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(٣٧/١) كتاب: العلم،باب:قول النبي ﷺ :(رب مبلغ أوعى من سامع) رقم(٦٧)، ومسلم في صحيحه(١٣٠٦/٣)كتاب:القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الـدماء والأعـراض والأموال ، رقم(١٦٧٩) واللفظ للبخاري .

٣- السيل الجرار (٥٨٤،٥٨٥/٤).

- المرحلة الثالثـة في العصر الحديث ظهرت جماعات غالية جت ـج الخـوارج في التكفير بالمعصية، والخـروج على الولاة مثل جماعـة التكفير والهجرة في مصـر، والأباضيـة في سلطنة عمان والشمال الإفـريقي، وسلفية الحرم في المملكة العربية السعودية.

- يذكر الكتاب العـديد من أوجـه التوافق الواضح بين منهج الخوارج الأوائـل والجماعات المتطرفة الغالية في هذا العصر في كثير من الآراء والاعتقادات والأفكـار وإن اختلفت الدوافع والأهداف.

- يعرض هذا الفصل أوجه العزلة التي مارستها الفرقة قديما وحديثًا وما ترتب على هذه العزلة من مفارقة لجماعة المسلمين ومحققة لأهداف الأعداء مبتعدة عن أي توجيـه كريم من الكتاب والسنة،ونصيحة علماء المسلمين وقاد م.

# الفصل الثالث: العزلة عند المعتزلة

- تعريف المعتزلة.

- الروافد التي ساعدت على ظهور المعتزلة.

- ملامح وحدة الأصول والأهداف بين المدرستين.

- سبب الاعتزال عند المعتزلة القدماء والمحدثين.

- مواطن الاعتزال عند المعتزلة:

* أولاً: الإنكار والتكذيب.

* ثانيًا: النفي والتأويل لصفات الباري ﷻ

* ثالثًا: التشكيك والتجريح.

# الفصل الثالث: العـزلة عند المعتزلة

(كان المسلمون على مابعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول).[١]حتى حدثت الفتنة في عهد عثمان بن عفان ﷺ ومانتج عنها من قتـال بين المسلمين ومن ثم خروج أول فرقـتين في تاريخ الإسلام الخوارج والشيعة.

ثم حدثت بدعـة القدرية والمرجئة في أواخر عصر الصحابة والتابعين فأنكروها وحذروا من أهلها وتبرؤا منهم؛ وهكذا تتابعت الفتن وظهور البدع كلما بعدت عن زمن النبوة ومكانها فظهرت في العراقين ومصر والشام.

فالبصرة والكوفـة كانت مجاورة لبلاد فـارس التي انتشرت فيهـا المجوسـية[٢]بفرقهـا المتعـددة كالثنوية[٣] والزرادشتية[٤] والمانوية[٥] والمزدكية[٦] وغيرها.

---

١- منهاج السنة، لابن تيمية (٣٠٦/١).

٢- المجوسية :وهم القائلون بأصلين مدبيرين قديمين النور والظلمة،والمجوس الأصلية زعموا أن الأصـلين لا يجـوز أن يكونا كذلك بل النور أزلي والظلمة محدثة ويخرجون بعض الحوادث عن خلق الله وقدرته ويجعلون له شريكا في الملك وهم يعظمون النار لعدة معاني وهي قبلة لهم ووسيلة وإشارة كما اهتمـوا ببنـاء بيـوت الـنيران ومـن فـرقهم الكيومرثية،الزروانية،الزردشتية،الثنوية.

ينظر: الملل والنحل للشهرستاني(١٤٧/١)،اقتضاء الصراط لابن تيمية(٢١٩/١)منهاج السنة لابن تيمية(٢٤٠/١)

٣- الثنوية من فرق المجوس القائلين بتكافؤ الادلة ،وأن الله فاعل العدل لا يقدر على فعل الجور والكذب ،كما تـذم الثنوية الظلمة على فعل الشر مع قولها بان الظلمة لا تستطيع فعل الخير ولا تقدر الا على الشر. ينظر: الفـرق بـين الفرق(١١٣/١).

٤- الزرادشتية: هي ديانة دولة إيران لثلاث امبراطوريات متعاقبة،ثم اضطهد أتباعها فاستقروا في شمال الهنـد حيـث يعرفون باسم الفرثيين،والملامح الأساسية للديانة التي تتركز حول النار هي الطهارة البدنية والخلقيةوهي ديانـة ثنائيـة التأليه،و للزرادشتية أهمية تاريخية بسبب تأثيرها العميق في اليهودية والمسيحية والإسلام.

ينظر:المعجم الموسوعي،سهيل زكار(٤٥٨/٢).

٥- المانوية القائلون بأن النور يأمر أشكاله المختلفة بالظلمة يفعل الخير وهي مما لا تقدر على الشر ولا يصح منها فعل الشرور. ينظر:الفرق بين الفرق للبغدادي(١١٧/١).

٦- المزدكية: وهم الذين استباحوا المحرمات وزعموا ان الناس شركاء فى الاموال والنساء ودامت فتنة هـؤلاء الى أن قتلهم انوشروان فى زمانه .ينظر:الفرق بين الفرق للبغدادي(٢٥١/١).

ومصر والشام عمت فيها اليهودية والنصرانية كما تبنت العديـد مـن آراء الفلاسـفة[1] الطبيعيين والإلهيين؛ أمثال أرسطو[2] وأفلاطون[3] وسقراط[4] وغيرهم.[5]

ومع توسع رقعـة العالم الإسلامي وانتشاره في هذه البلدان كان لزامـا على المسلمين التعامل والاحتكاك مع أهلها في ثقافا م وعقائدهم التي ترسبت في وجدا م وأصبحت جزءًا من حيا م، متبلورة في سلوكهم بقصد أو من غير قصد، لاسيما أن هناك من دخل الإسلام من باب الكيد لأهله والطعن فيه باسم الإسلام بحجة التشيع لعلي بن أبي طالب تارة، وبحجة الدفـاع عن الإسلام تارة أخرى في مواجهة أديان وحضارات أخرى من خلال مناظرات ومجادلات انتهت بنقل هـذه الأفكار وتبادلها وتبنيها من قبل رجال اغتـروا بعقولهم وفُتنوا بالفلسفات الوثنية والمباحث الإلهيـة؛ مما كان له أثـرا سلبيا وسيئًا على عقيدة أهل السنة والجماعة.

أولئك هم رجال المعتزلة الذين عرفوا على مر التاريخ بأصحاب المدرسة العقلية لتقديمهم العقل على النقل وجعلوا الأول حاكما على الثاني من خلال العديد من الآراء الاعتقادية التي تلقوها عن اليهود والنصارى والفلاسفة الملاحدة دون تحكـيم للعقـل وهـم يدعونـه.

---

١- سبق التعريف ـذه الطائفة ص (٤٧).

٢- هو أرسطو طاليس من أهل "اسطاخرا" المقدم المشهور والحكيم المطلق والمعلم الأول سمس بذلك لأنـه واضـع "التعاليم المنطقية"ومخرجه من القوة إلى الفعل ،وكتبه في الطبيعيات ،والإلهيـات،ووالأخلاق ولهـا شـروح كـثيرة. ينظر : الملل والنحل للشهرستاني (١١٥/٢).

٣- هو أفلاطون بن أرسطن بن أرسطو قليس من "أثينية" وهو آخر المتقدمين الأوائل الأساطين ،معروف بالتوحيـد والحكمة ،أخذ العلم من "سقراط" و"طيماوس" قال : أن للعلم محدثا مبدعاأزليا واجبا ،وعبر عنه "بـالهيولى" وهـو صاحب فكرة المدينة الفاضلة.

ينظر : الملل والنحل للشهرستاني (٨٤/٢).

٤- هو سقراط : الحكيم الفاضل الزاهد من أهـل "أثينيـة" مـن الفلاسـفة الإلهـيين ،اقتـبس الحكمـة مـن "فيثاغورس"و"أرسالاوس" واقتصر من أصنافها على"الإلهيات"و"الأخلاقيات"واشتغل بالزهد ورياضة النفس و ـذيب الأخلاق،وله أقوال في مسائل الحكمة العلمية والعملية.

ينظر : الملل والنحل للشهرستاني(٨٠/٢).

٥- ينظر: منهاج السنة، ابن تيمية(٣٢١/١).

## تعريف المعـتزلة:

لقد تعرفنا في بداية هذا البحث على معنى العزلة والاعتزال في اللغـة، وهو مأخوذ مـن اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنحى عنه.

فالاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون.(١)

وفي الاصطلاح: هو اسم يطلق على فرقـة ظهرت في الإسلام في أوائل القـرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفًا في بحث العقائد الإسلامية،(٢)وهم أصحاب واصل بن عطـاء الغـزال(٣) الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري.(٤)

## أصـل التسمية:

لتسمية المعتزلة بهذا الاسم علاقـة قوية بظهور الفرقة وطريقة مفاصـلتها، ومـن ثم في الأساس الذي بنت عليه أفكارها ومنهجها .

وقد اختلف الباحثون في أصل هذه التسمية على عـدة أقوال، إلا أن أرجحهـا هـو التفسير الشائع لدى دارسي الفـرق والذي يفيـد أن كلمة المعـتزلة لفظ أطلقه علـيهم أهل السنة كمؤشر على الانفصال عنهم في مسألة مرتكب الكبيرة ومفارقة مجلس الحسـن البصري.

يقول الشهرستاني في: (القاعدة الثالثة: القول بالمنـزلة بين المنزلتين والسبب فيه أنه دخل

---------------------------

١- ينظر: لسان العرب،لابن منظور (٤٤٠/١١)،القاموس المحيط،للفيروزآبادي(١٣٣٣/١)، محـيط المحـيط،للمعلم بطرس البستاني ص(١٣٩١).

٢- ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، عرفات عبد الحميد، ص(٨٣) نقلاً عن المعتزلة وأصولهم الخمسـة، عواد المعتق ص(١٤).

٣- هو واصل بن عطاء الغزال الألثغ المولود سنة ٨٠هـ ، وتتلمذ على الحسن البصري، ولم يفارقـه إلى أن أظهـر مقالته في المنزلة بين المنزلتين، وهو مؤسس فرقة المعتزلة (ت:١٣١).

ينظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص(٢٧)، الملل والنحل للشهرستاني ص(٤٠/١)، شذرات الذهب عبد الحي ابـن الصماد الحنبلي (١٨٢/١).

٤- التعريفات، للجرجاني، ص(٢٨٢/١).

واحـد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقـد ظهرت فى زماننا جماعـة يكفّرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج بـه عن الملة وهم وعيديـة الخوارج وجماعـة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل عـلى مذهبهم ليس ركنا من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقادا.

فتفكر الحسن فى ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقـول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافر مطلقًا؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن فقـال الحسن اعتزل عنا واصل فسمى هو وأصحابه معتزلة).[1]

ويقول البغدادي في سبب التسمية: ( ثم حدث في أيام الحسن البصري خلاف واصل بن عطاء الغزال في القدر وفى المنـزلة بين المنـزلتين وانضم إليه عمرو بن عبيد بن بـاب[2] في بدعته فطردهما الحسن عن مجلسه فاعتزلا عن سارية من سواري مسجد البصرة فقيل لهمـا ولاتباعهما معتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمـة في دعواها أن الفاسق من أمـة الإسلام لا مؤمن ولا كافـر )[3]

كما وافقهما المسعودي حين يقول: ( وأما القول بالمنـزلة بين المنزلتين، وهو الأصـل الرابع ، فهو أن الفـاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقًا ... إلى أن

---

١- الملل والنحل، (٤٢/١).

٢- هو عمرو بن عبيد بن باب البصري العابد الزاهد المعتزلي القدري مولى بني تميم، ولد سنة ٨٠هـ وتـوفي سـنة ١٤٢هـ كان جده من سبي كابل، عاش في البصرة، وعاصر واصل بن عطاء، وانضم إليه وآزره عند خروجه علـى الحسن، قال في العبر قال الحسن رأيته في النوم يسجد للشمس وقال ابن الأهدل لما اعتزل واصل بـن عطـاء مجلـس الحسن وطرده تحول إليه عمرو فسموا معتزلة، وكانت له جرأة فإنه قال عن ابن عمر هو حشوى فانظر هذه الجـرأة والإفتراء عامله الله بعدله وهو مؤسس فرقة العمروية من المعتزلة.

ينظر:الفرق بين الفرق،للبغدادي (١١٨) ، لسان الميزان لابن حجر (٣٢٦/٧).

٣- الفرق بين الفرق ص (٢٨،٢٧).

قال: و ـذا الباب سميت المعتزلة).[1]

ويؤكد ابن تيمية أن هذه القصة هي السبب في التسمية قائلا: ( وقالت طائفة: نقول هو فاسق لا مؤمن ولا كافر نـنـزله مـ لة بين المنـزلتين وخلدوه في النار واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه- رحمه الله تعالى- فسموا معتزلة)[2]

ومن مجموع هذه الأقوال تتجلى أوجه المفاصلة والاعتزال عند المعتزلة عن منهج أهل السنة والجماعة نستخلصها من النقاط التالية:

١) نستخلص من قوله: ( فتفكر الحسن فى ذلك وقبل أن يجيب قال واصـل بن عطاء: أنا لا أقول... ) .

أن واصل عزل قول الإمام المبني على الكتاب والسنة، وقدم قوله المبني على الرأي وعلى قاعدة ضرورية؛ وهي استحالة الجمع بين النقيضين التي بنى عليها شبهة أن الإيمـان لا يتجزأ ولا يتبعض . إلا أنه لم يلتزم بلازمها كما فعلت الخوارج.

٢) ومن قوله ( أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافر مطلقًا؛ بل هو في منـزلة بين المنـزلتين لا مؤمن ولا كافر ).

أنه عزل مرتكب الكبيرة عن زمـرتي المؤمنين والكافرين معتزلاً بذلك نصوص الكتاب والسنة عن الحكم في شأنه.

٣) ومن قوله: ( فقال الناس فيهما إ ـما قد اعتزلا قول الأمة ).

اعتزال هذه الطائفة قول الأمـة بأسرها في مرتكب الكبيرة، وهم بذلك عزلوا الإجماع القائم على نصوص عديدة من الكتاب والسنة في تقرير هذه المسألة .

---

١- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبي الحسن علي المسعودي ، ١٣٤٦هـ ، المطبعة البهية- القاهرة،(١٥٤/٣).

٢- مجموع الفتاوى (١٨٣/٣).

وعلى ذلك يصدق تسمية هؤلاء بالمعتزلة سواء كان القائل هو الحسن -رحمه الله- حين قال:( اعتزلنا واصل ) أم قول الناس حين قالوا: ( إنما قد اعتزلا قول الأمة) .

فما حدث من واصل بن عطاء في مجلس الحسن البصري لم يكن بالأمر المفاجيء، أو الطاريء في تلك اللحظة؛ وإنما سبق ذلك مخالفة فكرية تشرها عن معبد الجهني[1] وغيلان الدمشقي.

فالمعتزلة متمثلة في واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد اعتزلت كتاب الله وسنة نبيه ﷺ في هذه المسألة وخالفوا جماعة المسلمين بهذه العقيدة الدخيلة على أهل الإسلام، فقد سبق اعتزال واصل ورفيقه مجلس الحسن البصري عزلة فكرية، تدرجت لتصبح عزلة حسية؛ اقتضت مخالفة الأمة متمثلة في الحسن البصري وخروج على عقيدة المسلمين في صورة فرقة مستقلة بأفكارها وآرائها الاعتقادية واعتزال جماعتهم اعتقادا وقولاً وعملاً.

وبذلك عزل المعتزلة مصادر التلقي المعتمدة عند أهل السنة والجماعة عن تقرير مسائل العقيدة، وخرجوا عن مناهج الاستدلال في أصول الاعتقاد إلى مناهج جديدة استحدثوها وابتدعوها؛ فعزلوا الكتاب والسنة والإجماع واتخذوا مصادر أخرى للتلقي تعد هي **الروافد التي ساعدت على ظهور المعتزلة** وعززت آرأهم الاعتقادية في المجتمع الإسلامي ومنها:

---

١- معبد بن عبد الله بن عكيم الجهني القدري أول من تكلم في القدر بالبصرة ورأسا فيه ،ويقال إنه أخذه عن رجل من النصارى وكان عابدا ،زاهد، صدوقا ثقه في حديثه وقال الحسن البصري: إياكم ومعبدا فإنه ضال مضل، قدم المدينة فأفسد بها ناسا ،قتله عبد الملك سنة(٨٠هـ) وصلبه بدمشق.
ينظر: تهذيب الكمال للمزي(٢٤٨/٢٨) ، البداية والنهاية لابن كثير (٣٤/٩).

**أولاً - آراء الفـرق الأخرى** والتي سبقت في ظهورها المعتزلة ومحاولة الخروج بحلول وسط، فقد شغلت مسألة مرتكب الكبيرة طوائف المجتمع الإسلامي كـالخوارج بطوائفها المختلفة والمرجئة وتباينوا في الحكم عليه وصاروا على فرق:

- فرقة الأزارقة مـن الخوارج تزعم أن كل مرتكب لذنب صغير أو كبير مشرك بالله،
- وقالت الصفرية كقولهم غير أنهم خالفوا الأزارقة فى الاطفال.
- وزعمت النجدات من الخوارج أن صاحب الذنب الذى أجمعت الأمة علـى تحريمـه كافر مشرك وعذروا بالجهل.
- وكانت الأباضية من الخوارج يقولون أن مرتكب ما فيه الوعيد مع معرفته بـالله ﷻ وبما جاء من عنده كافر كفران نعمة وليس بكافر كفر شرك.
- وزعم قوم من أهل ذلك العصر أن صاحب الكبيرة من هذه الأمة منافق والمنافق شر من الكافر المظهر لكفره.

وكان علماء التابعين فى ذلك العصر مع أكثر الأمة يقولون إن صاحب الكبيرة من أمـة الاسلام مؤمن؛ لما فيه من معرفته بالرسل والكتب المنـزلة من الله تعالى ولمعرفته بأن كل ما جاء من عند الله حق، ولكنه فاسق بكبيرته وفسقه لا ينفى عنه اسم الايمان والإسلام وعلى هذا القول الخامس مضى سلف الأمة من الصحابة وأعلام التابعين.[1]

فأراد واصل أن يجمع الفرق على قول واحد؛ فخرج عنهم برأي مخالف وزعم القول بالمنزلة بين المنزلتين ظنا منه أنهم بذلك قد أوجدوا حلولاً وسطًا للقضاء على المشاكل الدائرة بـين طوائف المسلمين وتجمع الأمة؛ إلا أن الأمور تفاقمت للأسوأ، وولدت فرقـة جديدة كان أول آرائها الاعتقادية مسألة مرتكب الكبيرة التي تمثل الأصل الرابع من أصولهم.

## ثانيا - الدفاع عن الدين الإسلامي ونشره :

كما حاول المعتزلة وضع حلول لمشاكل المجتمع الإسلامي مثـل مسألة مرتكب الكبيرة

---------------------------

١- ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص(١١٥،١١٦).

ومسألة الخلافة، ووضع الكتب في الرد على المخالفين،كذلك أخذت المعتزلة على عاتقهـا مهمة الدفاع عن الإسلام في مواجهة ديانات أخرى؛ كاليهودية والنصـرانية والسـمنية[1] وبصفة خاصـة ا وسية، ونظموا لذلك مناظرات كثيرة مستغلين ماحباهم الله به من ذكاء وقـوة في الجدل والمراء فقد كان المعتزلة من دهاة المتكلمين وكان أهل السنة ( يقولون عن واصل بن عطاء إنه متكلم، ويصفونه بالكلام).[2]

وقد عززت هذه المناظرات مكانتهم وانتشرت مقالتهم وطار صيتهم في الأمصار لاسيما بعد قطعهم لكثير ممن ناظروهم فـ عت نفوسهم إلى حب الظهور و الإعجاب بعقولهم.وقد دفعهم الغرور والتعالي إلى التلبس بفعل إبليس واعتقاده تقديم هوى نفسه على محبـوب الله ومـراده، فقدموا عقولهم وأهواءهم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تحت تأثير أهواء دفينـة وانحراف فكري غطى على قلو م، مع قوة حماسهم لمذهبهم ومعتقدهم وما توصلت إليـه عقولهم المحدودة وإصرارهم على ذلك وتفانيهم في الدفاع عنه ولو كان على حساب عقيدة الأمـة كلها.

## ثالثًا – التأثـر والأخذ عن الديانات والفلسفات الأخرى:

لم يكن تأثر رجال المعتزلة بأصحاب الديانات المخالفة مباشرا فقد سبقهم جماعة اطلعـوا على العقائد اليهودية والنصرانية وأقوال ونظريات الفلاسفة ودرسوها وتحدثوا عنها ومنـهم فرقتا القدرية والجبرية الخالصتان.

أما القدرية فقالوا: بنفي القدر وإثبات قدرة للإنسان على أفعاله وحريـة في اختيارهـا ( فإ م ادعوا أن فعل الله مخلوق، وأن أفعال العباد غير مخلوقة وهذا خلاف علم المسلمين)[3]

---

١- السمنية هي فرقة بالهند قيل نسبة إلى "سمونات"بلدة بالهند،من عقائدها إنكار وقوع العلم بالأخبـار ، التناسـخ زاعمين أنه لاطريق للعلم سوى الحس ،وهم من الدهرية الطبائعيون الذين احتج عليهم الجهم بإثبات موجود عقلي.

ينظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١٧٤/٥)،المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى وآخرون(٤٥٢/١).

٢- مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٨٤/٣).

٣- خلق أفعال العباد، البخاري، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م، دار المعـارف السـعودية – الرياض. ص(٧٥).

في حين أن الجبرية قالوا بخلق القرآن ونفي الأزلية ونفي الصفات، ورأسهم الجعد بن درهم وعنه أخذ الجهم بن صفوان[1] الذي كان جبريا لا يثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل وينفي الصفات، ويقول بخلق القرآن وفناء الجنة والنار وفناء حركات أهلهما، وإنكار الرؤية، وإيجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع.[2]

فأخذت المعتزلة عن الجهمية سائر أقوالها وآرائها عدا الجبر الذي أخذت نقيضه من القدرية، فقالوا بنفي القدر. ( وإنما سلكوا في ذلك مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي... فقال واصل: إن الباري تعالى حكيم عارف، لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم ، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر، ويحتم عليهم شيئًا ثم يجازيهم عليه).[3]

وكان الجعد قد أخذ مذهب نفي الصفات عن الرب من الصابئة الفلاسفة ثم انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية؛ بسبب بشر بن غياث المريسي[4] وطبقته.[5]

---

١- هو أبو محرز جهم بن صفوان الراسبي وهو من الجبرية المخالفة ظهرت بدعته بترمذ،وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية،وزاد قوله لايجوز وصف الباريء بما يوصف به خلقه وإثباته معلوما حادثة للباريء لا في محل، ومنها فناء الجنة والنار بعد دخول أهلها فيها،وقوله من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده.قتل سنة(١٢٨هـ) ينظر: الملل والنحل للشهرستاني(٨٦/١)،الفرق بين الفرق للبغدادي ص(١٢٨).

٢- ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني (٦٨/١،٦٩).

٣- المصدر السابق نفسه (٤١/١).

٤- هو ابن أبي كريمة بشر بن غياث بن عبد الرحمن المؤيسي العدوي ،كان جده مولى لزيد بن الخطاب وقيل أباه كان يهوديا قصارا صباغا،أتقن علم الكلام ثم جرد القول بخلق القرآن وناظر عليه ولم يدرك الجهم ؛ وإنما أخذ مقالته فكان عين الجهمية في عصره ، أنكر عذاب القبروسؤال الملكين والصراط والميزان له مؤلفات جمة منها"الإرجاء"و"الرد على الخوارج"و"الاستطاعة"والرد على الرافضة في الإمامة" وغيرها، مات سنة(٢٢٨هـ).

ينظر:سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩٩/١٠) ، لسان الميزان لابن حجر (٢٢٩/٢).

٥- ينظر : مجموع الفتاوى،لابن تيمية (٢٢/٥).

كما ( أخذ الفلسفة – فيما ذكره الإمام أحمد وغيره- لما ناظر السمنية بعض فلاسفة الهند- وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات-، فهـذه أسانيد جهم ترجـع إلى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالون هم من الصابئين وإما من المشركين)[1]

## • تأثر المعتزلة باليهود:

لليهود أثر واضح في ظهور بعض آراء المعتزلة الاعتقادية؛ مثل مسألة خلق القرآن الـتي أُمتحن فيها المؤمنون في عهد الخليفة العباسي المأمون على يـد العديد من أئمـة المعتزلـة وأبرزهم أحمد بن أبي دؤاد الذي (كان داعيـة إلى القول بخلق القرآن وغيره من مـذاهب المعتزلة، وأخـذ ذلك عن بشر المريسي وأخذ بشر من الجهم بن صفوان وأخذه جهم مـن الجعد بن درهم وأخذه الجعد من أبـان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت بن أخت لبيـد الأعصم وختنه وأخذه طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبيﷺ، وكان لبيد يقول بخلق التوراة وأول من صنف في ذلك طالوت وكان زنديقًا فأفشى الزندقة).[2]

وذكر الخطيب البغدادي أن بشرا المريسي المرجئ المعتزلي أحد كبار الدعاة إلى مسـألة خلق القرآن وكان ( أشبه شيء باليهود، وكان أبوه يهوديا صباغًا بالكوفة).[3]

## • تأثر المعتزلة بالنصارى وتعاليمهم:

كما تأثر المعتزلة الأوائل بالنصارى، واستمر ذلك التأثير خلال تطور عقائـد المعتزلـة قرناً بعد قرن، حيث تتلمذ الأوائـل منهم على أفـراد من النصارى ومن ذلك ما ذكـره الأوزاعي حيث يقول: ( أول من نطـق في القدر سوسن بالعراق كان نصـرانيا فأسلم ثم

---------------------------

١- مجموع الفتاوى،لابن تيمية (٢٢/٥).

٢- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، ١٤١٥هـ- دار الكتب العلمية – بيروت،(١٢١/٦)، وينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٠/٥).

٣- تاريخ بغداد (٦١/٧).

تنصر فأخذ عنه معبد وأخذ غيلان القدري عن معبد).[1]

كما أخذوا عنهم وتشبهوا م في النظرة للمباحث الإلهيـة وتصـوروها وفـق مبـادئهم واعتقادا م، ومن ذلك قولهم في ذات الله وصفاته. وأن ( الصفات ليست وراء الذات معاني قائمة بذاته ؛بل هي ذاته...وإذا أثبت أبو الهذيل[2] هذه الصفات وجوها للذات فهي بعينها أقانيم النصارى).[3] وقولهم في القرآن أنـه كلام لايقوم بالله فيمتنع أن يكون كلامه.

يقول شارح الطحاوية في فساد قول المعتزلة في مسألة خلق القرآن: ( وهـذا معـنى عجيب وهو أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت فإ م يقولون كلام الله هو المعنى القائم بـذات الله الذي لا يمكن سماعـه وأما النظم المسـموع فمخلوق فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهـوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام فانظر الى هـذا الشبه ما أعجبه).[4]

وكان من بـدع بعض فرق المعتزلة كالخابطية والحدثية[5]( إثبات حكم من أحكام الإلهيـة في المسيح عليه السلام موافقة للنصارى على اعتقادهم أن المسيح هو الـذي يحاسـب الخلـق في الاخـرة ... وزعم أحمد بن خابط [6] أن المسيح تدرع بالجسـد الجسماني وهو الكلـمة

---

١- سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٨٧/٤)،وينظر: ذيب الكمال،للمزي (٢٤٥/٢٨).

٢- هو أبو الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف شيخ المعتزلة ومقدم الطائفة ومقرر الطريقة والمناظر عليها ،أخذ الاعتـزال عن عثمان بن خالد الطويل وعن واصل بن عطاء وانفرد عن أصحابه بعشر قواعد ، مات سنة(٢٣٥هـ)ينظر: الملـل والنحل للشهرستاني(٤٣/١).

٣- المصدر السابق نفسه (٤٤/١).

٤- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ص(١٨٤).

٥- الخابطية والحدثية : هم أتباع أحمد بن خابط القدري والفض الحدثي وكانا من أصحاب النظام في الاعتزال.
ينظر: الفرق بين الفرق،للبغدادي ص (٢٤٦).

٦- هو أحمد بن خابط بن أبي دؤاد من رؤساء المعتزلة ومؤسس فرقة الخابطية،من أصحاب النظام طالع كتب الفلاسفة وضم إلى مذهب النظام ثلاث بدع متأثرا بالنصرانية وأقوال الفلاسفة،ويؤمن بالتناسخ . مات سنة(٢٣٢هـ).
ينظر: الملل والنحل للشهرستاني(٥٠/١) وما بعدها.

القديمة المتجسدة ؛ كما قالت النصارى ).[1]

ولم يكن الأمـر قاصرا على فئة من الناس أو حالات فردية؛ بل إن الحكام في الدولة الأموية والعباسية قـد استعانوا بالنصارى في بعض الأعمال الإداريـة والتنظيمية، وكانت مناصب عالية مؤثرة فيمن حولها ( ولما بويع لمعاوية بالخلافـة كان كاتبه وصاحب أمره سرجون بن منصور الرومي[2]، وعلى حرسه رجل من الموالي يقال له المختار ).[3]

ولم يقف الأمر عند حد الخليفة معاوية بل استمر الحال من تقريـب الحكـام لهـؤلاء والاستعانة م والإعجاب بما لديهم من ثقافـة وسلامة الرأى والمشورة، حتى وصـل إلى حـد تشرب واستغراق أرآئهم ومعتقدا م والدفاع عنها وكان من نتائج هـذا التقريـب والإعجاب الوقوع فيما حذر منه أئمة المسلمين، حيث كانت تعقد لقاءات ومناظرات بين المسلمين والنصارى ليبرهن كل منهما على سلامة وصحة معتقده.

وكانت هـذه المناظرات تعقد في مجالس الخلفاء وتحت سمعهم وبصرهم؛ ومن ذلك ما ورد في كتاب "نفح الطيب" من ذكر المناظرة التي حدثت بين العتابي[4] وأبي قرة في مجلس المأمون في المسيح عليه السلام.[5]

---

١- الملل والنحل، للشهرستاني(٥١/١).

٢- سرجون بن منصور الرومي،كاتب معاوية وابنه يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان ،ذكره أبو الحسين الـرازي في تسمية كتاب أمراء دمشق وذكر أنه كان نصرانيا فأسلم.
ينظر: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (١٦١/٢٠).

٣- تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري، (٢٦٤/٣)، وينظر: الكامل في التاريخ، للشيباني (٣٧٢/٣).

٤- هو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي من بني عتاب بن سعد، كاتب حسن الترسل، وهو من أهل الشام، سـكن بغداد ورمي بالزندقة وصنف كتبا منها: "فنون الحكم" و"الآداب"، و"الخيل"، و"الأجواد"، و"الألفاظ".
ينظر: معجم الأدباء ،ياقوت الحموي(٢١٢/٦)، الأعلام،للزركلي (٨٩/٦).

٥- ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيـق: د. إحسـان عبـاس، ١٣٨٨هـ ، دار صادر- بيروت.(٢٩١/٥).

- **تأثر المعتزلة بالفلاسفة والأخذ عنهم :**

إلا أن الأمـر القاصم و الحدث المهم في حياة المعتزلة هو دراسة الفلسفة وما ترتب عليهـا من خلط المفاهيم الإسلاميـة والمباحث الإلهيـة بالنظريات الفلسفية ومحاولة إيجاد أصـول فلسفية للعقيدة الإسلامية.

ويرجع السبب في ذلك إلى أن المعتزلة أخذت على عاتقها مهمة الـدفاع عـن الـدين الإسلامي كما هو في منظورهم ووفـق أرآئهم الاعتقادية؛ وذلك في مواجهـة ديانـات وثقافات غريبة عن الإسلام في الوقت الذي كان فيه المسلمون مشغولون بالجهاد وتوطيـد أركان الإسلام وتعليم الناس دينهم، فكان واصل بن عطاء يبعث بعوثه إلى دينـه المبتـدع وكأن الأمة لم تعرف الإسلام والسنة إلا بظهور مذهبه الكلامي العقلاني الجديد.[1]

وأثناء مجادلتهم لخصومهم ( تبين أن أولئك القوم أمضى منهم سلاحا، وأقـدر علـى الجدل والمناظرة؛ لأ م أصحاب حضارة قديمة وثقافـة عالية، وكان لهم معرفـة بالفلسفة والعلوم العقلية واطلاع على كتب الفلاسفة الأقدمين).[2]

لذلك استطاع أولئك القـوم أن يصوغوا عقائدهم على أصـول فلسفية، وأن يوجدوا لأنفسهم كلام منطقيا مدققًا، وأن يتقنوا ا ادلة، فلما شمر المعتزلة عن سواعدهم لمناهضتهم وجدوا أ م لن يتمكنوا من مجارا م ولن يتهيأ لهم الغلبة عليهم مالم يعمدوا مثلهم إلى دراسة الفلسفة ويستفيدوا منها في دعـم حججهم وتقويـة أقوالهم؛ لذا أقبل المعـتزلة على درس الفلسفة ليتأتى لهم محاربة خصوم الدين الإسلامي بنفس سلاحهم ويخاطبوهم بالأساليب التي درجوا عليها وألفوها .

---

١- ينظـر: دراسـات في الأهـواء والفـرق والبـدع، ناصـرالعقل ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، دار كنـوز إشبيليا- الرياض. (٣٣٤/٢).

٢- المعتزلة وأصولهم الخمسة ، عـواد المعتق، ص(٤٧).

( ولعل هذه الحاجـة الماسة إلى الفلسفة هي التي دفعت المنصور إلى تشـجيع الترجمـة ... ولعلها أيضا هي التي حملت المأمون على الاهتمام بنقل الكتب اليونانية إلى العربية ).[١]

وبالغ الأخير في ذلك فقد ( قـرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمـر بتعريب كتبهم وبالغ، وعمل الرصد فـوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ واستخرج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرص ).[٢]

يقول الأشعري[٣] عن استمداد المعتـزلة من الفلاسفة والأخـذ عنـهم وتتلمـذهم عليهم: ( وأخذ هذا أبو الهذيل عن أرسطاطاليس، وذلك أن أرسطاطاليس قال في بعـض كتبه: إن البـاري علم كله، قـدرة كله، حياة كله، سمع كله، بصر كله، فحسن اللفـظ عند نفسه، وقال: علمه هو هو، وقدرته هي هي .

وكان يقول: إن لمقدورات الله ومعلوماته مما يكون، ومما لايكون كلا وغاية وجميعا كما أن لما كان كلاً وجميعا، وأن أهل الجنة تنقطع حركا م فيسكنون سكونا دائما لايتحركـون، وكان يقول بانقطاع الأكل والشرب والنكاح.

وكان أبو الهذيل اذا قيل له أتقول له إن لله علما قال أقول أن له علما هو هو وأنه عالم بعلم هو هو وكذلك كان قوله في سائرصفات الذات).[٤]

---

١- المعتزلة، زهدي جار الله ،ط٥، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، دار الينابيع-بيروت.ص (٥٦).

٢- سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢٧٣/١٠، ٢٧٨).

٣- هو علي أبو الحسن بن إسماعيل بن أبي بشر بن إسحاق، البصري المالكي المتكلم وناصر السنة والمصحح لعقائـد المسلمين ،بدأ معتزليا ثم رجع وأظهر ذلك وشرع في الرد عليهم،له تصانيف كثيرة جدا منها:"المـوجز" و"التوحيـد والقدر" و"الأصول الكبير" و"خلق الأفعال الكبير"و"الرد علي الدهريين" و"مقالات الإسلاميين" و"الإبانة في أصـول الديانة" ،توفي سنة(٣٣٤هـ ).

ينظر: الديباج المذهب لابن فرحون (١٩٣/١) ،طبقات الشافعية لابن شهبة (١١٣/١).

٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن (٤٨٥/١).

( وإنما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه)[1]
يقول الشهرستاني:( ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وأفردا فنا من فنون العلم وسمتها باسم الكلام إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هى مسألة الكلام فسمي النوع باسمها وإما لمقابلتهم الفلاسفة فى تسميتهم فنًا من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان)[2]

ومن أبرز شيوخهم النظّام[3] الذي ( طالع كثيرا من كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وانفرد عن أصحابه بمسائل منها: أنه زاد على القول بالقدر أن الله لايوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي، وليست مقدورة للباري تعالى... وإنما أخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة)[4]

كما طالع كل من الفضل الحدثي[5] وأحمد بن خابط كتب الفلاسفة وقالا ببعض مقولات النصارى في المسيح عليه السلام، وزعما أن الرؤية يوم القيامة تكون رؤية العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات وهي مقولة فلسفية.[6]

---

١- الملل والنحل، للشهرستاني(٤٣/١).
٢- المصدر السابق نفسه (٢٣/١).
٣- هو إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام أبو إسحاق البصري المتكلّم المعتزليّ الإمام ذو الضلال والإجرام من رؤوس المعتزلة، طالع كلام الفلاسفة فخلطه بكلام المعتزلة وتكلّم في القدر وانفرد بمسائل وتبعه أحمد بن حائط والأسواري وغيرهما وأخذ عنه الجاحظ ،وكان معاصراً لأبي الهذيل العلاّف.وللنظام مقالات خبيثة وقد كفّره غير واحد،وقال جماعة كان على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث لكنه كان يخفي ذلك ، متهم بالزندقة،وله كتب كثيرة في الاعتزال والفلسفة،مشهور بالفسق،سقط من غرفة وهو سكران فهلك (ت:٢٢١هـ).
ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٤٧١/١٦) ،لسان الميزان لابن حجر العسقلاني(٦٧/١).
٤- الملل والنحل، للشهرستاني (٤٦/١).
٥- هو الفضل الحدثي من أئمة المعتزلة من أصحاب النظام طالع كتب الفلاسفة وضم إلى مذهب النظام ثلاث بدع متأثرا بالنصرانية وأقوال الفلاسفة ويؤمن بالتناسخ مات سنة (٢٥٧هـ)الملل والنحل للشهرستاني(٥٠/١) ومابعدها.
٦- ينظر: المصدر السابق نفسه (٥٠/١،٥١،٥٢).

ويعـد بشر المعتمر[1] من أفضل علماء المعتزلة، وهو الذي أحـدث القول بالتولد وهي مقولة فلسفية.[2]

أما الجاحظ[3] فقد ( طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط وروج كثيرا من مقـالا م بعباراتـه البليغـة، وحسن براعتـه اللطيفة ...كإثبـات الطبائع للأجسام كما قـال الطبيعيون من الفلاسفة).[4]

و ذه الروافد العكرة خرجت المعتزلة عن السنة والجماعة ومنهجها الصافي في مصـادر التلقي ومناهج الاستدلال، وتبنت الكثير من الآراء الاعتقاديـة العقيمة القائمـة علـى التخرصات والأوهام والظنون، وتقديمها على النصوص الشرعية ( فقدموا عقول الفلاسـفة وعزلوا منقول اتباع الرسل وماروا في القرآن وتبرموا بالسنن والآثار).[5] وسلكوا للوصـول إلى معين المعرفة منهجا عقليا متطرفًا متلبسا بفلسفات وثنية وأهواء شخصية بعيـدة عن أي توجيه كريم من القرآن العظيم أوالسنة المطهرة وقد اشتمل هذا المنهج على خطوتين:

أما **الأولى**: فقصدوا ا تطهير الفكر وضرورة تجرده عن الإلف والعادة وعـن مختلـف الأهواء بالنسبة لكل من أراد أن يصدر أحكاما يتوخى فيها الصواب والإخلاص للحق وفي

---

١- هو بشر بن المعتمر أبو سهل الكوفي ثم البغدادي شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف،أخباريا شاعرا متكلمـا،أبرص ذكيا فطنا لم يؤت الهدى وطال عمره،وكان يقع في أبي الهذيل العلاف وينسبه إلى النفاق وكان نخاسا في الرقيق وكان يقول إن الله لم يخلق شيئا من الأعراض كلها،وله مصنفات منها"تأويل المتشابه" و"الرد على الجهال" و"كتاب العدل" مات سنة(٢١٠هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٣/١٠)، لسان الميزان لابن حجر (٣٣/٢).

٢- ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني (٥٣/١).

٣- هو عمرو بن بحر الجاحظ المتكلم المعتزلي صاحب التصانيف من أئمة البدع ،واليه تنسب الفرقة الجاحظية لجحوظ عينيه،كان شنيع المنظر سيء المخبر رديء الاعتقاد ليس بثقة ولا مأمون ، وكان بارعا أتقن علوما كثيرة وصنف كتبا جمة تدل على قوة ذهنه وجودة تصرفه ومن أجل كتبه "كتاب الحيوان" و"كتاب البيان والتبيين"

ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٩/١١)، لسان الميزان لابن حجر (٣٥٥/٤).

٤- الملل والنحل، الشهرستاني(٦٠/١).

٥- تذكرة الحفاظ ، للذهبي(٣٢٩/١).

هذا هدم لنظرية التقليد.

أما **الثانية**: فتحكيم العقل تحكيما مطلقًا فقد آمن المعتزلة بالعقل ورفعوا شأنه ونوهوا به أيما تنويه، وصدعوا بمبادئه وقالوا: خلق العقل ليعرف وهو قادر على أن يعرف كل شيء المنظور وغير المنظور وجعلوه الحكم الذي يحكم في كل شيء، والنور الذي يجلو كل ظلمة، حكّموه في إيمانهم وفي جميع شؤونهم الخاصة والعامة.(1)

وقد سار على خطاهم رواد المدرسة العقلانية الحديثة والتي تعد امتدادا للمدرسة العقلانية القديمة، حيث يقول أحد رجالها : ( إن النهضة العربية الحديثة شبيهة في ظروفها وأحوالها بالنهضة العربية القديمة التي تلت الفتوح الإسلامية والتي مثل فيها المعتزلة دورا خطيرا.وإذًا فلابد في نهضتنا هذه من ظهور روح الاعتزال، ولا بد من إحياء تلك الروح).(٢)

وعلى الرغم من الانقطاع الزمني بين المدرستين إلا أنهما اتفقا في الكثير من الأصول والمناهج والآراء والعقائد والاتجاهات والغايات مع بعض الفروق القليلة بينهما.

وأنقل هنا بعض **ملامح وحدة الأصول والأهداف** بين **المدرستين** عن د.ناصر العقل وهي:

- اتفاق المدرستين على إكبار العقل، وتقديمه على النص، وإخضاع الثاني للأول.

- اتفاقهم على عداء السنة وأهلها، واحتقار السلفية ولمزها، والتهكم بها وبأهلها، ورميهم بالتعصب وضيق التفكير والجهل.
- اتفاقهما في التبعية للمذاهب والفلسفات الأجنبية عن الإسلام، فكما أن أصحاب

---

١- ينظر: الفكر الإسلامي بين الأمس واليوم، محجوب بن ميلاد ص(١١٤) نقلاً عن منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي،ط٥، ١٤٢٢هـ،مكتبة الرشد- الرياض/المملكة العربية السعودية.ص(٥٤).
٢- المعتزلة، زهدي جار الله ص (٧).

الفـرق القديمة تتلمذوا على اليهود والنصارى واليونـان، وا وس والوثنيين،فكذلك العقلانيون المحدثون، تتلمذوا على المستشرقين، والغربيين ورثـة الفكـر اليهـودي والنصراني والوثني واليوناني وعلى أسلافهم العقلانيين المعتزلة والجهمية.

- استباحة الخوض في سائر أمور الغيب، التي لايعلمها إلا الله، وليس للعقل قدرة علـى تصورها فضـلاً عن الحكم عليها، وعدم احترام ماورد بطريق الـوحي في القـرآن والسنة الصحيحة.

- الاستهانة بأحكام الله وشرعه، والجرأة على الفتوى والقول على الله بغـير علـم، في الحلال والحرام، والأخلاق والتشريعات والعبادات، وعـدم التسليم لله فيهـا، أو في شيء منها، وذلك بالمعارضة والتبديل والتحريف، والزيـادة والنقص، والاسـتهزاء بأحكام الله، والتشكيك في دينه.

- الجرأة على إثـارة الشبهات والآراء الشاذة في الدين عموما والعقيدة بخاصـة، وما يخالف إجماع المسلمين.

- الترويج للملل وإحياء النحل الضالة والمذاهب والأهـواء والفـرق بـين المسـلمين وتمجيدها، والدعاية لها باسم التسامح الديني، وحرية الفكر والاعتقاد .

- الدعوة إلى تفسير القرآن والسنة بالأهواء ،وتأويلها تأويلاً عقلانيا جديدا، حسب كل عصـر دون اعتبار للمنهج الشرعي للاستدلال ولا لتفسير السـلف والصحابـة، ودون التقيد بالمصطلحات الشرعية وقواعد التفسير والقواعـد الأصـولية، ودلالات اللغة.

- النـزوع إلى التجديد والتغيير في أصول العقيدة، وأصول التشريع الثابتة ومناهـج التلقي ومنـاهج الاستدلال، دون اعتبـار للنصوص الواردة عن الله ورسوله، ودون اعتبار لمناهج السلف في ذلك كله.

- اعتبار هزيمة الفرق المنحرفة في القديم والجديد، وانتصار أهل السنة نكسـة تاريخيـة وضررا بالإسلام والمسلمين، وعاملاً من عوامل التخلف والجمود.[1]

ومع تأثير المدرسة العقلية القديمة المتمثلة في فرقة المعتزلة على تأسيس الفكر لدى المدرسة الحديثـة إلا أن الاتجاه العقلاني في الغرب كان له الأثـر الأكبر على تلك المدرسة بسبب حركات التنصير والاستشراق والاحتلال أولاً، ثم البعثات واستيراد الأنظمة الغربيـة مـن قبل المسلمين أنفسهم ثانيا.

وهنا يكمن الخطر حيث عـاد طائفة من المبتعثين من أبنـاء المسلمين إلى بلادهم وهم يحملون أفكار الغربيين الجاهلية التي لا تمت إلى الإسلام ولا إلى العلم والتقدم بصلة، فبدأت حركة التغريب في العالم الإسلامي على أيدي هؤلاء دون وعي ولا بصيرة.[2]

( والخلاصة أن الاتجاهات العقلانية الحديثة ارتكزت في أصولها ومنطلقا ا على أصلين:

**الأول**: أصول المعتزلة والفرق القديمة الأخرى ومناهجها في الدين.

**الثاني**: المسايرة للغرب في الفكر والثقافة والأخلاق والسياسة والاقتصاد وأنماط الحيـاة الأخرى، بدعوى مرونة الدين وسعة القواعد الشرعية وضرورة العصر ونحو ذلك.).[3]

## سبب الاعتزال عند المعتزلة القدماء والمحدثين:

إن أبـرز ما يميز المدرستين تحكيم العقل وتقديسه ففي منهج التلقي يقدمون العقل على الكتاب والسنة حيث؛ ( يجعلون العقل وحده أصل علمهم ويفردونـه ويجعلـون الإيمـان والقرآن تابعين له ).[4]

---

١- ينظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، د.ناصر بن عبد الكـريم العقـل،ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م،دار الفضـيلة- الرياض،(٥٥) وما بعدها.

٢- ينظر: المرجع السابق نفسه (٨٣،٨٢).

٣- المرجع السابق نفسه (٧٧).

٤- مجموع الفتاوى،لابن تيمية(٣٣٨/٣).

يقول القاضي عبد الجبار[1]: ( إن الدلالة أربعة؛ حجة العقـل، والكتـاب، والسـنة، والإجماع).[2]

فقدم العقل على الكتاب والسنة وجعله القائد لهما بل إن ( المعقولات عندهم هي الأصول الكلية الأولية المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن).[3]

يقول مفسـرهم الزمخشـري[4] في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[يوسف:١١١] ( يحتاج إليه في الدين لأنـه القانون الذي تستند إليـه السـنة والإجمـاع والقياس بعـد أدلة العقـل ).[5]

ويقول عن العقل والسنة: ( امش في دينك تحت راية السلطان، ولا تقنع بالرواية عن فـلان وفـلان).[6]

---

١- هو القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن خليل العلامة المتكلم شيخ المعتزلة ،كنيته أبو الحسن صـاحب التصانيف من كبار فقهاء الشافعية ،ولي قضاء القضاة بالري ،تصانيفه كثيرة منها:"الأصول الخمسة"تخرج به خلق كثير في الرأي الممقوت،توفي سنة(٤١٥هـ).

سير أعلام النبلاء(٢٤٤/١٧)،طبقات المفسرين للداودي (٥٩/١).

٢- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م، مكتبة وهبـه- القاهرة. ص(٨٨).

٣- مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٣٨/٣).

٤- هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزمخشري النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر يلقب جـار الله لأنه جاور بمكة زمان،ممن برع في الأدب والنحو واللغة لقى الكبار وصنف التصانيف وكان علامـة الأدب ونسـابة العرب تضرب إليه أكباد الإبل كان إمام عصره وكان متظاهرا بالاعتزال داعية إليه ،له التصانيف البديعة منها الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة وربيع الأبرار ونصوص الأخبار في الحكايات وغير ذلك مات ليلة عرفة سنة(٥٣٨هـ).

ينظر: البلغة للفيروزآبادي (٢٢٠/١) ،طبقات المفسرين للداودي (١٢١/١).

٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخـوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي - بيروت(٣٤٨/٢).

٦- أطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري المقالة ٣٧ص(٢٨) نقلاً عن منهج المدرسـة لعقليـة الحديثـة في التفسير، فهد الرومي(٢٩/١).

بل إن بعضهم يرى عدم حجية الإجماع والقياس مثل إبراهيم بن سيار النظام الذي يقول فى الإجماع: ( إنه ليس بحجة فى الشرع وكذلك القياس فى الأحكام الشرعية لا يجوز أن يكون حجة ).[1]

ولقد سلك المنحرفون عن منهج أهل السنة والجماعة من العصرانيين والتحريرين ونحوهم من العقلانيين طريقـة المعتزلة في تضخيم شأن العقل وتقـديمه على النقل مـن نصـوص الكتاب والسنة وقولهم بظنية الدلالة في القرآن الكريم ما لم يوافق رأيهم ومـن ثم تأويلـه وتحريفه، كما قالوا بظنية الثبوت في الأحاديث النبويـة والتشكيك فيها أو تكذيبها؛ كـل ذلك ليسلم لهم المعارض العقلي.

بل إنهم حاولوا ( إخضاع عبـارات القرآن لأرائهم التي يقولون بها، ومن ثم فسروها تفسيرا يتفق مع نحلتهم وعقيدتهم ).[2]

وأيدهم في ذلك وباركهم أساتذتهم من المستشرقين الذين رأوا أن وجهتهم في رد الأحاديث بالعقل هي الوجهة الصحيحة التي يجب أن تناصر وتؤيـد ضد المتشددين الحَرفيين الجامدين على النصوص ، فهم أهل العقل الحر والمنهج القويم، الذي يجب أن يبقى ويستمر.[3]

فيرى الدكتور زكي نجيب محمود ( أن أهم جماعة يمكن لعصرنا أن يرثها في وجهة نظرهـا ... هي جماعة المعتزلة التي جعلت العقل مبدأها الأساسي كلما أشكل أمر ).[4]

ولو كان ذلك يتطلب تقديم العقل على النصوص الشرعية حيث يقول محمد عمـارة: ( إننا إذا شئنا أن نقدم لأجيالنا الحاضرة والمستقبلة تراثـًا يمجد العقل، ويؤصـل فكرنـا العقلي للتقدم، ويشيع في صفوفنا مناخا يساعد على ازدهار التفكير العلمي؛ فلا بد لنا من

---

١- الملل والنحل، للشهرستاني(٤٨/١).

٢- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ط٦، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، مكتبة وهبه، القاهرة.(٣٨٠/١).

٣- ينظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمـين،ط١، ١٤١٨هـ ـ، مكتبـة الرشـد - الرياض.ص(٣٥٥).

٤- تجديد الفكر العربي ،ط٥، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ، دار الشروق- بيروت / القاهرة ص(١١٧،١١٨).

البحث عن البقايا التي تركها الزمن وخلفتها أحداثـه، من تراث المدارس الفكرية العربيـة الإسلامية، التي أعلت من قدر العقل ورفعت من قيمته وقدمت ثمرات تفكيره على مدلولات ظواهر النصوص ... وفي مقدمة هذه المدارس الفكرية المعتزلة والفلاسفة ).[١]

## ا ـام والرد عليه :

وفي هـذه الأقوال ا ام خطير يوجـه لأهل السنة بالجمود وإنكـار إعمـال العقـل ( والسلف لم يذموا جنس الكلام؛ فـإن كل آدمى يتكلم، ولا ذموا الاسـتدلال والنظـر والجدل الذى أمـر الله به رسوله والاستدلال بما بينه الله ورسوله ﷺ بل ولا ذموا كلامـًا هو حق بل ذموا الكلام الباطل؛ وهو المخالف للكتاب والسنة وهو المخالف للعقل أيضـا وهو الباطل فالكلام الذى ذمه السلف هو الكلام الباطل وهو المخالف للشرع والعقل ).[٢]

وهذه مة باطلة ساقطة سبقهم إليها أهل الكلام ورد عليهم شيخ الإسلام ابن تيميـة حيث يقول: ( ومن العجب أن أهل الكلام يزعمون أن أهل الحديث والسنة أهـل تقليـد ليسوا أهل نظـر واستدلال، وأ م ينكرون حجة العقل وربما حكى إنكار النظر عن بعض أئمة السنة وهذا مما ينكرونه عليهم.

فيقال لهم ليس هذا بحق فإن أهل السنة والحديث لا ينكرون ما جاء به القرآن هـذا أصل متفق عليه بينهم، والله قد أمر بالنظر والاعتبار والتفكر والتدبر في غير آيـة ولا يعرف عن أحد من سلف الأمة ولا أئمة السنة وعلمائها أنه أنكر ذلك بل كلهم متفقون على الأمر بما جاءت به الشريعة من النظر والتفكر والاعتبار والتدبر وغير ذلك).[٣]

فـ(العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال وبه يكمل العلم والعمل، لكنـه ليس مستقلا بذلك لكنه غريزة في النفس وقوة فيها بم لة قوة البصر التي في العين؛ فإن اتصل

---

١- نظرة جديدة إلى التراث، شبكة الدفاع عـن السـنة، -.v ®vBulletin ٣.٦.٤© Copyright ,٢٠٠٠-٢٠٠٨TranZ by , Almuhajir ص(١٦).

٢- مجموع الفتاوى، لابن تيمية(١٤٧/١٣).

٣- المصدر السابق نفسه (٥٦،٥٥/٤).

به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل بـه نور الشمس والنار وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها).[١]

إلا أن المعتزلة وأذنا م من المعاصرين وضعوا لأنفسهم أصولاً من وحـي خيـالهم سموهـا بالعقليات وقاسوا عليها المسائل العقدية بما فيها الغيبيات، فما استحسنته عقولهم قبلوه ومالم تقبله ردوه دون أي اعتبار لنص شرعي من كتاب أوسنة؛ فإن كان نصا قرآنيـًا خـالف عقولهم أولوه وصرفوه عن معناه الحق، وإن كان نبويا صحيحا ووجدوا له مخرجا أولـوه، وإن لم يستطيعوا لذلك سبيلاً طعنوا فيـه وردوه، كذا دون اعتبار للقواعـد والأصـول الشرعية في التعامل مع النصوص.

وذلك لاعتقادهم عـدم كفاية الأدلة من الكتاب والسنة في الدلالة على أصول الدين، وأ ا جاءت رد الخبر فأعرضوا عما في القـرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية؛ فقدموا في كتبهم الكلام في النظر وجنس الدليل وجنس العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل.[٢]

فالمعتزلة يعتقدون أن النصوص الشرعية سمعية خبريـة فقط لا تتضمن أدلة عقلية علـى أصول الدين، وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع منها قوله: ( وأما الأدلة العقلية فقد لا يتصورون أنه أتى بالأصول العقلية الدالة على ما يخبر به كالأدلة الدالة علـى التوحيد والصفات، ومنهم من يقر بأنـه جاء ذا مجملاً ولا يعرف أدلته بل قد يظن أن ما يستدل به كالاستدلال بخلق الإنسان على حدوث جواهره هو دليل الرسول.

وكثير من هؤلاء يعتقدون أن في ذلك ما لا يجوز أن يعلم بالعقل كالمعاد وحسن التوحيد والعدل والصدق وقبح الشرك والظلم والكذب.

والقرآن يبين الأدلة العقـلية الدالة على ذلك وينكر على من لم يستدل ا ويبين أنـه

---

١- مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٣٩،٣٣٨/٣).

٢- ينظر: المصدر السابق نفسه(١٦٠/١٩).

بالعقل يعرف المعاد وحسن عبادته وحده وحسن شكره وقبح الشرك وكفر نعمه).[1]

ولا يتهم ابن تيمية المعـتزلة بالتكذيب للرسولﷺ ورد الأخبار؛ ولكـن يـبين أثـر الاحتكاك بالفلسفات الأجنبية والأخذ بمناهجهم وأساليبهم في الاستدلال وخطور ا علـى العقائد، وأن المشا ة في الظاهر تورث المشا ة في الباطن، وأن سلامة النية وحدها لا تكفي مالم يصاحب ذلك العمل موافقة الرسول ﷺ في المنهج والاستدلال فيقول: ( إن المعتزلة لما نصروا الإسلام في مواطن كثيرة وردوا عـلى الكفار بحجج عقلية لم يكن أصـل دينـهم تكذيب الرسول ورد أخباره ونصوصه لكن احتجوا بحجج عقلية إما ابتدعوها من تلقـاء أنفسهم وإما تلقوها عمن احتج ا من غير أهل الإسلام؛ فاحتاجوا أن يطـردوا أصـول أقوالهم التي احتجوا ا لتسلم عن النقص والفساد فوقعوا في أنواع من رد معـاني الأخبـار الإلهية وتكذيب الأحاديث النبوية.

وأصل ما أوقعهم في نفي الصفات والكلام والأفعال والقول بخلـق القـرآن وإنكـار الرؤيـة والعلو لله على خلقه؛ هي طريقة حـدوث الأعراض وتركيب الأجسام وعنـها لزمهم ما خالفوا بـه الكتاب والسنة والإجماع في هذا المقام مع مخالفتـهم للمعقـولات الصريحة التي لا تحتمل النقيض فناقضوا العقل والسمع من هـذا الوجـه وصاروا يعـادون من قال بموجب العقل الصريـح أو بموجب النقل الصحيح وهم وإن كان لهم مـن نصـر بعض الإسلام أقوال صحيحة، فهم فيما خالفوا به السنة سلطوا عليهم وعلى المسلمين أعداء الإسلام فلا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا).[2]

لأن الأهم لديهم هو سلامة المعارض العقلي وسلامة أصولهم ،( فالأدلة السمعية لم يـردها من ردها لضعف فيها وفي مقـدما ا لكن لاعتقاده أ ا تخالف العقل بل كثير من الأدلـة السمعية التي يـردو ا تكون أقوى بكثير من الأدلـة السمعية التي يقبلو ا؛ وذلك لأن تلك

---

١- مجموع الفتاوى (٢٥٣،٢٥٢/١٦).

٢- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١٠٧،١٠٦/٧).

لم يقبلوها لكون السمع جاء بها لكن لاعتقادهم أن العقل دل عليها ).[1]

( والرسول ﷺ بين الأدلة العقلية والسمعية التي يهتدى بها الناس إلى دينهم وما فيه نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة وأن الذين ابتدعوا أصولاً تخالف بعض ما جاء به هي أصول دينهم لا أصول دينه وهي باطلة عقلاً وسمعا).[2]

لذا فإن ( الرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه،لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقًا وهي باطل وعارضوا بها النبوات وما جاءت به).[3]

## مواطن الاعتزال عند المعتزلة:

وكان من نتائج هذا الخلط السقيم في مصادر التلقي وتقديم العقل على النقل وتحكيمه في أصول الدين وما يتعلق منها بالأمور الغيبية طريقتهم في التعامل مع النصوص الشرعية وتفسير القرآن الكريم تفسيراً مخالفاً لمنهج السلف من الأئمة الأعلام؛ فقدموا عقولهم وأصولهم واعتقدوا ما وافق أهواءهم ثم لووا أعناق النصوص وحرفوا الكلم عن مواضعه مذبذبين بين الإنكار والتكذيب، والنفي والتأويل، والتشكيك والتجريح.

فقد عزلت المعتزلة وأتباعها من العقلانيين النصوص الشرعية عن الصدارة وكونها المصدر الأول في الاستدلال على مسائل الاعتقاد وتفسير القرآن العظيم، وفهم السنة،مما نتج عنه التشكيك والطعن في نقلة هذا العلم من الصحابة والتابعين.

## وتبلورت عزلتهم للنصوص الشرعية في الأساليب التالية :

**أولاً: الإنكار والتكذيب:** حيث أنكروا حقائق ثابتة في الكتاب والسنة تعد من أصول

---

1- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١٧٥/١).

2- مجموع الفتاوى، لابن تيمية(٢٥٢/١٦).

3- المصدر السابق نفسه (٣٣٩/٣).

العقيدة، وعمدتهم في ذلك العقل المجرد وعدم قبوله لهذه الحقيقة متجاهلين قطعية النص ثبوتا ودلالة، ونذكر من هذه الحقائق على سبيل المثال لا الحصر، معجزات الأنبياء عليهم السلام وحقيقة الجن ودخول الجني في بدن المصروع وحقيقة السحر:

**١- إنكارهم معجزات الأنبياء :**

( فقد أنكر النظام المعتزلي إعجاز القرآن في نظمه، وأنكر ماروي من معجزات نبينا ﷺ من انشقاق القمر[١]، وتسبيح الحصا في يده،ونبوع الماء من بين أصابعه، ليتوصل بإنكار معجزات نبينا عليه ﷺ إلى إنكار نبوته).[٢]

و(لم تجرؤ العقلية الحديثة على إنكار شيء من أصول العقيدة، جرأتها على إنكار المعجزات للأنبياء والمرسلين، وتأويلها تأويلاً يؤول إلى الإنكار.

فإنه بالرغم من ثبوت المعجزات الخارقة للأنبياء في الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، حقيقة كما وردت في ظاهر النصوص، فإن العقلية الحديثة تزعم أنه لابد من إعادة النظر فيها، إما بتأويلها، أو تكذيبها، حسب مقتضيات العلم المادي الحديث، القائم على التجربة والمشاهدة، والاستقراء المحسوس، فإنه - في نظرهم- من الجهل والسذاجة أن نبقى متمسكين بعقائد وموروثات لا يسندها العلم الحديث الذي بلغ شأوا بعيدا في التثبت والموضوعية... وللشيخ محمد عبده [٣] قصب السبق من بين العقلانيين المحدثين في تأويل المعجزات والخوارق التي وردت في القرآن الكريم ، حسب مقتضيات العلم المادي

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٣٠/٣) كتاب:المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية رقم(٣٤٣٧).

٢- الفرق بين الفرق، للبغدادي ص (١٢٧).

٣- هو محمد عبده بن حسن خير الله منآل التركماني،مفتي الديار الإسلامية،من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام،تصوف وتفلسف،وعمل في التعليم وكتب في الصحف مثل " الوقائع المصرية" وأصدر جريدة "العروة الوثقى"مع أستاذه جمال الدين الأفغاني،له عدة مصنفات منها:"تفسير القرآن"و"رسالة التوحيد"و"الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية".
ينظر: الأعلام للزركلي (١٣١/٧).

الغربي الحديث بزعمه ).[1]

فأول محمد عبده قصة البقرة بأ ا حالة لم يحدث فيها إحياء الميت بضربه ببعض البقـرة، وإنما المقصود الاستبقاء فيقول:(ومعنى إحياء الموتى على هذا حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس، أي يحييها بمثل هذه الأحكام،وهذا الإحيـاء على حـد قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ﴾ [ المائدة: ٣٢] وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[ البقرة:١٧٩] فالإحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في النصين).[2]

كما أول قصة الطير الأبابيل في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾[ الفيل ] حيث زعم أن حجارة السجيل هي جراثيم الجدري أو الحصبة تنقل بواسطة الذباب أو البعوض، التي هي الطير تنقل المكروبات لتلك الأمراض.[3]

ومن المعجزات التي أنكرها رواد الاتجاه العقلاني بحجة أ ا لا تتفق مع المادية الغربية ما ورد في أحاديث صحيحة مثل حادثة شق صدره وغسل قلبـه.[4]وانشـقاق القمر،والإسـراء والمعراج،[5] وحنين الجذع،[6] وقصة فرس سراقة.[7]

---

١- الإتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر العقل ص(٢٠٥).

٢- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار،محمد رشيد رضا،ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م،دار الكتـب العلميـة- بيروت/لبنان.(٢٨٧/١).

٣- ينظر: تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص(١٥٦،١٥٥)تفسير سورة الفيل نقـلاً عـن الاتجاهـات العقليـة الحديثة،ناصر العقل ص(١٧٤).

٤- أخرجه مسلم في صحيحه(١٤٥/١)كتاب: الإيمان، باب: الإسـراء برسـول الله إلى السـموات، رقـم(٢٦٠) ورقم(٢٦١).

٥- أخرجه البخاري في صحيحه (١٤١٠/٣)كتاب: فضائل الصحابة، باب: المعراج،ومسلم في صـحيحه(١٤٥/١) كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله حديث رقم(٢٥٩).

٦- أخرجه البخاري في صحيحه(١٣١٣/٣) كتاب: الأنبياء، باب: علامات النبوة في الإسلام رقم.(٣٣٩٠).

٧- أخرجه مسلم في صحيحه(٢٣٠٩/٤)كتاب: الزهد والرقائق ، باب: في حديث الهجرة ، رقم (١٥).

يقول الشوكاني – في معرض رده على من أنكر حادثة انشقاق القمر-: ( والحاصل أنا إذا نظرنا إلى كتاب الله فقد أخبرنا بأنه انشق، ولم يخبرنا أنه سينشق، وإن نظرنا إلى سنة رسول الله ﷺ فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواترة أنه قد كان ذلك في أيام النبوة. وإن نظرنا إلى أقوال أهل العلم فقد اتفقوا على هذا، ولا يلتفت إلى شذوذ من شذ، واستبعاد من استبعد ).[1]

ويرى محمد حسين هيكل أن المعجزات والخوارق التي حصلت لرسولنا ﷺ كانت من وضع المسلمين إمعانا في تقديسه ومبالغة في احترامه ﷺ.[2]

ويزعم أ ا لاتصمد أمام النقد العلمي الصحيح، ولا يصدقها العقل، وأن الرسول ﷺلم تحدث له معجزة أو خارقة غير القرآن الكريم فيقول: ( وندع الدين جانبا ونقف عند سيرة صاحبه عليه السلام، فقد أضافت أكثر كتب السيرة إلى حياة النبي ﷺ ما لايصدقه العقل، ولا حاجة إليه في ثبوت الرسالة )[3]

كما يقول: ( فحياة محمد حياة إنسانية بلغت أسمى ما يستطيع إنسان أن يبلغ،ولقد كان ﷺ حريصا على أن يقدر المسلمين أنه بشر مثلهم يوحى إليه، حتى كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن، ويصارح أصحابه بذلك).[4]

وللمرء أن يعجب من هذا الكذب الواضح والافتراء على نبي الأمة؛ فمن أي مصدر علم أن النبي ﷺ صارح صحابته بذلك؟ وكيف علم وحده دون سائر الناس فضلاً عن الأئمة والعلماء بل إنه حريص على خدمة الإسلام والنبي من خلال طمس معالم السنة النبوية ومحو آثارها فيقول: ( أما ومضرة الروايات التي لايقرها العقل والعلم قد أصبحت واضحة ملموسة ، فمن الحق على كل من يعرض لهذه الأمور أن يراعي جانب الدقة العلمية في

---

١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الفكر – بيروت.(١٢٠/٥).

٢- ينظر: حياة محمد ، ط٢٤، دار المعارف- القاهرة ، ص (٥٣-٥٥).

٣- المرجع السابق نفسه ص(٢٩).

٤- المرجع السابق نفسه ص(٥١).

تمحيصها، خدمة للحق، وخدمة للإسلام ولتاريخ النبي العربي ).[1]

**٢- إنكارهم حقيقة الجن الواردة** في **الكتاب والسنة** حيث أنكر النظّام وجود الجـن رأسا، وكذب الصحابي الجليل ابن مسعود في تشبيهه الجن بالزط.[2][3]

أما الزمخشري فلم ينكر وجود الجن إلا أنه أنكر أن يكون لهم تأثير على الإنسان فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾[ الأعـراف ].

( وفيـه دليل بـين أن الجن لا يـرون ولايظهرون للإنس وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم، وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقـة).[4]

وتشاركهم المدرسة العقلية الحديثـة حيث يقول الدكتور حسن حنفي حـول هـذه المسألة: (ألفـاظ الجن والملائكة والشياطين، بل والخلق والبعث والقيامـة،ألفـاظ تتجاوز الحس والمشاهدة، ولا يمكن استعمالها، لأنها لا تشير إلى واقع، ولا يقبلها كل الناس ).[5]

**- الـرد عليهم:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ( وجود الجن ثابت بكتاب الله وسنة رسوله واتفاق سلف الأمة وأئمتها.

---

١- حياة محمد ،محمد هيكل ص (٥٨).
٢- المراد بالزط: بضم الزاي، والزط جنس من السودان والهنـود. ينظـر: مشـارق الأنـوار، للقاضـي عيـاض (٣١٠/١)،النهاية في غريب الأثر،لأبي السعادات (٣٠٢/٢).
٣- ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني(٤٩/١).
٤- الكشاف (٩٤/٢).
٥- التراث والتجديد(موقفنا من التراث القديم)،ط٥، ٢٠٠١م،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. ص (١٠٣).

وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [ البقرة: ٢٧٥ ]. وفي الصحيح عن النبي ﷺ: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ) [1]

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: ( قلت لأبي: إن أقوامًا يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع فقال: يا بني يكذبون هذا يتكلم على لسانه. وهذا الذي قاله أمر مشهور فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ويضرب على بدنه ضربا عظيما لو ضرب به جمل لأثر به أثرا عظيما. والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ولا بالكلام الذي يقوله وقد يجر المصروع وغير المصروع ، ويجر البساط الذي يجلس عليه، ويحول آلات وينقل من مكان إلى مكان، ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علماً ضروريًا بأن الناطق على لسان الإنسي والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان. وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادعى أن الشرع يكذب ذلك فقد كذب على الشرع وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك ).[2]

وقال القرطبي: ( أنكر معظم المعتزلة الشياطين والجن، ودل إنكارهم على قلة مبالاتهم وركاكة ديانتهم، وليس في إثباتهم مستحيل عقلي؛ وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم، وحق على اللبيب المعتصم بحبل الله أن يثبت ما قضى العقل بجوازه، ونص الشرع على ثبوته، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾[ البقرة: ١٠٢]، وقال عز من قائل: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾[ الأنبياء:٨٢]. إلى غير ذلك من الآي.

-------------------------

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٧١٧/٢)كتاب:الاعتكاف،باب:زيارة المرأة زوجها في اعتكافه رقم(١٩٣٣)،و(١١٩٥/٣)كتاب:بدء الخلق،باب صفة إبليس وجنوده رقم(٣١٠٧)ورقم(٦٧٥٠)واللفظ له، ومسلم (١٧١٢/٤)كتاب:السلام، باب: بيان أنه يستحب لمن رؤى خاليا بامرأة وكانت زوجة ،رقم(٢١٧٤).

٢- مجموع الفتاوى (٢٧٧/٢٤).

وسورة الجن تقضي بذلك ؛ وقال ﷺ: ( إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم )[1] وقد أنكر هذا الخبر كثير من الناس، وأحالوا روحين في جسد؛ والعقل لا يحيل سلوكهم في الإنس إذا كانت أجسامهم رقيقة بسيطة على ما يقوله بعض الناس بل أكثرهم؛ ولو كانوا كثافاً لصح ذلك أيضا منهم ، كما يصح دخول الطعام والشراب في الفراغ من الجسم، وكذلك الديدان قد تكون في بني آدم وهي أحياء).[2]

**٣- إنكارهم حقيقة السحر** وحجتهم في ذلك أن قالوا: ( إن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام لكون الشيء على غير ما هو به، وأنه ضرب من الخفة والشعوذة، كما قال تعالى: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [طه ]. ولم يقل تسعى على الحقيقة، ولكن قال: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ﴾ وقال أيضا: ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [ الأعراف:١١٦ ]).[3]

كما ينكرون تأثيره على الإنسان ويدعون أن نسبة تأثيره إلى النفاثات إنما هو من الجهلة والحشوية؛ ويريدون بذلك أهل الحديث أما العقلاء - في نظرهم - من المعتزلة ومن وافقهم فيقولون: ( ولا تأثير لذلك اللهم إلا إذا كان ثم إطعام شيء ضار أو سقيه أو إشمامه أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه، ولكن الله ﷻ قد يفعل عند ذلك فعلاً على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشوية والرعاع إليهن وإلى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعبئون به)[4]

ورد عليهم القرطبي قولهم هذا فقال: ( وهذا لاحجة فيه؛ لأنا لا ننكر أن يكون التخييل

---

١- سبق تخريجه ص(٤٦٨).
٢- الجامع لأحكام القرآن (٥٠/٢).
٣- المصدر السابق نفسه (٤٦/٢).
٤- الكشاف، للزمخشري (١٥٨/٢).

وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمـور جوزها العقل وورد بها السمع؛ فمن ذلك ما جاء في هذه الآيـة من ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن لـه حقيقـة لم يمكـن تعليمه، ولا أخبر تعالى أنهم يعلّمونه الناس، فدل على أنه له حقيقة ... وقال بعد أن قـرر حقيقة السحر: وعلى هـذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجمـاع، ولا عـبرة مـع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق ).[1]

- كما يرد عليهم من علماء الحق المعاصرين الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – في تأويل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [ البقـرة: ٣ ]. قـائلاً: ( حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت بـه الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح. وليس الشأن في الإيمـان بالأشـياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله، فهذا الإيمان الذي يميز بـه بين المسـلم والكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسوله، والمؤمن يـؤمن بكل ما أخبر الله بـه، وأخبر بـه رسوله، سواء شاهده أو لم يشاهده، وسواء فهمه عقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة لم تهتـد إليه، فكذبوا بما لم يحيطـوا بعلمـه، ففسدت عقولهم ومرجت أحلامهم ).[2]

## ثانيا: النفي والتأويل لصفات الباري ﷻ :

من المعلوم أن للمعتزلة أصولاً خمسة ؛الأصل الأول منها هو التوحيـد ويريدون بـذلك ( التنزيه المطلق لله عن صفات المخلوقين ... فنفى المعتزلة وصف الله بأنه جوهر، واعتـبروا الصفات هي الذات غير مغـايرة لها، فصفات الله ليست حقائق مستقلة وإنما هي اعتبارات ذهنية ... ومن أثبت معنى أو صفة قديمة زائدة على ذاته فقد أثبت إلهين).[3]

---

١- الجامع لأحكام القرآن (٤٦/٢).
٢- تيسير الكريم الرحمن (٤٢،٤١/١).
٣- في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصـول الـدين، أحمـد محمـود صـبحي، ١٩٩٢م، مؤسسة الثقافة الجامعية- الإسكندرية.ص (١٢٤،١٢٣،١٢١).

فهم يرون أن تعدد الصفات يعني تعدد الألهة وهـذا شرك لذا نفت المعتزلة صفات الله ﷻ منعا من تعدد الذوات.

ولمواجهة الآيـات التي توهم التشبيه عندهم فقـد تأولوها على نحو يتسق مع تنزيههم المطلق لله تأويلاً باطلاً ومن ذلك:

- **نفيهم صفتي السمع والبصر** التي جـاءت في القرآن العظيم منصوصا عليها في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[ الشورى ] وعجـزوا عن إنكار الصفة فعمدوا إلى نفي الصفة في حقه تعالى، ومن ثم تأويلها وصرفها عن معناها الذي أراده الله فاتفقت المعتزلة على نفي صفتي السمع والبصر وفي ذلك يقول الشهرستاني: ( واتفقت المعتزلة على أن الإرداة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته تعالى ).[١]

ولكن اختلفوا في تأويلهما؛ فالبصريون أولوهما بالحياة يقول البغدادي: ( زعم الجبائي وابنه أن الله لم يزل سميعا؛ بمعنى أنه كان حيـا لا آفة به تمنعه من إدراك المسموع إذا وجد ).[٢]

أما البغداديون فأولوهما بالعلم ( وزعم الكعبي والبغداديون من المعتزلة أن الله لايسمع شـيئًا عـلى معنى الإدراك المسمى بالسمع، وتأولوا وصفه بالسميع والبصير على أن معنى أنه عليم بالمسموعات التي يسمعها غيره، والمرئيات التي يراها غيره).[٣]

- **إنكارهم رؤيـة الله تعالى** في **الآخرة** يقول القاضي عبد الجبار: ( فأما أهل العـدل بأسرهم، والزيدية والخوارج وأكثر المرجئة، فإنهم قالوا: لا يجوز أن يرى الله تعالى بالبصـر، ولا يدرك به على وجه لا لحجاب ومانع، ولكن لأن ذلك يستحيل ).[٤]

---

١- الملل والنحل (٤٩/١).
٢- أصول الدين ،١٩٢٨م، استانبول ص(٩٧).
٣- الفرق بين الفرق، للبغدادي(١٨١).
٤- المغني في أبواب العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي، ط١، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م، دار الثقافة والإرشاد – مطبعة دار الكتب. (١٣٩/٤).

ويقول في موضع آخر: ( ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية ).[1]

ويقول أحمد بن أبي دؤاد – عندما أُتي بالإمام أحمد بن حنبل للامتحان أمام المعتصم: ( يا أمير المؤمنين هذا يزعم أن الله تعالى يرى في الآخرة، والعين لا تقع إلا على محدود).[2]

وقد واجهت المعتزلة مشكلة النصوص المثبتة للرؤية من القرآن والسنة؛ فبذلوا قصارى جهدهم للتخلص من دلالة هذه الآيات والأحاديث :

أما الآيات: فلم يجرؤوا على تكذيبها وإنما اعتبروها مجازا وأولوها مثل قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [ القيامة:٢٢،٢٣].

فأولوا الآية وقالوا:( بأن النظر إلى الله تعالى لايصح لأن النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشيء طلبًا لرؤيته وذلك لا يصح إلا في الأجسام فيجب أن يتأول على مايصح النظر إليه وهو الثواب)[3]

يقول القاضي عبد الجبار:(فإن قيل: النظر المذكور في الآية إذا لم يفد الرؤية فما تأويل الآية؟ قيل له: قد قيل أن النظر المذكور ههنا بمعنى الانتظار،[4]... وأولها بعضهم بأن المعنى وجوه يومئذ ناضرة لثواب ربها منتظرة).[5]

وكذلك أولوا قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [ يونس:٢٦]. فأولوا الزيادة بما يزيد على الثواب وهو التفضل.

---

١- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي، ص(٢٣٢).
٢- مناقب الإمام ابن حنبل ص(٣٩١)،نقلا عن المعتزلة وأصولهم الخمسة،عواد المعتق ص(١٢٨).
٣- تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجباربن أحمد ص(٤٤٢)نقلاً عن منهج المدرسة العقلية الحديثة، فهد الرومي، ص(٥٦).
٤- شرح الأصول الخمسة، ص(٢٤٥).
٥- المصدر السابق نفسه ص (٢٤٥).

يقول الزمخشري في تأويل هذه الآية: ( الحسنى:المثوبة الحسنى، وزيادة ما يزيد على المثوبة وهو التفضل ويدل عليه قوله تعالى:﴿ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [ النساء:١٧٣].(١)

- وأولوا الآيات الدالة على إثبات صفة الكلام مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾[ النساء ]. بأن لفظ الجلالة منصوب على أنه مفعول، ورفع موسى على أنه فاعل، و لذا أبطلوا صفة الكلام لله سبحانه وتعالى وحاول بعضهم أن يبقي القراءة المشهورة كما هي برفع لفظ الجلالة؛ على أنه فاعل مع تأويل المعنى بحيث لا يثبت صفة الكلام فقال: إن كلم من الكلم بمعنى الجرح فالمعنى وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن ، وقد عاب هذا التأويل الزمخشري وقال عنه أنه من بدع التفاسير وأولها بالقول الأول.(٢)

ومن ذلك أيضا تأويلهم صفة الاستواء في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥ ]. فقالوا: استوى: أي استولى وملك وقهر.(٣)

وفسره الزمخشري ( بأن استواء الله على العرش كناية عن الملك. واستدلوا بقولهم استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة).(٤)

وقال القاضي عبد الجبار: ( والاستواء ههنا بمعنى الاستيلاء والقهر والغلبة ).(٥)

وأولوا قوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾[ الفتح: ١٠]. بأنه ( على طريق التخييل فقال ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ يريد أن يد رسول الله التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله؛ والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول

---

١- الكشاف (٢٣٣/٢).
٢- ينظر: المصدر السابق نفسه (٥٨٢/١).
٣- ينظر: مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١٤٣/٥).
٤- الكشاف (٥٣٠/٢).
٥- شرح الأصول الخمسة ص(١٢٦).

كعقده مع  الله من غير تفاوت بينهما).[1]

**الرد على نفي المعتزلة للصفات وتأويلا م الباطلة :**

يجب على كل مسلم الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات ( فما أثبته الله ورسوله أثبتنـاه، ومانفاه الله ورسوله نفيناه.والألفاظ التي ورد  ا النص يعتصم  ا في الإثبات والنفي ، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني ).[2]

(ومن لم يتوق النفي والتشبيه ،زل ولم يصب الت  يه ؛ فإن هؤلاء المعتزلة يزعمون أ  ـم ي  هون الله  ذا النفي ! وهل يكون الت  يه بنفي صفة الكمال؟)[3]

من هنا تصدى أئمة العلم لمسألة التعطيل منذ ظهورها ومن ثم انتشارها في المائة الثالثـة والتي يسميها السلف مقالة الجهمية وكثُر الكلام في ذم أصحا  ا وتضليلهم ومرادهم ( ترك التأويلات الفاسدة المبتدعة المخالفة لمذهب السلف التي يدل الكتاب والسنة على فسـادها وترك القول على الله بلا علم فمن التأويلات الفاسدة تأويل أدلة الرؤية وأدلة العلو وأنـه لم يكلم موسى تكليما ولم يتخذ إبراهيم خليلا)[4]

ومن هؤلاء الأعلام المنافحين عن الإسلام : مالك والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وسفيان بن عيينة وابن المبارك والفضيل بن عياض وغيرهم كثير.

ومن الكتب المصنفة في الرد على النفاة والمعطلين كتاب" السنة لعبـد الله بـن أحمـد" و"السنة" لأبي بكر الأثرم ، و"السنة" لأبي بكر بن أبي عاصم" و" الرد على الجهمية" لعبد الله بن محمد الجعفي شيخ البخاري ،و"كتاب خلق أفعال العبـاد" لأبي عبـد الله البخـاري و" الحيدة" لعبد العزيز المكي، و "رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى علـى التوحيد" للدارمي، و" السنن" للالكائي، و"الإبانة" لابن بطة،و"السـنة" لأبي ذر الهـروي، و"الأصول" لأبي عمرالطلمنكي ، و"الأسماء والصـفات" للبيهقـي،"السـنة" للخـلال، و"التوحيد" لابن خزيمة وغيرها مما لا يمكن حصره.

---

١- تفسير الكشاف ، للزمخشري (٣٣٧/٤).

٢- العقيد الطحاوية ص (٢١٨).

٣- المصدر السابق نفسه ص (٢١٢).

٤- المصدر السابق نفسه ص (٢٣٢).

## موقف العقلانيين المعاصرين من التفسير:

وللعقلانيين المعاصرين موقف خطير من التفسير بالمأثور يشبه إلى حـد بعيـد موقـف أسلافهم من المعتزلة ؛ فهم بين الإنكار والتأويل المحرف والطعن في الرواة مـن الصـحابة والتابعين بل إنهم أشد على الإسلام من المعتزلة القدماء وأنكى.

ومن أبرز العقلانيين خوضا في الأسماء والصفات وأكثرهم ولوغًا فيها تعطيلاً وتحريفًـا الدكتور مصطفى محمود حيث يعطل صفات الله قائـلاً: ( ولأنه منزه عن الزمان والمكـان فهو لا يتحرك، ولا ينتقل، وإنما هو ساكن سكونا مطلقًا).[1]

ويقول: ( والصمد هو الساكن سكونا مطلقًا لا اضطراب فيه رغـم احتوائـه علـى الأضداد، لا حرب في داخله رغم احتوائه على النقائض، فهو السلام ).[2]

وقوله هذا يتضمن نفي وتعطيل لصفات الله الفعلية كالاستواء والفوقية والعلو والنـزول والمجيء ونحو ذلك، وهذا بعينـه منهج الجهمية والمعتزلة بحجـة أن الصفات الفعلية تستلزم الحدوث وكل حادث مخلوق.

ولم يقف عند حـد الصفات الفعلية بل نفى أيضا الصفات الذاتيـة كالسمع والبصـر والصفات الخبريـة كالعين فيقول: ( هو السميع بذاتـه، وهو البصير بدون بصر، وبدون عين وبدون أعصاب بصرية، هو البصير بذاته).[3]

وهذا نص مذهب المعتزلة المنكرين لهذه الصفات بحجة التركيب وأن إثبات العين واليد والساق والقدم لله تستلزم التركيب، والتركيب يستلزم الحدوث وكل حادث مخلوق.

ومبالغـة في الجـرأة على الله وأسمائه وصفاته، والجهل بما ورد في الكتاب والسنة يـدعي

---

١- كتاب (الله) ص(٩) نقلا عن : الاتجاهات العقلية الحديثة،ناصر العقل ص(١٤٥) .

٢- المرجع السابق نفسه ص(١١) نقلا عن : الاتجاهات العقلية الحديثة،ناصر العقل ص(١٤٥) .

٣- المرجع السابق نفسه ص(١٢) نقلا عن : الاتجاهات العقلية الحديثة،ناصر العقل ص(١٤٦) .

هؤلاء حلول الذات الإلهية في جميع المخلوقات متأسين في ذلك برؤوس المتصوفة معجبين بأقوالهم فيقول مصطفى محمود: ( اللطيف هو الذي ليس له جسم أو ثقل أو كثافة تعوقه، ومن ثم فهو يتخلل كل شيء في حضور كامل من كل شيء).[1]

كما يقول: (حب الوطن وحب الفن وحب الجمال، وحب الحقيقة، كل هذه أقنعة وأسماء لحب الله، فالطفل يحب في أمه أوصاف المعطي والوهاب والرزاق والحافظ والمغيث، والفنان يجسد ما تجسد صنعته من أسماء الخالق البارئ المصور والمفكر والفيلسوف يحب الأسماء الحق والعليم واللطيف والخبير والمحيط، وما نحب في النهاية كامن فينا وبين أضلعنا، وأقرب إلينا من حبل الوريد دون أن ندري ).[2]

وهل في هذا القول إلا اعتقاد الحلولية المنكرة وتجاوز حدود الأدب مع الله تعالى ونسبة صفات الخالق إلى الخلق وكأنما شيء واحد حيث يجعل صفات الأم والفنان والفيلسوف من صفات الله تعالى الله علوا كبيرا.

ويصر على نظرته لهذه المسألة ويؤكدها قائلاً: ( وكلما عرفت الكون أكثر علمت أنه لا شيء إلا الله. وماترى حولك إلا عموم التجلي .. وهنا يصبح الحق(الله) دليلاً على نفسه ودليلاً على غيره وما ثم غيره).[3]

فما المراد بقوله: ( لا شيء إلا الله )، ( وماترى حولك إلا عموم التجلي )، ( وما ثم غيره ) إنها عبارات تشعر بالحلول واتحاد الباري سبحانه بكل ما في الوجود، تعالى عن افتراءاتهم علوا كبيرا.

وقد نهى الله عن القول عليه بلا علم فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [ الإسراء ].

---

١- كتاب(الله) ص(٩). نقلا عن : الاتجاهات العقلية الحديثة،ناصر العقل ص(١٤٥).

٢- السر الأعظم، مصطفى محمود ، بدون ط ، دار المعارف- القاهرة . ص(٨٥).

٣- المرجع السابق نفسه ص(١٩).

وعـد ذلك أعظم من الكبائر فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾[ الأعراف].

إلا أن الجهل بكتاب الله وتعاليمه والبعد عن سنة المصطفى ﷺ دفعتهم إلى القول علـى الله بلا علم مع عدم إدراكهم لتبعات ذلك وآثـاره عليهم من جهة وعلى المجتمع من جهـة أخـرى؛ حيث يدعي مصطفى محمود أن الله مسلوب حرية الاختيار وأنه أُحدي المشـيئة فيقول: ( والحق تعالى مريد غير مختار لأن أمره ليس فيه جواز وإنما أمره واحد وإنما الجـواز للممكن لأنه قابل للطرفين أما الله فهو أحدي المشيئة).[1]

ولنا بعد هـذه العبارة أن نتصورحجم تفكير هؤلاء العقلانيين الذين يقَيمون كل شيء بعقولهم ونسألهم: هل وزنوا هـذه المسألة، وقاسوها بمقياس العقلاء الأصحاء فضـلاً عن العلماء الربانيين ؟ وكيف يكون للمخلوق(الممكن) حرية الاختيار في الوقت الذي يفقدها الواهب الخالق نفسه ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾[ ص ].

وصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال:( ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه ولا من فاسق بين فسقه ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أزلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله).[2]

## ثالثـاً: التشكيك والتجريح:

عنـدما تعجز المعتزلة عن النفي والإنكار أوالتأويل للآيات وتفسيرها بما يوافق أصولهم وأهواءهم تلجأ إلى التشكيك في دلالة النص، وأنه محال عقلاً كما ورد في مسألة رؤيـة الله تعالى في الآخـرة.[3]

---

١- السر الأعظم ص (٣٢).
٢- جامع بيان العلم وفضله،لابن عبد البر (١٩٤/٢).
٣- ينظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار (١٣٩/٤).

وسار على جهم العقلانيون المعاصرون حيث يرون أنه من الحقائق التي يجب التسليم ا أن القرآن الشريف يجب أن يعاد النظر في فهم تعاليمه وتطبيقها من عصر إلى عصر بل مـن جيل إلى جيل؛ لأن ( التفاسير التي أخذ ا بعض شراح المسلمين هي أقـرب إلى التفاسـير الشعرية منها إلى المنطق السليم كما أن ثقافة أصحا ا العلمية محدودة...ومـاهي إلا رمـز لاستثارة اهتمام الناس بالكون وعجائبه ونشأته في أسلوب فني محض).[١]

وعلى هذا لابد من ظهور تفاسير جديدة متمشية مع روح العصر وتقدم العلم يؤلفهـا المطلعون الواعون من المفكرين،وضـرب مثلاً لهؤلاء المطلعون الواعون المفكرون بأسلافهم ( إخوان الصفا ) الفضلاء الحكماء كما ينعتهم فيقول: ( وتحضرنا ـذه المناسبة ذكـرى (جماعـة إخوان الصفا )... فإن أولئك الفضلاء الحكماء الذين ازدانت م المئـة الرابعـة من الهجرة كما ازدان م الإسلام والذين اجتمعوا على القدس والطهارة على حد تعبير أبي حيان التوحيـدي[٢]، تفتقت أذها م على روحانية الإسلام ورجاحته الحقيقيتين فصـاحوا ان الشريعة قـد دنست بالجهالة ومختلطة بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرهـا إلا بالفلسفة، ثم راحوا يؤلفون اثنـتين وخمسـين رسالة امتزجت فيها الفلسفة بالعلم والدين امتـزاجا طبيعيا؛ لأ م رفضوا جميع التفاسير المنافية للعلم والمنطق واعتبروا الدين دسـتورا أدبيا علميا في آنٍ واحـد واهتموا كما تم هنا بجواهر الأخلاق الإسلامية فاعتبروها الركن الآخـر للإسلام العملي، فمن العيب الفاضح بعد مرور هذه القرون الطويلـة أن ننسـى قدو م المثالية والصورة النقية الرائعـة التي رسموها للإسلام الصحيح من ناحيتي السـلوك والفكر).[٣]

---

١- ثورة الإسلام ، أحمد زكي أبو شادي بدون طبعة ، دار مكتبة الحياة - بيروت (١٧٧).

٢- الضال الملحد أبو حيان علي بن محمد بن العباس البغدادي الصوفي شيرازي الأصل وقيل نيسابوري وقيل واسطي شيخ الصوفية صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية ويقال كان من أعيان الشافعية كان كذابا قليل الدين والورع عـن القذف وا اهرة بالبهتان تعرض لأمور جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل ،له مصنف كـبير في تصـوف الحكماء وزهاد الفلاسفة و"البصائر والذخائر"و"الصديق والصداقة" و"المقابسات" و"مثالب الوزيرين" وغيرذلك.
ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي "(١١٩/١٧) ،طبقات الشافعية لابن شهبة(١٨٥/١).

٣- ثورة الإسلام ، أحمد زكي أبو شادي ص(٤٨).

وفي المقابل يتطاول هؤلاء على أئمة أهل العلم من أعلام المفسرين بالطعن في تفاسيرهم وا امهم بالجهل، وا ام المعاصرين من أهل السنة بالرجعيـة والتخلف فيقول أبو شـادي : ( وبينما لايـزال كثيرون ممن يعيشون في العصور المظلمة يجنحون في الأقطار المتخلفـة إلى تفسير الإسلام بجهالات الكتب المخرقة الأثرية ).[١]

بل ويعجب ممن يعتمدون كتب أئمة العلم وفتاويهم ويعتبر ذلك همجية فيقول: ( فإننـا نجد العجب في الأقطار الإسلامية المتخلفة، فالآراء والكتب القديمة التي يقال أ ا مبنية علـى الاجتهاد- وهو اجتهاد القرون الوسطى- أو على الاتباع – وهو اتباع أعمى- هي الفيصل الذي لا يـرد، حتى أصبحت الفتاوي الغاشمة تنشر وتنثر يمنةً ويسرة دون حساب. وبـات الإسلام يحمل ظلما أوزارها ويعد من أجلها ديناً همجيا وهو بريء منها كل البراءة ).[٢]

وأعطى مثالاً لذلك بقاتل ولديه وأنـه لا يجوز القصاص منـه وا م هذا الحكم بأنـه حكم سخيف قائـلاً: ( وكأنما من يفتون بمثل هذه السخافة لايعرفون شيئًا عن البيولوجيا وحقوق الكائن الحي مستقل عن أبويه أو غير مستقل).[٣]

وما علم أن عين السخف هو تجاوز نصوص الكتاب والسنة وتقديـم العلم النظري الحسي البحت عليهما فقد قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [ الصف:٨ ]، وفي إطـار النظرة القاصرة للقرآن العظيم والسـنة الشـريفة والتشريع الإسلامي والغاية من خلق الخلق، يفسر هؤلاء النصوص الشرعية تفسيرا ماديا بحتا غايته أن يحقق الإنسان غاياته المادية فقط بعيدا عن تحقيق العبودية والسمو الأخلاقي، فنجد الشيخ جودت سعيد[٤]- وهو من رؤوس العصرانيين في العصر الحديث- يستخدم الأسلوب

---------------------------

١- ثورة الإسلام، أحمد زكي، ص(٤٣).

٢- المرجع السابق نفسه ص(٤٣).

٣- المرجع السابق نفسه ص(٤٤).

٤- جودت سعيد هو شيخ التيار العصراني المادي والمنظر لأتباعه من أصل شركسـي،درس في الأزهـر إلى المرحلـة الجامعية،تفرغ للعمل الفكري وقدم العديد من الكتب والدراسات و ل من أفكار جمال الدين الأفغاني،،تلميذه =

الوضعي المادي منهجا له في تفسير القرآن والأحداث، يسانده في ذلـك تلميـذه خـالص جلبي[1] متأثرا بنظرية النشوء والارتقاء (نظرية دارون) باذلاً الجهود في تقريب هـذه النظرية إلى المسلمين تحت شعار العلم، وتبني كل منهما نظريـات علـم الاجتمـاع الوضـعي فأصبحت الغاية من الخلق عندهما هي كشف السنن ( الآيات الربانية) ويصبح هـذا منهجا عامـًا لديهما يتناول الأقوام جميعا، المؤمنـة والكافرة على حـد سواء، فيغيب التمييـز وتختلط الأمور، وتنحصر الغاية من الخلق في إعمار الأرض والاستفادة من خيرا ا، وتصبح وظيفة الإنسان حينئذ هي تأمين المطالب المادية التي يحتاجها في حياته وتصبح حياة الإنسان متشا ة مع حياة الحيوان قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد:١٢].[2]

وفي سبيل إثبا ا قاموا بتأويل الآيات والأحاديث بما يتوافق مع منهجهم، والتعامل معها من خلال نظريات علم الاجتماع وإخضاعها للمنهج المادي ففي قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ

---

= محمد عبده، - كما تأثر بالفكر الفلسفي الوضعي،ويدعو إلى تكوين مجتمع على طريقة الغربيين اعتمادا على معطيات العلوم الإنسانية،من أبرز كتبه:مذهب ابن آدم الأول"و"حتى يغيروا ما بأنفسهم" و"العمل قدرة وإرادة"واقـرأ وربـك الأكبر".

ينظر : المدرسة العصرانية في نزعتها المادية تعطيل للنصـوص وفتنـة بالتغريب،محمـد بـن حامـد الناصـر،ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م،مكتبة الكوثر-الرياض ، ص(٢٠).

١- هو الطبيب خالص مجيب جلبي كنجو،حصل على الزمالة الألمانية وعاد متأثرا بالفكر الغربي ومتعلقـا بفلاسـفة الغرب وحضارته المادية،نشأ في بيت ليس فيه علم،وكانت والدته تحسن الضرب على العود فنشأ محبـا للموسـيقى متجاهلا حرمتها وينكر الأحاديث الصحيحة في ذلك،ويعتبر عدم تطوير الفن كارثـة أصـابت الشـرق،أما مدينـة القامشلي فيها مزيج من كل الطوائف المسيحية والتيارات الفكرية،ويتابع أستاذه سعيد جودت في معظـم أفكاره،لـه مؤلفات منها: "الطب في محراب الإيمان" و"النقد الذاتي"وسيكلوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي" وغيرهـا.ولـه مقالات في الصحف وا لات مثل صحيفة الرياض،والشرق الأوسط ،والاقتصادية.

ينظر : المدرسة العصرانية،محمد الناصر ص(٢٨).

٢- ينظر : المرجع السابق نفسه ، ص(١٩٩).

شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ [فصلت:٥٣ ]

يقول جودت سعيد: ( هذه الآية تنقل أدلة موضوع الفكر الديني الذي تقـرره آيـات الكتاب، تنقل مصـدر الأدلة من آيات الكتاب إلى آيات الآفاق والأنفس، وهـذه النقلـة البعيدة المدى لم تكن البشرية مهيأة لها من قبل، بل لا تزال غير مهيأة لها إلى الآن. وانعـدام هذه النقلة أوعدم القدرة على التكيف معها هو الذي جعل مصدر أدلة العلم والإيمان مختلفة في أذهـان العالم المعاصر فجعلوا الدين غير العلم، وأن مصدر العلم من الواقـع ومصـدر الدين من الغيب فهذه الآيـة ذه النقلة التاريخية التي لم يقـدر البشر على تفهمها، تدمج الدين دمجا كاملاً في العلم الواقعي في المحيط الإنساني ليكون موضع تأمل الناس ).[1]

( وهذه النقلة التي يقوم ا "جودت سعيد" تمثل استبدال أدلة الشرع بالدليل الحسـي، بعد أن تقرر لديه تقديم الواقع المادي على النصوص ... فتصبح آيات الله لديه قابلة للتأويل والتنازع، مع اعتقاده بالرجوع إلى الوجود الخارجي المادي عند الاختلاف ... وهـذا مـا يخرج الأدلة الشرعية عن وظيفتها الأساسية في هداية الناس وبيان الحق ).[2]

ويؤكد الشيخ جودت هذا التوجه الخطير ،فيقرر أن الأدلة عن بدء الخلق ليس في القرآن وإنما في السير في الأرض فيقول: ( فآية الآفاق والأنفس حددت مكان الدليل ومصدره بأنه ليس الكتاب، فـلا نطلب كيف بدأ الخلق من الكتاب، وإنما نطلبه من السـير في الأرض والنظر كما أمـر بذلك الكتاب، فالحكم في الكتاب ،والدليل في الواقع والأرض وآيـات الآفاق والأنفس ).[3]

وبعد أن يجرد الشيخ جودت المرء من دينه وكتابه ينحرف بدهاء الفلاسفة المنطقيين إلى اقتراح الوسيلة التي تجمع المسلمين وتوحد جهودهم دافعاً م إلى دعـوة منكرة تتجلى في

---

١- اقـرأ وربك الأكرم ،ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان. (٢١٨،٢١٧).
٢- النـزعة المادية في العالم الإسلامي ، عادل التل ص(١٢٢)نقلا عن المدرسة العصرانية،محمد الناصر ص (١٣٥).
٣- اقـرأ وربك الأكرم ص(٢٢١).

قوله: (كثيرا ما يواجهني الشباب المتحرق إلى التعاون والتـآلف وتوحيـ ـد الجهـود الإسلامية - الإنسانية- بسؤال: ما السبيل إلى توحيد المسلمين والعاملين للإسلام ؟

أقـول لهؤلاء: إن هـذا المنهج، منهج آيات الآفاق والأنفس هو الذي سيحدد معـنى الكتاب، ومعنى السنة، ومعنى فهم الناس لهما على مر التاريخ ... وقـد ذكرت في أثناء ما أكتب إشارات ولمحات إلى أهمية آيات الآفاق والأنفس، وإ نما نوع من الوحي والأسلوب الذي يعلن به الله إرادته لخلقه...وهما طريقان لتحويل الدين إلى العلم والعالمية...وهذا المنهج هو الطريق الذي ستتوحد به المذاهب الإسلامية، بل سيتوحد به العالم).[1]

ولا يخجل من التصريح بإمكانية مصادرة آيـات القرآن العظيم وكأ ا مجال متـاح لكـل ناعق يتصرف بماشاء ويحذف مايشاء ويقر مايشاء فيقول: ( وللمجادل أن يصادر آيـات الكتاب، ولكنه لا يمكنه أن يصادر آيات الآفاق والأنفس، فمن هذا الجانب صـار دليـل الدين دليلاً عاليـًا وليس دليلاً لطائفة معينة من الناس).[2]

ومن خلال النصوص السابقة ندرك حجم الانحراف العقدي الذي أصا م؛ حيث يصرح كل منهم وبكل جرأة عن استبدال النصوص الشرعية بالواقع المادي وأنه نوع من الـوحي يستغنى بـه عن الكتاب والسنة، ويدعم كلامه بنصوص شرعية لتكون مقبولـة عنـ ـد الجهلة من العامة ونحوهم ممن في قلو م مرض.

كما أن في كلامـه إشارة إلى وحدة الأديان فهو يـرى أن منهجه الذي استحدثه ولم يسبقه إليه أحد هو الطريق الذي سيتوحد به العالم وكافة المذاهب .

## الدعوة إلى وحدة الأديان:

وليس هـذا بمستغرب فقد سبقه في الدعوة إلى وحدة الأديان المؤسس الأول للمدرسة

---

١- اقـرأ وربك الأكرم ، جودت سعيد ص(٢٢٥،٢٢٤).

٢- المرجع السابق نفسه ص(٢٢٢).

العقلية الحديثة جمال الدين الأفغاني[1] حيث يقول: ( إن الأديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية، على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في الواحد شيء من أوامر الخير المطلق، استكملته الثانية، .. وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير: أن يتحد أهل الأديان الثلاثة، مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها، وبهذا الاتحاد يكون البشر قد خطوا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة).[2]

وكتب محمد عبده إلى القس إسحاق طيلر يقول: ( كتابي إلى الملهم بالحق الناطق بالصدق حضرة القس المحترم إسحاق طيلر أيده الله في مقصده ووفاه المذخور من موعده!! ) إلى أن قال: ( وإنا لنهنئك على هذه البركة العظمى التي اختصك الله بها من بين قومك، ونستبشر بقرب الوقت الذي يسطع فيه نور العرفان الكامل فتهزم له ظلمات الغفلة فتصبح الملتان العظيمتان المسيحية والإسلام وقد تعرفت كل منهما إلى الأخرى وتصافحتا مصافحة الوداد وتعانقتا معانقة الألفة، فتغمد عند ذلك سيوف الحرب التي طالما انزعجت لها أرواح الملتين ). - ويقول- أيضاً-: ( وإنا نرى التوراة والإنجيل والقرآن ستصبح كتبامتوافقة، وصحفًا متصادقة يدرسها أبناء الملتين ويوقرها أرباب الدينين، فيتم نور الله في أرضه، ويظهر دينه الحق على الدين كله).[3]

ويقول القرضاوي عن النصارى : ( فكل القضايا بيننا مشتركة فنحن أبناء وطن واحد، مصيرنا واحد، أمتنا واحدة، أنا أقول عنهم إخواننا المسيحيين، البعض ينكر علي هذا كيف

---

١- اُختلف في نسبه، يغير لقبه وملبسه حسب حال البلد التي يكون فيها ، دراسته شيعية، ويرى أن النبوة مكتسبة، ويدين بوحدة الوجود ونادى باشتراكية الإسلام ، متهم بالإلحاد،كان رأسا في الماسونية العالمية،وتم اختياره رئيسا للمحفل الماسوني،كان نشاطه سريا وهو أول من أدخل نظام الجمعيات السرية في العصر الحديث ومن هذه الجمعيات:الحزب الوطني الحر، جمعية مصر الفتاة،جمعية العروة الوثقى وغيرها ،كما تأثرت جماعة الإخوان المسلمين بدعوته.

ينظر: الجماعات الإسلامية،سليم الهلالي(٣٥٥).

٢- الأعمال الكاملة للإمام جمال الدين الأفغاني، جمع: محمد عمارة، ط١، ١٩٨١م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،القاهرة. ص(٢٩٤،٢٩٥).

٣- الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، جمع : محمد عمارة،١٩٩٣م، دار الشروق- القاهرة. (٣٥٥/٢،٣٥٦).

أقول إخواننا المسيحين؟ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠] نعم نحن مؤمنون وهم مؤمنون بوجه آخر).[١] وينكر العداء لهم فيقول: (إن بعض مايراه من التعصب لدى بعض المسلمين ،قد يكون رد فعل لتعصب آخر من إخوا م ومواطنيهم من غير المسلمين).[٢]

ويعلق القرطبي على قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ أي في الـدين والحرمـة لا في النسب ، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب؛ فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفـة الدين وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب).[٣]

## الرد على الدعوة إلى وحدة الأديـان:

إن الدعوة إلى وحدة الأديان دعوة مضادة لعقيدة الولاء والبراء التي قرر ا الشريعة؛ كما أمر أتباع جميع الأديـان باعتناق الدين الإسلامي قـال ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾[ النساء: ٤٧].وفي القرآن من قوله يا أهل الكتاب؛يا بـني إسرائيل: ما لا يحصى.

ولا ينفع دين بعد بعثة محمد ﷺ إلا الإسلام قال ﷺ : (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثـم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار).[٤]

ومن لم يؤمن بمحمد ﷺ بدعوى أن اليهود والنصارى مؤمنين برسالات سماوية سـابقة وأ م ليسوا كفاراً، فقد كفانا القرآن العظيم مئونة الرد عليهم فقال ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ

---

١- برنامج الشريعة والحياة: بعنوان (في ظل الشـريعة الإسـلامية )بتـاريخ ١٩٩٧/١٠/١٢م ، وينظـر:فتـاوى معاصرة،ط٥، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م،دار القلم-الكويت/القاهرة.(٦٦٨/٢).

٢- فتاوى معاصرة ،القرضاوي(٦٦٨/٢).

٣- الجامع لأحكام القرآن،للقرطبي (٣٢٢/١٦، ٣٢٣).

٤- أخرجه مسلم في صحيحه(١٣٤/١)كتاب:الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميـع النـاس ونسخ الملل بملته، رقم(١٥٣).

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾ [المائدة:٧٢]

وقــال ﷻ : ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾[ المائدة:٧٣ ]

وقال ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ﴾ [ التوبة ] .

ويعــرض شيخ الإسلام ابن تيمية لهذه الشبه ويرد عليها فيقول: ( هذا القدر يعترف به كل عاقل - من اليهود والنصارى - يعترفون بأن دين المسلمين حق وأن محمدا رســول الله ﷺ وأن من أطاعه منهم دخل الجنة بل يعترفون بأن دين الإسلام خير من دينــهم: كمــا أطبقت على ذلك الفلاسفة كما قال ابن سينا[1] وغيره: أجمع فلاسفة العالم على أنه لا يقرع العالم ناموس أعظم من هذا الناموس لكن من لم يتبعه يعلل نفسه بأنه لا يجب عليه اتباعــه؛ لأنه رسول إلى العرب الأميين دون أهل الكتاب: لأنه إن كان دينه حقــاً فــديننا أيضــاً حق،والطريق إلى الله تعالى متنوعة؛ ويشبهون ذلك بمذاهب الأئمة فإنــه وإن كــان أحــد المذاهب يرجح على الآخر فأهل المذاهب الأخر ليسوا كفــارا ولا من أهل الكتاب. هــذه الشبهة التي يضل بها المتكايسون من أهل الكتاب والمتفلسفة ونحوهم وبطلانها ظاهــر؛ فإنه كما علم علماً ضرورياً متواترا أنه دعا المشركين إلى الإيمان فقد علم بمثل ذلك أنه دعا أهل الكتاب إلى الإيمان به وأنه جاهــد أهل الكتاب كما جاهد المشركين)[2]

---

١- هو الشيخ الرئيس هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي ابن سينا ، أشــهر مــن أن يــذكر،درس الأشــكال الهندسية،والطب،والمنطق والطبيعي والرياضي ثم الإلهي ثم كتب ما بعد الطبيعة ،وصنف كتبا كثيرة مثل"أول القانون" و"مختصر المجسطي" و"كتاب المجموع" وكثيرا من الرسائل ومن رسائله القضاء والقدر،تعقب المواضع الجدلية ،مختصــر أقليدس ،مختصر في النبض بالعجمية ،الحدود الأجرام السماوية ،الإشارة إلى علم المنطق،وكان موته في سنة(٤٢٨هــ) ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن خليفة (٤٣٧/١).

٢- مجموع الفتاوى (٢٠٣/٤،٢٠٥).

وكأن ابن تيمية ينبه على ما يجري في العصر الحديث من دعوة منكرة لوحدة الأديان ويستكمل أهل العلم الدفاع عن الإسلام منتقدين هذه الفكرة حيث يقول الشيخ بكر أبو زيد: ( في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، وحتى عامنا هذا... وفي ظل "النظام العالمي الجديد": جهرت اليهود والنصارى، بالدعوة إلى التجمع الديني بينهم، وبين المسلمين، وبعبارة أخرى:"التوحيد بين الموسوية، والعيسوية، والمحمدية" باسم: "الدعوة إلى التقريب بين الأديان"."التقارب بين الأديان" ثم باسم: "نبذ التعصب الديني" ثم باسم: "الإخاء الديني" وله: فُتح مركز بمصر بهذا الاسم. وباسم: "مجمع الأديان" وله: فتح مركز بسيناء مصر بهذا الاسم. وباسم: "الصداقة الإسلامية المسيحية". وباسم: "التضامن الإسلامي المسيحي ضد الشيوعية" ثم أُخرجت للناس تحت عدة شعارات:"وحدة الأديان". "توحيد الأديان". "توحيد الأديان الثلاثة". "الإبراهيمية"."الملة الإبراهيمية". "الوحدة الإبراهيمية"."وحدة الدين الإلهي"."المؤمنون". "المؤمنون متحدون". "الناس متحدون". "الديانة العالمية"."التعايش بين الأديان". "المليون". "والعالمية وتوحيد الأديان".

ثم لحقها شعار آخر، هو: "وحدة الكتب السماوية". ثم امتد أثر هذا الشعار إلى فكرة طبع: "القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل" في غلاف واحد . ثم دخلت هذه الدعوة في: "الحياة التعبدية العملية" إذ دعا البابا إلى إقامة صلاة مشتركة من ممثلي الأديان الثلاثة: الإسلاميين والكتابيين، وذلك بقرية: أسيس في إيطاليا. فأقيمت فيها بتاريخ ١٩٨٦/١٠/٧م ثم تكرر هذا الحدث مرات أخرى باسم: "صلاة روح القدس" . ففي اليابان على قمة جبل "كيتو" أُقيمت هذه الصلاة المشتركة، وكان – واحسرتاه- من الحضور ممثل لبعض المؤسسات الإسلامية المرموقة !).[1]

ويرد الشيخ بكر أبو زيد قائلاً: ( إن الدعوة إلى هذه النظرية الثلاثية: تحت أي من هذه الشعارات: إلى توحيد دين الإسلام الحق الناسخ لما قبله من الشرائع، مع ما عليه اليهود

---

١- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط١، ١٤١٧هـ - دار العاصمة-الرياض، ص(٢٣،٢٥).

والنصارى من دين دائر كل منهما بين النسخ والتحريف، هي أكبر مكيدة عرفت لمواجهة الإسلام والمسلمين، اجتمعت عليها كلمة اليهود والنصارى بجامع علتهم المشتركة: ( بغض الإسلام والمسلمين ). وغلفوها بأطباق من الشعارات اللامعة، وهي كاذبة خادعة، ذات مصير مروع مخوف. فهي في حكم الإسلام: دعوة بدعية، ضالة كفرية،ودعوة لهم إلى ردة شاملة عن الإسلام، لأنها تصطدم مع بدهيات الاعتقاد، وتنتهك حرمات الرسل والرسالات، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع، وتبطل ختم النبوة والرسالة بمحمد عليه الصلاة والسلام، فهي نظرية مرفوضة شرعا، محرمة قطعا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من كتاب وسنة، وإجماع وما ينطوي تحت ذلك من دليل وبرهان ).[١]

كما يقول الدكتور فهد الرومي: ( وما تلكم الدعوة - وحدة الأديان- في حقيقتها إلا تذويب للأديان وامتصاص لعداوتها لليهودية، وحينما يتم التقريب بين الأديان فإن العلمانية – حتما - هي النتيجة، وحينئذ يسهل القضاء عليها لتزول الأديان كلها وتتحقق أهداف الماسونية من طريق جديد- بل أهداف الصهيونية).[٢]

## التشكيك في الأحاديث النبوية :

لم يتوقف الأمر عند تفسير الآيات ودلالتها الواردة عن النبي ﷺ أو الصحابة والتابعين وتابعيهم، بل اتخذوا كل الوسائل الكفيلة لإثبات أصولهم وإن كانت مخالفة للكتاب والسنة ولجأوا في ذلك إلى:

**تكذيب الأحاديث** التي لا تتفق مع أصولهم والتشكيك في صحتها، أو تأويلها تأويلاً باطلاً يتنافى مع المعنى المراد منها، ومن هذه الأحاديث حديث: ﴿ما من بني آدم مولود إلا يمسه

---

١- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان ص (٣٦،٣٥).

٢- منهج المدرسة العقلية في التفسير ص(١٣٧/١).

الشيطان حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان غير مريم وابنها) .[1]

فهذا حديث ورد في الصحيحين من روايـة أبي هريرة ومع هـذا يقول الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [ آل عمران ]

( وما يـروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسـه حين يولد فيسـتهل صارخا من مس الشيطان إيـاه الا مريم وابنها فالله أعلم بصحته، فإن صح فمعناه أن كـل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها فإ ما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [ الحجر ]. واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه ... وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا. ولو سلط إبليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطًا مما يبلونا به من نخسه)[2]

ومما أنكروه أيضـًا تلك الأحاديث الثابتة في الرؤيـة مع أ ا متواترة وقـد رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن.[3]

ومنها حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: (كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) .[4]

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(١٢٦٤/٣) كتاب:الأنبياء، باب قول الله تعالى: ( واذْكُر في الْكتـابِ مـريم...) رقم(٣٢٤٨).

٢- الكشاف،(٣٨٦،٣٨٥/١).

٣- ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ص(١٩٣).

٤- أخرجه البخاري في صحيحه(٢٧٠٣/٦)كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) رقـم(٦٩٩٩)، ومسلم في صحيحه(٤٣٩/١)كتاب:المساجد،باب:فضل صلاة الصبح والعصر رقم(٦٣٣) واللفظ له.

كما ( روى أحاديث الرؤيـة نحو ثلاثين صحابيـًا).[1]

ومع قوة هذه الأحاديث ثبوتا ودلالة إلا أن المعتزلة أنكروها أو تأولوها لا لضـعف في إسنادها بل لمخالفتها مذهبهم في إنكار الرؤية، وفي رد هذا الحديث وتكذيبه يقول القاضي عبد الجبار: ( فيجب أن نقطع أنـه كذب على النبي ﷺ وأنه لم يقله، وإن قاله فإنـه قاله حكاية عن قوم).[2]

كما يقـول عنـد تفسيره لقوله تعالى:﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾[ يـونس: ٢٦]. ( أليس المراد ا الرؤيـة على ماروي في الخبر؟ وجوابنـا أن المراد بالزيادة التفضيل في الثواب؛ فتكون الزيادة من جنس المزيد عليه وهـذا مروي وهو الظاهر فلا معنى لـتعلقهم بذلك. وكيف يصح ذلك لهم وعندهم أن الرؤيـة أعظم من كل الثواب فكيـف تجعـل زيـادة على الحسنى ).[3]

## - إنكار حجية خبر الآحاد:

بما أن المعتزلة تنكر وتنفي صفات الله ﷻ، وبما أن أكثر الصفات جاءت عـن طريـق أخبـار الآحاد، حاول المعتزلة- العقلانيون القدماء- إيجاد مخرج يخلصهم مما وقعـوا فيـه، ويتوافق مع ما اعتقدوه من نفي للصفات، فما كان منهم إلا إنكار ثبوت خبر الواحد، ومن ثم إنكار حجيته وقالوا إ ا أخبـار ظنية لا يجوز الاحتجاج ا في المسائل القطعية.

قال أبو الحسين البصري المعتزلي[4]: (إن أخبار الآحاد لا يجوز قبولها في توحيد الله وعدله

---

١- شـرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ص(١٩٤).
٢- شرح الأصول الخمسة، ص(٢٦٨).
٣- تنـزيه القرآن عن المطاعن،القاضي عبد الجبارص(١٧٧)نقـلاً عن منهج المدرسة العقلية، فهد الرومي، ص(٦٣)
٤- أبو الحسين محمد ابن علي بن الطيب البصري المتكلم شيخ المعتزلة والمنتصر لهم وصاحب التصانيف الكلامية كان فصيحا بليغا عذب العبارة يتوقد ذكاء وله اطلاع كبير وله كتاب المعتمد في أصول الفقه توفي سنة(٤٣٦هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٨٧/١٧) ،البداية والنهاية لابن كثير (٥٣/١٢).

وقال: لا يجوز الاقتصار في التوحيد والعدل على الظن دون العلم ). [١]

ومن فضائح أبي الهذيل العـلاف قوله : ( إن الحجة من طريق الأخبار فيما غـاب عـن الحواس من آيـات الله الأنبياء عليهم السلام، وفيما سواها لا تثبت بأقل من عشرين نفسا، فيهم واحـد من أهل الجنة، أو أكثر ... وزعم أن خبر ما دون الأربعة لا يوجب حكما، ومن فوق الأربعة إلى العشرين قد يصح وقوع العلم بخبرهم وقد لا يقع العلم بخبرهم، وخبر العشرين إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة يجب وقوع العلم منه لا محالة.

ويعلق عبد القاهر البغدادي على ذلك قائلاً : أراد أبو الهذيل باعتبار عشرين في الحُجـة من جهة الخبر إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة إلا تعطيل الأخبار الـواردة في الأحكـام الشرعية عن فوائدها). [٢]

وقال عبد القاهر البغدادي: ( وكان الخياط – أحـد رموز المعتزلة- مـع ضـلالته في القدر، وفي المعدومات منكر الحجة في أخبار الآحاد، وما أراد بإنكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشريعة فإن أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار من أخبار الآحاد). [٣]

أما العقلانيون الجـدد فقد تعاضدوا في رد أحاديث الآحاد بحجة أ ا لا تفيد العلم، ولا يثبت ا عقيدة، ويحتجون بأحاديث طالما كانت مدار احتجاج المعتـزلة قبلهم كخبر ذي اليدين[٤] وقصـة تثَبت عمر من خبر الاستئذان[٥].

---

١- المعتمد في أصول الفقه ، تحقيق: خليل الميس،ط١، ١٤٠٣هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت، (١٠٣/٢)

٢- الفرق بين الفرق،للبغدادي ص (١٢٤).

٣- المرجع السابق نفسه ص (١٦٨).

٤- حديث ذي اليدين أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٤٧/٦)كتاب: التمني،باب ما جاء في إجازة خبر الواحـد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام رقم(٦٨٢٣).

٥- ونص حديث تثبت عمر جاء عن أبي سعيد قال كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسـى كأنـه مذعور فقال استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن فرجعت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع فقال والله لتقيمن عليه بينةً أمنكم=

وقد فاتهم أن هـذا الاستدلال يعني مضاهأة المعتزلة الذين ردوا خبر الواحـد في العقائـد والأحكام.

إلا أنهم كانوا أكثر دهاءً ومكرا من سابقيهم مستخدمين عقولهم الماكرة، ففرقـوا بـين الأحكام والعقائد، فيقبلون خبر الواحد في الأحكام لا في العقائد.(1)

يقول محمد عبـده: ( وأما ما ورد في حديث مريم وعيسى من أن الشيطان لم يمسهما، وحديث إسلام شيطان النبي ﷺ، وحديث إزالـة حظ الشيطان من قلبه، فهو من الأخبـار الظنية، لأنـه من روايـة الآحاد ولما كان موضوعها عالم الغيب والإيمان بالغيب من قسم العقائد، وهي لا يؤخـذ فيها بالظن، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ٢٨﴾ [ النجم:٢٨] ]. غير مكلفين الإيمان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا).(2)

- قال الشيخ محمد الغزالي : ( إن العقائد : أساسها اليقين الخالص الذي لا يتحمل أثارة من شك، وعلى أي حال فإن الإسلام تقوم عقائده على المتواتر النقلي، والثابت العقلي، ولا عقيدة لدينا تقوم على خبر واحد، أو تخمين فكر ).(3)

قال عمر بكري:( عندي لائحة بأسماء مئة وثلاثة وثلاثين عالمًا كلهم قالوا أن حـديث الآحاد ظني ولايؤخذ به في العقائد ).(4)

---

= أحد سمعه من النبي ﷺقال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك. أخرجه الحميدي في الجمع بين الصحيحين (٤٤٥/٢) رقـم (١٧٦٠)وينظـر: كشـف المشكل لابن الجوزي(٥٣٨/٢).

١- وهذا التفريق حادث لم يعرف في الشريعة إلا من طريق الأشاعرة، فهم أرادوا التوسط بين قـول أهـل السـنة والمعتزلة، فوقعوا بقولهم هذا في تناقضات عديدة الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصـرة، النـدوة العالمية للشباب الإسلامي ، موقع الكاشف،www.alkashf.net موقع صيد الفوائد. ص(٦٣).

٢- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا (٢٤١/٣).

٣- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ص(٦٦)، نقلاً عن العصرانيون، محمد الناصر ص٢٢٨).

٤- حزب التحرير، عبد الرحمن محمد دمشقية، ، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، مكتبة الغرباء، الدار الأثرية- استانبول، تركيا. ص(١١٧).

وعند التحقيق نجدهم يردون كل مالم يوافق أهواءهم وعقولهم المريضة سواء كـان خـبر الواحد أم المتواتر،وحتى الآية الصريحة من كتاب الله، بل ويصرح مؤسس حزب التحريـر بـأن ( أدلة القرآن والسنة تبقى ظنية ولا تفيد اليقين إلا بشروط عشرة: منها عدم المعارض العقلي)[1]، بمعنى إذا عارض الدليل الشرعي العقل انقلب الدليل ظنيا ولو كان من القـرآن والسنة. فخبر الآحاد ليس هو الدليل الظني عند القوم بل حتى الدليل المتواتر فإنه ظني ولـو كان آية في القرآن حتى تتفق مع العقل.

## - الرد على منكري خبر الآحاد :

لقد ظهر هـذا القول الخطير منـذ قـرون طويلة وتبناه طائفة من الكتـاب وبعـض دعاة المسلمين،وأصبح لدى البعض من المُسلمات التي لا تقبل المناقشة ورد عليهم العديد من علماء الأمـة؛مثل الإمام ابن القيم في كتابه "الصواعق المرسـلة"، والإمام ابـن حـزم في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام".

والصحيح الذي عليه جماعة العلماء القدماء والمحدثين ( أن القول بأن أحاديث الآحـاد لا يؤخذ بها في العقيدة قول مبتدع محدث، لا أصل له في الشريعة الإسلامية الغـراء، وهو غريب عن هـدي الكتاب وتوجيهات السنة، ولم يعرفه السلف الصالح رضوان الله عليهم ... وإنما قال هـذا القول جماعة من علماء الكلام وبعض من تأثـر بهم من علماء الأصول من المتأخرين، وتلقاه عنهم بعض الكتاب المعاصرين بالتسليم دون مناقشة ولا برهـان ! .. وهـذا القول يتضمن عقيـدة تستلزم رد مئـات الأحاديث الصحيحة الثابتـة عن النبي ﷺ لمجرد كونها في العقيدة )[2]

---

١- الشخصية الإسلامية، تقي الدين النبهاني،ط٢، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م، من منشورات حزب التحريـر- القـدس. (١٥٨/٣).

٢- وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين، الشيخ محمد ناصر الألباني، ط٢، ١٤٢٢هـ، المكتبة الإسلامية- عمان الأردن.ص(٨،٧).

ولكن القاعدة عند أهل السنة والجماعة والأئمة الثقات ماذكره أبو المظفر السمعاني[١] في قوله: ( إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الأئمـة الثقات، وأسنده خلفهم عـن سلفهم إلى رسول الله ﷺ، وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، هـذا عامة قول أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يـذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به، شيء اخترعته القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكـن لهم في العلم قدم ثابت ولم يقفوا على مقصودهم من هـذا القول، ولو أنصفت الفرق مـن الأمة لأقـروا بأن خبر الواحد. يوجب العلم ، فإنك تـراهم مع اختلافهم في طـرائقهم وعقائدهم يستدل كل فـريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد)[٢]

كما كتب الشافعي في كتابه "الرسالة" مايزيد على مائـة صفحة أثبت بـه حجية خبر الواحد وبوبه بعنوان "الحجة في تثبيت خبر الواحد" أكد فيـه أن أهل السنة قـد تلقوا خبر الواحد العـدل بالقبول.[٣]

وقال: (لم أحفظ عن علماء المسلمين أ م اختلفوا في تثبيت خبر الواحد).[٤]

( ولا ننسى أن غالب أحاديث الصحيحين من نوع خبر الواحد ومعلوم أن الأمة قد تلقت هذين الكتابين بالقبول والتسليم، وهي لا تجتمع على ضلالة، فإجماعها حجة على من زعم رد خبر الآحاد.

---

١- أبو المظفر السمعاني الإمام العلامة مفتي خراسان شيخ الشافعية أبو المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمـد التميمي السمعاني المروزي الحنفي كان ثم الشافعي،وحيد عصره في وقته فضلا وطريقة وزهدا وورعا من بيت العلـم والزهد تفقه بأبيه، وكان بحرا في الوعظ حافظا فظهر له القبول واستحكم أمره في مذهب الشافعي ،صـنف كتـاب "الاصطلام"و"البرهان"و"الانتصار في الحديث" توفي(٤٨٩هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٤/١٩)، البداية والنهاية لابن كثير (١٥٤/١٢).

٢- الانتصار لأصحاب الحديث (٣٥،٣٤/١).

٣- ينظر: الرسالة (٢٢٨/١).

٤- الرسالة ، للشافعي (٤٥٧/١).

ولقد صـدر البخاري ومسلم كتابيهما بحديث آحاد (إنما الأعمال بالنيات)[1] وهـذا الحديث يتضمن مواضيع في العقائد، وكفى ا دعوى واكتساء ثوب الزور أن يدعي أهل الكلام أ م أحرص على العقيدة وأدق في فن الرواية وأورع في الدين من الشيخين).[2]

وقال النووي: ( ولم يـزل الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة فمن بعـدهم من السلف والخلف على امتثال خبر الواحد).[3]

وعلق على حديث الجساسة الطويل[4] والذي رأى فيـه الصحابة الدجال قائلاً: ( وفيـه قبول خبرالواحد).[5]

قال ابن تيمية: ( إن مما أجمعت الأمة على صحته: أحاديث البخاري ومسلم).[6]

وقال: ( ومن الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول فعملوا بـه، فهذا يفيد العلم ويجزم بأنه صـدق. ومن الصحيح ماتلقاه بالقبول والتصديق أهل العلم بالحديث كجمهور أحاديث البخاري ومسلم فـإن جميع أهل العلم يجزمون بصحـة أحـاديث الكتابين ... فإجماع أهل العلم بالحديث على أن هذا الخبر صدق كإجماع الفقهاء على أن هـذا الفعل حـلال أو حرام أو واجب، وإذا أجمع أهل العلم على شيء فسائر الأمة تبع لهم فإجماعهم معصوم لا يجوز أن يجتمعوا على خطأ )[7]

## تجريح رواة الأحاديث وإن كان صحابيا وتكذيبهم وسبهم:

أثنى الله ﷻ على أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم ووعـدهم الحسنى فقال ﷻ :

---

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٣/١) باب:بدء الوحي،باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله رقم(١).

٢- حزب التحرير، عبد الرحمن محمد دمشقية، ص(١٢٠).

٣- شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٢/١).

٤- أخرجه مسلم في صحيحه(٢٢٦١/٤)كتاب:الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة رقم(٢٩٤٢).

٥- شرح النووي على صحيح مسلم (٨١/١٨).

٦- مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٦/١٨).

٧- المصدر السابق نفسه (١٧،١٦/١٨).

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[ التوبة ]

كما أثنى على الذين جاءوا من بعدهم ويستغفرون لهم فقال جل جلاله : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[ الحشر ].

ومن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ماذكره الطحاوي في قوله: ( ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم،ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[1] امتثالا لأمر الله تعالى كما وردت بذلك النصوص.

كما نهى النبي ﷺ عن بغضهم وسبهم فقال ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه )[2]

ويأبى أهل البدع إلا التجريح والسب والتكذيب وهو منهج بعض رؤساء الجهمية فقد جاء عنهم: ( ليس شيء أبغض لقولنا من القرآن فأقروا به ثم أولوه وقال بشر أيضا: ( إذا احتجوا عليكم بالقرآن فغالطوهم بالتأويل وإذا احتجوا بالأخبار فادفعوها بالتكذيب).[3]

فما كان من تلامذتهم من رجال المعتزلة ورؤوسهم إلا العمل بوصيتهم بالتطاول على سادات الصحابة وعلمائهم وتجريحهم وتكذيبهم في روايتهم لبعض الأحاديث؛ لكي يسلم

---

١- شرح العقيدة الطحاوية،لابن أبي العز الحنفي ص(٤٦٧).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٤٣/٣)كتاب:فضائل الصحابة،باب: قول النبي ( لو كنت متخذاً خليلاً..)برقم (٣٤٧٠)، ومسلم في صحيحه (١٩٦٧/٤)كتاب:فضائل الصحابة،باب:تحريم سب الصحابة رقم(٢٥٤٠) واللفظ له.

٣- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، ط٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار العاصمة – الرياض. (١٠٣٨/٣، ١٠٣٩).

لهم المعارض العقلي، ومن هؤلاء النظام المعتزلي الذي ( زاد على خزيه وفضائحه بأن عـاب عليا وعبد الله ابن مسعود لقولهما أقول فيها برأيى، وكذب ابن مسعود فى روايته السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أمه،[1]وفى روايته انشقاق القمر[2] ).[3]

فيقول عن ابن مسعود ﷺ افتراءً وتطاولاً:( وزعم أن القمر انشق وأنـه رآه وهـذا مـن الكذب الذي لا خفاء به لأن الله تعالى لا يشق القمر له وحده ولا لآخر معه وإنما يشـقه ليكون آية للعالمين وحجة للمرسلين ومزجرة للعباد وبرهاناً في جميع البلاد).[4]

وكذب الزمخشري المعتزلي الصحابي الجليل ابن مسعود ﷺ لقوله:( أن رسول الله ﷺ ليلة الجن خط حوله فكان يجيء أحدهم مثل سواد النخل وقال لي: لا تبرح مكانك، فأقرأهم كتاب الله ﷻ فلما رأى الزط قال كأنهم هؤلاء ) .[5]

حيث يقول الزمخشري: ( وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقـة).[6]

كما كذبه النظام فى تشبيهه الجن بالزط إلى غير ذلك من الوقيعـة الفاحشة فى الصحابة ﷺ أجمعـين.[7]

---

١- أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٣٦/٤) كتاب: القدر ، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته رقم(٢٦٤٥).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه(١٣٣٠/٣)كتاب: الأنبياء، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي آية فأراهم انشقاق القمر، برقم(٣٤٣٧) ومسلم في صحيحه(٢١٥٨/٤)كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، بـاب: انشـقاق القمـر، رقم (٢٨٠٠).

٣- الملل والنحل، للشهرستاني (٤٩/١).

٤- تأويل مختلف الحديث، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد زهري النجار،١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٢م، دار الجيل- بيروت.(٢١/١).

٥- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٥٥/١)رقم(٤٣٥٣)مسند ابن مسعود، وقال أحمد شـاكر(١٦٥/٦): إسـناده صحيح،برقم(١٥٩٣٩٨).

٦- الكشاف، للزمخشري (٩٤/٢).

٧- ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني(٤٨/١).

ويروى عن عمرو بن عبيد أنه قال: ( لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على شراك نعل ما أجزت شهادتهم).[1]

وقيل لعمرو بن عبيد: ( كيف حدث الحسن[2] عن سمرة[3] في السكتتين فقال: ما تصنع بسمرة قبح الله سمرة . بل قبح الله عمرو بن عبيد.

وسئل يومًا عن شئ فأجاب فيه. قال الراوي قلت ليس هكذا يقول أصحابنا قال: ومن أصحابك لا أبا لك قلت أيوب ويونس وابن عون والتيمي قال أولئك أنجاس أرجاس أموات غير أحياء.

فهكذا أهل الضلال يسبون السلف الصالح لعل بضاعتهم تنفق وقال عز من قائل: ﴿وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾[ التوبة: ٣٢] وأصل هذا الفساد من قبل الخوارج فهم أول من لعن السلف الصالح وتكفير الصحابة رضي الله عن الصحابة ومثل هذا كله يورث العداوة والبغضاء).[4]

أما المدرسة العقلية الحديثة فتضافر روادها على التشنيع والتجريح بأعلام الأمة في القرون

---

١- تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي(١٧٦/١٢).

٢- الحسن بن يسار البصري الفقيه القارئ الزاهد العابد سيد زمانه إمام أهل البصرة بل إمام أهل العصر كان من سادات التابعين وأفتى في زمن الصحابة بالغ الفصاحة وبليغ المواعظ كثير العلم بالقرآن ومعانيه،كان رأسا في العلم والحديث إماما مجتهدا كثير الاطلاع وفي القرآن وتفسيره رأسا في الوعظ والتذكير رأسا في الحلم والعبادة رأسا في الزهد والصدق رأسا في الفصاحة والبلاغة رأسا في الأيد والشجاعة مات سنة (١١٠هـ).

ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي(١٩٠/١٢)، طبقات المفسرين للداودي(١٣/١).

٣- سمرة بن جندب بن هلال الفزاري كنيته أبو سعيد وقيل أبو سليمان بالبصرة من علماء الصحابة كان عظيم الأمانة صدوقا نزل البصرة له أحاديث صالحة وقد ثبت سماع الحسن من سمرة ولقيه بلا ريب صرح بذلك في حديثين وكان شديدا على الخوارج قتل منهم جماعة وكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه رضي الله عنه كان زياد يستعمله ستة أشهر على البصرة وستة أشهر على الكوفة مات (٥٩) بعد أبى هريرة.

ينظر: الثقات لابن حبان (١٧٤/٣) سير أعلام النبلاء للذهبي( ١٨٣/٣) ، الكاشف للذهبي (٤٦٦/١).

٤- الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، (١١٩/١،١٢٠).

الثلاثة المفضلة الذين قال عنهم رسول الله ﷺ : (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) .[1]

وتوارثوا العداوة والبغضاء لهؤلاء الأئمة متجاهلين جهادهم في سبيل الله، منتقصين جهودهم في خدمة الإسلام مستغلين ما شجر بينهم بالسب والشتم والانتقاص والاستهزاء، مشككين في بشارة الرسولﷺ لهم بالجنة، وعدم أمانتهم على دين الله وحفظه، لأن التشكيك في صلاحهم والقدح فيهم قدح في دين الله ومصادره ؛ لأنهم حملة هذا الدين وهم الذين بلغوه عن رسول الله ﷺ وهذا ما أرادوه للطعن في السنة النبوية القولية والفعلية.[2]

وبما أن أبا هريرة رضي الله عنه أكثر الصحابة رواية للحديث عن رسول الله ﷺ فقد كان أكثرهم تعرضا للطعن والتجريح من قبل العقلانيين في شخصه وروايته؛ وأنه لا يعقل أن يروي هذا الكم الكبير من الأحاديث في فترة وجيزة سيما وأن إسلامه كان متأخرا في السنة السابعة وهم بذلك يوجهون أصابع الاتهام إليه بالكذب والوضع للأحاديث فيقولون: ( ومن المعلوم أن أبا هريرة كان قد أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بنحو ثلاث سنوات، وعلى رواية من سنتين ومن العجيب أنه روى من الأحاديث حول الحدود والفرائض والأحكام ما لو جمعت لزادت على ما روته الصحابة كافة، وكانت أحاديثه معظمها خيالية مفرطة وعلى جانب كبير من الغرابة كحديث الشيطان عند التأذين مثلاً[3])[4]

كما طعن أبو شادي العقلاني في سادات الصحابة قائلاً: ( ناهيك بغفلة أمثال أبي هريرة

-----------------------------

١- أخرجه البخاري في صحيحه(٣٤٨/٧)كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب:فضائل أصحاب النبي ﷺ رقم (٣٥٧١) وجاء في(٥٨٧/٥)كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهاد جور إذا أُشهد برقم(٢٦٠٠).

٢- ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية(١٠٣/٤،١٠٤،١٠٥).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه(٤١٣/١)كتاب:الصلاة "أبواب السهو"باب:إذا لم يدر كم صلى ثلاثا أو أربعا سجد سجدتين وهو جالس رقم(١١٧٤)،ومسلم في صحيحه(٣٩٨/١) كتاب: المساجد ومواضع الصلاة،باب السهو في الصلاة والسجود له رقم(٣٨٩)،و(٢٩٠/١)كتاب: الصلاة،باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه رقم(٣٨٧).

٤- هذا هو الإسلام، فاروق الدملوجي، ص(٢٨،٢٩)نقلا عن الاتجاهات الحديثة،ناصر العقل ص(٢٧٥).

وأنس بن مالك، وعبدالله بن عباس، وكلهم انتحلوا الحديث، وتأثروا بالإسرائيليات الغربية، وراح ابن عباس المطعون في ذمته يزعم أن المعوذتين ليستا من القرآن).[١]

وقد سار د.خالص جلبي على طريقة المعتزلة في مهاجمة أصحاب رسول الله كمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومن أقواله: ( وشخصيات هامشية في الثورة الإسلامية الأولى من طراز عمرو بن العاص ومعاوية، حرفت مسيرة الخلافة الراشدة).[٢]

ويكرر الغمز والتعريض بمعركة صفين وبني أميـة حيث يقول: ( عندما يقلب معاوية الوضع الراشدي لبناء دولة بيزنطية، ومسخ الخلافة الراشدة بالتآمر الأموي ).[٣]

ويكفي في الرد على هؤلاء قول سفيان بن عيينة -رحمه الله-:( من نطـق في أصـحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى ).[٤]

( ومن المعلوم : أن أهـل الحديث والسنة أخص بالرسول ﷺ وأتباعه فلهم من فضـل الله وتخصيصه إياهم بالعلم والحلم وتضعيف الأجر ما ليس لغيرهم كما قال بعض السلف: " أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل ".

فهذا الكلام تنبيه على ما يظنه أهل الجهالة والضلالة من نقص الصحابة في العلم والبيان أو اليد والسنان...

والمقصود: التنبيه على أن كل من زعم بلسان حاله أو مقاله: أن طائفة غير أهل الحـديث أدركوا من حقائق الأمـور الباطنة الغيبية في أمر الخلق والبعث والمبدأ والمعاد وأمـر الإيمان بالله واليوم الآخـر وتعرف واجب الوجود والنفس الناطقة والعلوم والأخلاق التي تزكو ا

---

١- ثورة الإسلام، لأحمد زكي ص(١٧٤).

٢- جريدة الرياض العدد(١٠٤٨١)في ١٩٩٧/٣/١م، نقـلاً عن المدرسة العصرانية ، محمد بن حامد ص(١٠٤).

٣- ينظر: سيكولوجية العنف، خالص جلبي،١٤١٩هـ، دار الفكر المعاصر-بيروت/دار الفكر-دمشق ص(١٥٧).

٤- شرح السنة ، للبر اري، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني(٢٨/١).

النفوس وتصلح وتكمل دون أهل الحديث فهو- إن كان من المؤمنين بالرسل- فهو جاهل فيه شعبة قوية من شعب النفاق، وإلا فهو منافق خالص من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[ البقرة ] وقد يكون من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ﴾[ غافر: ٤٠]. ومن ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾[ الشورى].

وقد يبين ذلك بالقياس العقلي الصحيح الذي لا ريب فيه- وإن كان ذلك ظاهرا بالفطرة لكل سليم الفطرة - فإنه متى كان الرسول ﷺ أكمل الخلق وأعلمهم بالحقائق،وأقومهم قولاً وحالاً: لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق ).[1]

فالواجب أن نذكر فضل الصحابة ونكف عن زللهم ولا نذكر أحدا منهم إلا بالخير لقول رسول الله ﷺ: (إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا) .[2]

## الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والقول بالاسرائيليات:

يتعلق المعتزلة بأحاديث ضعيفة أو موضوعة أو ( دلالة ضعيفة غلط المستدل ا على الشرع ).[3]

---

١- مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٤٠/٤).

٢- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩٦/٢)رقم (١٤٢٧) من حديث ثوبان،و(١٩٨/١٠) رقم(١٠٤٤٨) وقال الألباني في صحيح الجامع (٥٤٥):صحيح رقم(٨٤٧٠٧) من رواية: عبدالله بن مسعود و ثوبان و عمر بن الخطاب.

٣- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية(١٤٨/١).

فمن الأحاديث الضعيفة ماروي عن علي بن أبي طالب ﷺ: ( أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنيء الفاسقين وغضب لله غضب الله له).[1]

قال ابن حجر العسقلاني: (وهو من طريق إسحاق بن بشر[2] عن مقاتل[3] وهما ساقطان).[4]

وقال الذهبي في كتاب "المُغني في الضعفاء": ( إسحاق بن بشر أبو حذيفة البخاري صاحب المبتدأ مجمع على تركه وقد اتهم بالكذب ).[5]

وقال في"الميزان": ( تركوه وكذبه علي بن المديني[6] وقال ابن حبان[7] لا يحل كتب

---

١- الكشاف، للزمخشري(٤٢٥/١).

٢- إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي الكوفي كنيته أبو حذيفة القرشي، سكن بغداد مدة وحدثهم بها صاحب كتاب المبتدأ تركوه وكذبه علي بن المديني كان يضع الحديث على الثقات ويأتي بما لا أصل له ،لا يحل كتب حديثه الا على جهة التعجب فقط وقال الدارقطني كذاب متروك وقال الذهبي:يروي العظائم..

ينظر: المجروحين لابن أبي حاتم (١٣٥/١)،لسان الميزان لابن حجر (٣٥٤/١) ، الكشف الحثيث لابن العجمي (٦٣/١).

٣- مقاتل بن سليمان البلخي المفسر أبو الحسن كان يأخذ عن اليهود والنصارى من علم القرآن ما يوافق كتبهم وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب في الحديث ومن المعروفين بوضع الحديث متروك.

ينظر: معرفة الثقات للعجلي (٢٩٥/٢) الكشف الحثيث لابن العجمي (٢٦٠/١).

٤- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف،أحمد ابن حجر العسقلاني،ط١، ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي (٣٩٧/١).

٥- المغني في الضعفاء، للذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر (٦٩/١).

٦- أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم المديني ثم البصري صاحب التصانيف الحجة امير المؤمنين في الحديث حافظ العصر وقدوة أرباب هذا الشأن،وبرع وصنف وجمع وساد الحفاظ في معرفة العلل ويقال ان تصانيفه بلغت مئتي مصنف مات سنة(٢٣٤هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(٤١/١١) ، تذكرة الحفاظ للذهبي(٤٢٨/٢).

٧- ابن حبان بن منقذ بن عمرو بن مالك بن النجار الإمام الفقيه الحجة أبو عبد الله الأنصاري النجاري المازني المدني حفيد الصحابي الذي كان يخدع في البيوع ويقول لا خلابة وهو إمام مجمع على ثقته،كانت له حلقة للفتوى وكان ثقة كثير الحديث مات سنة(١٢١هـ).

ينظر: الطبقات الكبرى (القسم المتمم)للزهري (١٣١/١)،سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٦/٥).

حديثه...وقال الدارقطني[1] كذاب متروك ).[2]

أما مقاتل فقال عنـه وكيع[3]: ( كان كذّابا وقال البخاري قال سفيان بـن عيينـة: سمعت مقاتلاً يقول:إن لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أني كذّاب.

وقال العباس بن مصعب[4] في "تاريخ مـرو":كان مقاتل لا يضبط الإسـناد... وقـال النسائي كان مقاتل يكذب... وقال الجوزجاني[5]:كان دجالاً جسورا ).[6]

ولم يكتفوا بالضعيف بل عارضوا النصوص الشرعيـة من الكتاب والسنة بالأحاديـث الموضوعة والتي يعلم أهل النقل أنها كذب وافـتراء وذلك ( مثل حديث عرق الخيل الذي كذَبـه بعض الناس على أصحاب حماد ابن سلمة[7] وقالوا إنه كَذَبه بعض أهـل البـدع واتهموا بوضعه محمد بن شجاع الثلجي[8] ، وقالـوا إنه وضعه ورمى به بعض أهل الحديث

---

١- هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن البغدادي الحافظ الكبير صاحب المصنفات المفيدة منـها كتـاب "السنن والعلل"الذي لم ير مثله في فنه وكتاب"الإفراد" فريد عصره في الحفظ والفهم والورع وإماما في النحو والقراءة والمعرفة بالأدب والشعر وانتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق والثقـة وصـحة الاعتقـاد والأخذ من العلوم كالقراءات ،أمير المؤمنين في الحديث توفي سنة(٣٨٥هـ ).

ينظر: طبقات الشافعية لابن شهبة(١٦١/١) ،طبقات الحفاظ للسيوطي(٣٩٤/١).

٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي (٣٣٥/١).

٣- أبو سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي أحد الأعلام كوفى ثقة عابد صالح أديب من حفاظ الحديث وكان يفتى .

ينظر: معرفة الثقات للعجلي(٣٤١/٢)، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني(٣٦٨/٨)الكاشف للذهبي(٣٥٠/٢).

٤- العباس بن مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام. ينظر: التحفـة اللطيفـة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي(١٥/٢).

٥- إبراهيم بن يعقوب أبو إسحاق الجوزجاني الحافظ،نزيل دمشق ثقة حافظ رمي بالنصب مات سنة(٢٥٩هـ ).

ينظر: الكاشف للذهبي (٢٢٧/١) ، تقريب التهذيب لابن حجر (٩٥/١).

٦- ميزان الاعتدال، الذهبي، (٥٠٥/٦،٥٠٦).

٧- حماد بن سلمة بن دينار الإمام أبو سلمة أحد الأعلام يكنى أبا سلمة بصرى ثقة رجل صالح حسـن الحـديث لا يحدث حتى يقرأ مائة آية نظرا في المصحف ،يقال إن عنده ألف حديث حسن ليس عند غيره ،ثقة صدوق يغلط وليس في قوة مالك مات سنة(١٦٧هـ ).

ينظر: معرفة الثقات للعجلي(٣١٩/١)، الكاشف للذهبي (٣٤٩/).

٨- محمد بن شجاع البغدادي القاضي الثلجي،متروك ورمي بالبدعة من كبار الحادية عشرة من أصحاب الرأي =

ليقال عنهم إ م يروون مثل هذا وهو الذي يقال في متنه: "إنه خلق خيلاً فأجراها فعرقـت فخلق نفسه من ذلك العرق" تعالى الله عن فرية المفترين وإلحاد الملحدين،وكذلك حـديث نزوله عشية عرفة إلى الموقف على جمل أورق ومصافحته للركبان ومعانقتها للمشاه وأمثال ذلك هي أحـاديث مكذوبة موضوعة باتفاق أهل العلم).[1]

ومن الدلالات الضعيفة التي استندوا إليها في الأحاديث الصحيحة ما فهموه من الحديث القدسي الذي في الصحيح عن النبي ﷺ أنـه قال: ( يقول الله تعالى عبدي مرضت فلم تعدني فيقول رب كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده عبدي جعت فلم تطعمني فيقول رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانٌ جاع فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي ).[2]

( فإنه لا يجوز لعاقل أن يقول إن دلالة هذا الحديث مخالفة لعقل ولا سمع إلا من يظن أنه قد دل على جواز المرض والجوع على الخالق ﷻ؛ ومن قال هذا فقد كذب على الحديث ومن قال إن هـذا ظاهر الحديث أو مدلوله أو مفهومه فقد كذب؛ فإن الحديث قد فسره المتكلم بـه وبين مراده بيانـًا زالت به كل شبهة، وبين فيه أن العبد هو الذي جاع وأكل ومرض وعاده العواد وأن الله سبحانه لم يأكل ولم يعد.

بل غير هذا الباب من الأحاديث كالأحاديث المروية في فضائل الأعمال على وجه ا ازفة ، ما يروى مرفوعا أنـه من صلى ركعتين في يوم عاشوراء يقـرأ فيهما بكذا وكذا كتب له

---

= وكان يضع أحاديث في التشبيه ينسبه إلى أصحاب الحديث ليثلبهم به روى عن حبان بن هلال وحبان ثقة عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم ،وهي أحاديث كثيرة وضعها على هذا النحو فلا يجب أن يشتغل به لأنه لـيس مـن أهـل الرواية حمله التعصب على أن وضع أحاديث يثلب أهل الأثر بذلك مات سنة(٦٦هـ).

ينظر: تمييز الكامل في الضعفاء (٢٩١/٦)، تقريب التهذيب لابن حجر (٤٨٣/١).

١- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١٤٨/١،١٤٩).

٢- أخرجه البخاري في صحيح الأدب المفرد(٤٠٢) وقال الألباني:صحيح، رقـم(٧٤٨٨٢)،وفي صـحيح الجـامع (١٩١٦)برقم (٧٢٦١٢).

ثواب سبعين نبيا.ونحو ذلك هو عند أهل الحديث من الأحاديث الموضوعة فلا يعلم حديث واحد يخالف العقل أو السمع الصحيح إلا وهو عند أهل العلم ضعيف بل موضوع، بـل لا يعلم حديث صحيح عن النبي ﷺ في الأمر والنهي أجمع المسلمون على تركه إلا أن يكون له حديث صحيح يدل على أنه منسوخ، ولا يعلم عن النبي ﷺ حديث صحيح أجمع المسلمون على نقيضه فضـلاً عن أن يكون نقيضه معلوما بالعقل الصريح البين لعامـة العقلاء فإن ما يعلم بالعقل الصريح البين أظهر مما لا يعلم إلا بالإجماع ونحوه من الأدلة السمعية).[1]

يفعلون كل ذلك ليسلم لهم المعارض العقلي وليس هـذا فحسب بل يوردون الإسرائيليات ويقدمو ا على الأحاديث الصحيحة لتتوافق مع أصولهم المزعومة ومن ذلك تفسـير قولـه ﷻ: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[ الأعـراف:١٥٩].

فيقول الزمخشري: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ ﴾ هم المؤمنـون التائبون من بني إسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتين عبـادة العجـل واستجازة رؤيـة الله تعالى،ذكر أنّ منهم أمة مـوقنين ثـابتين يهـدون النـاس بكلمـة الحق،ويدلو م على الاستقامة ويرشدو م وبالحق،يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي ﷺ وآمن بـه من أعقا م وقيل إنّ بني إسرائيل لمـا قتلـوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطًا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوا م ففتح الله لهم نفقًا في الأرض فساروا فيه سنة ونصفًا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا )[2]

ويفند الآلوسي أحداث هذه القصة المكذوبة فيقول: ( وأنا لا أراها شيئًا ولا أظنك تجد لها سندا يعول عليه ولو ابتغيت نفقًا في الأرض أو سلما في السماء).[3]

---

١- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١٥٠/١،١٥١).

٢- الكشاف، للزمخشري (١٥٨/٢).

٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،بدون طبعة، دار إحياء التراث العربي – بيروت.(٨٥/٩).

يتضح مما سبق أن عدم الرضى والتسليم بأمر الله وحكمه وحكم رسولهﷺ واعتقاد نقصهما وعدم كفايتهما في الاستدلال عـلى مسائل الاعتقاد يستلزم مخالفتهما، ومن ثم البحث عن مصادر أخـرى للتلقي ومناهج مستحدثة للاستدلال.

كما أن الرضى بالعقل بوصفه حاكما على هـذه المصادر وإعماله في التفاضـل بـين النصوص الشرعية والمصادر الأخـرى سواء كانت فلسفية أم وثنية أم نصرانية أم يهوديـة وغيرها من الديانات،استلزم أن تتشعب هؤلاء السبل مصداقـًا لقولـه ﷻ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعـام: ١٥٣] فأخذوا وردوا وخاضوا ومالوا عن طريق الحـق إلى الباطل والذل والصغار نسأل الله الهداية.

ورحم الله شيخ الإسلام حين قال: ( وقد اتفق أهل العلم بالأحوال أن أعظم السـيوف التى سلت على أهل القبلة ممن ينتسب اليها، وأعظـم الفساد الذى جرى على المسلمين ممن ينتسب الى أهل القبلة إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم هم أشد ضررا على الدين وأهله)[1]

## خلاصة الفصل الثالث:العزلة عند المعتزلة:

- أن الغلو في إعمال العقل ساهم في نشأة أكثر الفرق خطورة على العقيدة الإسلامية (المعتزلة).
- أن العزلة لا تعني حبس النفس أو اللسان فقط ، بل تتجاوز ذلك إلى عزل العقل عن الوحي وانحداره بعيدا عنهما في غيابت الشك والتمويه والتحريف والتضليل.
- أن المعتزلة هم أصحاب المدرسة العقلية القديمة لتقديمهم العقل على النقـل وجعـل الأول حاكما على الثاني معارضا له.

---

١- مجموع الفتاوى (٤٧٩/٢٨).

- أن سبب تسمية المعتزلة كان بسبب:

*عزل رؤوس المعتزلة قول الإمام المبني على نصوص الكتاب والسنة.

*عزل مرتكب الكبيرة عن زمرتي المؤمنين والكافرين.

*عزل الإجماع من خلال عزل قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة.

- أن عزلة المعتزلة عزلة فكرية للمعتقد والقول والعمل.
- أن إعجاب المعتزلة برأيهم وحب الظهور والغرور دفعهم إلى تقديم هوى النفس على محبوب الله ومراده وهذه صفة مشتركة بين المدرستين العقليتين القديمـة والحديثـة وقائدهم في ذلك إبليس لعنه الله.
- أن المبالغة في الاحتكاك بالديانات والفلسفات الأخرى يورث المشا ة والمشاكلة.
- أن تعدد مصادر التوجيه تورث الشك والتذبذب وتفرق السبل لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:١٥٣]
- أن عزلة المعتزلة للنصوص الشرعية تبلورت في الأساليب التالية:

* الإنكار والتكذيب لحقائق ثابتة في الكتاب والسنة مثل معجزات الأنبياء وحقيقة الجن.

* النفي والتأويل لصفات الباري كالسمع والبصر والرؤية والكلام والاستواء وغيرها.

* التشكيك في دلالة النصوص وإنكار حجية خبر الواحد ،وتجـريح رواة الأحاديـث وتكذيبهم وسبهم.

# الخاتمة

# وتتضمن

# أهم النتائج والتوصيات

# الخاتمة

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد،وختم القضاء بـين عبـاده بالحمد،والصـلاة والسلام على سيد الحامدين وإمام الغر المحجلين الحبيب محمد ، وعلى آله وصحبه إلى يـوم القيامة.

من خلال أبواب وفصول البحث توصـلت إلى نتائج هامـة علـى مسـتوى الفـرد والجماعة.

وقد انبثقت عن هذه النتائج توصيات تبصر الأمة أفرادا وجماعـات بأولويـات المهـام والمسؤوليات التي لابد من أخذها في الاعتبار عند ممارسـة العزلـة أو في مواجهـة الفـرق والطوائف التي تمارس العزلة بأسلوب مشوه مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة.

وفيما يلي نستعرض **أهـم النتـائج :**

- كمال الإسلام وشموله وحرصه على سلامة الفرد المسلم والجماعة المسلمة على حد سواء.
- أن الإسلام دين الوسطية حيث ينهى عن الإفراط والتفريط.
- أن منهج أهل السنة والجماعة هو أحسن المناهج وأكثرها عدلاً وكمالاً شرعا وعقلاً وواقعا.
- تعد العزلة مطلب شرعي إذا توفرت الشروط في المعتزل وا تمع المحيط به.
- أن للعزلة شروط تتمركز حول أمرين هما:

  أ-العلم الشرعي لقول إبراهيم النخعي(تفقه ثم اعتزل).

  ب- النظرة الواقعية للمجتمع بعيدا عن المثالية والحماس غير المنضبط.
- أن المصادر الشرعية نصت على الحالات التي تشرع فيها العزلة وهي:الشرك، الفتن ، فساد الزمان.
- أن المصلحة تقتضي عزلة بعض الأفراد مثل :

  أ- غير القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

  ب- من يوقع الضرر بالآخرين.

ت- من يوقع الضرر بنفسه.

- قد يجتمع العلم الشرعي والنظرة الواقعية عند بعض الأفراد إلا أنه لا يمكـن لهـؤلاء الاعتزال للحاجة الماسة إليهم ولأن في عزلتهم تأثير سلبي على ا تمع وذلك مثـل أئمة الدين والسياسة ورجالات الرأي والكياسة ممن لهم تأثير على الآخرين في اتخاذ القرارات وتنفيذها.
- أن العزلة تكون:

- فردية نتيجة للمغايرة بين موقف ومعتقد المعتزل والمعتزلين وثبات كل منهم على موقفه وذلك مثل:إبراهيم ﷺ،وابن نوح الذي عصى الله ورسوله.
- جماعية نتيجة للاضطهاد والتعذيب ورجاء الخلاص والنجاة بالـدين مثـل أصحاب الكهف وموسى ﷺ وبني إسرائيل.
- تامة :في مواجهة المشركين ،الفتن.
- جزئية:وهي على قسمين:

١- بدنية في صورتين:

حال الفتن والحروب.

حال التربية الذاتية والتعبد.

٢- قلبية : دف العمل على إصلاح ا تمع الذي يخالطه.

- العزلة الاختيارية : دف الاعتصام بالله للنجاة من مفسدة عظيمة مثل فعل يوسف ﷺ حين اختار السجن على مراودة النساء.
- العزلة الإجبارية: دف حماية ا تمع من ذوو السلوك العدواني والأمـراض المعدية.

- أن الصمت لون من ألوان العزلة المطلوبة وبشدة في هذه الفترة الحرجة من حيـاة الأمة الإسلامية وذلك لما للسان من وقع أشد من السيف في تأجيج الفـتن ونشـر الإشاعات المغرضة عن طريق وسائل الإعلام.

- تتفاوت العزلة في حكمها الفقهي بين الوجوب والاسـتحباب والإباحـة والكراهة والتحريم حسب حال المعتزل وا تمع .

- إعجاز القرآن الكريم وقوة اللغة العربية في استخدام لفظة العزلـة ومرادفاتها في الدلالة على عدة معاني حسية ومعنوية وجوانب عقدية وأخرى فقهية،ومن هـذه الألفاظ ماهو مشروع ضمن ضوابط أهل السنة والجماعة ومنها الممنوع في شريعة محمد ﷺ .

- أن العزلة تجب في حق من يتأذى الناس منه ويكون له تأثير سلبي على الضرورات الخمس(الدين،النفس، والعرض،والعقل والمال)

- أن الحكم على العزلة بأنها أفضل من الخلطة بإطلاق أو العكس خطـأ صـريح ،فاختيار أحدهما مرهون بتنوع الناس وأحوالهم وأجناس العبادات واختلاف العمـل والأمكنة والأزمنة ومرتبة جنس العبادة وقدرة العبد وعجزه.

- للعزلة كيفية مشروعة تنحصر في التعرب،ملازمة البيوت والخاصة، والعزلة القلبية.

- أن الفوائد العائدة على المعتزل تختلف تبعا لكيفية العزلة.

- أن للعزلة فوائد دينية ودنيوية وكل منهما تؤدي إلى تحصيل منفعة أو دفع مفسدة.

- أن للعزلة أدابا تعين على استكمال الطريق والوصول إلى الهدف المنشود منها.

- أن عزلة المشركين تعني البراءة منهم ومعبوداتهم.

- أن البراءة القلبية تستلزم المقاطعة الفعلية.

- أن الشهادتين تثبت بثبوت المعاداة للكفار.

- أن البراءة من الشرك كما تكون من الاعتقاد تكون من الأفعال والأشخاص.

- أن قصة إمام الموحدين إبراهيم عليه السلام في الاعتزال تؤصل العديـد مـن القواعـد الدعوية والعقدية.

- أن الهجرة من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر من البدع الحادثة.

- أن التجنس بجنسية بلاد حكومتها كافرة ممنوع لأنه وسيلة إلى موالاتهم.

- أن السفر من بلاد الإسـلام إلى بـلاد الكفـر منضـبط بضـوابط وهـي: العلم،والدين،والضرورة والمصلحة مثل:

المضطر :كالمريض وطالب العلم .

مصلحة الدين :كالسفر للدعوة.

مصلحة المعاش: كالسفر للتجارة.

- أن السفر إلى بلاد الكفر للتنـزه والسياحة بدون مسوغ شرعي ممنوع.
- أن عمل المسلم في وظائف الدولة غير المسلمة وتـولي المناصـب والـدخول في البرلمانات جائز مع الأخذ بعدة اعتبارات.
- أن وسائل الإعلام من أكبر ساحات الجهاد في سبيل الله التي استخدمها الرسـول ﷺ في معاركه.
- أن مشاركة المسلمين في الانتخابات الرئاسية مطلوبة شرعا إذا كـان في ذلـك مصلحة شرعية للمسلمين.
- أن تنصيب الكفار في مواقع السلطة مع وجود المسلم إذلال للمسلم وهذه مخالفة صريحة لمقاصد الشريعة وأحكامها.
- أن أصح الطرق إلى الله وأعمرها اتباع الكتاب والسنة.
- أن الابتداع في الدين ينافي أصول العقيدة وهو الطريق إلى تفريق المسلمين.
- أن مجالسة أهل البدع توجب مشاركتهم في الحكم والجزاء.
- أن السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين أصل من أصول العقيدة.
- تعد العزلة أسلوبا مناسبا في التعامل مع السلاطين مع العناية بنصحهم في السر.
- أن النصيحة لولاة الأمور مشروطة بالقدرة والإسرار والأمن من الفتنة مع رجـاء الإجابة.
- يجب اعتزال السلاطين في حال الخوف من الوقوع في فتنة الدين أو الدنيا بـالقول والإقرار.
- النجاة من الفتن تكون من خلال:

*سلامة القلب بتقوى الله واللجوء إليه بالعبادة.

*سلامة اللسان بوجوب التثبت والتبين عند سماع الأخبار وإنكار المبادرة والإسراع في نقل الإشاعات ونشرها.

* سلامة اليد بأن يعتزل المشاركة في الفتن المادية والمعنوية ، وحمل السلاح بنفسه وماله وكل ما يخصه ومن يعيله.

- أن الغلو والجهل سببان رئيسيان لظهور الفرق المخالفة.
- أن الجهل سمة من السمات الواضحة في حياة الصوفية فهم يحـذرون مـن العلـم والانشغال بالقرآن والحديث والتفسير ونحو ذلك من العلوم الشرعية.
- أن استدلال الصوفية بالنصوص الشرعية قليل جدا ؛وفي حال الاستدلال قد يكـون الحديث ضعيفًا أو موضوعا ، ووجه الدلالة غالبا تكون خاطئة لأ ا تقوم على قاعدة اعتقد ثم استدل مما يؤدي إلى ليّ عنق النصوص وتوجيهها إلى معنى غير مقصود من الشارع الحكيم.
- أن روايتهم عن الأئمة الأعلام قليلة جدا ؛ وفي حال ذكرها لا تنسـب إلى القائـل خطأً أو تمويها.
- أن الصوفية ابتدعت مايسمى بالعلم اللدني من خلال تقسـيم الـدين إلى شـريعة وحقيقة والعلم إلى ظاهر وباطن لتحقيق أهدافها الخبيثة في تحويل أمة الإسلام إلى أمة سلبية.
- أن الصوفية استغلت الزهد كوسيلة إلى القول بالعزلة والخلوات التي تمـارس فيهـا ا اهدات والمكاشفات بعيدا عن المنهج الرباني القويم.
- أن عبأ ظهور الخانقاوات والزوايا والتكايا كمؤسسات للعبادة يعود إلى الصوفية التي تحولت فيما بعد إلى مأوى للكسالى والبطالين والدراويش.
- أن الصوفية تأثرت وبشكل كبير جدا بالنصرانية واقتبست منها ألفاظها وأسـلوب بناء أديرة الرهبان.
- أن اتخاذ الخانقاوات والزوايا والتكايا مكانا للعبادة مخالفة صريحة للكتـاب والسـنة وينطبق عليها حكم مسجد الضرار.
- أن علماء الصوفية يعتبرون الخلوة هي السبيل العلمي والعملي لتقوية الإيمان وطهارة القلوب والتأهل لتجليات الله تعالى.
- أن الخلوات عند الصوفية تختلف وتتباين حسب الغاية المنشودة منها.
- أن للخلوات الصوفية شروط تدل على الانحراف العقدي والمخالفة الشرعية والمفاهيم المنكوسة التي تحول الإنسان إلى مجرد آلة.

- أن الصوفية تفضل جهاد النفس على جهاد الكفار بحجج واهية لا أساس لهـا مـن كتاب ولا سنة.
- أن الجهل والغلو سبب في ظهور أول الفرق في الإسلام وأكثرها ذما .
- أن للخوارج صفات ساهمت إلى حد كبير في نشوء الفرقة وآراءها الاعتقادية .
- أن الجذور التاريخية للخوارج بدأت في زمن النبي ،ثم ظهرت كفرقة مستقلة في زمن علي بن أبي طالب وتابعت الظهور في العصر الحديث في صورة جماعات متفرقة في العالم الإسلامي وتجتمع في آراء وأفكار الخوارج.
- أن الجماعات التكفيرية الإرهابية تبنت القتل والتفجير كأسلوب للتعبير عن آرائها.
- أن كل جماعة من الجماعات التكفيرية تبنت أسلوبا خاصا في العزلة حققـت مـن خلاله أهدافها حيث تبنت جماعة التكفير والهجرة مبدأ المفاصلة الكاملة، كما تبنت الأباضية مسلك الكتمان.
- أن الغلو في إعمال العقل ساهم في نشأة أكثر الفرق خطورة على العقيدة الإسلامية (المعتزلة).
- أن العزلة لا تعني حبس النفس أو اللسان فقط ، بل تتجاوز ذلك إلى عزل العقل عن الوحي وانحداره بعيدا عنهما في غيابت الشك والتمويه والتحريف والتضليل.
- أن المعتزلة هم أصحاب المدرسة العقلية القديمة لتقديمهم العقل على النقـل وجعـل الأول حاكما على الثاني معارضا له.
- أن سبب تسمية المعتزلة كان بسبب:

*عزل رؤوس المعتزلة قول الإمام المبني على نصوص الكتاب والسنة.

*عزل مرتكب الكبيرة عن زمرتي المؤمنين والكافرين.

*عزل الإجماع من خلال عزل قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة.

- أن عزلة المعتزلة عزلة فكرية للمعتقد والقول والعمل.
- أن إعجاب المعتزلة برأيهم وحب الظهور والغرور دفعهم إلى تقديم هوى النفس على محبوب الله ومراده وهذه صفة مشتركة بين المدرستين العقليتين القديمـة والحديثـة وقائدهم في ذلك إبليس لعنه الله.

- أن المبالغة في الاحتكاك بالديانات والفلسفات الأخرى يورث المشا ة والمشاكلة.
- أن تعدد مصادر التوجيه تورث الشك والتذبذب وتفرق السبل لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام:١٥٣]
- أن عزلة المعتزلة للنصوص الشرعية تبلورت في الأساليب التالية:
* الإنكار والتكذيب لحقائق ثابتة في الكتاب والسنة مثل معجزات الأنبياء وحقيقة الجن.
* النفي والتأويل لصفات الباري كالسمع والبصر والرؤية والكلام والاستواء وغيرها.
* التشكيك في دلالة النصوص وإنكار حجية خبر الواحد ،وتجـريح رواة الأحاديـث وتكذيبهم وسبهم.

## - أبرز التـوصـيات:

- الالتزام بالمنهج القويم ؛منهج أهل السنة والجماعة لما تميز به من مزايـا منـها الكمـال والشمول والوسطية وموافقة العقل والفطرة البشرية.
- الحرص على التحصيل العلمي الشرعي وخاصة في مباحث العقيدة ؛ فهو سبيل النجاة في الدنيا والآخرة.
- قبل أن تعتزل عليك بدراسة علمية موثقة للعزلة تدرك من خلالها أبعـاد هـذه المسـألة وضوابطها لتطبيقها بصورة صحيحة موافقة للكتاب والسنة مفارقة للبدعة.
- وجوب الدعوة للإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بناء على قواعـد الشـرع المطهر وعدم مخالفتها.
- دراسة المصالح والمفاسد المترتبة على العزلة لكل فرد حسب حاله وقدرته علـى الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأثره وتأثيره على الآخرين.
- وجوب اعتزال كل من أنكر وجود الله أو توحيده أو أنكر شيئا مما جاء به النبي ﷺ .
- ضرورة ممارسة العزلة في صورة الاعتكاف دف التعبـد والتربيـة الذاتيـة والمحاسـبة والمراجعة.
- اتخاذ القدوة الصالحة من الأنبياء والأولياء في الصبر والجلد وتحمل المشاق في سبيل دعو م ومفارقتهم للأهل والأصحاب وتقديم محبوب الله ومطلوبه على محبو م.

- مراعاة الأولويات والتدرج في الدعوة من حيث محيط الدعوة ومضمو ا.
- ضرورة استخدام الأسلوب المناسب في الدعوة لكل فئة في ا تمع مع الأخذ في الاعتبـار حسن الخلق ولين القول فهو ادعى للقبول.
- تربية الناشئة على العفة والطهارة والاستشهاد بقصة يوسف ﷺ، وعزلهم عـن مواقـع الفتن والفساد.
- تدريب الناشئة على تفعيل وسائل الإعلام وخاصة شبكة المعلومات واستثمارها في الدعوة إلى الله والدفاع عن الدين الإسلامي والرد عنه وحجب المواقع الضالة المضلة.
- توعية الناشئة بفاعلية وسائل الإعلام وخطور ا على مستوى العالم،والتحذير مـن نقـل الأخبار، وتتبع العورات والإشاعات المغرضة.
- التحذير من المناظرات التي تعرض في وسائل الإعلام لما فيها مـن تشـكيك العامـة في الإسلام والمنافحين عنه من السلف الصالح.
- العناية بروافد التعليم من خلال الحرص على سلامتها وصفاءها وانتقاء المناهج الداعمـة لها،واختيار المعلمين الأكفاء لتحقيق أهداف العملية التعليمية.
- العمل على توحيد التوجيه لدى الناشئة حرصا على تماسك ا تمع ودعم الانتماء للـدين والوطن.
- العناية بالتوعية العامة للمجتمع من خلال الأسرة والمدرسة والمكتبة لحماية الناشـئة مـن الانحراف العقدي كما حدث مع الجماعات الإرهابية.
- تعميق الشعور لدى الناشئة بخطورة التكفير .
- العناية بالكتب الدراسية من خلال وضع المناهج المنظمة للتعريف بالفرق الضالة قـديما وحديثًا والتي لها أثر على مجمعاتنا اليوم وذكر حججهم والرد عليهم بأسلوب يتناسب مـع سن الناشئة وخصائص النمو لديهم لحماية الأفراد من مغبة الوقوع في براثن هذه الفرق.
- الاعتراف بالتأثير السلبي للأفكار العقلانية والعصرانية ومزاعم تحريـر المـرأة ،وغزوهـا العقول،واتخاذ الإجراءات الكفيلة بتجاوز هذه العقبة.
- تربية الناشئة على الوسطية في التعامل مع العقل الإنساني؛بأن يستخدم داخـل الإطـار الشرعي،والبعد عن الغرور والعجب الذي يدفع إلى الجناية على الدين وأهله.

- تحذير المجتمع عامة من دعوى وحدة الأديان من خلال العمل المنظم والدعم بوسائل الإعلام،ومشاركة المناهج الدراسية وتدريب المعلمين.

وأخيرا- فإن زمن العزلة لم يحن بعد رغم الفتن والبدع والشركيات المنتشرة في بلاد الإسلام من قبور ومشاهد ،وما تزال أمة محمد ﷺ بخير؛ قد تتعرض للنكسات والاضطرابات ولكنها سرعان ما تتعافى وتعود إليها قوتها،وسيكون هذا بإذن الله مادامت قوى الحق موجودة وإن كانت في أعدادها قليلة فالعبرة بقوة العقيدة الصافية لا بكثرة العدد والعدد وصدق ﷺ إذ يقول ( لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة )[1]

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يكون هذا البحث علما نافعا وعملاً صالحًا ينتفع به.

﴿وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه مسلم(١٣٧/١)باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ رقم(١٥٦)و(١٥٢٤/٣)باب قوله ﷺ :(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم) رقم(١٩٢٣).

# الفهارس العلمية

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الفرق.
- فهرس الألفاظ الغامضة.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

# فهرس الآيات القرآنية

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| سورة البقرة | | |
| البقرة | ٣ | ٤٧١ |
| البقرة | ١٣ | ٥٠٠ |
| البقرة | ١٤ | ١٨٧ |
| البقرة | ٧٦ | ١٨٧ |
| البقرة | ٧٨ | ٤٢٨ |
| البقرة | ١٠٢ | ٤٦٨ |
| البقرة | ١٢٥ | ١٨٨ |
| البقرة | ١٣٩ | ٤٢٨ |
| البقرة | ١٤٣ | ٣٧ |
| البقرة | ١٥٣ | ٤٢٠ |
| البقرة | ١٥٦ | ٤٠٧ |
| البقرة | ١٦٩ | ٣٧٥ |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| البقرة | ١٧٩ | ٤٦٥ |
| البقرة | ١٨٩ | ٣٥ |
| البقرة | ١٩٣ | ٣١٨ |
| البقرة | ١٩٥ | ٧٣ |
| البقرة | ٢٢٢ | ١٨٠،١٨٣، ٣٧٤ |
| البقرة | ٢٥٦ | ٢٠٤ |
| البقرة | ٢٥٨ | ٢٧١ |
| البقرة | ٢٧٣ | ١٥٤ |
| البقرة | ٢٧٥ | ٤٦٨ |
| البقرة | ٢٨٢ | ٣٥١ |
| البقرة | ٢٨٦ | ٣٣، ١٣٠ |
| سورة آل عمران | | |
| آل عمران | ٧ | ٢٥٠ |
| آل عمران | ١٤ | ٢٣٠ |
| آل عمران | ١٩ | ٢١٩ |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| آل عمران | ٢٠ | ٤٣٠ |
| آل عمران | ٣١ | ٣٧٩ |
| آل عمران | ٣٦ | ٤٨٨ |
| آل عمران | ٣٧ | ١٨٩ |
| آل عمران | ٧١ | ٢٦٧ |
| آل عمران | ٨٥ | ١٩٦ |
| آل عمران | ١٠٣ | ٩٣ ، ٢١٣،٣٠٩ ، |
| آل عمران | ١٠٤ | ١٤٤ |
| آل عمران | ١٠٥ | ٩٣ |
| آل عمران | ١١٠ | ١٣٠ |
| آل عمران | ١١٨ | ١٩٣ |
| آل عمران | ١٥٩ | ١٣٦ |
| آل عمران | ١٦٤ | ٤٢٨ |
| آل عمران | ١٧٥ | ٣٦٠ |
| آل عمران | ١٨٥ | ١٦٧ |

| الصفحة | رقم الآية | السورة |
|---|---|---|
| ١٦٠ | ١٨٨ | آل عمران |
| ١٤١،٨١ | ١٩٠ | آل عمران |
| ٨١،١٤١ | ١٩١ | آل عمران |
| سورة النساء | | |
| ٧٧ | ٥ | النساء |
| ٣٨٥، ٣٨٦ | ٣٥ | النساء |
| ٤٨٤ | ٤٧ | النساء |
| ٢٧٦ | ٥٩ | النساء |
| ٣٠٦،٤٣ | ٨٣ | النساء |
| ٢٢٣ | ٨٩ | النساء |
| ١٨٤،١٨٠ | ٩٠ | النساء |
| ١٨٤،١٨٠ | ٩١ | النساء |
| ٢٢٩ ، ٢٢٤ | ٩٧ | النساء |
| ٢٢٥ | ١٠٠ | النساء |
| ٢٩٠ | ١٣٥ | النساء |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| النساء | ١٤٠ | ٢٥٤ ، ٢٥٨ |
| النساء | ١٤٢ | ١٤٩ |
| النساء | ١٦٤ | ٤٧٣ |
| النساء | ١٧٣ | ٤٧٣ |
| سورة المائدة | | |
| المائدة | ٢ | ٣٢٢،٣٥ |
| المائدة | ٣ | ٤٠ ، ٢٥٢ |
| المائدة | ٣٢ | ٤٦٥ |
| المائدة | ٤٤ | ٣٦٠ |
| المائدة | ٥١ | ٢٢٣، ٢٠٤،٢٤٥ |
| المائدة | ٥٤ | ٣٧٩ |
| المائدة | ٥٧ | ٢٢٣ ، ٢٤٦ |
| المائدة | ٦٣ | ١٤٥ |
| المائدة | ٧٢ | ٤٨٤ |
| المائدة | ٧٣ | ٤٨٥ |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| المائدة | ٧٨ ،٧٩ | ١٤٥ |
| المائدة | ٨٠ ، ٨١ | ٢١٢،٢٢٣ |
| المائدة | ٨٧ | ١٩٦، ٣٥٨ |
| المائدة | ٩٥ | ٣٨٦ |
| المائدة | ٩٩ | ٢٢١ |
| المائدة | ١٠٥ | ١٤٦ |
| سورة الأنعام | | |
| الأنعام | ٣٨ | ١٥٥ |
| الأنعام | ٥٧ | ٣٨٥ |
| الأنعام | ٦٨ | ٢٦٠،٢٥٤ |
| الأنعام | ٧٨ | ٢٠٨ |
| الأنعام | ١٥٣ | ٥٠٥،٥٠٦ |
| الأنعام | ١٥٩ | ٢٥٠ |
| الأنعام | ١٦٤ | ٢٢٦ |
| سورة الأعراف | | |

| الصفحة | رقم الآية | السورة |
|---|---|---|
| ٢٠٤ | ٣ | الأعراف |
| ٤٦٧ | ٢٧ | الأعراف |
| ٤٧٧ | ٣٣ | الأعراف |
| ١٩٢ | ٥٥ | الأعراف |
| ٢١٩ | ٦٥ | الأعراف |
| ٩٧ | ٧٥ ، ٧٩ | الأعراف |
| ٤٦٩ | ١١٦ | الأعراف |
| ٥٦ | ١٢٧ | الأعراف |
| ٥٧ | ١٢٨ | الأعراف |
| ١٨٨ | ١٣٨ | الأعراف |
| ٣٦١ | ١٤٢ | الأعراف |
| ٥٠٤ | ١٥٩ | الأعراف |
| سورة الأنفال | | |
| ٢٣ ، ٢٩٦ | ٢٥ | الأنفال |
| ٢٧٦ | ٤٥ ، ٤٦ | الأنفال |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| الأنفال | ٦٣ | ٩٣ |
| سورة التوبة | | |
| التوبة | ٢ | ٢٠٩ |
| التوبة | ٣ | ٢٠٢ |
| التوبة | ٢٣ | ٢١٥،٢١٤ |
| التوبة | ٢٤ | ٢١٥ |
| التوبة | ٣٠ | ٤٨٥ |
| التوبة | ٣٢ | ٤٩٦ |
| التوبة | ٣٣ | ٥٧ |
| التوبة | ٣٤ | ١٧٢ |
| التوبة | ٤٠ | ١٢٦ |
| التوبة | ٧١ | ١٤٤ |
| التوبة | ٨٤ | ٢٦٢ |
| التوبة | ١٠٠ | ٤٩٥ |
| التوبة | ١٠٧ | ٣٤٤ |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| التوبة | ١٠٨ | ٣٤٤، ٤٢٢ |
| التوبة | ١١٨ | ٥٨ |
| التوبة | ١٢٨ | ١٣١ |
| سورة يونس | | |
| يونس | ٥ | ٤٣١ |
| يونس | ٢٦ | ٤٧٢، ٤٨٩ |
| يونس | ٤١ | ٢٠٨ |
| يونس | ٨٧ | ٤١٩ |
| سورة هود | | |
| هود | ٤٢ | ١٣، ٥٥ ، ١٨٠، ١٨٢ |
| هود | ٤٣ | ٥٥، ١٨٢، ، |
| هود | ٥٤ | ٢٠٨ |
| سورة يوسف | | |
| يوسف | ٩ | ١٨٧ |
| يوسف | ٣٢ | ٦٨ |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| يوسف | ٣٣ | ٦٩ ،٦٨ |
| يوسف | ١٠٨ | ٤٢٨ |
| يوسف | ١١١ | ٤٥٨ |
| سورة الرعـــد | | |
| الرعد | ١٠ | ١٩٣ |
| الرعد | ٣٨ | ٣٥٨ |
| سورة الحجـــــر | | |
| الحجر | ٣٩ ، ٤٠ | ٤٨٨ |
| الحجر | ٨٥ | ٢٢٠ |
| الحجر | ٨٨ | ١٦٢ |
| سورة النحـــــل | | |
| النحل | ٨١ | ١٩١ |
| النحل | ١٢٠ | ٥٢ |
| النحل | ١٢٣ | ٢٢،٢٥٢ |
| النحل | ١٢٥ | ١٣٤,٢٢٠,٢٣٠,٢٧١ |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| مريم | ٤٢ | ٢١٧ |
| مريم | ٤٣ | ٢١٧ |
| مريم | ٤٤ | ٢١٧ |
| مريم | ٤٥ | ٢١٧ |
| مريم | ٤٦ | ٢١٧،١٨١,٢٢٢ |
| مريم | ٤٧ | ٢١٧ |
| مريم | ٤٨ | ،١٤،،١٣،٥١،٨٩،١٨٠ |
| مريم | ٤٩ | ١٩٤,٢٠٦,٢١٧<br>١٣،٥٢،٦١،٨٩،١٨٠،١٨١،<br>،٢٠٦،٢٠٧،٢١٧ |
| مريم | ٧٨ | ٣٧٥ |
| سورة طـــه | | |
| طه | ٥ | ٤٧٣ |
| طه | ٧ | ١٩٢ |
| طه | ٤٠ | ٢٩٥ |
| طه | ٦٦ | ٤٦٩ |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| طه | ١٢٤ | ٢٩٩ |
| طه | ١٣١ | ١٥٨ |
| سورة الأنبيـــــاء | | |
| الأنبياء | ٦٨ | ١٨١ |
| الأنبياء | ٨٢ | ٤٦٨ |
| الأنبياء | ٨٧ | ٥٢ |
| الأنبياء | ٨٩ | ١٨٦ |
| الأنبياء | ١١١ | ٣٢٨ |
| سورة الحــج | | |
| الحج | ٢٥ | ١٨٨ |
| سورة المؤمنون | | |
| المؤمنون | ٩٦ | ١٣٥ |
| سورة النـــــور | | |
| النور | ٥٤ | ٢٥٢ |
| النور | ٢٠ | ١٦٤ |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| الفرقان | ٢٨،٢٧ ،٢٩ | ١٥٦ |
| سورة الشعـــــراء | | |
| الشعراء | ٢١٢ | ١٨٠،١٨٤،،١٢ |
| الشعراء | ٧٣،٧٠ | ٢١٧ |
| الشعراء | ٧٤ | ٢١٨ |
| الشعراء | ٧٧،٧٥ | ٢١٠ |
| الشعراء | ١١٦ | ٢٢٢ |
| سورة القصــص | | |
| القصص | ٥٦ | ٢٢١ |
| سورة العنكبوت | | |
| العنكبوت | ٢٦ | ١٩٤، ٢٢٢ |
| العنكبوت | ٤٨ | ٣٢٩ |
| سورة الروم | | |
| الروم | ٣٠ | ٢٠٤ |
| الروم | ٦٠ | ٤٤ |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| سورة لقمان | | |
| لقمان | ١٣ | ٢١٥ |
| سورة السجدة | | |
| السجدة | ١٦ | ٣٠٤ |
| سورة الأحزاب | | |
| الأحزاب | ٢١ | ١٤٠ |
| الأحزاب | ٥١ | ١٨٤,١٨٠ |
| الأحزاب | ٥٣ | ١٨٩ |
| الأحزاب | ٥٦ | ١٧١ |
| الأحزاب | ٧١،٧٠ | ١٧٣ |
| سورة سبأ | | |
| سبأ | ٢٨ | ٤٦١ |
| سورة فاطر | | |
| فاطر | ١٠ | ١٧٤ |
| فاطر | ٢٨ | ٣٦٠ |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| سورة يس | | |
| يس | ٦٠ | ٢١٨ |
| سورة ص | | |
| ص | ٥ | ٤٧٧ |
| سورة غافر | | |
| غافر | ٤٠ | ٤٩٩ |
| غافر | ٥١ | ٥٨ |
| سورة فصلت | | |
| فصلت | ٣٤ | ١٣٤ |
| فصلت | ٥٣ | ٤٨٠ |
| سورة الشورى | | |
| الشورى | ١١ | ٤٧١ |
| الشورى | ١٣ | ٢١٩ |
| الشورى | ١٦ | ٢٧٠،٥٠٠ |
| سورة الزخرف | | |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| الزخرف | ٢٦ | ٢٠٩،٢١٠ |
| الزخرف | ٢٧ | ٢١٠ |
| الزخرف | ٢٨ | ٢٠٩ |
| الزخرف | ٥٤ | ٥٦ |
| سورة الدخان | | |
| الدخان | ٢١ | ١٨١،١٨٠،٨٩،٥٦،٩٦ |
| سورة الجاثية | | |
| الجاثية | ١٨ | ٣٦٣ |
| سورة محمد | | |
| محمد | ١٢ | ٤٨٠ |
| محمد | ١٩ | ١٨ |
| محمد | ٢٤ | ١٤٢ |
| سورة الفتح | | |
| الفتح | ١٠ | ٤٧٣ |
| سورة الحجرات | | |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| الحجرات | ٩ | ٣٢٠ |
| الحجرات | ١٠ | ٤٨٤ |
| الحجرات | ١٣ | ٢١٣ |
| سورة الممتحنة | | |
| الممتحنة | ١ | ٢١١ |
| الممتحنة | ٤ | ٢٠٦،٢١،٧٥ |
| الممتحنة | ٩ | ٢١١ |
| الممتحنة | ١٣ | ٢١١ |
| سورة الصف | | |
| الصف | ٨ | ٤٧٩ |
| سورة الجمعة | | |
| الجمعة | ٢ | ٤٣٠ |
| الجمعة | ٤،٣،٢ | ٤٢٤ ، ٤٢٥ |
| الجمعة | ٥ | ٤٢٩ |
| سورة الذاريات | | |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|
| الذاريات | ٥٦ | ٢٢٠ |
| سورة النجم | | |
| النجم | ٢٨ | ٤٩١ |
| سورة الحديد | | |
| الحديد | ٢٧ | ١٩٥ |
| سورة المجادلة | | |
| المجادلة | ٢٢ | ٢١٢ |
| سورة الحشر | | |
| الحشر | ١٠ | ٤٩٥ |
| التغابن | ١١ | ١٦٥ |
| الطلاق | ١٢ | ٢٢٠ |
| الملك | ١٤ | ١٩٥ |
| الجن | ٩،٨ | ٧٠ |
| المزمل | ٨ | ١٩٦، ٣٥٤ |
| القيامة | ٢٣،٢٢ | ٤٧٢ |

| السورة | رقم الآية | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| الشرح | ٧ | ٣٤٣ |
| العلق | ١ | ٤٢٩ |
| العلق | ٩،١٠ | ٣٥٧ |
| البينة | ١ | ٤٦٠ |
| العصر | كاملة | ١٧،١٥٣ |
| العصر | ٣ | ١٣٣ |
| الفيل | ٣ ،٤،٥ | ٤٦٥ |
| الكافرون | ١ | ٢٠٢ |
| المسد | ١،٣ | ٢١٤ |

# فهرس الأحاديث

# فهرس الأعـ ـ ـلام

# فهرس الفـــرق

| فهرس المصطـــلـــحات | |
|---|---|
| المصطلح | الصفحة |
| التبتل | ١٩٦ |
| الخانقاه | ٣٤١ |
| دار الحرب | ٢٢٢ |
| الرهبانية | ١٩٥ |
| العلم اللّدني | ٣٣٨ |
| الغلو | ٤١ |
| الفلسفة | ٤٧ |
| المداهنة | ١٤٨ |

## فهرس الألفاظ الغامضة

## الأماكن

# المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الإبانة عن شريعة الفرقه الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطه العكبري،تحقيق رضا معطي،ط١، ١٤٠٩ هـ،١٩٨٨ م ،دار الراية- الرياض.
- الإباضية، عامر النجار،بدون طبعة وتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة.
- الأباضية في موكب التاريخ،علي يحيي معمر،ط٢، ١٩٩٣م،مكتبة الضامري-سلطنة عمان.
- الإباضية مذهب إسلامي معتدل، علي يحيي معمر، ط٥، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، مكتبة الضامري، السيب/ سلطنة عمان.
- الإباضية مذهب لا دين،"دراسة تحليلية نقدية لنشأة الإباضية ولموقفهم من التعصب المذهبي" هاني سليمان الطعيمات، ط١، ٢٠٠٣م ، دار الشروق- عمان / الأردن.
- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ،ط١، ١٤١٧هـ دار العاصمة-الرياض.
- الاتجاهات العقلانية الحديثة، د.ناصر بن عبد الكريم العقل،ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م،دار الفضيلة-الرياض.
- الأدب المفرد محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي،ط٣، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، دار البشائر الإسلامية – بيروت.
- أحكام أهل الذمة،أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي،تحقيق:يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري،ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م،رمادى للنشر-دار ابن حزم-الدمام-بيروت.
- أحكام التعامل مع غير المسلمين،خالد بن محمد الماجد،١٤٢٦هـ ،المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بحي السلي بالرياض.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة – بيروت.

- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة،ابن قتيبة عبد الله الدينوري،١٩٨٥م،دار الكتب العلمية.
- الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضـعية .د. يعقـوب المليجي، ١٤٠٥هـ ،مؤسسة الثقافة الجامعية - الإسكندرية.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية،شمس الدين أبي عبدالله محمد بن مفلح المقدسي،مكتبة ابـن تيمية – القاهرة.
- أدب الدنيا والدين،أبي الحسن الماوردي ،ط٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م،دار اقرأ-بيروت.
- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرارﷺ ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النـووي ،١٩٧٣م،المكتبة الثقافية- بيروت،لبنان.وطبعة أخرى،(١٤٠٤هـ ١٩٨٤م)
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمـد العمـادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- إرواء الغليـــل في تخـــريج أحاديـــث منـــار الســـبيل،محمد ناصـــر الـــدين الألباني،ط١،١٣٩٩هـ ،المكتب الإسلامي.
- أسباب النزول،أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري،ط١،١٩٨٣م،دار ومكتبة الهلال- بيروت.
- الاستقامة لابن تيمية،تحقيق:د.محمد رشاد سالم،ط٢، ١٤٠٨هـ ،مكتبة السنة،بدون البلد.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب،يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر،تحقيق: علي محمد البجاوي،ط١، ١٤١٢هـ ،دار الجيل – بيروت.
- أصول الدين، عبد القادر أبو منصور بن طاهر بن محمد البغدادي،١٩٢٨م، استانبول.
- الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ،تعليـق:محمـود طعمـه،ط٢، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م،دار المعرفة-بيروت.
- الأعلام،خير الدين الزركلي،ط٣، بدون بيانات نشر.

- الإعلام بفوائد عمدة الأحكام،أبي حفص عمر بن علي أحمد الأنصـاري الشـافعي المعروف بابن الملقن،تحقيق: عبد العزيز أحمد المشـيقح،ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م،دار العاصمة- المملكة العربية السعودية.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين ،أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بـن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، ١٩٧٣م، دار الجيل- بيروت.
- الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، جمع : محمد عمارة،١٩٩٣م، دار الشروق- القاهرة.
- الأعمال الكاملة للإمام جمال الدين الأفغاني، جمع: محمد عمارة، ط١، ١٩٨١م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،القاهرة.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيـق: محمد حامد الفقي،ط٢،١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، دار المعرفة- بيروت.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر،بدون طبعة،١٨٥٣م،دار الكتب العلمية بيروت.
- أصـــول الجـــدل والمنـــاظرة في الكتـــاب والســـنة،د.حمـــد العثمـــان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م،مكتبة ابن القيم،الكويت.
- أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، تحقيق: د.أحمـد سـعد الغامـدي،ط٨، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م،دار طيبة-الرياض.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،محمد الأمين بن محمـد بـن المختـار الجكـني الشنقيطي،تحقيق: مكتب البحوث والدراسات،١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، دار الفكـر للطباعـة والنشر- بيروت.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس،، تحقيق: محمد حامد الفقي،ط٢،١٣٦٩هـ ـ .
- اقـرأ وربك الأكرم، جودت سعيد،ط٢، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، دار الفكـر المعاصـر، بيروت- لبنان.
- الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، محمد بن عبد الملك بن مالك الطائي الجياني أبـو عبد الله، تحقيق : د. محمد حسن عواد، ط١ ،١٤١١هـ ، ،دار الجيل – بيروت .

- الانتصار لأصحاب الحديث،منصور بن محمد السمعاني أبو المظفر، تحقيق: محمـد بـن حسين بن حسن الجيزاني،ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، : مكتبة أضواء المنار – السعودية
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بـن حنبـل،علي بـن سليمان المرداوي أبو الحسن، تحقيق: محمد حامد الفقي،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أيسـر التفاسـير لكـلام العلـي الكـبير،لأبي بكـر جـابر الجزائـري،ط٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م،مكتبة العلوم والحكم-المدينة النبوية.
- الباعث على إنكار البدع والحوادث،عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، تحقيق: عثمـان أحمد عنبر، ط١، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م،دار الهدى- القاهرة.
- البداية والنهاية ،إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء،مكتبة المعارف – بيروت.
- البدع والنهي عنها، محمد بن وضاح القرطبي، تحقيق:بدر بـن عبـد الله البـدر،ط١، ١٤١٦هـ ،دار الصميعي . الرياض
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث،الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري،ط١،١٤١٣هـ ١٩٩٢م، مركـز خدمـة السـنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة،محمد بن يعقوب الفيروزأبادي،تحقيق: محمد المصـري ،ط١، ١٤٠٧هـ ،جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت.
- جة الناظرين شرح رياض الصالحين،سليم الهلالي، ط٦، ١٤٢٢هـ دار ابن الجـوزي، المملكة العربية السعودية..
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية،أحمد عبد الحليم بن تيمية الحـراني أبـو العباس، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم،ط١،١٣٩٢، مطبعـة الحكومـة - مكـة المكرمة.
- تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد مرتضى الحسيني الزبيدي،تحقيق: مجموعـة مـن المحققين، دار الهداية.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الـذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى،ط١، ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧م، دار الكتاب العربي-لبنـان/ بيروت.
- تاريخ بغداد،أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي،دار الكتب العلمية – بيروت.
- تاريخ التصوف الإسلامي من البدايـة حـتى ايـة القـرن الثـاني، عبـد الـرحمن بدوي،١٩٧٥م،وكالة المطبوعات- الكويت.
- تاريخ التصوف في الإسلام ، د. قاسم غنى ، ترجمة عن الفارسـية: صـادق نشـأت، مراجعة: أحمد ناجي القيسي، محمد مصطفى حلمي، ١٩٧٠م، مكتبة النهضة المصـرية - القاهرة.
- التاريخ الصغير ،محمد بن إسماعيل البخاري ، ط١، ١٤٠٦هـ ،دار المعرفة-بيروت.
- تاريخ الطبري،لابن جرير الطبري، ط١، ١٤٠٧هـ ،دار الكتب العلمية-بيروت.
- التاريخ الكبير،محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيـق: السـيد هاشم الندوي، دار الفكر.
- تاريخ مدينة دمشق،لابن عساكر،ترجمة عثمان،تحقيق:محب الدين عمـر العمـروي، ط بدون،١٤١٦هـ ـ١٩٩٦م،دارالفكر بيروت – بيروت.
- تاريخ واسط، أسلم بن سهل الرزاز الواسطي،تحقيق:كوركيس عواد،ط١، ١٤٠٦هـ ، عالم الكتب – بيروت.
- تأويل مختلف الحديث، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الـدينوري، تحقيـق: محمـد زهـري النجار،١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٢م، دار الجيل- بيروت.
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكـام،أبو الوفـاء محمـد بـن فرحـون اليعمري،خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه : الشيخ جمال مرعشـلي،١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت.
- تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محفوظ، ط٥، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ،دار الشـروق- بيروت/ القاهرة.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا،دار الكتب العلمية– بيروت.
- تحفة الإخوان ،التويجري ، ط١، مؤسسة النور - الرياض.
-التحفـة اللطيفـة في تـاريخ المدينـة الشـريفة،الإمام شمـس الـدين السخاوي،ط١،١٤١٤هـ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية – بيروت.
- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لابن رجب الحنبلـي،ط١، ١٣٩٩هـ ـ ،مكتبة دار البيان – دمشق.
- تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القـرطبي، خرج أحاديثه:الداني ابن منير،ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م،المكتبة العصرية،بيروت.
- التراث والتجديد (موقفنا من التراث القديم)،حسـن حنفـي،ط٥، ٢٠٠١م،المؤسسـة الجامعية للدراسات والنشر.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف،عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمـد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين،ط١، ١٤١٧هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت.
- التصوف الأنوار الرحمانية، عبد الكريم الكسنـاني في الطريقة القادرية الكسنـانية،عبد الكريم الكسنـاني ،مكتبة مدبولي،القاهرة.
- التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، بدون طبعةوتاريخ، إدارة ترجمان السـنة ، باكستان/مكتبة بيت السلام.
- التعريفات للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري.ط١، ١٤٠٥، دار الكتـاب العـربي – بيروت.
- تفسـير البغـوي المسـمى معـالم التنـزيـل،تحقيق : عبـد الـرزاق المهـدي،ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م،دار إحياء التراث العربي،بيروت.
- تفسير الجلالين محمد بن أحمد ، عبدالرحمن بن أبي بكـر المحلـي ، السـيوطي،،ط١، دارالحديث- القاهرة.

- تفسـير القـرآن الحكـيم المشـهور بتفسـير المنار،محمـد رشـيد رضـا،ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م،دار الكتب العلمية-بيروت/لبنان.
- تفسير القرآن العظيم،١٤٠١هـ، دار الفكر – بيروت.
- تفسير مجاهد،أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي،تحقيق:عبد الرحمن الطاهر بن محمـد السورتي،ط١، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م،مجمع البحوث الإسلامية-إسلام آباد،باكستان.
- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ط٦، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، مكتبـة وهبـه، القاهرة.
- تقريب التهذيب،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيـق: محمـد عوامة،ط١،١٤٠٦ - ١٩٨٦،دار الرشيد - سوريا.
- الـتكفير(جذوره،أسـبابه،مبرراته)، نعمـان عبـد الـرزاق السـامرائي، ط١، ١٤٠٤هـ-١٤٨٤م، المنارة- دمشق.
- تلبيس إبليس ، جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي البغـدادي،،ط٢، ١٣٦٨هـ، دار الكتب العلمية-لبنان.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكـري،١٣٨٧هـ،وزارة عمـوم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب.
- تنبيه الغافلين،نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي،تحقيق:عبـد العزيـز الوكيـل،ط٤، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م،دار الشروق جده.
- تهذيب الأسماء واللغات،محي الدين بن شـرف النـووي، تحقيـق: مكتـب البحـوث والدراسات،ط١،١٩٩٦م،دار الفكر- بيروت.
- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجـر أبـو الفضـل العسـقلاني الشـافعي ،ط١ ،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م،دار الفكر – بيروت.
- تهذيب الكمال،يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عـواد معروف،ط١،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، مؤسسة الرسالة – بيروت.

- ذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عـوض مرعـب،ط١، ٢٠٠١م،دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسا م وألقا م وكناهم، ابن ناصر الدين شمـس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسـي، ط١، ١٩٩٣م،مؤسسة الرسالة – بيروت.
- تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ،بدون طبعة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م ،دار الفكربيروت
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصر السـعدي،تحقيق:عبـد الرحمن اللويحق، ط١، ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م،مؤسسة الرسالة-بيروت.
- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي،تحقيق: السيد شـرف الـدين أحمد،ط١،١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ،دار الفكر.
- ثلاثة الأصول عقيدة الفرقة الناجية، للإمام محمد بن عبد الوهاب،ط١، تحقيق: ناصر بن عبد الله الطريم ، سعود بن محمد البشر ، عبد الكريم بن محمد اللاحم،مطـابع الريـاض – الرياض.
- ثورة الإسلام، أحمد زكي أبو شادي ،بدون طبعة،دار مكتبة الحياة-بيروت.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ،مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق:عبد القادر الأرناؤوط ،١٣٩٢هـ ،مكتبة الحلواني،بيروت- لبنان،مطبعة الملاح،مكتبة دار البيان.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن،محمد بن جرير الطبري،،١٤٠٥هـ ـ١٩٨٤،دار الفكر- بيروت.
- جامع بيان العلم وفضله ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ،١٣٩٨هـ ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القـرطبي،دار الشـعب – القاهرة.طبعة أخرى (١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م).

- الجامع لأحكام القرآن ،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ،تحقيق:عبد الرزاق المهدي،بدون ط ،دار الكتاب العربي،بيروت، (نسخة أخرى).
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي أبو بكر، تحقيق: د. محمـود الطحان،١٤٠٣هـ ،مكتبة المعـارف – الرياض.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم،زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي،تحقيق: شعيب الأرنـاؤوط / إبـراهيم بـاجس، ط٧، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- جامع العلوم والحكم لابن رجب،تحقيق:وهبه الزحيلي،ط٢، ١٤١٧ هـ ـ١٩٩٦م،دار الخير،دمشق، بيروت. (نسخة أخرى).
- الجامع، معمر بن راشد الأزدي،تحقيق: حبيب الأعظمـي،ط٢، ١٤٠٣هـ ـ المكتـب الإسلامي – بيروت.(منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج١٠)
- الجامع الصحيح سنن الترمذي،محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الجامع الصحيح المختصر،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،تحقيق:د.مصطفى ديب البغا،ط٣ ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت.
- جذور الغلو،عبد الرحمن بن محمد بن علي الهرفي،مراجعة:صالح بن فوزان الفـوزان،ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م،دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية.
- الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة،أبو أسامة سليم بـن عيـد الهلالي،بدون طبعة،١٤٢٥هـ ـ٢٠٠٤م،الدار الأثرية- الأردن.
- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم،محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: د. علي حسـين البواب،ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار ابن حزم - لبنان/ بيروت.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، محمد بـن أبي بكـر أيـوب الزرعي أبو عبد الله (ابن قيم الجوزية)، دار الكتب العلمية - بيروت.

- جواهر المعاني وبلوغ الأماني،في فيض سيدي أبي العباس التجاني،الشيخ علي حرازم بـن العربي برادة المغربي الفاسي،الطبعة الأخيرة ،١٣٨٠هـ ١٩٦١م،شركة ومكتبـة ومطبعـة مصطفى البابي الحلبي-القاهرة /مصر.

- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة،أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضـل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المـدخلي، ط٢،١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، دار الراية – السعودية.

- الحجة في بيان المحجة، أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بـن الفضـل التيمـي الأصـبهاني تحقيق:محمد المدخلي،ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م،دار الراية،الرياض/السعودية.(نسخة أخرى)

- حراسة الفضيلة،بكر عبد الله أبو زيد،ط٦، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م،دار العاصمة- الرياض.

- الحركة الأباضية في المشرق العربي، مهدي طالب هاشم ، ط٢، ٢٠٠٣م، دار الحكمة- لندن.

- حزب التحرير، عبد الرحمن محمد دمشقية، ، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، مكتبة الغربـاء، الدار الأثرية- استانبول، تركيا.

- حلقة العزابة ودورها في بناء ا تمع المسجدي، محمد ناصر، ،١٤١٠هـ ١٩٨٩م، مكتبة الضامري- سلطنة عمان.

- الحكم وقضية تكفير المسلم،سالم البهنساوي،ط٣، ١٤١٥هـ ـ ١٩٨٥م،دار البحـوث العلمية-الكويت/دار البشير- عمان.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط٤،١٤٠٥، دار الكتاب العربي – بيروت.

-حوار في الاعتكاف سالم محمد الجهني،ط١، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م،دار المسلم – الرياض.

- حياة محمد محمد حسين هيكل، ط٢٤، دار المعارف- القاهرة.

- الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ،عبدالعزيز المكي،تحقيق:علـي محمـد الفقيهي،ط٢، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م،مكتبة العلوم والحكم،المدينة النبوية.

- خلق أفعال العباد، البخاري، تحقيق: د. عبدالرحمن عمـيرة،١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م، دار المعارف السعودية – الرياض.
- الخوارج الحروريون ومقارنة مبـادئهم بمبـاديء الفـرق الإسـلامية،أحمد حجـازي السقا،مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة.
- الخوارج دعاة على أبواب جهنم، محمود لطفي عامر، ، ط٣ ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، دار المحجة البيضاء - مصر.
**- الخوارج والفكر المتجدد،محاضرة للشيخ عبد المحسن بن ناصر العبيكان،مكتبـة ابـن القـيم – الكويت.**
- درء تعارض العقل والنقل،شيخ الإسلام ابن تيمية،تحقيق:محمد رشاد سالم،بدون بيانـات الطبع.
- دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين(الخوارج والشيعة)، أحمد محمـد أحمـد جلـي،ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات- الرياض/المملكـة العربيـة والسعودية.
- دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ناصرالعقل، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار كنـوز إشبيليا- الرياض.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية،مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصـر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا،جمع:عبد الـرحمن بـن محمـد قاسـم،ط٦، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م،دار النشر:بدون.
- الدر المنثور،للسيوطي ،١٩٩٣،دار الفكر-بيروت.
- الدفاع عن أهل السنة والاتباع،حمد بن علي بن عتيق،ضمن سلسـلة عيـون الرسـائل والمسائل،ط٤، ١٤١٠هـ، مكتبة الهداية- الرياض.
- دلائل النبوة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ط١، ١٩٨٥هـ، دار الكتب العلمية.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب،إبراهيم بن علي بن محمد بـن فرحـون اليعمري المالكي،دار الكتب العلمية – بيروت.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة،للراغب الأصفهاني،ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م،دار الكتـب العلمية،بيروت.

- ذكرياتي مع جماعة المسلمين(التكفير والهجرة)،عبد الرحمن أبو الخـير،ط١٩٨٠،١،م،دار البحوث العلمية- الكويت.
- ذم الكلام وأهله،أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، تحقيق: عبد الـرحمن عبد العزيز الشبل ،ط١٤١٨،١هـ ١٩٩٨م،مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة.
- رحلة ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبر الكناني الأندلسي، تحقيـق: تقـديم / الدكتور محمد مصطفى زيادة، دار النشر: دار الكتاب اللبناني / دار الكتـاب المصـري - بيروت / القاهرة.
- الـرد علـى المنطقيين،للإمـام تقـي الـدين أبي العبـاس أحمـد بـن تيميـة،ط٣، ١٣٩٨هـ ـ١٩٧٨م،إدارة ترجمان السنة-لاهور،باكستان،ومكتبة الحرمين- الرياض.
- الرسالة،محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩،القاهرة.
- الرسالة القشيرية في علـم التصـوف ، أبي القاسـم عبـد الكـريم القشـيري،ط٣، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م، دار الخير بيروت، دمشق.
- رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، عمربن سعيد الفوتي الطوري الكـدوي، امش/جواهر المعاني.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، دار إحياء التـراث العربي – بيروت
- الروض الداني (المعجم الصغير)،سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسـم الطبراني،تحقيـق: محمد شكور محمود الحاج أمرير،ط١٤٠٥،١ هـ ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين،النووي ،ط٢، ١٤٠٥هـ ،المكتب الإسلامي – بيروت.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء،أبي حاتم محمد بن حيان البسـتي،تحقيق:خليـل مـأمون شيحا،ط١، ١٤٢٥هـ ـ٢٠٠٤م،دار الكتاب العربي-بيروت.
- روضة الناظر وجنة المناظر،ابن قدامـة المقدسـي تحقيـق عبـد العزيزالسـعيد،ط٢، ١٣٩٩هـ ،جامعة الإمام محمد بن سعود،الرياض.

-رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ط٣، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، دار الفكر – بيروت.
- الرياض النضرة في مناقب العشرة،أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري أبو جعفر، تحقيـق: عيسى عبد الله محمد مانع الحميري،ط١، ١٩٩٦م،دار الغرب الإسلامي – بيروت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد،محمد بـن أبي بكـر الزرعـي الدمشـقي(ابـن قـيم الجوزية)،تحقيق:عبد القادر عرفان العشا،١٤١٥هـ ١٩٩٥م،دار الفكر-بيروت.
- الزهد، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر،تحقيق: عبد العلي عبـد الحميـد حامد،ط١٤٠٨،٢هـ، دار الريان للتراث – القاهرة.
- الزهد،عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبـد الله، تحقيـق: حبيـب الـرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية – بيروت.
- الزهد ، هناد بن السري الكوفي،تحقيق: عبد الـرحمن عبـد الجبـار الفريـوائي،ط١، ١٤٠٦هـ ،دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.
- الزهد،ابن أبي عاصم،تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد،ط٢، ١٤٠٨ هـ، دار الريان للتراث – القاهرة.
- سبل السلام،محمد بن إسماعيل اليمني الصنعاني،ط٦، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م،دار الكتـاب العربي-لبنان.بيروت.
- السر الأعظم، مصطفى محمود،بدون ط، دار المعارف- القاهرة.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقههـا وفوائـدها ،محمـد ناصـر الـدين الألباني ،طبعات مختلفة،سنوات مختلفة، مكتبة المعارف.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمـد ناصـر الـدين الألباني الطبعة:سنوات مختلفة،سنة الطبع: سنوات مختلفة، مكتبة المعارف.
- السنة ،أحمد بن محمد الخلال،تحقيق: عطيـة الزهـراني،ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م،دار الراية،الرياض.
- سنن ابن ماجه، لأبي محمد القزويني ،حكم وتعليق : محمد الألباني ،ط١، مكتبة المعارف- الرياض.

- سنن أبي داود ،سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- سنن البيهقي الكبرى،أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا،١٤١٤هـ ١٩٩٤م ،مكتبة دار الباز - مكة المكرمة.
- سنن الدارمي،عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي،ط١، ١٤٠٧هـ ،دار الكتاب العربي – بيروت.
- سنن الدارقطني ، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي،تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني،١٣٨٦هـ ١٩٦٦م، دار المعرفة - بيروت.
- سنن سعيد بن منصور،سعيد بن منصور الخراساني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ،ط١،١٤٠٣هـ ١٩٨٢م، الدار السلفية – الهند.
- السنن الصغرى،أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر،تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ط١،١٤١٠ هـ ١٩٨٩م ،مكتبة الدار - المدينة المنورة.
- السنن الكبرى،أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن،ط١،١٤١١ هـ ١٩٩١م، دار الكتب العلمية- بيروت.
- السنن الواردة في الفتن وغوائلها ،لأبي عمرو الداني،تحقيق:المباركفوري،ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م،دار العاصمة،الرياض.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،دار المعرفة.
- سيد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية، ربيع بن هادي المدخلي، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، دار الإمام أحمد، القاهرة.
- سير أعلام النبلاء ،محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله،تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي،ط٩،١٤١٣هـ ،مؤسسة الرسالة – بيروت.
-السيرة النبوية،عبد الملك بن هشام أيوب الحميري المعافري، تحقيق:طه عبد الرؤف سعد ،ط١،١٤١١هـ ،دارالجيل-

- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار،محمد بن علي بن محمد الشوكاني،تحقيق:محمود إبراهيم زايد،ط١،دارالكتب العلمية،بيروت.
- الشخصية الإسلامية، تقي الدين النبهاني،ط٢، ١٣٧٢هـ ـ١٩٥٣م، من منشورات حـزب التحرير- القدس.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي العكري الحنبلي، تحقيق: عبـد القـادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط ،ط١، ١٤٠٦هـ ، دار بن كثير- دمشق.
- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبـار بـن أحمـد الهمـذاني المعتـزلي، ط١، ١٣٨٤هـ ـ١٩٦٥م، مكتبة وهبه-مصر.
- شرح السنة،الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شـعيب الأرنـاؤوط - محمـد زهـير الشاويش،ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م،المكتب الإسلامي - دمشق _ بيروت.
- شرح السنة،الحسن بن علي بن خلف البر اري أبو محمد، تحقيق: د. محمد سعيد سـالم القحطاني،ط١، ١٤٠٨هـ، دار ابن القيم – الدمام.
- شرح سنن ابن ماجه،السيوطي،عبد الغني، فخر الحسن الدهلوي، قديمي كتب خانـة- كراتشي.
- شرح العقيدة الأصـفهانية،لابن تيميـة،تحقيق: سـعيد بـن نصـربن محمـد ، ط١، ١٤٢٢هـ ـ٢٠٠١م، مكتبة الرشد، الرياض.
- شرح عقيدة التوحيد،محمد بن يوسف اطفـيش، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، وزارة التـراث القومي والثقافة – سلطنة عمان.
- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ط٨، ١٤٠٤ هـ ـ،١٩٨٤ م، المكتـب الإسلامي،
- شرح العمدة كتاب الصيام،أحمد بن عبد الحلـيم بـن تيميـة، ط١، ١٤١٧هـ ـ،دار الأنصاري-الرياض.
- شرح مشكل الاثار،أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحـاوي، تحقيـق: شـعيب الأرنؤوط ،ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة – بيروت/لبنان.

- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مـري النـووي، ط٢، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
- الشرح والإبانة لابن بطة العكبري،تحقيق:رضا نعسان معطي،ط٢،١٤١٥هـ ١٩٩٤م،دار الراية،الرياض.
- شرف أصحاب الحديث، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر،تحقيق: د. محمد سعيد خطي اوغلي،دار إحياء السنة النبوية – أنقرة.
- الشريعة،لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، دار الوطن – الرياض،السعودية.
- شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي،ط١، تحقيق: محمـد السـعيد بسـيوني زغلول،١٤١٠هـ، ، دار الكتب العلمية – بيروت.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمـي البسـتي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،ط٢،١٤١٤هـ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- صحيح الترغيب والترهيب للمنذري، محمد ناصر الدين الألباني،ط١، ١٤٢١هـ،مكتبة المعارف.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته محمد ناصر الدين الألباني،ط٣،١٤٠٨هـ، المكتـب الإسلامي.
- صحيح سنن ابن ماجه محمد ناصر الدين الألباني،ط١، ١٤٠٧هـ، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني،ط١، ١٤٠٩هـ، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- صحيح مسلم،مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشـقي، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، ط٣، ١٤١٨هـ١٩٩٨م، دار العاصمة – الرياض.

- الصـوفية في نظـر الإسـلام،"دراسـة وتحليـل"،سـميح عـاطف الـزين، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار الكتـاب اللبناني-بيروت/ دار الكتاب المصري- القاهرة.
- صيد الخاطر،للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي،تحقيق وتعليق:محمد عبد الـرحمن عوض،طبعة جديدة منقحة،١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م،دارالكتاب العربي-بيروت.
- ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني،ط١،١٤١٤هـ،دار الصديق.
- ضعيف الترغيب والترهيب للمنذري،محمد ناصر الدين الألباني،ط١، ١٤٢١هـ،مكتبة المعارف.
- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني،ط٢، ١٣٠٨هـ، المكتـب الإسلامي.
- ضعيف سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني،ط١، ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي.
- ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة،عبد الله بن محمد القرني،ط٢، ١٤٢٠هـ،دار عالم الفوائد- مكة المكرمة.
- طبقات الحفاظ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضـل،ط١، ١٤٠٣هـ،دار الكتب العلمية – بيروت.
- طبقات الشافعية،أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د. الحـافظ عبد العليم خان،ط١، ١٤٠٧هـ،عالم الكتب – بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى،تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي،تحقيق: د. محمـود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو،ط٢، ١٤١٣هـ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- طبقات الصـوفية،أبو عبـد الـرحمن السـلمي،تحقيق:نـور الـدين سـريبه،ط٣ ، ١٤٠٦.هـ-١٩٨٦م،مكتبة الخانجي-/مطبعة المدني- القاهرة.
- طبقات المفسـرين عبـد الـرحمن بـن أبي بكـر السـيوطي،تحقيق: علـي محمـد عمر،ط١،١٣٩٦هـ،مكتبة وهبة – القاهرة.
- الطبقات الكبرى،محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري،دار صادر –بيروت.

- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية،شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المعروف بـ ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد جميل غازي،بدون تاريخ وطبعة،مكتبة المدني ومطبعتها- جدة.
- الطرق الصوفية ، نشأ ا وعقائدها وآثارها، عبدالله بن دجين السهلي،ط١ ، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، دار كنوز إشبيليا.
- العزلة، أبوسليمان الخطابي ، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، دار ابن كثير دمشق - بيروت.
- العـزلة والخلطة، سلمان العودة ،ط١، ١٤٢٤هـ ، دار ابن الجوزي، المملكة العربيـة السعودية.
- العزلة: الفكرة والتطبيق، محمد بن سعد ، ١٤١٧هـ .بدون بيانات طبع ونشر.
- العزلة والإنفراد،أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي (ابن أبي الـدنيا) ،تحقيـق: مشهور حسن آل سلمان ،ط١،١٤١٧ هـ ١٩٩٧م، دار الوطن - الرياض / السعودية.
- العصرانيون بين مـزاعم التجديـد وميـادين التغريب،محمـد حامـد الناصـر،ط٢، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م،مكتبة الكوثر-الرياض.
- عقيدة السلف وأصحاب الحـديث،للإمام أبي عثمـان إسماعيـل بـن عبـد الـرحمن الصابوني،دراسة وتحقيق :ناصر بن عبد الـرحمن الجـديع،ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م،دار العاصمة-المملكة العربية السعودية.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري،بدر الدين محمود بن أحمد العيني،دار إحياء التـراث العربي – بيروت.
- عوارف المعارف، للسهروردي ، ضمن ملحق إحياء علوم الدين للغزالي، بـدون طبعـة وتاريخ، دار المعرفة، بيروت- لبنان.
- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ،محمد بن عبد الله أبو بكـر بـن العربي،تحقيـق:محـب الـدين الخطيـب،ومحمود مهـدي الاستانبولي،ط٢،١٤٠٧هـ ١٩٨٧م،دار الجيل-بيروت- لبنان.
- العواصم والقواصم في الـذب عـن سـنة أبي القاسـم،لابن الوزير،تحقيـق:شـعيب الأرنؤوط،ط٣،١٤١٥هـ ١٩٩٤م،مؤسسة الرسالة بيروت.

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء،موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفـة بـن يونس السعدي الخزرجي،تحقيق: الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة – بيروت
- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب،محمد السفاريني،ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م،مؤسسـة قرطبة-المملكة العربية السعودية.
- غريب الحديث،أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي،١٤٠٢هـ،جامعة أم القرى - مكة المكرمة.
- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصـرة،عبد الـرحمن بـن معـلا اللويحـق،ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م،مؤسسة الرسالة-لبنان.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمـد الـدويش ،ط٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، مكتبة العبيكان، الريـاض.
- فتـاوى معاصرة،يوسـف القرضـاوي، ط٥، ١٤٢٦هــ-٢٠٠٥م،دار القلـم-الكويت/القاهرة.
- الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، الشيخ نظام وجماعـة مـن علماء الهند، ١٤١١هـ-١٩٩١م،دار الفكر – بيروت.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي وآخر، بـدون طبعـة، ١٣٧٩هـ، دار المعرفة - بيروت.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري،عبدالرحمن بن رجب الحنبلي،ط١، ١٤١٧هـ،دار ابن الجوزي.
- فتـح القدير الجامع بين فني الروايـة والدرايـة من علم التفسير، محمد بن علـي بـن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت.
- فتح ا يد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، بدون طبعة ،دار الندوة الجديدة لبنان.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية،عبد القاهر بن طاهر بن محمـد البغـدادي أبـو منصور،ط٢، ١٩٧٧م، دار الآفاق الجديدة – بيروت.
- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب بن علي عـواجي،ط٢،١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، مكتبة لينة- المدينة المنورة.

- فكر التكفير قديما وحديثًا، وتبرئة اتباع مذهب السلف من الغلو والفكر المنحرف، عبـد السلام بن سالم بن رجـاء السـحيمي،ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م،دار الإمـام أحمـد- القاهرة/مصر.
- فروع وتصحيح الفروع،محمد بن مفلح المقدسي أبو عبد الله، تحقيق:أبي الزهراء حـازم القاضي،ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م،دار الكتب العلمية - بيروت.
- الفساد الخلقي في المجتمع(أسبابه-آثاره-علاجه)في ضوء الإسلام،ناصـر بـن عبـد الله التركي،ط١، ١٤٢٣هـ،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقافوالدعوة والإرشـاد- المملكـة العربية السعودية.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل،علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبـو محمـد، مكتبة الخانجي – القاهرة.
- فقه السجن والسجناء ،د.سعيد بن مسفر الـوادعي،ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م،(مركـز الدراسات والبحوث)جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- الفوائد لابن القيم ، ط٢، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- في التصوف الإسلامي وتاريخه ، رينولد ألن نيكولسون، ترجمة وتعليـق: د. أبي العـلاء العفيفي ، ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير،عبد الرؤوف المناوي،ط١،١٣٥٦هـ،المكتبة التجاريـة الكبرى – مصر.
- في ظلال القرآن، سيد قطب ، ط١٧، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار الشـروق، القـاهرة، بيروت.
- في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الـدين، أحمـد محمـود صبحي، ١٩٩٢م، مؤسسة الثقافة الجامعية- الإسكندرية.
- قاموس علم الاجتماع.محمد عاطف غيث ،بدون طبعة، ١٩٨٨ م، دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية.
- القاموس المحيط ، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة - بيروت.

- قواعد الأحكام في مصالح الأنام،ج(١-٢)،أبي محمد عز الدين السلمي،دار الكتب العلمية – بيروت.
- القواعد الحسان ،عبد الرحمن السعدي ،ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م،دار الصميعي ،الرياض.
- قواعد الصوفية، محمد بن عمر بن أحمد الغمري،دراسةوتحقيق:د.عادل محمد علي،(د،ط) ،١٤١٨هـ-١٩٩٧م، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة.
- القوانين الفقهية، محمد أحمد بن جزي الغرناطي، تحقيق عبد الكريم الفضيلي،ط١، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م،المكتبة العصرية ،صيدا –بيروت.
- القول المفيد على كتاب التوحيد،محمد صالح العثيمين،جمع وترتيب:سليمان أبا الخيل،خالد المشيقح،ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م،دار ابن الجوزي-المملكة العربية السعودية.
- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة،حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي، الدمشقي،ط١، ١٤١٣ - ١٩٩٢، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو – جدة.
- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف،أحمد ابن حجر العسقلاني،ط١، ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي.
- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، ، ط٢، ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية – بيروت.
- كتاب الزهد الكبير،أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر،ط٣،١٩٩٦م ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.
- كتاب العين ،الخليل بن أحمد الفراهيدي،٨ مجلدات، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- كتاب قوت القلوب(الكتاب الجامع في التصوف وتربية المريدين)ضمن الموسوعة الإسلامية الكبرى،للإمام أبي طالب المكي، تحقيق: عبد المنعم الحفني، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، دار الرشاد، القاهرة.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار،أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت،ط١، ١٤٠٩هـ،مكتبة الرشد – الرياض.

- الكشاف عن حقائق الت يل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- كشاف القناع عن متن الإقناع منصور بن يونس بن إدريـس البـهوتي،تحقيق:هـلال مصيلحي،١٤٠٢هـ ،دار الفكر - بيروت.
- الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث،إبراهيم بن محمد بن سبط ابن العجمي أبـو الوفا الحلبي الطرابلسي، تحقيق: صبحي السامرائي،ط١،١٤٠٧ – ١٩٨٧، عالم الكتـب ، مكتبة النهضة العربية – بيروت.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس،إسماعيـل بـن محمد العجلوني الجراحي،تحقيق: أحمد القلاش،ط٤، ١٤٠٥هـ ،مؤسسة الرسالة – بيروت.
- كشف المخدرات، عبد الرحمن بن عبد الله البعلـي،ط١، تحقيـق:محمـد بـن ناصـر العجمي،١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م،دارالبشائرالإسلامية،لبنان/ بيروت.
-كشف المشكل من حديث الصحيحين،أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علـي حسين البواب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الوطن - الرياض.
- ك العمال في سنن الأقوال والأفعال،علاء الدين علي المتقي بن حسام الـدين الهنـدي، تحقيق: محمود عمر الدمياطي،ط١،١٤١٩هـ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية – بيروت.
- لسان العرب ، لابن منظور،ط١، دار صادر – بيروت.
- لسان الميزان،أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،تحقيق: دائرة المعرف النظامية - الهند ، ط٣،١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.
- اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق وتعليق: عبد الحليم محمود، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة
- المتـهم معاملتـه وحقوقـه في الفقـه الإسـلامي،بندر بـن فهـد السويلم،١٤٠٨هـ ١٩٨٧م،المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب،الرياض.
- ا تمع المسلم،محمد علي الهاشمي، ط١،١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م ،دار البشائر الإسلامية لبنان.
- ا روحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين،الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حـاتم التميمي البستي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد ، ط١،١٣٩٦هـ ، دار الوعي- حلب.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،علي بن أبي بكر الهيثمي،١٤٠٧هـ،دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - القاهرة ، بيروت.
- مجموع الفتاوى، أحمد عبدالحليم بن تيمية الحراني ، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم ، مكتبة المعارف، الرباط.
- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين ،جمع: فهد السليمان، ط٢، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٤م، دار الثريا- المملكة العربية السعودية.
- مجموعة التوحيد ،جماعة من العلماء من عصر الإمام محمد بن عبد الوهاب،١٣٨١هـ ـ١٩٦٢م،المكتب الإسلامي- دمشق.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،ط١٤١٣،١هـ ـ ١٩٩٣م،دار الكتب العلمية – لبنان.
-محيط المحيط، للمعلم بطرس البستاني، طبعة جديدة، ١٩٨٧م، مكتبة لبنان.
- مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، طبعة جديدة ،١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ، ،مكتبة لبنان ناشرون – بيروت.
- مختصر منهاج القاصدين،أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي،تحقيق:قاسم الرفاعي، ط١، ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م،دار القلم-بيروت.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م، دار الكتاب العربي – بيروت.
- المدرسة العصرانية في نزعتها المادية تعطيل للنصوص وفتنة بالتغريب،محمد بن حامد الناصر،ط١، ١٤٢٥هـ ـ٢٠٠٤م،مكتبة الكوثر-الرياض.
- المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس، دارصادر، بيروت.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبي الحسن علي المسعودي ، ١٣٤٦هـ ، المطبعة البهية- القاهرة.

- مسائل الإمام أحمد ،تحقيق:زهير الشاويش،طبعة عام١٣٩٤هـ ، المكتب الإسلامي،بيروت.
- المستدرك على الصحيحين،محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،ط١،١٤١١هـ ١٩٩٠م،دار الكتب العلمية – بيروت.
- مسند أبي داود الطيالسي،سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي،دار المعرفة – بيروت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل،أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني،مؤسسة قرطبة – مصر.
- مسند الإمام عبد الله بن المبارك، عبد الله بن المبارك بن واضح،تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ط١،١٤٠٧،مكتبة المعارف – الرياض.
- مسند أبي يعلى،أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد،ط١،١٤٠٤ هـ ١٩٨٤،دار المأمون للتراث - دمشق.
- مسند الشهاب،محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي،تحقيق: حمدي بن عبد ا يد السلفي،ط٢،١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م ،مؤسسة الرسالة – بيروت.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار،القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- مشاهير علماء الأمصار،محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: م. فلايشهمر،١٩٥٩م، دار الكتب العلمية – بيروت.
- مشكاة المصابيح ،محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي،تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني،ط٣، ١٩٨٥م،المكتب الإسلامي-بيروت.
- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني،تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،ط٢، ١٤٠٣، المكتب الإسلامي.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية،أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري،ط١، ١٤١٩هـ، دار العاصمة/ دار الغيث – السعودية.
- المعتزلة، زهدي جار الله ،ط٥، ١٤٠٧هـ١٩٨٧م ، دار الينابيع-بيروت.

- المعتزلة وأصولهم الخمسة،عواد بن عبدالله المعتق،ط٢، ١٤١٦هـ ـ١٩٩٥م، مكتبة الرشد- الرياض.
- المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين، تحقيق: خليل الميس،ط١، ١٤٠٣هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت.
- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب،أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي،ط١،١٤١١ هـ ـ ١٩٩١م، دار الكتب العلمية – بيروت.
- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية،محمد إسماعيل إبراهيم،دار الفكر –القاهرة .
- المعجم الأوسط،أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني،١٤١٥هـ ،دار الحرمين – القاهرة.
- معجم البلدان،ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله،دار الفكر - بيروت.
- المعجم الصغير(الروض الداني)للطبراني،تحقيق:محمدشكور،ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م،المكتب الإسلامي،دارعمار،بيروت عمان،
- المعجم الكبير،سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي،ط٢،١٤٠٤ - ١٩٨٣، مكتبة الزهراء – الموصل.
-معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،ط٢،١٤٢٠هـ ـ - ١٩٩٩م،دار الجيل - بيروت – لبنان.
- المعجم الوسيط(١+٢)، إبراهيم مصطفى،أحمد الزيات،حامد عبد القادر،محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم ،تعريب وتصنيف وتقديم:سهيل زكار،ط١، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م، دار الكتاب العربي- دمشق/مصر.
- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي نزيل طرابلس الغرب، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي،ط١، ١٤٠٥ - ١٩٨٥،مكتبة الدار - المدينة المنورة – السعودية.

- المعرفة في الإسلام ، مصادرها ومجالا ا،عبدالله بن محمد القرني،ط١، ١٤١٩هـ دار عالم الفوائد- مكة المكرمة.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار،محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس،ط١،١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت.
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، لأحمد بن يحيي الونشريسي ،١٤٠١هـ ١٩٨١م،دار الغرب الإسلامي- بيروت.
- معيد النعم ومبيد النقم،تاج الدين عبد الوهاب السبكي،تحقيق:محمد النجاروآخرون،ط٣، ١٤١٤هـ ١٩٩٦م،مكتبة الخانجي،القاهرة.
- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد المغربي، تحقيق: د. شوقي ضيف،ط٣ ، ١٩٥٥م ، دار المعارف - القاهرة.
- المغني في أبواب العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي، ، ط١،١٣٨٠هـ ١٩٦٠م، دار الثقافة والإرشاد – مطبعة دار الكتب.
- المغني في الضعفاء ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية ،تعليق: علي حسن الحلبي، ط١، ١٤١٦ ، ١٩٩٦م، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية.
- المفردات في غريب القرآن،أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني،ضبط ومراجعة:محمد خليل عيتاني،ط٢، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م،دار المعرفة-لبنان.
- المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم ،تحقيق:محيي الدين ديب مستو وآخرون،ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م،دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ،دمشق،بيروت.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الملل والنحل،،ابي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني،تحقيق:محمد عبد القادر الفاضلي،ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م،المكتبة العصرية-بيروت.

- منار السبيل في شرح الدليل،إبراهيم بن محمد بن سـالم بـن ضـويان،تحقيق: عصـام القلعجي،ط٢، ١٤٠٥هـ، مكتبة المعارف،الرياض.
- مناهج البحث في التربية وعلم النفس،جابر عبد الحميد جابر،وأحمد خير كـاظم، ط٢، ١٩٧٨م،دار النهضة العربية- القاهرة.
- المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور،تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بـن محمـد الصيرفيني، تحقيق: خالد حيدر،١٤١٤هـ،دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع – بيروت.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج،ط١، ١٣٥٨هـ،دار صادر – بيروت.
- المنتقى النفيس من تليس إبليس،لابن الجوزي،بقلم:علـي حسـن عبـد الحميـد،ط٤، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م،دار ابن الجوزي،المملكة العربية السعودية.
- منهاج السنة النبوية،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيـق: د. محمـد رشاد سالم،ط١،١٤٠٦هـ،مؤسسة قرطبة.
- منهج الإسلام في تزكية النفس،أنس أحمد كرزون ،ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م،دار نـور المكتبات- بيروت.
- منهج الدعوة عند الإباضية، محمد صالح ناصـر، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، مكتبـة الاستقامة، مسقط / سلطنة عمان.
- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسـير، فهـد بـن عبـد الـرحمن الرومـي،ط٥، ١٤٢٢هـ،مكتبة الرشد- الرياض/المملكة العربية السعودية.
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان،علي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية – بيروت.
- الموازين مختصر تنتبيه الغافلين ، للإمام محيي الدين أحمد بن إبراهيم بن محمـد الدمشـقي الشهير بابن النحاس،إختصار:رجائي بن محمد المصـري المكـي،ط١، ١٤٠٩هـ،مكتبة الفاروق-القاهرة.
- الموافقات في أصول الفقـه، إبـراهيم بـن موسـى اللخمـي الغرنـاطي المـالكي الشاطبي،تحقيق:عبد الله دراز،دار المعرفة- بيروت.

- موسوعة الأديان الميسرة،أحمد راتب عرموش وآخـرون،ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م،دار النفائس بيروت لبنان.
- الموسوعة الصوفية،أعلام التصوف والمنكرين عليه والطـرق الصـوفية،د.عبـد المـنعم الحفني،ط١، ١٤١٢هـ ـ١٩٩٢م،دار الرشاد- القاهرة.
- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي د.عبدالمنعم الحفني، ط٤، ١٩٩٤م ، مطبعة أطلس ، مكتبة مدبولي_مصر.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ،إعداد:مجموعة مـن المختصـين بإشراف:صالح بـن عبـد الله حميـد ،عبـد الـرحمن بـن محمـد بـن ملـوح،ط٤، ١٤٢٦هـ ـ٢٠٠٦م،دار الوسيلة- جدة.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: مانع الجهـني،ط٤، ١٤٢٠هـ، دار الندوة العالمية، الرياض.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة،الندوة العالمية للشباب الإسـلامي،ط٢، ١٤٠٩هـ ـ١٩٨٩م،الرياض- المملكة العربية السعودية.
- موطأ الإمام مالك،مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي – مصر.
- موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين،ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد - الرياض.
- موقـف المسـلم مـن الفـتن في ضـوء الكتـاب والسنة،حسـين الحـازمي،ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م،أضواء السلف،الرياض.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عـادل أحمد عبدالموجود، ط١، ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية – بيروت
- النصيحة الوالدية / وصية أبي الوليد الباجي لولديه،أبوالوليد سليمان بن خلف البـاجي، تحقيق: إبراهيم باجس عبد ا يد،ط١، ١٤١٧هـ، دار الوطن – الرياض.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمسـاني، تحقيـق: د. إحسان عباس، ١٣٨٨هـ ، دار صادر- بيروت.

- النهاية في غريب الحديث والأثر،أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري،تحقيـق: طـاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي،١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، المكتبة العلمية – بيروت.
- النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير،، ط٥، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، دار المعرفة - بيروت.
- اية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير،١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ،الفكر للطباعة – بيروت.
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ،محمد بن علي بن الحسن أبو عبـد الله الحكـيم الترمذي،تحقيق: عبد الرحمن عميرة،١٩٩٢م،دار الجيل – بيروت.
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار،محمد بن علـي بـن محمـد الشوكاني،١٩٧٣،دار الجيل – بيروت.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،مصـطفى عبـد الله القسـطنطيني الرومـي الحنفي،١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م،دار المتب العلمية- بيروت.
- هذه أخلاقنا، محمود الخزندار، ط٧، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، دار طيبة، الرياض.
- واجب المسلم عند الفتن(سلسلة تصدر عن المنتـدى)،باسـل سـعود الرشـود،ط١، ٢٠٠٣م،١٤٢٤هـ ،أضواء المنتدى،الرياض.
- الوافي بالوفيات،صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي،تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركـي مصطفى،١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م، دار إحياء التراث – بيروت.
- وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين، الشيخ محمد ناصـر الألباني، ط٢، ١٤٢٢هـ ، المكتبة الإسلامية- عمان/ الأردن.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان،تحقيق:إحسان عباس ،دار الثقافة – لبنان.
- وقفات تربويـة في ضـوء القـرآن الكريم،عبـدالعزيز بـن ناصـر الجليـل، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م،دار طيبة-الرياض.
- الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني،ط٩، ١٣٢٠هـ ـ دار طيبة، المملكـة العربية السعودية.

## كتب عن طريق مواقع شبكة المعلومات الالكترونية

- مقدمة صحيح مسلم ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجـاج القشـيري النيسـابوري، بترقيم شرح الشيخ مقبل بن هادي الوادعي،دار العلم الصحيح-الجزائر.ص(١٢)

الموقع:www.ilmsahih.com/algeria،البريد:ilmsahih@yahoo.fr

- موقع صيد الفوائد /الجولة الثالثة : ابن عربي يقول: إنه يتلقى علومه رأساً من الله،د.محمد جميل غازي.

- الزوايا والخوانق، المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة المعلومات الالكترونية، http://www.palestine-info.info/arabic/books/beet_maqdes/maqdes٧.htm

- دائرة المعارف الإسلامية ، النسخة العربية ، دار الشعب- القاهرة ،نقلا عن شبكة المعلومات الالكترونيةhttp://www.arabiancreativity.com/shshaath٢.htm

- موسوعة العمارة الإسلامية، عبد الرحيم غالب ،غروس برس- بيروت نقلا عن شبكة المعلومات الالكترونيةhttp://www.arabiancreativity.com/shshaath٢.htm

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متنر،تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريـده ،١٩٧٥م، لجنة التأليف والنشر- القاهرة. نقلا عن موقع على شبكة المعلومات الالكترونية http://www.arabiancreativity.com/shshaath٢.htm

- الخانقاه( الخانكاه)في التراث الحضاري الإسلامي،د.شوقي شعث. نقلا عن موقع على شبكة المعلومات الالكترونية http://www.arabiancreativity.com/shshaath٢.htm

- الخطط التوفيقية، المقريزي ،١٩٦٥م، بيروت، http://www.arabiancreativity.com/shshaath٢.htm،

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ،موقـع الكاشف،www.alkashf.net موقع صيد الفوائد.

- المدارج في كشف شبهات للخوارج،لأبي عمر أحمد بن عمر بازمول، ومسـألة تكفـير حكام المملكة العربية السعودية (دعوة للحوار لاتباع الحق،موقع/منتديات الساخر.

- العبودية،لابن تيمية،موقع صيد الفوائد على شبكة المعلومات الإلكترونية.

- نظرة جديدة إلى التراث، محمد عمارة، شبكة الدفاع عن السنة،- vBulletin® v. ٣.٦.٤ , Copyright ©٢٠٠٠-٢٠٠٨ by TranZ , Almuhajir

## كتب تم الاستفادة منها نقلاً عن غيرها

- الإخوان المسلمون في ميزان الحق.
- أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام.
- أطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري.
- أولويات الحركة الإسلامية.
- التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، علي عشماوي.
- التكفير والهجرة وجها لوجه،رجب مدكور.
- تنـزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار.
- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، عرفات عبد الحميد.
- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث.
- الفكر الإسلامي بين الأمس واليوم، محجوب بن ميلاد .
- كتاب (الله)،مصطفى محمود.
- مصرع الشرك والخرافة.خالد محمد علي الحاج،تحقيق: عبد الله الأنصاري،
- مناقب الإمام ابن حنبل.
- هذا هو الإسلام، فاروق الدملوجي.
- النـزعة المادية في العالم الإسلامي ، عادل التل.
- التوسمات، شكري مصطفى.
- الخلافة، شكري مصطفى
- الهجرة، ماهر بكري.

## الصحف والمجلات والبرامج

- جريـــدة الشـــرق الأوســـط في العـــدد(٥٢٨٩)بتـــاريخ ١٤١٣/١٢/١هـــ ـ الموافق١٩٩٣/٥/٢٢م.

- جريدة الرياض العدد(١٠٤٨١)في ١٩٩٧/٣/١م.

- مجلة البتار / العـدد الثـاني عشر ، ربيع الآخـر/ ١٤٢٥ هـ ـ الموضوع: الحكم بغـير ما أنـزل الله ، عبد الله بن ناصر الرشيد.

- برنامج الشريعة والحياة: بعنوان (في ظل الشريعة الإسلامية ) بتاريخ ١٩٩٧/١٠/١٢م.

# فهرس الموضوعات